

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

و

بِأَمْرِ النَّبِيِّ

لِلْإِمَامِ الْكَافِرِ أَبِي الْقَبْحِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَوْزِيِّ

رتبه على (ستة عشر) مجلسا

في الترغيب، والترهيب، والوعظ، والارشاد، وتهذيب النفوس
معززا ذلك كله بالأدلة والآيات القرآنية، والأحاديث النبوية،
وآثار الصحابة، وأقوال العلماء، والصالحين، وحكايات
وأشعار تناسب المقام.. الخ

يحتوى هذا الكتاب على المجالس الآتية :

- ١ - فى الاستعاذة
- ٢ - فى القيامة وأهوالها
- ٣ - فى ذكر الميزان والصراط
- ٤ - فى قوله تعالى: وعلى الاعراف رجال
- ٥ - فى قوله تعالى: يوم تاتى كل نفس
- ٦ - فى قوله تعالى فاما من أوتى كتابه
- ٧ - فى قوله تعالى: ووضع الكتاب
- ٨ - فى ذكر الجنة وأوصافها
- ٩ - فى قوله تعالى: كل نفس ذائقة الموت
- ١٠ - فى موت الانبياء والاولياء
- ١١ - فى ذكر القبور
- ١٢ - فى فضل الصيام
- ١٣ - فى تحريم الخمر
- ١٤ - فى فضل يوم عاشوراء
- ١٥ - فى قوله تعالى: الله نور
- ١٦ - فى قوله تعالى: إن الله وملائكته
- ١٧ - فى قوله تعالى: يا أيها الذين
- ١٨ - فى قوله تعالى: آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما

طبع هذا الكتاب بمعرفة محمود على صبيح صاحب المكتبة المحمودية التجارية على النسخة
الوحيدة المحفوظة بدار الكتب الملكية ولم نعتربعد شدة البحث وبذل الجهد على خلافها
وهى صحيحة دقيقة ومن تعدى على طبعه يحاكم قانونا . وحقوق الطبع محفوظة له خاصة
الطبعة الاولى : سنة ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٤ م

صححه وشرح غريب ألفاظه وعلق حواشيه

عبدالله بن خليل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الكتاب

الحمد لله وهاب العطايا ، كاشف الضر والريزايا ، مفرج الكرب والبلايا ، مضاعف الاجر للصابرين . مانح العباد بفضله أرزاقهم ، مقدراً بحكمته آجالهم ، محتماً عليهم من الازل أعمالهم ، محاسبهم عليها وهو أسرع الحاسبين . وهب الغنى للعاقل والجاهل ، ويسر الثراء للبحلى والعاطل ، ونفذ حكمه على الظالم والعاقل ، وجعل الجنة مقاما للطائعين والنار مشوى للعاصين *

أحمده سبحانه على نعمة الاسلام ، والهداية من ظلمات الكفر والاجرام ، الى أنوار الرفعة والاكرام ، فى عداد أمة سيد المرسلين *

وأشكره على ما أولى من سوابغ النعم ، وتفضل بجزيل الجود والكرم ، وتحن بالصحة بعد السقم ، وبالتوبة على عباده المفسرين *

وأصلى وأسلم أكمل الصلوات وأعطرها ، وأزهى التسليمات وأزهرها ، وأبرك التحيات وأوفرها ، على من أرسله رحمة للعالمين . محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، أفصح الانس والجن العجم منهم والعرب ، وخير من وعظ وزجر وأرشد وخطب ، ومهد طريق الفلاح والهداية للسالكين . وعلى آله أكرم القبائل ، وأزواجه أمهات المؤمنين ربات الفضائل ، وأولاده النجباء الامائل ، وعترته الطاهرة وأهل بيته أجمعين *

ورضى الله تبارك وتعالى عن أصحابه الاخيار الابرار ، الاجداد الاطهار ، ما تعاقب الليل والنهار ، مصاييح الدجى ونجوم المهتدين *

وبعد : فقد استخرت الله تعالى فى نشر كتاب (بستان الواعظين ورياض السامعين)

للعامة الكبير أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي رحمه الله تعالى لانه على وفرة مادته وغزارة
نفعه نادر الوجود ، بل في حكم المفقود ، فلم أعثر — بعد طول البحث — إلا على نسخة منه
فريدة بدار الكتب الملكية وسأوفيهما حقهما من الوصف عند تحليل الكتاب وإظهار ما فيها
من خطأ وصواب بقدر ما تسمح به الطاقة ويحتمله الجهد . وخابرت في ذلك حضرة الصديق الفاضل

محمد بن علي صبيح

صاحب

المكتبة المحمدية التجارية بميدان الجامع الأزهر بمصر

و

المطبعة المحمدية التجارية بمصر

فوافق على أن يقوم بطبعه على نفقته أحسن الله إليه *

بيد أني كنت عازمت على ترجمة المؤلف ترجمة مطولة تجمع ما تفرق في الكتب وتناثر في الصحف
إلا أني رأيت أخيراً أن أكتفى ببندة وجيزة تغني المطالع عن الرجوع إلى المطولات ، وتفيد من
قصر يده عن تناول كتب الوفيات *

واستبدلت بذلك أن أصف الكتاب الذي نحن بصدده وأعرفه للقراء ليحلوه مكانته من
الصدر ، وينظموه في سلك مع الدر على قلائد النحر ، فالفائدة به مؤكدة ، والهداية من طريقه
معبدة . جعل الله أعمالنا خالصة لوجهه الكريم ، نافعة لمن حاد عن الطريق القويم . فالفضل
بيد الله يؤتاه من يشاء والله ذو الفضل العظيم *

مؤلف الكتاب

هو أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن حمادي بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي بن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه . الفقيه الحنبلي الحافظ الملقب جمال الدين .

كان إمام وقته في الحديث والوعظ وحضور البديهة وارتجال الخطب وكثرة التأليف، فقد ألف في العلوم الشرعية والتفسير والحديث والوعظ والطب والجغرافيا . وقد قيل : لوجعت الكراريس التي كتبها وحسبت مدة عمره وقسمت عليها لخص كل يوم تسعة كراريس ، وهذا شيء يستعظمه العقل بالنسبة للحالة المشاهدة بيننا *

وبراية أقلامه التي كتب بها الحديث خاصة أوصى أن يسخن بها ماء غسله بعد موته فكفت وفضل منها *

وتماز كتبه بمتانة العبارة وفصاحتها ، وصحة أسلوبها ورشاققتها ، ودقة معناها وسهولة الفاظها وصدق لهجتها *

ويغلب أن يودعها وقائع اتفقت له ، أوصح عنده نقلها . فهو يستشهد بها ومثيلاً لها فتوضح مقصوده ، وتكسب أقواله جمالا ورونقا .

ولم يطبع من مؤلفاته إلا النزر اليسير ومعظمها إما فاقد أو مبعث في خزائن الكتب في أوروبا وإسلامبول ومصر وغيرها *

ومن أشهر مؤلفاته التي لم تطبع ، تاريخه الكبير المسمي (المنتظم في تاريخ الامم) وهو أجزاء مبعثرة في مكاتب العالم ومنه جزء بدار الكتب الملكية بمصر في ٥٠٠ صفحة يتضمن تاريخ ٦٠ سنة فقط ، فكم يبلغ حجم جميع الكتاب ؟

وقد حكي عن نفسه في كتابه دفع شبهة التشبيه أن مصنفاته بلغت (٢٥٠) مصنفا . ومن لطيف شعره يخاطب أهل بغداد :

عذري من فنية بالعرا ق قلوبهم بالجفا قلب
يرون العجيب كلام غريب وقول الغريب فلا يعجب

ميازيهم إن تندت بخي ر الى غير جيرانهم تغلب
وعذرهم عند توبيخهم (مغنية الحى لا تطرب)

ومن غريب ما يحكى من نوادره وسعة معرفته وسهولة بديته أنه وقع نزاع ببغداد بين أهل السنة والشيعة في المفاضلة بين أبي بكر وعلي رضي الله عنهما فرضى الكل بما يجيب به ابن الجوزي ، فأقاموا شخصا يسأله في مجلس وعظه فقال : أفضلهما من كانت ابنته تحته ، ونزل في الحال حتى لا يراجع في السؤال . وكان ذلك بديهة بدون روية ولا تفكير فجاء في غاية الحسن والدقة . فقال السنية إنه أراد أبا بكر لأن عائشة ابنته تحته ، وقال الشيعة أراد عليا لأن ابنته فاطمة تحته *

وكتب عنه الرحالة الكبير وسائح العرب العظيم العلامة ابن جبير في رحلته فصلا في وصف مجلس وعظه واحتشاد الخلق وتزاحمهم حوله وتوابعهم على يديه فليراجع من شاء *
ومن غرر مؤلفاته التي طبعت حديثا كتاب نقد العلم والعلماء ، والمدحش ، وصيد الخاطر ، ودفع شبهة التشبيه ، ومناقب الامام احمد بن حنبل ، وسيرة عمر بن الخطاب ، وكتاب أخبار الحمقى والمغفان (وقد قمت بتصحيحه وطبعه أخيرا) الى كثير من الرسائل وكلها تدل على علو كعبه في التأليف وغزارة علمه ، ودقة فهمه *

ولد رحمه الله في سنة ٥٥٨ هـ وقيل سنة ٥١٠ هـ وتوفي ليلة الجمعة الثاني عشر من شهر رمضان سنة ٥٩٧ هـ ودفن بمقبرة باب حرب ببغداد . وكان يوم وفاته يوما مشهودا ببغداد حشد الناس جميعا له وشيعوه الى مقره الاخير وتبرأوا بالصلاة عليه الى أن مضى أكثر الليل . وقد قيل إن كل من أتى بعده عيال عليه في الوعظ والترغيب وحسن صياغة الكلام والتأثير في النفوس رحمه الله رحمة واسعة *

تحليل كتاب

بستان الواعظين ورياض المتعجبين

إن للشعراء في حسن المطلع وبراعة الاستهلال ورقة الدباجة ميدان فسيح لجودة الاختيار واستلفات الانظار والافكار حتى أن المبرز منهم من يجمع غرضه من القصيدة الطويلة في مطلعها فيعلم المطلع لأول نظرة إن كانت في المديح أو الهجاء ، وفي التهنية أو العزاء . والامثلة على ذلك كثيرة أكتفى منها بما يقوم بالغرض . قال جرير يرثى زوجته خالدة بنت سعد :

لولا الحياء لها جنى استعبار ولزرت قبرك والحبيب يزار

ألا يرى القاري لهذا المطلع جريان الدموع وحرقة الاحشاء ، ولطفة الشاكل ؟ ؟

وقال قطري بن الفجاءة المازني من زعماء الخوارج على دولة بني أمية في الحماسة :

أقول لها وقد طارت شعاعا من الابطال ويحك لا تراعى

ألا يدرك المتأمل هنا أنه يخاطب نفسه تحت عجاج الرماح وصلصلة السيوف ؟

وقال المتنبي يصف أحد الفتوحات لسيف الدولة :

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

أيخفى على ذي نظر ما أراده الشاعر حتى لو اكتفى بالشرطة الاولى ؟

وقال المعري يرثى مصلوبا على خشبة :

علو في الحياة وفي الممات لحق تلك إحدى المعجزات

ألا يرسم ذلك البيت وحده خشبة المصلوب وهو يتأرجح عليها ؟ ؟ ومالنا نبعد، وهؤلاء

الكتاب العصريين بيننا يضع كل منهم فوق رأس مقالته كلمة أو كلمتين كعنوان يؤدي معنى

غرضه من المقال ، والمحور الذي تدور عليه ، والغاية التي ينشدها .

فاذا تقرر هذا - وهو في حكم البديهيات - ألا يكون ابن الجوزي قد وفق التوفيق كله في براعة

الاستهلال وحسن المطلع حينما سمي كتابه (بستان الواعظين، ورياض السامعين) ؟ ؟
 أليس يجمع البستان من الثمرات أشكالا ومن الزهور ألوانا فيجنى كل ماشاء ويدع ماشاء .
 وتعجبه ثمرة فيجتنها ، وتروقه باقة فيهديها : وهو في البستان يتنقل ويتنزه . لا يرى إلا حسنا ،
 ولا يشم إلا عطرا ، ولا يحس إلا نعيما . والواعظون قوم تخصصوا للوعظ والارشاد ،
 ونصبوا أنفسهم لهداية العباد ، وجمعوا الى غزير العلم دقة الفهم وصائب الحكم وجاذبية للتأثير
 وسهولة في التعبير وطول مران على الخطابة واستعداد دائم لحسن الاجابة وحضور الذهن
 وصدق الفراسة وحسن القدوة وكمال السمات والصلاح في نفسه ومن اتصل بسببه لثلا يقع
 تحت قول القائل :

يا أيها الرجل المعلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليم
 تصف الدوام لدى السقام وذى الضنا كيما يصح به وأنت سقيم !!

وررياض السامعين ، فالرياض جمع روضة وهي ما اتسعت جنباتها ، وفاح أريجها ، وتنوع
 نباتها ، فغصون حالية ، وأزهار زاهية ، وثمار نامية ، ومياه جارية ، وروح وريحان ، وفاكهة
 من كل زوجان ، صنوان وغير صنوان . والسامعون هم أهل المجلس الذين يستمعون القول
 فيستبعون أحسنه ، ويتفكرون ظلال رياضه . جعل كتابه لهم رياضاً يتروحون في جنباتها ،
 ويتلذذون بشمراتها .

ولقد أصاب في هذه التسمية كل الأصابة وأبدع كل الابداع : ففي ذكر البستان والرياض
 نغمة تطرب الأذن وتبهج النفس . وجدير بمن نصب نفسه للوعظ والارشاد أن يتسلل برفق
 وتأن إلى القلوب الجاححة والنفوس الشاردة حتى يستولى على قيادها ويذل من عنادها ويجعلها
 أطوع له من يمينه يوجهها إلى سبل النجاح كيف شاء .

ورتبة على ستة عشر مجلساً كل مجلس منها في غرض مخصوص وكلها تدور حول الترغيب
 في الفضائل الدنيوية والآخرية والترهيب من الرذائل الخلقية والنفسية . معتمداً في ذلك على
 ما أودع في النفس البشرية التي وإن جمحت طويلاً في ميدان الغواية والضلال ، فهي سريعة
 الاحساس والشعور قربة الرجوع عند أول منبه لها وكابح من غيها — إذا ما وفق كالمؤلف
 رحمه الله — الى تشخيص الداء والدواء . وصور الرذيلة في أبشع صورها وأحط منازلها ،
 وأغري بالفضيلة من حيث هي فضيلة حسن منظرها طيب عرفها جميل أثرها ، وقارن بينها
 وبين أضرارها من القبائح والنقائص مؤيداً حجته بالبراهين القوية والأقوال المروية ،

مرصعاً ذلك بالآيات والأحاديث وكلام السادة الصالحين المشهود لهم بكمال العقل وتمام
الايان وحلية التقوى والصالح*

فاذا ما صبر المرشد على مهاجمة جيش الغواية داخل حصون الغرور بسلاح الايمان الراسخ
والعقيدة الثابتة والاقتناع الكافي فلا بدله من التغلب أخيراً على أعدائه الشياطين ، وكسب
تلك النفوس المضاللة وردها إلى حظيرة الاسلام وطريق الصلاح واكتساب جزيل الثواب
كما فعل ابن الجوزى رحمه الله فيما سنعرضه الآن عليك .

إبتدأ فى المجلس الأول بالاستعاذة من الشيطان الرجيم بقوة المولى الكريم فألقى بلباب
ما قيل وما يقال من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والحكايات المروية واستطرد إلى
وصف الشيطان وتأثيره فى إفساد النفوس وتلويث العقائد منبهاً على أن ذلك وإن كان فى
نفسه كبيراً إلا أنه من الممكن التغلب عليه بسهولة اذا ما استمسك الانسان بالعروة الوثقى ونهى
النفس عن الهوى وتدرع بالاستعاذة فى كل قول وعند كل عمل لأنها تذكره بالشيطان الرجيم
ومن كان ذا كراً له احتس منه وأمن الوقوع فى شركه *

ولما وفى هذا المجلس حقه من البيان وعلم أن الأرض تهبأت للبدار ، وأن النفوس تنهت
من السبات هجم بها على المجلس الثانى وهو فى القيامة وأهوالها وشدة خطبها وشديد كربها ،
وهناك ألقى بالنفوس فى جحيم من الخوف والفرع والحيرة والجزع وزعزع أساس القلوب
المتحجرة ووصف جهنم وصفاً عجيباً لم يسبق إليه حتى ليكاد السامع يحترق من اشتعال لهيبها ،
ويسمع صليل سلاسلها وأغلالها ، ويحس ببطش زبانياتها . حتى اذا تفتطرت القلوب وانهملت
الدموع وخشعت النفوس عرج بهم على المجلس الثالث فى الميزان والصراط فأكمل ما بدأ
به وأقنع من شك فى قوله ومزج الخوف بالأمن والشدة باللين ، وأصبح الناس حيارى بين بين
تركهم فترة يفعل فيها الدواء فعلة ويبلغ الهدى محله ثم عكف بهم الى فسيح الثواب فى مجلس
الكتاب ، فهبت عليهم حينئذ نسمة علية استروحت اليها النفوس ومالت إلى ظلها الاجسام
وثابت اليهم أحلامهم واجتمعت شوارد أفكارهم وخفت قليلاً حيرتهم ثم سمعوا النداء من
الرب العلى (ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه) فزال يستل السخائم ويحلى
ظلمات القلوب التي ران عليها سواد الذنوب ويظهر ما بقي عالقا فى النفوس من دنس الخطوب
حتى تهبأت لتلقى البشارة العظمى بذكرجنة المأوى . فالروح والريحان ، والحدود والولدان ،
والثواب والاحسان ، والفاكهة والرمان ، بعد لهيب النيران ، والخبية والخلدان ، والسوم .

والخسران ، ثواب ومتاع ، ونعيم دائم بلا انقطاع ، وخير أنهار ، وتغريد أطيار ، ومنازل سرور ، وضحكات الحور ، وأريج البخور ، والغرف الزمردية في القصور ، والطعام والخور . والائسرة العسجدية والستور ، والمتعة واللذة والحبور . هذا ما ينشره على الاسماع ثوابا للإحسان ، وثمنا راجحاً لطاعة الملك الجليل المنان ، واتباعاً لأحكام القرآن ، وسنة سيد ولد عدنان . فأى نفس تجمح بعد هذا وتغوي ؟ ولم ترعوى وتسلك سبيل الهدى ؟ ألم تتحصن بالاستعاذة ؟ أما شاهدت أهوال القيامة ؟ أما أحسنت بلفح السعير ؟ أما رأيت شدة البطش والنكير ؟ أما آمنت بالميزان والصراط والكتاب ؟ أما أيقنت بالعذاب والثواب ؟

الآن لا يخشى عليها المؤلف الغواية والضلال ، فليشبهها من وهدة الخيال ، إلى حضرة ذى الجلال . في نعيم دائم وظلال . إلى الجنة الخالدة والنعيم السرمدي ثم (فأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى) وأى جنة وأي نعيم هي !! هي التي قال فيها سيد الأولين والآخرين « حيطانها الذهب والفضة ، وقصورها اللؤلؤ والبرجد ، وحصابؤها الدر والياقوت » وهل تحتاج الجنة إلى وصف ؛ أو تفتقر إلى نعت !! أليست هي دار الخلد أعدت للمتقين ! فيها ما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين ولا يخطر على قلب بشر ! تجد ما تشتهيه حاضراً كماثماً كان ، ترى أبهج المناظر وتسمع أروع الألحان ، لا موت فيها ولا سقم ولا ليل ولا نهار . ولا انقطاع لذتها ، ولا بلاء لجذتها ، ولا فتور لسكانها ، ولا ملال لقطانها ، إخوان على سرر متقابلين . ولقد أكد ذلك ثانياً في مجلس الموت ، وقرر أن كل نفس ذائقة الموت حتى الملائكة المقربين . وحمل العرش أجمعين وحتى لا يبقى إلا وجه الله الكريم . وتبسط في وصف موت الأنبياء والصالحين ليهون على العباد طعم الموت حيث يشترك فيه كل ما خلق الله تعالى من نسمة تسعي وملك وجن حتى السموات والأرضين ! فيألفها من حكمة جليلة ، ونصيحة جميلة ، وطريقة في الوعظ والإرشاد طريفة *

ولما كانت النفوس البشرية سريعة النسيان لأوقات الشدائد ، وخشى عليها أن تفرغ من ثمرتها . وتضعف نشوتها أسرع بها إلى ذكر القبور وما فيها من عقاب وثواب ، وسؤال وأهوال ، غير تارك فرصة لغمز العاصين وتنبيه الطائعين فلا العاصي يأس من رحمة الله تعالى بعد التوبة ، ولا الطائع آمن قبل النشور . فهناك القبر وظلمته ، والسؤال وشدته ، والعمل السوء وملازمته . وغضب الله وعقوبته . هناك يتجرد المالك من ملكه ، والجبار من حوله وطوله ، والسلطان

من جيشه وحرسه ، والقوى من قوته ، والعزیز من عزته .

هناك يتساوى الاثامير والحقير ، والغني والفقير ، والعالم والجاهل والظالم ، والعدل ، والشيوخ والشبان ، والجناء والشجعان . في ظلمات القبر أجسام عارية ، وأوصال بالية ، وهياكل خاوية ، ينتظرون يوم الحساب ويبتهلون الى رب الارباب في دفع العذاب ونيل الثواب ، وحسن المآب .

فاذا ماوصل إلى نهاية هذه المجالس وهذب النفوس وقوم الاخلاق وتاب العصاة وارعوى الطغاة واعلنوا جميعا التوبة الخالصة ، فتح لهم باب الرغبة على مصراعيه قائلا لهم هلموا هلموا إلى جنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين ، وبشرهم بمزيد الرضوان للصادقين . ولمح لهم بالبشائر الكبرى للصائمين ، فبدأ لهم بمجلس في فضل الصيام وحكمة خصوصية شهر رمضان ، وما أودع الله سبحانه فيه من فضل جسيم وثواب للصائمين عظيم يتعادل وما تتركه النفوس من شهوات الطعام والشراب وحبسها عن المعاصي والآثام . ذكر رحمه الله فضائل الصيام الظاهرة وشرح المقصود منه وحدوده وأحكامه . ولما كان ذلك مقررا عند الجميع قال إنما ذكرت لكم الصيام في شهر رمضان وأريد به صيام الجوارح عن الآثام كما تصوم البطن عن الطعام . وصيام الباطن أشق عليكم وثوابه لو علمتم أنفع لمعادكم . بسط في هذا المجلس من درر النصائح وغرر الحكم ما لو تمسكوا به لفازوا فوزا عظيما . خاطبهم من طريق العقل والمنطق الحق والزمهم الحجة وغلبهم على أنفسهم فأذعنوا له بالطاعة بعد الثبور ، وسلموه أعنتهم بعد الأباء ، واستطابوا دواءه واستشفوا بمرأهه فقد وفاهم من النصيح الخالص حقهم ومن الموعدة الحسنة نصيبهم . ولما آتس منهم الطاعة شرع في أخذ عهودهم ومواثيقهم بالاستقامة والصلاح ، ولما كانت الخمر أم الشرور وهي وحدها الهدامة لكل أساس صالح ، والنفوس بها متمسكة وهي فيها متمكنة هاجها حالا بشدة وقسوة غير تارك لها منفسا تهرب منه ، أو تخرجها تتسرب اليه . فاستعمل لهم أقرب الطرق وأسهلها كما علمنا المولى سبحانه في طريقة تحريمها ولعمر الحق أن هذا المجلس وحده لو كان كل مافي الكتاب لكان جديرا بالفضل والاحلال . لا أقول كما قال المثل إنه قال في الخمر ما قال مالك ، بل أقرر غير مبالغ في عظيم الفوائد وجليل العوائد التي أحسن تنسيقها وأجاد تبويبها ، وارسلها الى القلوب سهاما من نار وباقات من أزهار . الخمر أس الشرور ومفتاح المصائب ، ورسول الكفر ، وخزان الخسران . وعندى أن كل عاقل يتحتم عليه مطالعة هذا المجلس بامعان وروية ويقرئها أهله وأولاده فما

سمعه انسان وذاق بعده للخمر طعما، ولا ذكر لها اسماء. أثابه الله تعالى على ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار . ولما أراد أن يزيدهم من غيوث كرم الله تعالى الهاطلة عقد لهم مجلسا في فضل يوم عاشوراء وصيامه وصدقته والطاعة فيه والتقرب الى الله تعالى بالاحسان لما ورد فيه من صحيح الأخبار وجميل الآثار فطوبى لمن وفقه الله للطاعات ويسر له الاكثر من الحسنات ووجد أن انقضى هذا المجلس العظيم عرج بهم الى تفسير قول الله تعالى (الله نور السموات والارض) الآية وذكر أن المراد بذلك النور هو قلب المؤمن وأورد في ذلك جملة صالحة من اقوال المفسرين حتى فرغ من ذلك وقد أضاء ذلك النور القلوب ، ومحاسن الذنوب والعيوب . ولما كان ختام كل شيء أعلق بالاذهان ، وأجدر بالاحسان ، عقد مجلسين في الصلاة والسلام على الرسول الامين ، والنبى العظيم ، مبتدئا بقول الله تعالى (إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) . فسر هذه الآية الكريمة فأبدع وشرحها فأحسن ، وسرد صحاح الاحاديث وأحسن صيغ الصلوات ومالها من فضل مبرور ، وثواب عند الله مشكور . وبذلك ختم الكتاب فكان ختامه المسك ، ونظمه ففاق الآلى فى السلك . فعليه الرحمة ما اهتدي ضال من غوايته ، وما برىء قلب من شقاوته .

أما وقد فرغت من موضوع الكتاب وتحليل محتوياته فأقرر غير متردد أن هذا الكتاب الجليل خليف أن يدرس لجميع الناشئة الاسلامية فى كافة البلدان لما فيه من جزيل الفائدة وعظيم المنفعة والتحذير من عواقب الشرور والآثام بعبارة سهلة فصيحة ولغة قريبة صحيحة . والنسخة الوحيدة التي نقلنا عنها بدار الكتب الملكية كتبت فى سنة ١٠٢٥ هـ بخط واضح جلى فى حجم الثمن الصغير . إلا أن كاتبها رحمه الله كان قليل الامام بالعربية فمسخ بعض كلماتها وحرف عن غير قصد ألفاظا كثيرة فيها . ثم جاء بعده من طالعا وصحح بعض أغلاطها على هامشها . بخط مخالف للأصل الا أنه لم يوفها حقها من العناية والدقة . فراجعت أخطاءها وصححت مروجها ونهت على ذلك فى كثير من هوامش الكتاب وعسى أن أكون وفقت فى عملى هذا (وفوق كل ذى علم عليم) وأمر آخر ألفت اليه الانظار وهو أن هذا الكتاب الجليل مشحون بالاحاديث النبوية وفى النفس من بعضها شيء ، إلا ان علماء الحديث تسامحوا فى احاديث الترغيب والترهيب من حيث الضعف لامن طريق الكذب ، فيجوز للواعظ وفى سبيل المنفعة العامة أن يذكر الاحاديث الفردية والضعيفة شرطا أن لا يبنى عليها حكما ، ولا يحلل بها حراما ، وابن الجوزى رحمه الله كان اماما كما قلت فى العلوم الشرعية ومنها علم الاحاديث وعلمه ولم يذكر

من الاحاديث إلا ماصح عنده وحسن طريقه*
 وأما ما في الكتاب من الاشعار فأغلبها من نظمه هو وإن كان غالبا ركيك المبني ضعيف
 التركيب إلا أنه كان ينظمه للوقت والساعة تنبيهها للنفوس وتذكيرا للقلوب ولأن الشعر
 أعلق بالذهن ، والنظم أسلس في الالءن ، ولا يعاب ذلك عليه أو ينقص من فضله . ولقد كرر
 بعض الصيغ في جملة مجالس بأفناظها ، ولكن لو علم المطلع أنه كان يجلس المجلس في كل أسبوع
 وربما في كل شهر لالتمس له العذر في ذلك *
 ولقد كان حقا غزير المادة وافر العلم نفع الله به آلافا مؤلفة من العباد ، وتاب على يديه
 ما لا يحصى من العصاة ، بل اعتنق دين الاسلام في مجلسه مئات من اليهود والنصارى . ومات وهو
 محبوب من الجميع ، مبجل من الملوك والأمرء في دنيا عريضة وجاه كبير*
 هذا ما أردت تحقيقه والله سبحانه يلهمنا الصواب ، ولا يحرمنا الثواب ، إنه سميع مجيب وهاب
 (وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين)
 تحريرا بمصر في أوائل رجب الفرد سنة ١٣٥٢



كتاب بستان الواعظين ورياض السامعين

المجلس الاول فى الاستعاذة

من صفحة (١) الى صفحة (١٤)

تفسير الاستعاذة . نصائح . كيفية الاستعاذة . تحذير من الشيطان . التعوذ عبادة . تعود النبي . أحاديث فى عذاب القبر . أسباب عذاب القبر . القرآن يأمر بالاستعاذة . لكل أحد شيطان . فرح الشيطان بالعاصى الجاهل . جنود إبليس . محاورة إبليس لموسى . أصل البخل والكرم . نجاة المستعيز من العذاب . خصال الخير عن الامام على . من رأى إبليس من الصحابة والصالحين . وقاية الله من إبليس . ضعف الانسان والشيطان . دعاء يعصم من الشيطان . لماذا حجب الله إبليس . زينة السماء . طهارة العاصى ونجاسة المعصية . التمسك بالسنة وعدم مخالفتها . كيف أهلك النبي عفرتنا . سليمان وإبليس . نصائح من خطبة الوداع . أعوان الشيطان من بنى آدم . آدم وخروجه من الجنة . اختصاص إبليس ببعض الجهات .

المجلس الثانى فى ذكر القيامة وأهوالها أجارنا الله منها

من صفحة (١٥) الى صفحة (٣٨)

سورة الزلزلة وما تشير اليه . صفة إسرافيل . خشية النبي من هبوب الريح . متى ينفخ فى الصور . كيف يموت جبريل . كيف يموت ميكائيل . كيف يموت إسرافيل . كيف يموت عزرائيل . لمن الملك اليوم . كيفية بعث الموتى . صفة الصور . أين يقف إسرافيل . ملازمة الاعمال للاجساد . العمل السوء وهياته . إخراج الارض ما فيها . مدة النفخ فى الصور . حياة أرض الحساب . كيف يقف الناس فى المحشر . مقدار زمن المحشر . بكاء النبي من أهوال القيامة . معنى ذلك الارض وانشقاقها . الامن والخوف . ملائكة سماء الدنيا . ملائكة السماء الثانية . الجبابرة فى المحشر كالذر . حديث فى أهوال القيامة . شدة الحرو والظل . مطر الرحمة .

ترهيب من أهوال المحشر . جهنم في المحشر . وصف جهنم . بطش جهنم . رد الرسول جهنم
عن الخلائق . جهنم وزفيرها . الزفرة الاولى . الثانية . الثالثة . الرابعة . بماذا تحمد النار .
من أسباب غفران الذنوب . هذا يوم الدين . موعظة كعب الاحبار . حديث في الترهيب .
سجود جهنم .

المجلس الثالث في ذكر الميزان والصراط

من صفحة (٣٩) الى صفحة (٦٧)

افتخار الوحوش على بنى آدم . صفة الصراط . حسن العمل والصراط . الموازين يوم
القيامة . وزن الاعمال . كلمة التوحيد . فضل الصدقة . شفاعة الرسول . ما يشغل الميزان .
الرأس في الخير والرأس في الشر . وزن أعمال العباد . نور الرسول على الصراط . فضل
الصلاة على النبي . جسور جهنم . القنطرة الاولى . القنطرة الثانية . تأدية الامانة وتضييعها . القنطرة
الثالثة . صلة الرحم . القنطرة الرابعة . شكر الوالدين . القنطرة الخامسة . ترك الغيبة والنميمة
كلمة الشر وعذابها . شهادة الزور . القنطرة السادسة . اكرام الضيف . البركة مع الضيف .
ينزل الضيف برزقه . إطعام الطعام . حفظ الجار . تعاق الجار بالجار . الوصية بحفظ الجار .
القنطرة السابعة . الصدق والكذب . كذبة المؤمن بشمانين خطيئة . نجاة الصادقين . الصلاة
تجوز على الصراط . كيفية الجواز على الصراط . اقسام الناجين على الصراط . حديث في
العناية بالنساء . آكل الربا . المتصدقين سرا وعلانية . آخر من يبقى على الصراط . باب الجنة .
منازل الجنة . فائدة للجواز على الصراط . شفاعة الناس بعضهم لبعض . لا تقبل صلاة شراب
الخمر . التوبة من الخمر وثوابها . فضل المؤذنين . فضل العلماء . فضل حملة القرآن . من لم يعمل
بالقرآن . فسقة حملة القرآن . ما خلف الصراط

المجلس الخامس في قوله سبحانه وتعالى وتقدس اسماءه

﴿ وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ﴾ (١)

من صفحة (٦٨) الى صفحة (٧٥)

سؤال العباد يوم القيامة . ظلمات الكفر والمعصية . السور الحاجز بين الجنة والنار .
صفة المنافق . بئر الحبيب . أهل الاعراف . شفاعاة أهل الجنة في أصحاب الاعراف . حياء
آدم . حياء نوح . حياء موسى . حياء عيسى . شفاعاة محمد . دخوله جنة عدن . سجوده بين
يدى الله تعالى . جاه المصطفى العظيم .

المجلس السادس في قوله تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها

وفي حساب الملائكة والرسل واللوح المحفوظ

من صفحة (٧٦) الى صفحة (٩٠)

تبسكيت الله تعالى للجبابرة . تفسير الجبار . نصيحة . السائق والشهيد . اللوح المحفوظ
رسالة ميكايل . رسالة اسرافيل . رسالة جبريل . شهادة نوح . جاه الرسول الاعظم .
فضل أبي بكر الصديق . منبر الرسول والمحشر . الثواب والعقاب . فائدة التوبة . عمل العبد
يلازمه . الحظ على التوبة . ما تحويه الآية . حكاية عن أحد الصالحين . رقة عبد الملك بن
مروان . توبيخ الله تعالى للعباد . السؤال لا يدع ذرة - سؤال الله تعالى للعباد -

المجلس السابع في قوله سبحانه وتعالى

(يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً) الآية

من صفحة (٩١) الى صفحة (٩٩)

حكم قدسية . النداء باسماء الخلائق . أهل الرشاد والتوفيق . شفاعاة العبد المؤمن . حكاية

(١) هذا المجلس هو الرابع غير أنه جاء الخامس خطأ ولذلك نبهنا على صحته وعدم

سقوط شيء من المجالس وصحناه بعد المجلس ١٣

عن ذي النون المصري . رجع الى الموعدة . جهنم وشدها . زينة الدنيا الزائلة . صاعقة جهنم . من ايض وجهه . حكاية ذي النون عن الراهب الصامت . تقسيم العمر على الاعمال

المجلس الثامن في قوله تعالى فاما من أوتي كتابه يمينه

من صفحة (١٠٠) الى صفحة (١٠٧)

أين الكتب يوم القيامة . أول الناس حسابا . كتاب الحسنات . كيفية السؤال . غفران الذنوب . لباس المكرمين . أشد الناس عذابا . كتاب السيئات . صفة العذاب للكافر . طعام أهل النار

المجلس التاسع في قوله تبارك وتعالى ووضع الكتاب

من صفحة (١٠٨) الى صفحة (١١٧)

الفرق بين الحسنة والسيئة . النجاة في ذكر الله . حكاية عن رقة ابن واسع . احاطة الكتاب بكل شيء . حكاية في كتابة الكتب . البسمة وبركتها . حكاية عن عيسى عليه السلام . حكاية في الاعتماد على الله . حكاية عن مالك بن دينار . دعاء ابن واسع . عجائب الكتب ضرب مثل في رقة القلب . حكاية عن التوبة . الدعاء بتمحو الذنوب . فضل الهكاه

المجلس العاشر في ذكر الجنة ووصافها

وما أعد الله لاوليائه فيها

من صفحة (١١٨) الى صفحة (١٣٦)

آيات في الجنة . أحاديث في الجنة . شجر تطوي . وصف الجنة . رواح الجنة . إكرام الله تعالى . برازين الجنة . مصافحة الملائكة . عدد الجنات وأسماؤها . الحور العين . صفة الحور . دار السلام . جنة عدن . جنة الخلد . درجات أهل الجنة . طعام الجنة . دلال الحور . لباس أهل الجنة . أول من يدخل الجنة . مساكن الجنة . طيور الجنة . أنهار الجنة . سرر الجنة . أرائك الجنة . زوجة الدنيا . تبادل الحب . صفات الجمال . الوصائف . ضيافة الله . وفد الله . كرامة الله لعباده . سوق الجنة رؤية الله تعالى . المتحابون في الله . حل الجنة . خواتم الجنة . نوق الجنة . أمانى أهل الجنة

المجلس الحادى عشر فى قوله تبارك وتعالى

(كل نفس ذائقة الموت)

من صفحة (١٣٧) الى صفحة (١٥٧)

ذكر الموت . حكاية عن الربيع . سكرات الموت . آلام الموت . طعم الموت . داود
والذرة . موسى وموعظته . نوح وخوفه . سكرات الموت . أذكر الموت . موعظة حسنة .
أسماء العباد . نوح وزهده . عيسى والجمجمة . عمرو بن العاص عند موته . سليمان وملك
الموت . سعيد بن المسيب والجنى . صلحاء الجن . العبد وربّه . عمر بن الخطاب وعظته .
حث النبى أصحابه على ذكر الموت . ذكر الموت والعمل . حكاية فى الزهد . عظة ابن مسعود .
الداء والدواء . عظة عمر بن عبد العزيز . القرآن والموت واعظان . شدة الموت . تمنى الموت
دعاء مجرب .

المجلس الثانى عشر فى موت الانبياء والاولياء والصالحين

من صفحة (١٥٨) الى صفحة (١٨٠)

صفة الموت . عظة الموت . ابو العتاهية الشاعر . مثل الدنيا والموت . ملاقات الارواح .
أعمال الاحياء والاموات . المثابرة . قبض أرواح الصالحين . ملائكة الرحمة . سؤال الملكين .
نعيم القبر . سليمان وملك الموت . نداء الموت . عظة من الغفلة . نداء الملك . حكاية عن واعظ .
خشية عيسى ملك الموت . حديث فى ملك الموت . نداء الميت . سؤال الرجوع للدنيا .
٨٠٠٠ قبيلة . رحمة الله بالمسرفين . حكاية عن الحسن . حكاية عن بعض الصالحين . شاب
عاص غفر له . عظة للاستعداد للموت . الموت ينتقى الخيار . عمل الملكين . المبادرة بالتوبة
السنى والزندق . رفق ملك الموت بالمؤمن .

المجلس الثالث عشر في ذكر القبور (١)

من صفحة (١٨١) الى صفحة (٢٠٩)

حكاية في الخوف من الله . حكايات عن الصالحين في الخشية من الله . صفة القبر . أشد ما على الميت . عظة للنبي . العبرة بالقبور . دعاء لاهل القبور . حكاية عن الاصمعي . حكاية عن الحسين . نداء القبر لساكنيه . بكر بن حماد . حكاية عن احمد بن أبي الخوارى . عيسى والمدينة الخربة . ابن عباس وابن الخطاب . عظة نفسية . حكاية عن ابن السماك . حكاية عن بعض الصالحين . موعظة ابن عباس . حكاية عن الحسن البصري . نباش القبور . حكاية عن أبي الاسود . حديث في منكر ونكير . غرور . الملك الزاهد . موعظة للبهلول . حديث في هدية أهل القبور . الصدقة والدعاء للميت . رجاء الاموات للاحياء .

المجلس الثالث عشر في فضل الصيام

من صفحة (٢١٠) الى صفحة (٢٣٥)

فضل رمضان . تقسيم الصوم . الصوم اللغوى . صيام الجوارح . عقاب نظرة في الحرام عقوبة الزنا . آفات الزنا . الصوم الشرعى . حكاية الانصارى . قصة عمر بن الخطاب وغيره الاعرابى المجتهد . ثواب الصيام . فضل الصلاة على النبي . صيام الدهر . التوبة في رمضان : أحاديث عدة في فضل رمضان . عظيم فضل رمضان . الصيام والقرآن شفيعان . الصيام باب العبادة . فضل السحور . شدة العقوبة في رمضان . كف الجوارح عن الشرور . أصل رمضان في اللغة . عظة بليغة . تقسيم الصوم والصائمين . تمثيل الشهور كاخوة يوسف . نكت في ذلك أولاد يعقوب ورمضان . رمضان في القيامة . خسران العاصى في رمضان . موعظة للحسن البصري . الصيام باب العبادة . فضل الجوع . سبب فريضة رمضان . رمضان رسول من الله أحاديث في فضل الصيام .

(١) وحقيقته المجلس الثاني عشر وقد تسلسلت النمر خطأ لغاية هذا المجلس .

المجلس الرابع عشر في تحريم الخمر وما جاء فيها

من صفحة (٢٣٦) الى صفحة (٢٤٦)

تحريم الخمر . حمزة عم النبي والخمر . عمر بن الخطاب والخمر . ابن أبي جمعة والخمر . سعد
ابن أبي وقاص والخمر . أحاديث في تحريم الخمر . الخمر شر كله . قول ابن عباس في السكران .
ثم الخمر خسار . كيف سكر حمزة . قراءة السكران . من مات يدمن الخمر . عذاب شارب الخمر
شارب الخمر في القيامة . الخمر جريمة عظيمة .

المجلس الخامس عشر في فضل يوم عاشوراء

وما جاء فيه وفي صيامه من الفضل العظيم

من صفحة (٢٤٧) الى صفحة (٢٦٧)

ثواب صيامه . الغسل يوم عاشوراء . النفقة على العيال . بنو إسرائيل وعاشوراء . صيامهم
له . كل معروف صدقة . أهل المعروف . اخراج الزكاة . اللعنة على مانع الزكاة . من شبع
وجاع جاره . حديث في ذم الشح . عظة في الحظ على الزكاة . من خلف ثروة لبیت المال
السائل في حلقة ابن عمار . تحذير من البخل . من أقرض الله فضاعفه له . يوم عاشوراء وقتل
الحسين . الحسين وجده . رؤيا ابن عباس لمقتل الحسين . آيات ظهرت لمقتل الحسين . حكاية
غريبة . حكاية عن قتلة الحسين . من استخف بالحسين . بر سليمان بن عبد الملك للحسين .
في قتل الحسين . عمرو بن الليث . من فضائل عاشوراء . خاتم سليمان . كيف نجا الاسير .
دعوات صالحة .

المجلس السادس عشر في قوله تعالى الله نور السموات والارض

من صفحة (٢٦٨) الى صفحة (٢٧٨)

قلب المؤمن . النور هو الهدي . شجرة الزيتون . المساجد لذكر الله . كلمة السوء . الزهاد . الخائفين . خيار الامة . صفة المؤمنين .

المجلس السابع عشر في قوله تعالى

(إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما)

من صفحة (٢٧٩) الى صفحة (٢٩٦)

الصلاة على النبي وشفاعته . الصلاة عليه في يوم الجمعة . عجيبة . فضل المصلي وأبي بكر . حكاية الشافعي عن مؤمنى الجن . أوتاد المجالس . صيغة الصلاة . ثلاثة تحت ظل العرش . للصلاة رائحة طيبة . الامام الشافعي . أبخل الناس . أنجاكم أكثركم صلاة . ثمرة الصلاة . الملائكة تستغفر للمصلي . مقام الشبلي . ابلاغ الصلاة إلى الله . صلاة الملائكة . من كتب الصلاة في كتاب . الصلاة تبلغه عن العباد . حسنات الحرم . الصلاة صلة تعارف . طيب مجلس صلى فيه عليه . حكاية عن نساخ أكثر من الصلاة . عدد الصلاة عليه . صفة الرسول . والثناء عليه . صيغة للصلاة .

مجلس ثان من المجلس السابع عشر في قوله تعالى

(إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)

من صفحة (٢٩٧) الى صفحة (٣٠٩)

في الصلاة عشر كرامات . أحاديث في فضل الصلاة . الصلاة تنور القلب . حكاية في كثرة الصلاة على النبي . الصلاة تحل العقد . الصراط والصلاة . جهنم والصلاة على النبي . الصلاة بشاراة بالجنة . ما للمصلي عند الله . نكت في فوائد الصلاة عليه . كاشفة الكرب . من أكثر الصلاة عليه . الصلاة والدعاء . كيف تدعو الله . فائدة الصلاة على النبي . ثبوت الشفاعة . المداومة على الصلاة عليه . مهر حواء أم البشر . إشارات وبشارات . مكفرات الذنوب .

(تم الفهرس والحمد لله أولا وآخرا وبنعمته تم الصالحات)

استدراك

سقط لفظ (المشاهد) من صحيفة (تحليل الكتاب) في أولها عند إن المشاهد للشعراء.
في حسن المطلع الخ .

وجاء فيها : وقال المعري يرثي مصلوبا ، والثناء لابن الانباري لا للمعري .
وحصل في تسلسل نمر المجالس اختلاف فجاء المجلس الخامس مكان الرابع خطأ واصلاحناها
ابتداء من المجلس الثالث عشر

كما وقع بعض غلطات مطبعية قليلة لا تخفى على فطنة القاري اللبيب ولا تحتاج إلى جدول
خطأ وصواب لقاتها وظهورها وقد سبق أن أوضحنا أن النسخة التي نقلنا عنها كثيرة
التحريف والخطأ ، وقد بذلنا في تصحيحها غاية الجهد والنصب بقدر الطاقة ولا أدعى العصمة .
فالعصمة لله وحده

إن تجد عيبا فسد الخلالا جل من لا عيب فيه وعلا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه تقي

١- مجلس في الاستعاذة

تفسير الاستعاذة

قال الله تبارك وتعالى : (وإما ينزغنك) من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم) وقال تعالى : (وإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله) المعنى ، فاستعذ بالله اذا أردت أن تقرأ القرآن ، يقال : أعوذ بالله ملاذا وعاذا ، ويقال هذا عوذ لي مما أخاف منه ، أى مجرى والدافع عنى . وتسمى المرأة عائذا لانها تعوذ بولدها . والتعوذ بالقرآن هو الشفاء من آفات الشيطان . وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتعوذ من آفات كثيرة تواترت بها الاخبار . وكان رسول الله ﷺ يتعوذ من البخل ، والجبن ، والهرم ، والمكسل ، وعذاب القبر ، وفتنة الدجال (٢) فتعوذوا مما تعوذ منه نبيكم صلى الله عليه وسلم واعتصموا به ولاكم العظيم من كيد الشيطان الرجيم . أعوذ بالله معناه ، استعنت بالله ، وأستجير بالله ، وألجأ الى الله ، وأستنصر بالله ، أعوذ بالله وأعتصم بالله وأحتمي بالله وأستكفي بالله ، يا قارىء ياتالى بمن تعوذ ، بمن تلوذ ، (٣) بمن تستغيث ، بمن تستجير ، بمن تستنصر ، بمن تعتصم ، بمن تحتفي ، بمن تستكفي ؟ الا بالله !!

(١) نزغ الشيطان أفسد وأغرى (٢) الدجال المسيح الكذاب (٣) لاذ به لجأ واستعصم

نصائح

اعلم أن المستعيز بالله العظيم من الشيطان الرجيم معتصم بحبل الله المتين .
أعوذ بالله من الذنوب والعصيان ، أعوذ بالله من الضلال والخذلان ، أعوذ بالله
من سخط الرحمن *

اعلم يا أخى أن العبد إذا اعتصم بحبل السلطان المخلوق سلم من شر الظالمين ، فاحرى (١)
أن يسلم المستعيز برب العالمين من الشيطان العدو اللعين *
روى عن النبي عليه السلام أنه قال : « من استعاذ بالله في اليوم عشر مرات من الشيطان
الرجيم وكل الله به ملسكا يزود عنه شر الشيطان كما تزداد (٢) الغريبة من الابل عن الحوض »
فكيف لا يسلم المستعيز بالله من الشيطان والملك يزود عنه بأمر الملك الديان ؟ ! »

كيفية الاستعاذة

أعوذ بالله من أكل الحرام ، أعوذ بالله من ظلم الضعفاء والايام ، أعوذ بالله من
ارتكاب الكبائر والآثام ، أعوذ بالله من سخط الملك العلام ، أعوذ بالله من عدم التوفيق
لحسن العمل ، أعوذ بالله من الركون إلي طول الامل ، أعوذ بالله من تمزيق الاعمار ، في
مخالفة هدى الابرار ، ونستعينه على تطهير القلوب من طوابع الارتباب ، وجنابات الاغتياب ؛
فانه داء قد أعبأ دواؤه ، وتعذر شفاؤه ، وعم بلاؤه ، وكما نستعين به على تطهير ضمائرنا من
حب الدنيا فان حب الدنيا رأس كل خطيئة وأصل كل بلية ، فلذلك نسأله علما نافعا ، وعملا
مقبولا ، وإيمانا صريحا ، ويقينا صحيحا . أعوذ بالله من رأى يكون ضلالا ، أعوذ بالله من
عمل يصير حسرة ووبالا ، أعوذ بالله من نية تعقب وزرا ، أعوذ بالله من عزيمة تجلب شرا
أعوذ بالله من عدم التوفيق ، أعوذ بالله من ترك التحقيق ، أعوذ بالله من ترك السعة
والرجوع الى الضيق .

تحذير من الشيطان

عباد الله تفكروا في اخراج ابيكم آدم من الجنة دار الامان ، وهبوطه إلى دار الذل

- (١) أخرى أجدر وأولى ، وحرى به أي خليك وجدير به .
- (٢) ذاده عن الشيء يزوده طرده ، وذاد الابل ساقها وطردها . والغريبة أي التي لم
تكن من ابل صاحب الحوض إنما يدفعها العطش الى الورود مع ابله .

والهوان ، وكان سبب ذلك الملعون الشيطان . وقد نهاكم مولاكم عن طاعته ، وأمركم بمعصيته ، فان في طاعته سخط الرحمن ، ومعصيته توجب سكنى الجنان ، ونزول محل الرضوان .

قال الله سبحانه وتعالى : (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء) فمن أطاعه خذله وصدّه عن الهدى ، وفتح في قلبه أبواب الضلالة والردى *

قال الله تبارك وتعالى : (وكان الشيطان للانسان خذولا) أعوذ بالله من وسواس الصدر ، أعوذ بالله من المكر والغدر ، أعوذ بالله من شتات الامر ، أعوذ بالله من قلة الشكر ، أعوذ بالله من عذاب القبر ، أعوذ بالله من ترك المتاب ، أعوذ بالله من شدة العذاب ، أعوذ بالله من مناقشة الحساب ، أعوذ بالله من غضب رب الارباب *

التعوذ عبادة

واعلموا عباد الله أن التعوذ بالله من الشيطان الرجيم هو من أفضل العبادات لان الله تعالى قد أمر عبده المؤمن أن يتعوذ به من الشيطان الرجيم في محكم القرآن الكريم . الله الله لاتقروا عين عدوكم الشيطان ، فانه يؤدبكم الى عذاب النيران ، ويصدكم عن دار الخلد وسكنى الجنان . أعوذ بالله من مرديات الاعمال ، أعوذ بالله من الغنى والمحال ، أعوذ بالله من سخط ذى الجلال *

واعلموا وفقنا الله وإياكم أن من دخل الحصن سلم من شر الاعداء ، وصار في حرز ذى النعم والآلاء . ومن استعاذ بالملك الرحمن ، سلم من شر العدو الشيطان . والاستعاذة أحسن حصن لدين المؤمن من كيد الشيطان الرجيم ، وأحرز حرز لقلبه من وسواس العدو اللئيم . أعوذ بالله من شهادة الزور ، أعوذ بالله من ركوب الفجور ، أعوذ بالله من الغنى والنفور ، أعوذ بالله من الشيطان المبعد المثبور ، أعوذ بالله من الركون الى دار الغرور ، أعوذ بالله من سخط الملك الغفور *

تعوذ النبي صلى الله عليه وسلم

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول « اللهم إني أعوذ بك من صاحب غفلة ، وقرين سوء وروح (١) أذى » أعوذ بالله من شتات الاعداء ، أعوذ بالله من خيبة الرجاء ، أعوذ

(١) فى الاصل زوج أذى بالزأى ولعلمها تحريف

بالله من عضال (١) الداء ، أعوذ بالله من مخالفة الهدي ، أعوذ بالله من أفعال الردي ، أعوذ بالله من سخط ذي النعم والآلاء ، أعوذ بالله من عثرات اللسان ، أعوذ بالله من النسيمة (٢) والخذلان ، أعوذ بالله من الغيبة (٣) والبهتان ، أعوذ بالله من عقوبة الملك الديان .

أحاديث في عذاب القبر

روى عن النبي ﷺ أنه مر على البقيع فوقف على قبر ثم قال : « الآن أقعدوه ، والآن سألوه » والذي بعثني بالحق لقد ضربوه بارزية من نار لقد تطاير قلبه نارا » ثم وقف على قبر آخر فقال مثل مقالته على القبر الاول ، ثم قال صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « لولا أني أخشى على قلوبكم لسألت الله أن يسمعكم من عذاب القبر مثل الذي أسمع » فقالوا يا رسول الله ما كان فعل هذين الرجلين ؟ فقال عليه السلام : « أما أحدهما فكان يمشي بالنسيمة بين الناس ، وكان الآخر لا يستنزه من البول » (٤)

أسباب عذاب القبر

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال : « لا يعذب أحد في قبره إلا بأحدى ثلاث ، في الغيبة والنسيمة والبول » فأن الله عباد الله تعوذوا بالله من الغيبة والنسيمة والبهتان ، وأذى الجيران ، فإن ذلك كله يبعد عن الرحمن ، ويقرب من الشيطان ، ويصد عن الجنان ، ويؤدي الى النيران . أعوذ بالله من علة الدين ، أعوذ بالله من ضعف اليقين ، أعوذ بالله من الشيطان اللعين ، أعوذ بالله من سخط رب العالمين ، أعوذ بالله من الشيطان المشبور ، أعوذ بالله من عذاب القبور . أعوذ بالله من ترك النعم والسرور ، أعوذ بالله من الصد من دار الحبور ، أعوذ بالله من عذاب الويل واليبور ، أعوذ بالله من عقوبة من يعلم ما في الصدور *

القرآن يأمر بالاستعاذة

واعلموا عباد الله أن من استعاذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم فقد عمل بالقرآن الحكيم . وذلك أن الله تبارك وتعالى أمره بالاستعاذة من اللعين ابليس في آي كثيرة من القرآن . فمن

- (١) الداء العضال الذي أعيا الأطباء (٢) النسيمة في الاصل اظهار ماخفي وتطلق هنا على من يفشى الاسرار (٣) والغيبة أن تذكر مساوىء أخاك في غيبته وتذمه بقميص خصاله
- (٤) الاستنزه من البول الاحتراز عن تلويث الجسم أو الثياب به لانه نجس *

لكل أحد شيطان

استعاذ بالملك الوهاب ، من شر الشيطان الكذاب ، فقد عمل بالسنة وأحكام الكتاب .
والقرآن شافع لمن عمل به ، وخصم على من لم يعمل به *
واعلموا عباد الله أن الشيطان يصدكم عن العمل بالتنزيل ، ويبعدكم عن الملك الجليل ،
ويلقيكم في معصيته لتصيروا إلى العذاب الدائم الطويل ، في اليوم الهائل العبوس
الثقيل *

لكل أحد شيطان

روى عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أنها قالت قلت يا رسول الله ما من أحد إلا ومعه
شيطان ؟ قال : « نعم » قالت وأنت يا رسول الله ؟ قال : « وأنا إلا أن الله أعانني عليه
فأسلم » أعوذ بالله من خشوع النفاق ، أعوذ بالله من البعد والفراق ، أعوذ بالله من مخالفة
الملك الخلاق ، أعوذ بالله من عذاب يوم التلاق ، أعوذ بالله من الخلف بعد الوفاق .
وأنشدوا :

ويحك عذ بالله ذى الجلال والمجد والنعم والافضال

ثم اتل آيات من القرآن ووحده الله ولا تبال

أعوذ بالله من عبد شارد ، أعوذ بالله من شيطان مارد ، أعوذ بالله من عدو حاسد ، أعوذ
بالله من قلب فاسد ، أعوذ بالله من بدن عن الطاعة متقاعد *
واعلموا عباد الله أن الله تبارك وتعالى إذا أراد بعبد خيرا أبعد عنه شيطانه وأعانه عليه
ونشطه للطاعة وأزال عن بدنه الكسل فأقبل العبد عند ذلك على مولاه ، وأعرض عن سواه .
وآثر رضا سيده على هواه ، فعند ذلك يجعل الله الجنة العالية مأواه . وإذا أراد بعبد شرا
مكن منه شيطانه وسلطه عليه فأبعده عن طاعة الجبار ، وكسله عن عمل الأبرار ، وحبب إليه
أعمال أهل النار ، وبغض إليه أعمال أهل دار القرار *

فرح الشيطان بالعاصي الجاهل

روى عن النبي عليه السلام أنه قال : « إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يغلب خيره على
شره قبله الشيطان بين عينيه وقال فديت وجهها لا يفلح أبدا » فإن من الله وتاب عليه واستنقذه
من الضلالة واستخرجه من غمرات (١) الجهالة يقول الشيطان - لعنه الله - وأويلاه قطع عمره
في الضلالة فافر بالمعصية عني ، ثم أخرجه الله بالتوبة من الجهالة فاكثرت بالتوبة حزني . قاله

(١) غمرات الجهالة كثيرها وشديدها

الله عباد الله لا تقبلوا وسواس العدو الشيطان ، وارجعوا بالتوبة الى مولاكم الرحمن ، فعباد الله ان يسائر ذنوبكم وعبوبكم بستر الغفران ، انه كريم متفضل منان . أعوذ بالله من الشقاوة بعد السعادة ، وأعوذ بالله من الغرة (١) بعد الارادة ، وأعوذ بالله من النقصان بعد الزيادة ، أعوذ بالله من الكفر بعد الايمان ، أعوذ بالله من القطيعة والحرمان ، أعوذ بالله من طاعة الشيطان ، أعوذ بالله من العقوبة والهوان ، أعوذ بالله من نقض العهود ، أعوذ بالله من مخالفة الملك المعبود ، أعوذ بالله من العذاب الدائم والخلود ، أعوذ بالله من سخط ذى الكرم والجود .

عباد الله احذروا مكائد الشيطان فانه عارف بالغيوب ، بصير بالقاء العبد في الذنوب ، له طرق كثيرة إلى الصدور فاستعينوا من شره بمولاكم علام الغيوب . أعوذ بالله من قلب لا يخشع ، أعوذ بالله من عين لا تدمع ، أعوذ بالله من دعاء لا يسمع ، أعوذ بالله من عمل لا يرفع ، أعوذ بالله من علم لا ينفع . أعوذ بالله من المصير إلى عذاب الله ، أعوذ بالله من الخيبة من رحمة الله ومن التزين بمعصيته . أعوذ بالله من زيغ القلوب ، أعوذ بالله من تتابع الذنوب ، أعوذ بالله من ترادف الغيوب ، أعوذ بالله من سخط علام الغيوب . أعوذ بالله من مضلات (٢) الفتن ، أعوذ بالله من البلاء والحن ، أعوذ بالله من سخط ذى الجود والمن . أعوذ بالله من النقص بعد التمام ، أعوذ بالله من التخلف بعد الاقدام أعوذ بالله من سخط أحكم الحكام *

جنود ابليس

ذكر في بعض الاخبار أن إبليس لعنه الله - يبعث في كل يوم ثلاثمائة وستين عسكرياً لاضلال المؤمنين ، والله تعالى ينظر في قلوبهم ثلاثمائة وستين نظرة ففى كل نظرة من نظراته تهلك عسكرياً من عساكره فأتى تبقى عسكري للشيطان في جنب نظرة الرحمن !! *

فالله الله عباد الله لا تقبلوا وسواس الشيطان المخدوع ، واستعملوا قلوبكم وصدوركم بالآيات والخشوع ، وأسئلوا على ما فرطتم غزير الدموع . أعوذ بالله من عواقب الخلاف ، أعوذ بالله من الجرأة والاستخفاف ، أعوذ بالله من العصيان وقلة الاعتراف . أعوذ بالله من الباطل وشره ، أعوذ بالله من الشيطان ومكره ، أعوذ بالله من العصيان وذكوره . أعوذ بالله من فساد القلب ، أعوذ بالله

(١) الغرة العزة والغفلة

(٢) مضلات الفتن أى التي تضل فيها عقول ذوى النهى ويحسبونها هدى لانها دقيقة

من ترادف الذنب على الذنب ، أعوذ بالله من سخط الملك الرب *

محاورة ابليس لموسى

روى أن الشيطان لعنة الله عليه قال لموسى بن عمران صلوات الله على نبينا وعليه لا تخاون بامرأة غير ذى محرم فأكون ثالثكما ، ولا تقضين فأنا لك منك ، وإذا هممت بصدقة فبادر إليها ، فانك ان لم تبادر إليها فتحت لك في ذلك سبعين بابا من الفقر أمتعك بها من الصدقة . وقيل فى قول الله عز وجل : (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا) الآية . أى يردك الشيطان إلى نفسك ولينسيك اشتغالك بربك ، وقيل يعدكم الفقر فى طالب فوق الكفاف فيكون عندك ما يكفيك وأنت تحرص على جمع الزيادة وهو الفقر اللازم فيردك عن غناء الكفاية إلى طلب المزيد وهو الفقر الحاضر الذى يؤدى صاحبه إلى العذاب الدائم الشديد . وقيل يعدكم الفقر فى البذل والعطاء فى مرضاة الله عز وجل وهو الغناء لأن الله تعالى يعدكم مغفرة وفضلا فينبقى للعبد أن يذكر من الله تعالى عليه ، وإحسانه إليه ، وإفضاله لديه .

اصل البخل والكرم

واعلموا عباد الله أن الله تبارك وتعالى قال فى محكم التنزيل على لسان محمد رسوله عليه السلام (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) ومن هو بخيل شحيح فليس بواق ولا مفلح . واعلم أن البخل شجرة فى النار وأغصانها مدلاة على الدنيا وهى شجرة الشيطان فمن تعلق بغصن منها قاده إلى النار . وكذلك الكرم شجرة فى الجنة وأغصانها مدلاة على الدنيا فمن تعلق بغصن منها جذبه إلى النعيم ، والكرم من أخلاق الملك الكريم ، فمن تعلق به فقد أسخط الشيطان الرجيم . ودليل هذا أن الله تبارك وتعالى لم يبعث نبيا قط إلا وهو كريم ، ولا رآتم عبدا صالحا إلا وهو كريم . قال فالكرم من أخلاق النبيين والصديقين ، وهو من أخلاق رب العالمين ، فاستعملوه بينكم يا معاشر المؤمنين ، والمؤمنات يا أمة محمد خاتم النبيين . أعوذ بالله من عين لا تبكى عليه ، أعوذ بالله من قلب لا يشاقق إليه ، أعوذ بالله من دعا لا يصل إليه ، أعوذ بالله من نذل إلا إليه (١)

(١) الضمير هنا راجع الى الله سبحانه وتعالى ، أى يجب أن يكون العبد متوجها اليه فى كل حال

نَجاة المستعيز من العذاب

واعلموا عباد الله أن المستعيز بالله العظيم من الشيطان الرجيم ناج من العذاب الأليم ، وذلك أن الله سبحانه وتعالى قال : (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم) وإنما يأمركم الشيطان بالفحشاء ليحرق غيره كما أحرق نفسه ، قال الله تعالى : (ودوا لو تسكفرون كما كفروا فتسكونون سواء) أعوذ بالله من اللهو والغفلات ، أعوذ بالله من العذاب والحسرات ، أعوذ بالله من غضب إله الأرض والسموات إخواني أطيعوا مولاكم الملك الجليل ودعوا كيد الشيطان المهين (١) الذليل ، واعملوا بالسنة والتزويل*

خصال الخير عن الامام علي

روى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال : من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلباً ، ولا عن النار مهرباً ، أولها من عرف الله فأطاعه ، والثانية عرف الشيطان فعصاه ، والثالثة عرف الحق فاتبعه ، والرابعة عرف الباطل فاجتنبه ، والخامسة عرف الدنيا فاعرض عنها ، والسادسة عرف الجنة فطلبها . فآله الله عباد الله اجتهدوا في طاعة الرحمن الرحيم ، واجتنبوا كيد الشيطان الرجيم *

من رأى إبليس من الصحابة والصالحين

روى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : رأيت إبليس اللعين في المنام منكوساً فهممت أن أقرعه بالعصا فقال لي يا أبا سعيد أما علمت أنني لا أخاف من العصا ولا من الأسلحة ، قال فقلت له يا ملعون فما الذي تخافه ؟ قال أخاف من شيئين ؛ أحدهما استعاذة المستعيزين ، والثاني شعاع معرفة الصادقين . أعوذ بالله ممن لا يشفق على نفسه ، أعوذ بالله ممن لا يبكي على رمسه ، أعوذ بالله ممن لا يقدم ليومه من أمسه *

حكى عن الجنيد رحمة الله عليه أنه قال : رأيت إبليس في المنام عرياناً يتلاعب بالناس فقلت أما تستحي من الناس ؟ فقال الملعون بالله عليك هؤلاء عندك ناس ؟ لو كانوا من الناس ما تلاعبت بهم كما يتلاعب الصبيان بالكرة ، فقلت له يا ملعون ومن الناس ؟ قال ثلاثة نفر

(١) في الأصل المهين وهو خطأ

بمسجد الشيرازى — كذا سمي المسجد — أمرضوا كبدى ، وأنحلوا جسمى ، كلما (١) هممت بهم أشاروا إلى الله تعالى فأكد أن أحترق ، قال الجنيد : فانتبهت وقد بقي من الليل بقية فخرجت إلى المسجد الذى ذكر الملعون فدخلته فاذا بثلاثة نفر يعود رهوسهم فى مرقعاتهم فقال لى أحدهم : يا أبا القاسم أنت كلما قيل لك شيئاً تقبله ! يا أخى اعلم أن من تعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقد ثبت على الدين القويم ، وذلك ان الله سبحانه أخبر عن إبليس اللعين (لا تعدن لهم صراطك المستقيم) وذلك أنه بعثه الله تعالى قاطعاً طريق الدين كما أن اللصوص قطاع لطريق الدنيا على المسلمين (٢) ، فابليس لعنه الله قاطع طريق العقبي ليصدكم عن الحق والهدى ، فاذا استعذت منه هرب منك ولم يقدر على قطع طريق الدين *

وقاية الله من إبليس

قال الله سبحانه : (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله) وقال تعالى : (إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا) الآية وقد أمر الله تعالى عباده يقولون فى الصلاة سبع عشرة مرة فى سبع عشرة ركعة وهى عدد ركعات الفرض : (إهدنا الصراط المستقيم) فإني يضرك كيد الشيطان الرجيم ١١٩ *

اعلم يا أخى أن البيت المعمور كان فى الارض الى وقت طوفان نوح عليه الصلاة والسلام لحفظ من الغرق وسلم من الطوفان ورفع الى السماء . وقلب المؤمن أفضل من البيت المعمور أكثر من ألف ألف مرة فهو بالحفظ أولى ، لان البيت المعمور معمور بعبادة الملائكة وقلب المؤمن معمور بنظر الخالق اليه ، فشتان ما بينهما ١٢٠ *

ذكر عن أبى سعيد أنه قال فى قول الله عز وجل (إن عبادى ليس لك عليهم سلطان) كأنه يقول إن كان لك عليهم سلطان أن تلقىهم فى معصية الله ، فليس لك عليهم أن تمنعهم مغفرة الله *

وقول آخر : إن كان للشيطان سلطان فى إلقاء العبد فى المعصية ، فأولى أن يكون لمغفرة الله سلطان فى تطهير العبد من الخطية ، وليست قوة الشيطان بأكثر قوة من مغفرة الرحمن فى قلوب أهل الايمان . أعوذ بالله من كثرة الفساد ، أعوذ بالله من ظلم العباد ، أعوذ بالله من غضب رب جواد ، أعوذ بالله من عذاب يوم التناد ، أعوذ بالله من القطع والبعاد . وأنشدوا :

(١) فى الاصل فلما وهو تحريف (٢) كذا بالاصل ، ولعله يريد أن اللصوص قطاع طريق المسافرين لانهم لا يقطعون الطريق على المسلمين فقط بل على المسلمين وغيرهم .

أعوذ بالرحمن من موقف يشهده المؤمن والكافر
إن كنت بئس العبد يا سيدي فأنت رب سيد غافر

ضعف الانسان والشیطان

واعلموا عباد الله أن الله تبارك وتعالى سمي الانسان ضعيفا ، وقال في آية أخرى (إن كيد الشيطان كان ضعيفا) والضعيفان إذا اقتتلا ولم يكن لواحد منهما معين لم يظفر بصاحبه ، فأمر الله الانسان الضعيف أن يستعين بالرب اللطيف من كيد الشيطان الضعيف ليضعفه منه ويعينه عليه . من كان في معوته الاله العظيم ، لم يضره كيد الشيطان الرجيم ، من كان في معوته الملك الوهاب ، لم يضره كيد الشيطان الكذاب ، من كان في معوته الملك القهار ، لم يضره كيد الشيطان الفرار ، من كان في معوته الملك الرحمن ، لم يضره كيد الشيطان ، وأنشدوا :

العبد في كنف (١) الاله وحفظه من كل شيطان غوى ساه
إن عاذ بالرحمن عند صباحه وكذلك إن أمسى بذكر الله

دعاء يعصم من الشيطان

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قال حين يصبح وحين يمسى أعوذ بالله العظيم ؛ وبوجهه الكريم ، وساططانه القديم ، من الشيطان الرجيم ، قال قرينه عوفي هذا العبد مني اليوم » شعر

يا رجائي في بلائي لا تزل عني خيرك
أنت ربي أنت حسبي أنا لا أعبد غيرك

أعوذ بالله من عدم الاخلاص ، أعوذ بالله من هول يوم القصاص (٢) ، أعوذ بالله من ترك الاستقامة ، أعوذ بالله من العذاب والملامة ، أعوذ بالله من هول يوم القيامة ، أعوذ بالله من الحسرة والندامة ، أعوذ بالله من حرمان الكرامة *

لماذا حجب الله إبليس

يا أخي إن الله تعالى لما قبح صورة إبليس ولعنه وشوه خلقته ، وأوحش هيأته وقامته ، لطف بعباده حيث ستره عنهم ، حتى لا تستوحش قلوبهم إذا أبصرته أعينهم ، ولذلك جعل المولى جل جلاله السماء موضع نظرهم ، وزينها بعلامات الرسوم ، وحفظها من الشيطان

(١) في الاصل في جوار الاله ، ولا يستقيم البيت (٢) يوم القصاص هو يوم القيامة .

الرجيم برواصد النجوم ، فكأنه قال سبحانه : يا عبادى لا يصلح لأبصاركم ما كان مشوها قبيحا ، بل يصلح لها ما كان مزيئا مليحا ، هذه معاملته سبحانه وتعالى مع جميع الناس فى الدنيا فأولى أن يلطف بالمؤمنين فى العقبي ، يصون أبصارهم عن النظر الى النار الكبرى وهى الجحيم ، ويكرمها بالنظر الى الدار المزينة وهى جنة النعيم ، أعوذ بالله من مخالفة الاحكام أعوذ بالله من التماهى فى الآثام ، أعوذ بالله من معصية السلام ، أعوذ بالله من عذاب الغرام *

زينة السماء

روى عن النبي ﷺ أنه قال : « لما خلق الله تبارك وتعالى الجنة قال لها تزينى فازينت ، ثم قال لها تسكمنى فقالت قد أفلح المؤمنون ، فجعل الله تعالى السماء المزينة فى الدنيا (١) موضع نظرك ، وجعل الجنة المزينة فى العقبي موضع ترغبك ، فاذا ستر الله تعالى إبليس الملعون فى الدنيا وغيبه عن بصرك لئلا يستوحش قلبك بقبج صورته ، فأولى أن يستر أعمالك القبيحة من الفساد والآثام من الفضيحة يوم التناد (٢) على رؤس الاشهاد . لطف الله بعباده فستر إبليس عنهم فقال (إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم) فكأنه سبحانه وتعالى قال لعبده المؤمن أنا حبيبك الأعظم ، وإن إبليس عدوك الأعظم ، فلو رأته وهو أعظم أعدائك عليك لشق ذلك عليك فسترته عنك ليكون حزن الدنيا ونصبها ، وترادف همومها وغمومها ، أهون عليك . وكان أيضا يجتمع عليك مغيب حبيبك الأعظم ، ورؤيتك عدوك الأعظم ، فغيب إبليس عنك حتى لا تراها كما لا ترى حبيبك الأعظم فيكون الأمر أهون عليك .

أعوذ بالله من التضليل والتسويق ، أعوذ بالله من الزيغ والتحريف ، أعوذ بالله من سخط الرب اللطيف .

حكى عن سهل بن عبد الله التستري رحمة الله عليه قال : رأيت إبليس اللعين فى المنام فقالت له أى شيء أشد عليك ؟ فقال استعاذة المستعذ برب العالمين الذى هو أرحم الراحمين .

طهارة العاصي ونجاسة المعصية

واعلم يا أخى أن العبد المؤمن وإن أطاع الشيطان بنفسه فهو غير راض بقلبه ، وإنما مثله

(١) أى مزيئة بدراري النجوم والافلاك كما قال تعالى (وزيناها للنظرين)

(٢) يوم التناد هو يوم القيامة

كمثل الواقع في نجاسة وبين يديه خدير ماء طاهر فيكون قلبه مع الماء وإن كانت نفسه (١) في النجاسة ، فيكون سببا لطهارته . كذلك نفس المؤمن وإن كانت في نجاسة المعصية فإن قلبه مع الله ومع محبته فيكون ذلك سببا لطهارته من المعصية . والاصل في هذا أن الله تعالى يعامل العباد على عقائد قلوبهم كما قال النبي ﷺ : « إن الله لا ينظر إلى صرركم ولكن ينظر إلى قلوبكم » وفي هذا الحديث نكتة حسنة وهو أن المنافق يذكر كلمة التوحيد باللسان وهو لا يرضاها بالقلب فهو لا يثاب يوم القيامة على إقراره باللسان ، هكذا المؤمن يعمل المعاصي بالأدمان لكنه لا يرضاها فخرجوا أن لا يعاقب . شعر :

إني تعمّدت بالعظيم الأول الآخر القديم
ذو الطول والفضل والمعالى الماجد الواحد الكريم
من شر نفسي ومن هواها وشر شيطانها الرجيم

أعوذ بالله من شر لا يزول ، أعوذ بالله من عذاب لا يحول ، أعوذ بالله من مخالفة الرسول .

التمسك بالسنة وعدم مخالفتها

عباد الله عليكم بطاعة سيد المرسلين ، والتمسك بسنة خاتم النبيين ، وبمخالفة الشيطان اللعين ، ينجيكم مولاكم من العذاب الممين . ويدخلكم الجنة مع أوليائه المتقين ، وتنتظروا إلى وجه رب العالمين . وأنشدوا

أعوذ بالله الذي لم يتخذ ولدا وقد رزق قبل الخلق تقديرا (٢)

أعوذ بالله العلى مكانه ذى العرش لم نعلم سواه مجيرا

من حر نار لا تنقر من لهب (٣) من حرها للظالمين نصيرا

وكذا السلاسل والعذاب لمن طغى (٤) يدعون فيها حسرة وثورا

أعوذ بالله من الملوك العاتية ، أعوذ بالله من القلوب القاسية ، أعوذ بالله من الهوام العادية

أعوذ بالله من اللصوص الضارية (٥) أعوذ بالله من جور السلاطين ، أعوذ بالله من كيد

(١) كذا بالاصل وهو يريد أن جسمه في النجاسة لان النفس اسم معنوى للاخلاق والطباع

(٢) فى الاصل : وقدر خلقه تقديرا ولا يستقيم البيت فأصلحنه (٣) فى الاصل لا تنقر

عنهم ولا يستقيم (٤) فى الاصل : والسلاسل الخ ولا يستقيم . وبالجمله هذه الايات من

شعر الوعظ الذي لا يراعون فيه كمال الوزن والقافية (٥) كذا والاولى الهوام الضارية

واللصوص العادية

الشياطين ، أعوذ بالله من أذى المساكين .

أخواننا إياكم ومخالفة السنة فإن ذلك يبعدكم من الجنة *

روى عن مجاهد رضى الله عنه انه قال : من ذرية ابليس اللعين ولد يسمى زكيتور وهو صاحب الاسواق يضع فيها رايته كل يوم . فالله الله عباد الله لا تبدلوا مهجكم للديران . ولا ترضوا بالزيادة والنقصان ، فى المكيال والميزان ، فان ذلك يؤدى إلى عذاب النيران *

كيف أهلك النبي عفرتنا

روى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال : كنت مع رسول الله ﷺ وجبريل عليه السلام معه ، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ ، فاذا بعفريت قد أقبل من مرده الجن وفي يده شعلة نار وهو يقرب من النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال جبريل عليه السلام : يا محمد ألا أعلمك كلمات تقو لها فينسكب العفريت لوجهه وتطفأ شعلته ؟ قال له : قل أعوذ بنور وجه الله الكريم وكلماته التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ذرأ فى الارض وما ينزل منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ومن شر فتن الليل والنهار ، ومن شر طوارق النهار الا طارقا يطرق بخير يارحم . فقأها النبي صلى الله عليه وسلم فكب العفريت على وجهه وطفئت شعلته *

سليمان وابليس

وذكر ان ابليس لعنه الله لقي سليمان ﷺ فقال له سليمان : يا ملعون ما أنت صانع بامة محمد ﷺ ؟ فقال له الملعون : يا سليمان لا دعونهم (١) حتى يكون الدنيا والدرهم أشبهى عندهم من شهادة أن لا إله إلا الله . فتحفظوا رحمكم الله من هذا كله فانها حائل الشيطان *

نصائح من خطبة الوداع

روى عن النبي ﷺ أنه قال فى خطبة الوداع : « أيها الناس انى لكم ناصح أمين ، ألا وان ابليس قد يش منكم لا تعبدون صنما أبدا ، ولكن الذى بعثنى بالحق ليجعلنكم ابليس لعنه الله أن تعبدوا ألف إله ، يعبد الرجل إلهه ، والآخر امرأته ، والآخر غنمه ، والآخر

حزته (١) والآخر تجارته ، والآخر صنمته ، والآخر مركبه ، والآخر صديقه يقول الرجل للرجل كيف حالك ؟ فيقول له : لولا تجارتى ما كان لى حال ، والآخر يقول لولا حرتى والآخر يقول لولا امرأتى والآخر يقول لولا مركبى ، والآخر لولا صديقى ، فينسيه ذكر مولاهم ويتجه فى دنياه ، ويقطعه عن أخراه » (٢)

يا ابن آدم ما اغترارك بمن اليه اضطراراك ، وما احتقارك بمن اليه افتقارك ، يا ابن آدم إن كنت بالنهار هائما ، وبالليل نائما ، متى ترضى من كان بأمرك قائما . يا ابن آدم توكل على الملك الخلاق ، الذى يتكفل بقسمة الارزاق ، توكل يا أخى عليه ، واسند أهورك اليه ، فانه لا يملكها غيره *

أعوان الشيطان من بنى آدم

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن للشيطان أعوانا من بنى آدم يعيهم الملعون الى المؤمنين يشغلونهم عن الصلاة وعن الصدقة وعن ذكر الله ويحبب اليهم كسب السحت والحرام والذى بعثني بالحق ليعبدون الدنيا والدرهم أشد من عبادة الاوثان » أعوذ بالله من الركون الى الهوى ، أعوذ بالله من الضلالة والردى ، أعوذ بالله من معصية إله السماء

آدم وخروجه من الجنة

ذكر أن عبد الله بن سهل التستري رحمه الله قال : لما أخرج آدم من الجنة دار الكرامة والامان وأنزله (٣) الى دار النذل والهوان والبلاء والامتحان ، قال الله تعالى : يا ابن آدم أسكنتك فى جوارى فمعصيتي ، وأطعت الشيطان وتركنتى ، وعزق وجلالى لا أسكنتك فى جواره لتطيعنى ومعصيه ، وتحببني وتبغضه ، فاذا كان يوم القيامة أقول لك طاعة بطاعة ومعصية بمحبة ثم أدخلك الجنة *

جاء فى بعض الاخبار أن الله تبارك وتعالى لما خلق آدم وولده أودع قلبه أربعة أشياء وهى المعرفة ، والعقل ، والايمان ، واليقين . فصار خزانة لهذه الأشياء وسلط على قلبه أربعة أعداء وهم (٤) ابليس ، والهوى (٥) والنفس ، والدنيا . وضمن ابليس لأصحابه الوصول (١) حرثه يريد أرضه وبساتينه وزرعه .

(٢) خطبة الوداع التى اقتبس منها المؤلف هذه الفقرات هى خطبة جامعة قالها النبي ﷺ فى حجة الوداع وهى آخر حجة حجها قبل وفاته وهى مذكورة بطولها فى كتب السير *

(٣) بالاصل : أنزله بدون الواو (٤) كذا بالأصل والصواب وهى (٥) الهوى هنا بمعنى الميل والرغبة ، ويهواه يحبه ، وأما النفس فيريد بها هنا القوة العاقلة المدركة أو العقل الباطن الذى يكلف بموجبه الانسان *

إيها كما قال تعالى في كتابه (ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم) فلما علم المولى جل جلاله من ضعف ابن آدم وقلة مقدراته على مدافعتة عليه أربعة أسماء من أسمائه يتحصن بها من إبليس وجنوده وهى : يا أول ، يا آخر ، يا ظاهر ، يا باطن . فسكأنه قال تعالى : يا ابن آدم أنا الأول احفظ معرفتك لى من بين يديك ، وأنا الآخر احفظ عقلك وأنا الظاهر أحفظ إيمانك عن يمينك ، وأنا الباطن أحفظ يقينك عن شمالك *

اختصاص إبليس ببعض الجهات

سئل بعض الحكماء ، ما الحكمة فى أن لم يعط إبليس إثنان من ابن آدم وأعطى أربعة ؟ أعطى من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله من الجهات الأربع ، ولم يعط إبليس أن يأتية من فوق ولا من تحت ؟ قال : لأن الأربع جهات تدخلها المشاركة فى الأعمال ، وفوق موضع نظر الرب جل جلاله إلى قلوب عباده المؤمنين (١) وتحت موضع سجود الساجدين بين يدى رب العالمين . عصمنا الله وأياكم من فتنه عصمة يدخلنا بها فى رحمته وتاب علينا وعلى جميع المذنبين إنه تواب رحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم *

٢- ﴿ مجلس فى ذكر القيامة وأهوالها أجازنا الله منها ﴾

سورة الزلزلة وما تشير اليه

قال الله عز وجل : (إذا زلزلت الأرض زلزالها) هذه السورة مكية محكمة بالوعد والوعيد يخوف الله تبارك وتعالى بها عباده ويذكرهم فيها زلزل الأرض وقيام الساعة لينتهوا عما نهاهم عنه من العصيان ، ويمثلوا ما أمرهم به من الطاعة والإيمان ، وخوفهم الله تبارك وتعالى من يوم القيامة ليستعدوا لها ولعظيم أهوالها . قال الله سبحانه وبحمده : (إذا زلزلت الأرض زلزالها) يقول إذا تحركت الأرض بأهلها فزلزلت من نواحيها وارتجحت من مشرقها ومغربها ، فلا تزال كذلك حتى يكسر ما على ظهرها من جبل وبناء فلا تسكن حتى يدخل فى بطنها جميع ماخرج منها . وزلزلتها من شدة صوت إسرافيل عليه السلام وذلك إذا فرغت أحيان (٢) الدنيا

(١) هذا بحسب تقريب العبارة إلى الأذهان من جهة التمثيل ، وإلا فليس لله تعالى مكان

أو جهة خاضعة ينظر منها ، أو أن نظره إلى قلوب عباده هو من فوق إلى تحت فقط .

(٢) أحيان الدنيا أى مدتها والحين الوقت وجمع أيضا على أحيان *

وساعاتها وشهورها وأوقاتها وأعوامها وأيامها وحلالها وحرامها . وذلك اذا خمد الحق وظهر الباطل وترك الناس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وركبوا المآثم واستحلوا المحارم وكثر بينهم التظالم ، وترك الجهاد ، وظهر الفساد ، وفشا الربا ، وكثر اللواط والزنا ، وركبوا الفواحش والفجور ، واستمعوا على ذلك كله بشرب الخمر ، وأمر قوم بالمعروف وتركوه ونهوا عن المنكر وفعلوه ، وكرهوا الحق واتبعوا أهواءهم ، وقرئ القرآن فلم يعمل به ، واسودت القلوب وكثرت الفواحش والعيوب ، وتزين (١) الفساق بالمعاصي والذنوب ، فاذا كانوا كذلك اشتد غضب الجبار جل جلاله عليهم فعند ذلك يقول الله يا اسرافيل انفخ نفخة الصعق (٢) فينفخ اسرافيل عند ذلك كما أمره الجبار جل جلاله فتزلزل الارض من مشرقها الى مغربها ، وذلك من غضبة يغضبها الجبار على المنافقين والفجار *

صفة اسرافيل

واسرافيل (٣) عليه السلام ملك عظيم جناح له بالشرق وجناح له بالمغرب ورجلاه تحت تخوم الارض السابعة السفلى بخمسائة عام والسموات السبع إلى ركبتيه ، وعنقه ملوى تحت العرش والعرش على كاهله ، وقد مد الرجل اليمنى وآخر اليسرى ، واللوح المحفوظ بين عينيه وقد التقم الصور وشخص ببصره نحو العرش وأنصت بأذنيه ينتظر متى يؤمر بالنفخ في الصور والصور قرن من نور *

قال النبي ﷺ : « الصور قرن من نور ، والذي نفسى بيده إن أعظم ثارة فيه كما بين السماء والارض »

وروى عنه ﷺ أنه قال : « كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم الصور وحنى جبهته وشخص ببصره نحو العرش وأنصت بأذنيه ينتظر متى يؤمر أن ينفخ في الصور (٤) فاذا نفخ فيه مات أهل السموات والارض الا أربعة أملاك فانهم لا يموتون الا بعد موت الخلائق وهم ، جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت ، فمن شدة صوت اسرافيل تتحرك الارض من مشرقها الى مغربها فلا يبقى عليها بناء الا انهدم الا المساجد فان أساسها يبقى لا يهدم لفضلها عند الله تبارك وتعالى ، لما عبد فيها ووحّد قريء كلامه فيها وذلك قوله تعالى (كل شيء هالك الا قوه الا بالله (٢) صعق الرجل غشى عليه ، وصعق من في السموات ومن في الارض أي مات ، وهو المراد هنا . (٣) اسرافيل اسم أعجمي ويقال فيه اسرافين أيضا بالنون .

(٤) الصور القرن ، وقيل هو جمع صورة كبصرة وبسر ، أي ينفخ في صور الموتى الارواح .

إلا وجهه) جاء في التفسير أن الأشياء كلها تهلك إلا عملا يراد به وجه الله تعالى ، والمساجد لا تهلك لأنها إنما بنيت لوجه الله تعالى *

خشية النبي من هبوب الريح

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا هبت الريح تغير لونه ، وكان يخرج ويدخل مرة بعد أخرى من شدة خوف قيام الساعة ولزلة الأرض ، فإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخاف هذا الخوف كله وهو أكرم الخلق على الله ؟ فكيف بمن أفي عمره في السهو والغفلات ، وقطع أيامه باللهو والبطالات ، وضيع أوقاته في العصيان حتى مات ؟؟ وأنشدوا :

نهارك يا مغرور سهو وغفلة وليلك نوم والردى لك لازم
وشغلك فيما سوف تسكره غبه كذلك في الدنيا تعيش البهائم
وفعلك فعل الجاهلين برهم وعمرك في النقصان بل أنت ظالم
فلا أنت في الأيقاظ يقظان حازم ولا أنت في النوام ناج وسالم
تسر بما يفنى وتفرح بالمنى كما سر باللذات في النوم حالم
فلا تحمد الدنيا ولكن قدمها ولا تكثر العصيان إنك ظالم

وروى عن النبي ﷺ أنه قال : « انتهت ليلة أسرى بي إلى السماء السابعة فرأيت إسرافيل قد حنى جبهته وقدم رجلا وآخر أخرى والعرش على منكبه (١) والصور في فيه بين شذقيه وقد تمها للنفخ في الصور فما ظننت أن أبلغ الأرض حتى تبلغني النفخة كما رأيت من تهيشته للنفخ » سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن إسرافيل فقال : « له جناح بالشرق وجناح له بالمغرب ، ورجلاه تحت الأرض السابعة السفلى والعرش على كاهله (٢) وإنه ليفكر في كل يوم ثلاث ساعات في عظمة الله تعالى فيبكي من خوف الجبار حتى تجرى دموعه كالبحار فلو أن بحر آ من دموعه أذن له أن يسكب لطبق بين السموات والأرض وإنه ليتواضع ويصغر حتى يصير كالوضع » والوضع طير صغير يشبه العندليب ، والعندليب أصغر ما يكون من الطير ، قاله الله يا معشر من آمن بالله واليوم الآخر استعدوا لقيام الساعة وزلزالها »
قال الله تعالى (إذا زلزلت الأرض زلزالها) تتحرك الأرض وتتمخض وتتطاير الجبال

(١) المنكب كالمجلس مجمع عظم العضد والكتف (٢) الكاهل ما بين الكتفين .

وتتعلق الشجر وتنهدم المباني فلا يبقى على ظهرها من جبالها وشجرها ونباتها شيء إلا دخل في جوفها .

قال تكملة : إنما تقوم الساعة على شر الخلق .

متى ينفخ في الصور

قال حذيفة : كان الناس يسألون النبي صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أنا أسأله عن الشر مخافة أن يصيبني ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول (١) : « في آخر الزمان قن كقطع الليل المظلم فإذا غضب الله تعالى على أهل الأرض أمر الله تعالى إسرافيل أن ينفخ نفخة الصعق فينفخ على غفلة من الناس فمن الناس من هو في وطنه ومنهم من هو في سوقه ومنهم من هو في حرثه ومنهم من هو في سفره ومنهم من يأكل فلا يرفع اللقمة إلى فيه حتى يخمد ويصعق ، ومنهم من يحدث صاحبه فلا يتم الكلمة حتى يموت فتموت الخلائق كلهم عن آخرهم » *

وإسرافيل لا يقطع الصيحة (٢) حتى تغور عيون الأرض وأنهارها (٣) ونباتها وأشجارها وجبالها وبحارها ، ويدخل البكل بعضه في بعض في بطن الأرض والناس نخود صرعي فمنهم من هو صريع على وجهه ومنهم من هو صريع على ظهره وعلى جنبه وعلى خسده ومنهم من يكون اللقمة في فيه فيموت وما أدرك أن يبتلعها وتنقطع السلاسل التي فيها قناديل النجوم فتستوي بالأرض من شدة الزلزلة وتموت ملائكة السبع سموات ، والحجب والسرادقات ، والصادقون (٤) والمسبحون وحمة العرش والكروبيون وأهل سرادقات المجد والكروبيون (٥) ويبقى جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت عليهم السلام *

(١) في الاصل : يقولون وهو تحريف (٢) في الاصل الصحيحة وهو خطأ
(٣) وذلك مشاهد الآن عند هيجان البراكين ففى طريقة عين تدمر المدن وتندك الجبال لو يصبح السهل وعراً والصحراء بجرأ . وآخر ما حصل من ذلك زلزال الهند الشديد (٤) في الاصل . والصادقون وهو تحريف (٥) الكروبيون طائفة من الملائكة سموا كروبيون لشدة حزنهم وطول عبادتهم وهم كالأولياء في الناس .

كيف يموت جبريل

فيقول الجبار جل جلاله يا ملك الموت من بقي؟ — وهو أعلم — فيقول ملك الموت سيدي ومولاي أنت أعلم بقي إسرافيل وبقي جبريل وبقي ميكائيل وبقي عبدك الضعيف ملك الموت خاضع ذليل قد ذهبت نفسه لعظيم ما عاين من الالهوال . فيقول له الجبار تبارك وتعالى انطلق الى جبريل فاقبض روحه، فينطلق ملك الموت الى جبريل عليه السلام فيجده ساجداً وراكعاً فيقول له: ما أغفلك عما يراد بك يامسكين ، قد مات بنو آدم وأهل الدنيا والارض والطير والسباع والهوام وسكان السموات وحملة العرش والكرسى والسرادات وسكان سدره (١) المنتهى وقد أمرني المولى بقبض روحك ! فعند ذلك يبكي جبريل عليه السلام ويقول متضرعاً إلى الله تعالى : يا الله هون على سكرات الموت . فيضمه ملك الموت ضمة يقبض فيها روحه فينخر جبريل منها صريعاً فيقول الجبار جل جلاله من بقي ياملك الموت ؟ . وهو أعلم — فيقول مولاي وسيدي بقي ميكائيل وإسرافيل وعبدك الضعيف ملك الموت *.

كيف يموت ميكائيل

فيقول الجبار جل جلاله انطلق الى ميكائيل فاقبض روحه فينطلق ملك الموت الى ميكائيل كما أمره الله تعالى فيجده ينتظر الماء ليكيّله على السحاب فيقول له ما أغفلك يامسكين عما يراد بك ! ما بقي لبني آدم رزق ولا للانعام ولا للوحوش ولا للهوام ، قد مات أهل السموات وأهل الارضين وأهل الحجب والسرادات وحملة العرش والكرسى والسرادات المجدد والكروبيون والصادقون والمسيحون وقد أمرني ربي بقبض روحك ، فعند ذلك يبكي ميكائيل ويتضرع إلى الله ويسأله أن يهون عليه سكرات الموت ، فيحضنه ملك الموت ويضمه ضمة يقبض فيها روحه فينخر صريعاً ميتاً لاروح فيه ، فيقول الجبار جل جلاله من بقي ؟ — وهو أعلم — يا ملك الموت فيقول مولاي وسيدي أنت أعلم بقي إسرافيل وعبدك الضعيف ملك الموت *.

كيف يموت إسرافيل

فيقول الجبار تبارك وتعالى انطلق إلى إسرافيل فاقبض روحه ، فينطلق كما أمره الجبار إلى إسرافيل فيقول له ما أغفلت يا مسكين عما يراد بك ! قد مات الخلائق كلهم وما بقي أحد وقد أمرني ربي ومولاي أن أقبض روحك ، فيقول إسرافيل : سبحان من قهر العباد بالموت ، سبحان من تفرد بالبقاء ، ثم يقول مولاي هون على مرارة الموت فيضمه ملك الموت ضمة يقبض فيها روحه فيخر ميتا صريعا ، فلو كان أدنى السموات في السموات وأهل الأرض في الأرض لما اتوا كلهم من شدة رجة (١) وقفته *

كيف يموت ملك الموت

فيقول الجبار تبارك وتعالى من بقي يا ملك الموت ؟ — وهو تعالى أعلم — فيقول مولاي وسيدى أنت أعلم بمن بقي ، بقي عبدك الضعيف ملك الموت فيقول الجبار تعالى وعزتي وجلالي لأذيقنك ما أذقت عبادي انطلق بين الجنة والنار وميت ، فينطلق بين الجنة والنار فيصيح صيحة لولا أن الله تبارك وتعالى أمات الخلائق لما اتوا من عند آخرهم (٢) من شدة صيحته فيموت ، فتبقى السموات خالية من أملاكها ، ساكنة أفلاكها ، وتبقى الأرض خاوية من إنسها وجننها وطيرها وهوامها وسباعها وأنعامها ويبقى الملك لله الواحد القهار الذي خلق الليل والنهار فلا ترى أنيساً ، ولا تحس حسيساً ، قد سكنت الحركات ، ونحمت الاصوات ، وخلت من سكانها الأرضون والسموات *

لمن الملك اليوم ؟

ثم يطلع الله تبارك وتعالى إلى الدنيا فيقول : يادنيا أين أنهارك ؟ وأين أشجارك ، وأين سكانك ، وأين عمارك ، أين الملوك وأبناء الملوك ، وأين الجبابرة وأبناء الجبابرة ، أين الذين أكلوا رزقي ؛ وتقلبوا في نعمتي وعبدوا غيري لمن الملك اليوم ؟ فلا يجيبه أحد ، فيقول تعالى الملك لله الواحد القهار ، فينظر الجبار جل جلاله إلى عباده موتى من بين صريع على خده ومن بين بال في قبره ثم يقول يادنيا أين أنهارك وأين أشجارك وأين سكانك وأين عمارك

(١) في الاصل : وجية ولعلها تحريف . (٢) كذا بالاصل ولعلها عن آخرهم .

وَأَيْنَ الْمُلُوكَ وَأَيْنَ الْجَبَّارَةَ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ؟ فَلَا يُحْيِيهِ أَحَدٌ ، فيقول تعالى : اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ فتبقي الارضون والسموات ليس فيهن من ينطق ولا من يتنفس ما شاء الله من ذلك ، وقد قيل تبقى أربعين يوما وهو مقدار ما بين النفختين ، ثم بعد ذلك ينزل الله تبارك وتعالى من السماء السابعة من بحر يقال له بحر الحيوان ماء يشبه منى الرجال ينزله ربنا أربعين عاما فيشق ذلك الماء الأرض شققا فيدخل تحت الأرض الى العظام البالية فتنبث بذلك الماء كما ينبت الزرع بالمطر (١)

كيفية بعث الموتى

قال الله تعالى (وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته) إلى قوله (كذلك يخرج الموتى) الآية كما أخرج النبات بالمطر كذلك يخرج الموتى بماء الحياة ، فتجتمع العظام والعروق واللحوم والأشعار فيرجع كل عضو الى مكانه الذى كان فيه فى دار الدنيا فتلتئم الاجساد بقدرة الجبار جل جلاله وتبقى بلا أرواح ، ثم يقول الجبار جل جلاله : ليعثن إسرافيل ، فيقوم إسرافيل عليه السلام حيا بقدرة الله تعالى فيقول له الجبار يا إسرافيل اتقم الصور وأزجر عبادى لفصل القضاء ، فأول ما يحيى الله تبارك وتعالى إسرافيل ويأمره أن يلتقم الصور *

صفة الصور

والصور قرن من نور فيه أثقاب على عدد ارواح العباد فتجتمع الارواح كلها فتجعل فى

الصور *

(١) اختلف العلماء قديما وحديثا فى أنه هل تبعث هذه الاجسام بنفسها أم يخلق الله سبحانه اجساما أخرى من الأرض لتلك الارواح ؟ وأرى ترجيح الرأي الاخير لان الاجسام بعد الموت تتحلل إلى أصلها وهو التراب ، ومن هذا التراب تتكون اجسام أخرى وهكذا دواليك منذ نشأة الدنيا الى يوم القيامة ولا بد حتما من ادخال اجسام فى اجسام ، لذلك لا يبعد على قدرة الله تعالى أن ينشئ اجساما أخرى لها ما للاجسام الاولى من المميزات لان الروح كما أشار العلامة ابن القيم الجوزية هى المقصودة بالثواب والعقاب

أين يقف إسرافيل

ويأمر الجبار إسرافيل أن يقوم على صخرة بيت المقدس وينادى في الصور وهو في فيه قد التقمه والصخرة أقرب مافي الارض الى السماء وهو قوله تعالى (واستمع يوم ينادى المتنادى من مكان قريب) ويقول إسرافيل في ندائه : أيتها العظام البالية واللحوم المتقطعة والاشعار المتبددة والعروق المتمزقة ، لتقمن الى العرض على الملك الديان ليجازيكن بأعمالكن فاذا نادى إسرافيل عليه السلام في الصور خرجت الارواح من أثقاب الصور فتتشربن السماء والارض كأنها النحل يخرج من كل ثقب روح ولا يخرج من ذلك الثقب غيره ، فأرواح المؤمنين تخرج من أثقابها نائرة بنور الايمان وبنور اعمالها الصالحة ، وأرواح الكفار تخرج مظلمة بظلمات الكفر ، وإسرافيل يديم الصوت والارواح قد انتشرت بين السماء والارض ثم تدخل الارواح في الارض الى الاجساد فيدخل كل روح الى جسده الذي فارقه في دار الدنيا ، فذهب الارواح في الاجساد كما يذهب السم في الملسوع (١) حتى ترجع الى أجسادها كما كانت في دار الدنيا ، ثم تنشق الارض من قبل رؤوسهم فاذا هم قيام على أقدامهم ينظرون الى أهوال يوم القيامة وطوامها ، وإسرافيل عليه السلام ينادى بهذا النداء لا يقطع الصوت ويمده مداً والخلائق يتبعون صوته والنيران تسوق الخلائق الى ارض القيامة *

ملازمة الاعمال للجساد

فاذا خرجوا من قبورهم خرج مع كل إنسان عمله الذي عمله في الدنيا لان عمل كل إنسان يصحبه في قبره ، فان كان العبد مطيعاً لربه وعمل عملاً صالحاً كان أنيسه في الدنيا ، ويكون أنيسه إذا خرج من قبره يوم حشره يؤنسه من الأهوال ومن هموم القيامة وكرهها ، كلما نظر العبد المؤمن الى نار أو الى هول من أهوال القيامة جزع فيقول له عمله : يا حبيبي ما عليك من هذا شيء ، ليس يراد به من أطاع الله وإنما يراد به من عصى الله تعالى مولاه ثم كذب بآياته واتبع هواه ، وأنت كنت عبداً مطيعاً لمولائك ، متبعاً لنبيك تاركاً لهواك فما عليك اليوم من هم ولا حزن حتى تدخل الجنة *

(١) الملسوع هو الذي لسمته العقرب والحية ونفثت سمها فيه فيتمشى في الجسم على مهل إن لم يتدارك بربط العضو الملسوع ويجب بعد ربطه ربطاً محكماً ان يشرط بموسى لينزل منه الدم ثم يمتصه آخر ليس في فمه جروح ويوضع عليه ملح الطعام ويسقى ماء الليمون .

العمل السوء وهياته

واذا كان العبد خاطئاً وعاصياً لذى الجلال ومات على غير توبة وانتقال ، فاذا خرج المغرور^١ المسكين من قبره خرج معه عمله السوء الذي عمل في دار الدنيا وكان قد صحبه في قبره ، فاذا نظر اليه العبد المغتر بربه رآه اسود فظيعاً فلا يمر على هول ولا نار ولا شيء من هموم القيامة الا قال له عمله : يا عدو الله هذا كله لك وانت المراد به ، وأنشدوا :

أى يوم يكون يوم النشور	يوم فيه يفوز أهل القبور
يوم فيه الجزاء جنة عدن	لمطيع ومن عصى فى سميع
خاب من قد عصى وفاز مطيع	راقب الله فى جميع الأمور
قام فى الليل للاله ذليلاً	ليس يخلو من خوفه للقدير
خاف من عظم يوم هول شديد	شدة الهول من عذاب الزفير

فأنه الله عباد الله ، معشر المريدين انتبهوا من هذا المنام ، واجهروا الفواحش والآثام ، وارجعوا الى طاعة الملك العلام ، من قبل أن يأتى يوم تشقق السماء فيه بالغمام *

إخراج الارض مافيها

قال الله تعالى (وأخرجت الارض أثقالها) يعنى مافيها من الموتى والكنوز ، وما أودعها من أعمال العباد ومن مخبآت أسرارهم (١) من أعمال الطاعة وأعمال العصيان . فيأمر الله تعالى أن تخرج أعمال العباد وذلك أن العبد إذا خرج من قبره يجد عمله على شفير قبره ، فان كان عمله صالحاً وجدته نوراً يستره ويحجبه ، يستر عورته من أعين الناس ويحجبه عن النيران التي تسوق الناس إلى أرض القيامة ، وإن كان عملاً سيئاً وجدته ظلمة سوداء تكون عليه أشد من كل هول يلقاه من أهوال يوم القيامة *

هذا كله فى النفخة الثانية ، وبين النفخة الاولى والثانية أربعون سنة ، فهو قوله (أخرجت

الأرض أثقالها) *

(١) فى الاصل : سراريهم وهى خطأ ، لان السرارى جمع سرية وهى المرأة يتسرى بها الرجل أى يستمتع بها . وربما تكون محرفة عن سراريهم

فمثل لنفسك يا مفرور وقد ترادفت عليك الهوم والكروب ، وأحاطت بك الاحوال
والخطوب ، وأظهرت لك القبائح والعيوب ، وأثقلت ظهرك الاوزار والذنوب وأنشدوا :

قد سودت وجهي المعاصي وأثقلت ظهري الذنوب
أورثني ذكرها سقاما فليس لي في الوري طيب
ياشؤم نفسي غداة حشري إذا أحاطت بي الكروب
وصوت داع دعا باسمي أين مفرى وما أجيب ؟
هذا كتاب الذنوب (١) فاقرأ فعندها تظهر العيوب

ذكر أن العبد اذا خرج من قبره وجد عمله السوء حزمة ومملك من ملائكة العذاب واقف عليها ، فاذا نظر الى ما قدم في أيامه قال له الملك : يا عدو الله خذ عملك فاحمله على ظهرك كما كنت تلتذ به في الدنيا . لم تراقب مولاك ، وقد علمت أنه مطلع عليك ويراك ، فيأخذ العبد المسكين تلك الحزمة فيجدها على ظهره أثقل من جبال الدنيا والنار تسوقه الى الموقف ومملك يسوقه سوقا حثيثاً بالعنف والانتهاز والاغلاظ عليه ، وآخر يشهد عليه مع علم الله تعالى فيه . وأنشدوا :

كيف احتيا لي اذا جاء الحساب غداً وقد حشرت بأثقالى وأوزارى
وقد نظرت الى صحفى مسودة من شؤم ذنب قديم العهد أوطارى
وقد تجلى لهنك الستر خالقنا يوم المعاد ويوم الذل والعار
يفوز كل مطيع للعزيز غداً بدار عدن وأشجار وأنهار
لهم نعيم خلود لا نفاد له يخلدون بدار الواحد البارى
ومن عصى في قرار النار مسكنه لا يستريح من التعذيب فى النار
فابكوا كثيرا فقد حق البكاء لكم خوف العذاب بدمعوا كف جارى

فأله الله يا أولى الالباب ، تفكروا فى هول يوم الحساب ، ولا تنسوا المطالبة برد الجواب واشفقوا على أنفسكم من أليم العذاب ، وارجعوا الى طاعة رب الارباب ، وابكوا على ماسلف من ذنوبكم بانتحاب .»

(١) اشارة الى قول الله تعالى (وكل إنسان أزمانه طأثره فى عنقه كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا)

مدة النفع في الصور

ذكر أن إسرائيل عليه السلام لا يقطع النداء في الصور حتي تخرج الارض جميع ما فيها من الموتى ومما أودعها الله تعالى من شيء ، فاذا كمل العباد في الموقف وكل إنس الارض وجنهاا ووحوشها ودوابها وطيرها وأنعامها وهوامها حتى الذباب ؛ قطع إسرائيل النداء بأمر الله تعالى وذلك بعد تبديل الارض غير الارض والسموات ، ففي تبديلها قولان

هيئة أرض الحساب

أحدهما أن الارض التي يحاسب العباد عليها هي أرض من فضة بيضاء لاجل فيها ولا بناء ولا بحار ولا أنهار ولا أشجار ، ماسفك عليها دم ولا عصى الله تعالى عليها يأتي بها من غامض عليه ويقول لها كوني فتكون ، وقد أضرم تحتها النيران وتكون هذه الارض (١) في عظم تلك الارض مثل الشعرة البيضاء في الثور الاسود *

وقد قيل : إن تبديل الارض هدم مبانيها ، وغور مياهها ، وانقطاع أشجارها ، وتسجير بحارها ، وتسجير جبالها ، وتبديل السماء ، وتكوير شمسها وقرها ، وانكدار نجومها ، وتعطيل أفلاكها ، وتشققها . فهذه تبديل الارض والسموات والله أعلم بحقيقة ذلك *

كيف يقف الناس في المحشر

فاذا قطع إسرائيل عليه السلام النداء وقف الخلائق كل واحد منهم ينظر الى السماء ولا يرتد اليه طرفه ولا يدري أحد من يقف بجواره لارجل ولا امرأة ولا يدري الاخ باخيه ولا الوالد بولده ولا الأم بابنها . كل انسان منهم مشغول بما هو فيه من عظيم الاحوال ، وكل واحد منهم يفسكر فيما قد جاء به من العصيان ، وفرط فيه من الطاعة والنسيان ، فالكل ينظر الى ما ينزل به الامر من السماء من شقاوة أو سعادة *

(١) أي الارض التي نعيش الآن عليها ، وللعلامة ابن القيم الجوزية بحث طريف في كتابه مفتاح دار السعادة في أن أرض الحشر هي أرض الدنيا وفي أن الجنة والنار موجودتين الآن أم سوف يوجدان ، أتى فيه بالعجب العجيب *

مقدار زمن الحشر

ويقال والله أعلم : إن الوقوف يكون مقدار ثلاثمائة سنة من سنين الدنيا لاخير يتنزل ولاخير يصعد . قد كثرت الزحام فلا تسمع الا همس الاقدام حيارى نادمون فيما فرطوا فيه من استزلال القدم ، يومئذ لا ينفع البكاء ولا الندم . وأنشدوا :

ليس في الدنيا لمن آ من بالبعث سرور
إنما يفرح بالدن يا جهول أو كفور
إنما الدنيا متاع كل ما فيها غرور
فتذكر هول يوم السما فيه تمور (١)

بكاء النبي من أهوال القيامة

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خوفني جبريل عليه السلام من أهوال يوم القيامة حتى أبكاني فقلت له حبيبي جبريل أليس قد غفر الله لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر؟ فقال يا محمد لتشاهدن من الأهوال يوم القيامة ما ينسبك المغفرة ، فبكى رسول الله ﷺ حتى بليت دموعه لحية » فإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكي من هول يوم الحساب وقد آمنه الجبار من أليم العذاب ، ووعده بالجنة وحسن المآب ، فكيف بأمثالنا المساكين ؟ وكيف بمن ترك الحق والصواب ، وخالف السنة والكتاب ، وأطاع الشيطان وأفنى عمره في معصية الملك الوهاب ؟ وقد قيل في قوله تعالى : (كلا إذا دكت الأرض دكا دكا) هو تحريكها ، وقيل دكا دكا إذا هابا *

معنى دك الأرض وانشقاقها

سئل بعض العلماء عن معنى تكرار هاتين الكلمتين ، دكا دكا وصفا صفا ؟ فقال : تدكدك الأرض دكا بعد دك ، أى تحرك مرة بعد أخرى حتى لا يبقى عليها أثر من بناء أو جبل أو شجر . وقوله صفا صفا ، تأتي الملائكة صفا بعد صف كل ملك قد شغل بنفسه العظم ما يرى من ظهور الأهوال . فإذا كثرت زلازل الأرض (فحملت الأرض والجبال فدكتا

(١) تمور بمعنى تموج . قال الضحاك : تموج موجا . وقال أبو عبيدة والاختفش : تسكفا .

دكة واحدة) حتى تنقطع الجبال من أصولها وتنشق الارض وتغور فيها أنهارها وعيونها ويدخل فيها كل قصر شديد (١) من بين قديم وجديد ، فياله من يوم ما أهوله ومن بلاء ما أطوله ، ومن جبار ما أعدله . قد أفنى العباد بالحمام (٢) فلا يري أحد من الانام . فاذا استوى الأولون والآخرون في أرض القيامة أمر الله تبارك وتعالى السموات أن تنشق فتنشق كل سماء وتنقطع مثل قطع السحاب ، وقيل كما يتطاير القطان بين يدي القاطنين إذا ندفوه *

فثل لنفسك صوت إنشاقها في سمعك ، وكيف يثبت له فؤادك ، ويستقر لفظاعة هوله قدمك ، فقدم في أيام حياتك ما يفيك تلك الأهوال لأن الخلق في أهوال يوم القيامة على قدر أعمالهم في الدنيا من خير وشر ، فن عمل صالحا وخاف من ربه وخاف من هول ذلك اليوم أمنه مولاه من جميع أهواله وكروبه ، ومن لم يقدم في دنياه عملا صالحا لأخراه لقيته صعاب الخطوب ، وترادفت عليه الهموم والكروب ، فيندم حين لا تنفعه الندامة إذا حل في أهوال القيامة *

الامن والخوف

روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « يقول الله تبارك وتعالى اذا خافى عبدي في الدنيا أمنته يوم القيامة وإذا أمننى في الدنيا أخفته يوم القيامة » فاذا انشقت السموات بلغت القلوب الحناجر ، وأيقن كل عبد وأمة أنه قادم على ما عمل في الظواهر والسرائر ، اذا انشقت السماوات عظمت المصائب ، وكثرت النوائب ، وندم العبد على ما فرط في الدنيا وضيع من الثواب والרגائب * فاذا انشقت السماوات عظمت الرزيات ، وكثرت الآفات ، وظهر العذاب وحلت العقوبات ، وأظهر الله مخبات السريرات ، وندم العبد المغرور على ما أذنب في الايام والافاق ، وما جرى في الشهور والساعات *

فاذا انشقت السماوات كثرت الاحزان ، وبرزت النيران ، وأزلفت الجنان ، وندم العاصي على ما عمل من العصيان ، وعلى ما فرط فيه من طاعة الرحمن فانتبهوا لهذه الأهوال يا معشر الاخوان ، يا أهل الاسلام والايمان ، فان الهول والله عظيم ، والخطب كبير جسيم *

ملائكة سماء الدنيا

فاذا انشقت السماوات وتقطعت ونزلت الملائكة باجمعها ، فاذا نزلت ملائكة سماء الدنيا فزع منهم أهل الارض وظنوا أنهم قد أمر فيهم بأمر ، فتقول لهم ملائكة سماء الدنيا لا تجزعوا منا فانا نخاف من الذي نخافون ، وتكون ملائكة سماء الدنيا أكثر من أهل الارض إنسها وجننها وأنعامها وطيرها ووحشها وجميع خلق برها وبحرها سبعين ضعفا ، فتبقى العباد يموج بعضهم في بعض *

ملائكة السماء الثانية

ثم ينزل ملائكة السماء الثانية وهم أكثر عددا وأعظم خلقا ممن اجتمع في الارض سبعين ضعفا ، فتجزع منهم ملائكة سماء الدنيا وجميع من في الارض فيقولون لهم لا تجزعوا نحن مشغولون بانفسنا ونخاف مما نخافون منه . فلا تزال ملائكة كل سماء تنزل ويجزع منهم جميع من سبقهم ، ويكون أهل كل سماء أكثر وأعظم ممن سبقهم سبعين ضعفا . وكان أهل كل سماء في صف واحد على حدة كل واحد منهم قد شغل بنفسه من عظيم ما يري وما يدوله . وأنشدوا :

يا غافلين أفيقوا قبل بعثكم وقبل يؤخذ بالاقدام واللمم
والناس أجمع طرا شاخصون غدا (١) لا ينطقون بلبكم ولا صمم
والخلق قد شغلوا والحشر جامعهم والله طالبهم بالحل والحرم
وقد أبدى لاهل الجمع كلمهم وعد الآله من التعذيب والنقم
وكل نفس لدي الجبار شاخصة لا ينطقون بلا روح من الزحم (٢)

الجبارة في الحشر كالذر

روى أن الجبارة يحشرون يوم القيامة على صورة الذر (٣) أصغر الناس خلقا لتجبرهم

(١) في الاصل : عرا بالمهملتين (٢) الزحم ، الزحام والزحمة وازدحم القوم اجتمعوا كثيرا .

(٣) الذر صفار النمل ، وقد وردت جملة أحاديث تؤيد ذلك وخصوصا في قصة الاسراء

عند الكلام على رؤيته صلى الله عليه وسلم للعصاة والمذنبين *

على العباد في الدنيا قد صارت العزة للغنى الحميد ، ولزمت الذلة كل جبار عنيد ، وشيطان مريد
قد ترادفت عليهم الهموم والاهوال ، وظهرت لهم العقوبات والانكال ، وندم كل مذنب
بطل ، فحينئذ لا حيلة لمحتال (في يوم لا يبيع فيه ولا خلال) شعر :

مقام المذنبين غداً عسيرا اذا ما النار قربها القدير
وقد نصب الصراط لكي تجوزوا فلا ينجو الكبير ولا الصغير
وقد نسفت جبال الارض نسفا ويبيت البحور فلا بحور
وبرزت الجحيم لكل عبس على أهل المعاد لها زفير
عباد الله تفسكروا واعتبروا ، وابكوا وتباكوا ، واستعدوا لليوم الثقيل ، والهول الكبير ، والخطب
الجليل ، والعذاب الشديد الطويل *

حديث في أهوال يوم القيامة

ذكر في بعض الاخبار عن النبي المصطفى المختار ﷺ وعلى آله الاخيار دوام اختلاف
الليل والنهار أنه قال : « ليوم القيامة مائة الف هول كل هول أعظم من الموت مائة الف مرة »
فاندم يامسكين على ما صنعت وفات ، وأصلح بالتوبة النصوح ما هو آت ، من قبل أن يأتي يوم
لا مرد له من الله ليس للظالمين من نصير ، ولا للعاصين من مجير ، ولا لأحد من ملجأ ولا منكر *

شدة الحر والظل

فاذا تكامل أهل السموات ، وأهل الحجب والسرادات ، وحملة العرش والكرسي وجميع
أهل الارض في عرصة القيامة وازدحمت الخلائق واختلفت الاقدام ، وشخصت الاحداق
وتطاوت الاعناق ، واثنت من شدة العطش ، واجتمع زحام الخلائق وأنفاسهم وشدة حر
الشمس وضيق البأس ، ارتفع العرق على روجه الارض حتى يعلو على الابدان ويعم العباد على
قدر منازلهم ورتبتهم التي أنزلتهم عليها أعمالهم التي عملوها في دار الدنيا ، وقد زيد في حر
الشمس ما يتضاعف قيل حر عشر سنين سوا ظل يؤمئذ إلا ظل العرش فلا يصيب منه عبد
ولا أمة الا على قدر عمله ، فكيف بين مستظل ناعم بظل العرش وبين صاح باد بحر الشمس ؟ !

مطر الرحمة

وقد قيل : إن الله تبارك وتعالى يمدح يوم القيامة الغيث على طائفة من عباده وترى جهنم شررها على طائفة أخرى ، فكم من مستريح ببرد ماء الامطار وبين ملتهب بحر شرر النار ، فمن قطع عمره في الدنيا بطاعة الرحمن وعمل بالسنة والقرآن ، خلاصه مولاه من جميع الهموم والاحزان *

ترهيب من أهوال الحشر

فمثل لنفسك وقد نظرت للجبال قد تقلعت من أصولها وصارت مثل السراب ، وتقطعت السموات وتطايرت مثل قطع السحاب ، وقد أيقن كل فاجر وكافر بالحلول في أليم العذاب ، وقد صارت العزة لذى البطش الشديد ؛ ولزمت الذلة (١) كل جبار عنيد ، ثم رجعت السماء كالمهل — وهو دردى الزيت الذى يجلس فى قعر الاناء (٢) قيل ترجع السماء كالدهن الرقيق وترجع الجبال كالهن المنفوش وهو أضعف ما يكون من الصوف وتصير الخلائق كالفراش وهو البعوض وقيل كالجراد المنتشر إذا خرجت عليه الشمس لا يأخذ بجهة واحدة . كذلك الخلق يروج بعضهم فى بعض لسكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه . قد اجتمعت القيامة بأهوالها ووضعت الحوامل أحمالها ، وزلزلت الارض زلزالها وأخرجت الارض أثقالها ، وشهد على الامم بأعمالها . وشاب الوليد ، وحضر الوعد وحق الوعيد ، وعظم الهول الشديد ، وذل كل متكبر وجبار عنيد . قد خضعت الرقاب لرب الارباب ، وخاب كل كفار كذاب ، واشتد الهول وعظم العذاب ، فنفسكروا فيما تسمعون يا معشر الاحباب ، وانظروا لانفسكم يا جماعة الاخوان والاصحاب ، واستعدوا لاهوال القيامة يا أولى العقول والالباب . وأنشدوا :

مثل قلبك أيها المغرور يوم القيامة والسماء تمور
قد كورت (٣) شمس النهار وأضعفت (٤) حرا على روس العبيد تفور

(١) فى الاصل ولزمت العزة وهو خطأ (٢) والمهل أيضا النحاس المذاب والمهل القيقح والصدید (٣) كورت الشمس قال ابن عباس : غورت . وقال قتادة : ذهب ضوءها . وقال ابو عبيد مثل تكوير العمامة تلف فتدعى (٤) اضعفت أى زيد عليها مثلها او اكثر يريد أن الشمس زادت حرارة بعد تكويرها

وإذا الجبال تعلقت بأصولها فرأيتها مثل السحاب تسير
وإذا النجوم تساقطت وتناثرت وتبدلت بعد الضياء كدور
وإذا العشار تعطلت عن أهلها خلت الديار فما بها معمور
وإذا الوحوش لدي القيامة أحضرت وتقول للاملاك أين نسير
فيقال سيروا تشهدون فضائحا وعجائبا قد أحضرت وأمرور
وإذا الجنين بأمه متعلق خوف الحساب وقلبه مذمور
هذا بلا ذنب يخاف لهوله كيف المقيم على الذنوب دهور ٩٩

جهنم في المحشر

فاذا اشتد الفرق ، وسال العرق ، أمر الجبار جل جلاله أن يؤتي بجهنم أعاذنا الله وإياكم
منها وزحزحنا وإياكم عنها برحمته ، فيؤتي بها واهوالها وأنكالها وسلاسلها وأغلالها ، وقد
اشتد جحيمها وغلا جحيمها وكثر زقومها وغضب زبانياتها وعظم سم حياتها وعقاربها واسودت
جبالها وهاجت بحارها وتر غسلينها وغلى سموها وقد اجتمعت عما خلق الله فيها من عظيم
بلائها ، فابرزت للخلائق وهم ينظرون اليها من مسيرة خمسمائة عام .

وصف جهنم

قال الله تعالى : (وبرزت الجحيم لمن يرى) فيراها الخلائق كلهم وهي تغتاظ على العباد ، وتغضب
لغضب الجبار جل جلاله وتغيظ وتسعر ، عليها سبعون ألف زمام من حديد قد تعلق بكل
زمام سبعون ألف ملك من ملائكة النار يحبسونها عن الخلائق وهي تريد أن تنفلت من أيديهم
وتأتى على أهل الموقف والملائكة الذين يحبسونها وجوههم مثل الجمر وأعينهم مثل البرق
الخاطف ؛ فاذا تسكلم أحدهم تناثرت النار من فيه ، يد كل واحد منهم أرزبة من حديد من
نار فيها اثنان وسبعون ألف رأس من نار كأمثال الجبال الراسيات العظام ورؤسها كرؤس
الافاعي وهي أخف في يدي الملك من الريشة وأعينهم زرق وجوههم كلعحة قد خلقت من نار
السموم فتريد جهنم أن تنفلت من أيدي الملائكة من غضب الجبار جل جلاله *
هذا كله قاله الضحاك عن الائمة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهم

بطش جهنم

فاذا جاءت جهنم بأمر الله تبارك وتعالى جاءت بالهول الأكبر والفرع الأعظم فيخرج من

نفسها وهي شديدة ويسمع من جوفها دوي سلاسل الحديد . فاذا قربت من الخلائق سمعوا لها شقيقا ورأوا لها سريقا ، فاذا نظرت في أهل المعاصي ثارت وفارت وأرادت أن ترتب عليهم فاغتاضت . وتحممت اليهم (١) وأرادت أن تأتي على جميع الخلائق وتريد أن تنفلت من أيدي الخزان . فتم ب الخلائق فلا يجدون منفذا ولا مكانا يستغيثون اليه ، ومنادي ينادي (يا معشر الجن والانس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان) أي بحجة — ثم ترجع جهنم بسلطانها على خزائنها لشدة غضب الجبار على من عصى الله وخالف رسوله ، فاذا انفلتت من أيدي الزبانية أرادت أن تقبض على كل من في الموقف فيعرض لها . صلوات الله وسلامه عليه محمد الرسول وكل نبي يومئذ بنفسه مشغول *

رد الرسول جهنم عن الخلائق

فيأخذ محمد ﷺ بزمامها ، ويقبض على خطامها ، فيردها على خطامها ، فيردها على عقبها . وهو ﷺ يقول لها : كفى عن أمتي ، فتحمد من نوره ﷺ وتناديه أيها النبي المكرم والرسول المشرف المعظم ، خل سبيلي من يدك ، فما جعل الله لي ولا لغيري من سلطان عليك فيناديها الملك الجليل الجبار ، هذا محمد حبيبي سيد الأبرار ، ووزير الأخيار ، فالطاعة لمن له الوسيلة والشفاعة فعند ذلك تضع جهنم رأسها (٢) خاضعة كالحة كليله تحت سكون ونخود باذن الملك المعبود ، لمحمد ﷺ صاحب الخوض المورد ، والمقام المحمود ، واللواء المعقود ، والكرم والجود ، وإقامة الحقائق والحدود . ولوتركها خاتم النبيين ، وسيد المرسلين ، لاهلكت الخلائق أجمعين ، غضبا للغضب رب العالمين . أعاذنا الله وإياكم برحمته منها إنه أرحم الراحمين *

جهنم وزفيرها

وقيل إن جهنم أعاذنا الله منها ، وزحزحنا وإياكم برحمته عنها ، اذا نظرت الى الكفار (١) كذا بالأصل ، ولعلها محرفة عن حممت اليهم بمعنى طلبتهم كما يحمم الفرس اذا طلب العلف ، واما مجمع بالجمع فيمعنى لم يبين عن غرضه ، والكتاب طمس حروفه *

(٢) كل ماورد في هذه الفصول هو تشبيه بقدر ما تدرك العامة ، وإلا فليس لجهنم رأس أو ذنب تقادبه أو تساق ظالبا ، بل ذلك موضوع للتهويل بقدر ما تفهم العامة ، وقد ورد مثل ذلك في القرآن الكريم (طلعها كأنه رؤس الشياطين) مع أن العرب لم تشاهد رؤس الشياطين وإنما تستهولها بعين الخيال

والمنافقين والعجّار ، وأصحاب الخطايا والأوزار ، زفرت زفرة فترمى شررا على رؤوس الخلائق مثل عدد نجوم السماء وزبد البحر ورمل البر ، فتقع على رؤوس الكافرين والعاصين لرب الأولين والآخريين . فلو كانت الدنيا باقية لانهارت جبالها ، وجفت أزهارها ، ويبست عيونها وأنهارها ، من شدة حر شرر جهنم ، ولو كان ثم موت لمات الخلق كلهم .

الزفرة الثانية

ثم تزفر أخرى أعظم من الأولى فلا تبقى دمعنة في عين الا قطرت ويغلب بياض العين على سوادها ، وتبلغ القلوب الحناجر ، ولا يسأل أحد الا نفسه البر والفاجر .

الزفرة الثالثة

ثم تزفر الثالثة وهي أعظم من الأولى والثانية فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا ولي ولا صديق الا جثا على ركبتيه حتى ابراهيم وجميع المرسلين إلا ما خلا من حبيب رب العالمين محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين فانه لا يسأل عن هول النار قد خلصه الله من أهوالها *

الزفرة الرابعة

ثم تزفر الرابعة ، هي أعظم من الأولى والثانية والثالثة فتلقى الزبانية على وجوههم أجمعين وتفر الخلائق كلهم هاربين ، ويتعلق جبريل وميكائيل عليهما السلام بشاق العرش وكل ملك ينادى نفسه نفسى لا أسألك اليوم غيرها . ويقول أيضاً كل واحد منهم بحرمة محمد وبقدر محمد صلى الله عليه وسلم نحني من عذابك لما يرون من حرمة وجلالة قدره وعظيم منزلته عند ربه فاذا هرب الخلائق وجههم تريد أن تأتي عليهم وقد غلا بعضها في بعض ويقلب بعضها على بعض ولا يبقى غل ولا سربال ولا سلسلة ولا قيد ولا حية ولا عقرب الا ألقت السكل على متنها .

بماذا تحمد النار

فعند ذلك يقبل اليها محمد صلى الله عليه وسلم ويلقى يده في زمامها ويأوح اليها بحلة خضراء فتحمد من نور وجهه المبارك وهو صلى الله عليه وسلم يضرع الى العلى المجيد وهو يقول : يا سلام سلم أمتي من العذاب الشديد . وأنشدوا :

الدمع في خسد من عصي حسن حسب الفتي من دموعه الحزن
يا من شكى ساففاه حلوته لمسا خلا والعبياد ما فطن
قد كان ربي عليك مطلعاً وانت لاهي القواد مفتتن
لم تهتك السر إذ خلوت به ولا انقضت من عطائه المنن
النار تسعى إلى العصاة غداً لم يعلم المذنبون ما وسن (١)

يا قوم العجب من القلوب التي بليت بالعباد ، وغفلت عن أهوال يوم المعاد ، وتمادت على معصية الرب الكريم الجواد *

يا أخى كأن المراد بهذا كله غيرنا . ليعبث الجبار الذليل والحقير ، ويسألهم عن القليل والنقيير ، وعن الذرة والقطمير ، وعن القليل والكثير ، في اليوم المهول العبوس العسير ، الذي يشيب من فظاعة هوله الطفل الصغير ، رفق الله بنا وبكم في ذلك اليوم إنه على ما يشاء قدير *

ثم يبعث الله تعالى جبريل عليه السلام إلى جهنم فيقول لها : الله تعالى يقول لك الطاعة . فتقول وعزة الله وعظيم جلاله لا نتقمن اليوم ممن لم يعمل بطاعة الله واستعان بنعمته على معصيته . ثم تقول : يا جبريل هل خلق الله خلقاً يعذبني به ؟ فيقول جبريل : لا ما خلقك الله تعالى إلا نقمة لمن عصاه . فتقول جهنم عند ذلك : الحمد لله الذي جعلني نقمة لمن عصاه ولم يجعل من خلقه من يتقمن مني . عند ذلك والله تعظم الخطوب ، وتظهر القبايح والعيوب ، ويندم أهل المعاصي والذنوب . وأنشدوا :

ليس في الدنيا لمن آمن بالبعث سرور

فإن الله وإننا إليه راجعون على من باع نفسه في سوق الخسران ، وترك العز ورضى بالهوان وبذل مهجته لعذاب النيران ، وبارز بالخطايا الملك الديان .

من أسباب غفران الذنوب

حكى عن بعض العارفين رحمه الله أنه قال : حضرت سنة من السنين الوقوف بعرفات فإذا

(١) كذا بالأصل وقد أشرنا فيما سبق أن جميع الأشعار الواردة في الكتاب هي للزجر والترغيب لم يراع فيها دقة الوزن والمقاطع

بضجة الناس ، فتذكرت يوم القيامة وذكرت رحمة الله فأردت أن أحلف أن الله قد غفر لكل من في الجمع فذكرت أني فيهم فأمسكت . وأنشدوا :

يا كثير الذنوب أقصر قليلا قد بلغت المدي من الاسراف

فاذا اشتد بالخلايق الهلع ؛ وكثر منهم الخوف والجزع ، وبلغت القلوب الحناجر ، من خوف من يعلم الظواهر والسرائر ، نادى الملك الرحمن يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون . فاذا سمع الخلايق هذا النداء طمع كل منهم فيه . فيقول سبحانه (الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين) فعند ذلك يأس من الرحمة جميع الكفار والمنافقين والفجار ، ويطمع فيها من آمن بالواحد القهار ، واتبع سنة محمد المختار . عند ذلك تنشر الدواوين ، وتوضع الموازين وتطيار الصحف في الالف (١) فكل امرئ بما اكتسب معترف ، فتقدم الظالم ، وخسر الآثم ، وظهرت في الصحف الفضائح ، وكثر الخجل واشتد الوجل وبدأت الفضائح ، وشهدت على كل امرئ حفظه والجوارح . وأنشدوا :

طال والله بالذنوب اشتغالي وتماديت في قبيح فعالي
ليت شعري إذا أتيت فريداً والموازين قد نصبت حيالي
والدواوين قد نشرن وجئنا والنيون يشهدون سؤالي
ما اعتذاري وما أقول لربي في سؤالي وما يكون مقالي
أورثني الذنوب دار هموم لست أبقى لها ولا تبقي لي
يا عظيم الجلال مالي عذر بل حقيق أنا بنار السفالي (٢)
غير أن الرجاء فيك مكين فارحم العبد يا جميل الفعال
وتفضل على عبيد مسيء ليس يرجو سواك يا ذا الجلال

(١) كذا بالأصل ، ولعلها محرفة عن الاكف أو عن الموقف . وقد جاء في القرآن الكريم (وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا) وقال بعض المفسرين : إن الصحف تطيار يوم القيامة مثل ورق الشجر وكل صحيفة تقع على صاحبها وتلتصق بعنقه
(٢) كذا وردت بالأصل ، ولعله يريد بأسفل درجات النار فاضطرته القافية لهذا اللفظ

على غير قياس

هذا يوم الدين

روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال . « إذا جمع الله تبارك وتعالى الأولين والآخرين نادى مناد هذا يوم الدين ، هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون » فانظر لنفسك يا مسكين ، يا ضعيف الايمان واليقين ، يا من يقول إنه من المؤمنين المصدقين . وهو يعمل أعمال المكذبين المخالفين ، التاركين لسنة سيد المرسلين وخاتم النبيين . ما أجراك أن تكون عند الله من الكاذبين ، لو خفت من عذاب يوم الدين ، لعملت بالقرآن المبين ، ولو كنت من المؤمنين المصدقين ، لاطعت رب الأولين والآخرين . فسل مولاك أن يفرج عنك ما قد نزل بك من داء الذنوب ، وهتك سترك من القبائح والعيوب . وأنشدوا :

يا طبيب الذنوب والآثام	هل دواء أبرأ به من سقامى ؟
إن داء الذنوب أضعف جسمى	ومشبهى موكل بحمامى
وشفائى أعيا الاطباء إني	قد تغذيت مدتى بالحرام
وركبت الذنوب سرا وجهرا	وتباعدت من محل الكرام
كيف بالطب أن يعالج سقمى	وكلامى يزيد قرح كلامى (١)
أيها الناس قد علمتم ذنوبى	واغترارى وشقوتي واجترامى
وأنا أرغب الدعاء فجدوا	فى فكاكى من الذنوب العظام
واشتياق إلى الطواف شديد	وإلى الركن والصفاء والمقام
وإلى يثرب يحن فؤادى	كى أزور النبي خير الانام
فسلوا الله فى الوصول فانى	ذو اشتياق لحج بيت حرام
فلعل الاله يغفر جرمى	وينجى من هول يوم القيام
ويفك ذو الجلال عبدا ضعيفا	مات خوفا من العذاب الغرام (٢)

(١) الاولى كلامه أى ألفاظه بفتح الكاف ، والثانية بكسرهما أى جروحه .

(٢) كذا وردت بالاصل ، ولعله يريد العذاب الغريم أى الملازم فاضطرته القافية

لذلك وقد سبق أن نبهنا على أن هذه الاشعار هي ألفاظ عامية يلاحظ فيها المعنى لا التركيب

البديعى .

موعظة كعب الاحبار

روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لكعب : يا كعب خوفنا . فأطرق برأسه ثم رفع رأسه وعيناه تذرفان دموعا فقال : يا أمير المؤمنين والذي نفس كعب بيده إن جهنم لتزفر زفرة فتقطع السلاسل التي بأيدي الزبانية الذين يسكونها بها حتي تفيض على أهل الجمع وتلقي الزبانية على وجوههم وينهزم مالك خازنها من بين يديها ، فلو كان لكل آدمي عمل مائة ألف نبي ومائة ألف صديق ومائة ألف شهيد ، لحقر عمله ولظن أنه لا ينجو منها . فعند ذلك يعرض لها النبي صلى الله عليه وسلم وقد أشرقت القيامة من نور وجهه فيأخذ بزمامها ويقول لها : كفى عن أمي ، كفى عن أمي ، ثلاثا . فتقول له : يا أيها النبي الكريم والرسول الرؤوف الرحيم ، ماجعل الله لي عليك ولا على أمك من سبيل . فعند ذلك يتعلق العبد المذنب إذا رأى الأهوال العظام بالنبي عليه الصلاة والسلام فيقول : يا رسول الله أنقذني من عذاب الله . فيقول له ألم أبلغك رسالة ربي فلم عصيت ؟ فيقول له العبد المذنب : يا رسول الله غلبت على شقوتي . فيقول صلى الله عليه وسلم : لا شقوة على أحد من أمي ، ولا على من قال في الدنيا مخلصا : لا إله إلا الله محمد رسول الله . فيشفع له إلى الله تعالى فيشفع فيه . وأنشدوا :

ألا أكرم بأحمد ذي الأيادي	شفيع الناس في يوم التلادي
إذا نشر الخلائق من قبور	عراة يبتغون ندا المنادي
وقربت الجحيم لمن يراها	فيا لله من خوف العباد
وقد زفرت جهنم فاستكانوا	سقوطا كالفراش وكالجراد
وقد بلغت حناجرهم قلوب	وقد شخصوا بأبصار حداد
فيا جبار عفوا منك فالطف	ويا رحمن رفقنا بالعباد
ونودوا للصراط ألا هلبوا	فهذا ويحكم يوم المعاد
تسوقكم إليه سوق عنف	مقامع من زبانية شداد
ألا يا معشر الاسلام هبوا	من الاغسال في غمر الرقاد

حدِيثُ فِي التَّرْهيبِ

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « كل عين باكية يوم القيامة إلا عين بكت من خشية الله ، وعين غضت عن محارم الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله »
 فقدموا عباد الله في اليسير من الأيام ، ما يقيسكم الأهوال العظام ، والخطوب الجسام ، والزلازل والطوام ، والعذاب الغرام ، فإن العمر يسير ، والأجل قصير ، والزاد قليل ، والهول جليل ، والعذاب طويل ، واليوم مهول ثقيل . فانا لله وإنا إليه راجعون على من قطع أيامه في العصيان ، واستبدل الجنة بالنيران ، والربح بالخسران ، وترك العز ورضى بالهوان ، وعوض عن الزيادة النقصان ، ففكر فيما تسمع أيها الإنسان ، وأنا وأنت وكلنا ذلك الإنسان وأنشدوا :

مقام المذنبين غداً ذليل وقدر الطائعين غداً جليل
 إذا مد الصراط على جحيم تصول على العصاة وتستطيل
 ونادى مالكا خذ من عصائي فاني اليوم لست لهم أقيل

سجود جهنم

ذكر في بعض الأخبار أن جهنم أعادنا الله منها ، وزحزحنا برحمته عنا ، تستأذن يوم القيامة في السجود فيأذن لها فتسجد ما شاء الله من ذلك ثم يقال لها ارفعي رأسك فترفع رأسها وهي تقول : الحمد لله الذي خلقني لينتقم بي من عصاه ، ولم يجعل شيئاً من خلقه ينتقم به مني *
 آلهي قد اشتد بلائي وأخذت ناري ، وغلا حيمي وزقومي ، وكثر تنني وغسليني (١)
 وأكل بعضي بعضاً . الهى عجل على بأهلي فوعزت لك لا تنقمن لك من عصاك واتبع هواه
 وجحد آياتك وكذب رسلك وجعل معك إلهاً غيرك لا إله إلا أنت . فتنادى نداء يسمعه
 أهل الموقف جميعاً ثم تغتاط على أهل المعاصي فترمي بشرر (٢) كعد النجوم في السماء وزبد
 البحر ورمل البر ونبات الأرض على رؤس الخلائق فيقع على رؤس العصاة فمن كان له عمل
 صالح صار حجاباً بينه وبين شرر جهنم ، ومن لم يكن له عمل صالح صار رأسه غرضاً لشرر
 جهنم أعادنا الله منها وزحزحنا عنها برحمته . يارب العالمين آمين *

(١) الغسلين : هو ما انغسل من لحوم أهل النار ودمائهم وزيد فيه الياء والنون
 (٢) وفي القرآن الكريم (إنها ترمي بشرر كالقصر) وفسره ابن عباس بأعناق النخل .
 وقال الزمخشري : أعناق النخل وأعناق الابل . وقال الهروي : أعناق الابل *

٣ - مجلس في ذكر الميزان والصراط

قال الله سبحانه وتعالى (ونضع الموازين القسط (١) ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً) الآية
عباد الله ما لقلوبكم لا تخشع ، وما لآذانكم لا تسمع ، وما لدعائكم لا يسمع ، وما لعيونكم
لا تدمع ، وما لبطونكم من السحت (٢) والحرام لا تشبع ، وما لعمالكم المحمود لا يرفع
إخواني من شغل نفسه بخدمة المعبود المحمود من خوف من ورود النار وبش الورود والمورود ؟ *

افتخار الوحوش على بنى آدم

ذكر في بعض الأخبار أن الوحوش تجتمع يوم القيامة فتختر ساجدة فيقال لها ما هذا
يوم السجود ، فتقول إنما سجدنا شكر الله الذي لم يجعلنا من ولد آدم وجعلنا من يشهد فضائح
بن آدم *

فالله الله يا إخواني أقبلوا النصيحة ، قبل يوم الخجل والفضيحة *

فاذا كان يوم القيامة وجاءت جهنم بأهلها يضرب الصراط على متنها طوله خمسمائة عام ،
وقد قيل طوله ستة وثلاثون ألف سنة من سنين الدنيا ، أرق من الشعر ، وأحد من موسى ،
وقيل أحد من السيف وأحر من الجمر . وقد قيل إنه شعرة من جفن مالك خازن جهنم يدها
على متن جهنم عليه حسك (٣) وللايب قد تعلق بكل كlob منها عدد نجوم السماء من الزبانية
الو أن واحداً منهم أذن الله له أن يتنفس في الدنيا لاحتراقها بالناس وأجنها وجميع ما ذرأ الله فيها
ولا تذاب جبالها وجفف بحارها *

صفة الصراط

والصراط أسود مظلم من شدة سواد جهنم فلا يجوز يومئذ إلا من كان له نور ، ولا يكون
النور يومئذ إلا من الأعمال الصالحة ، فمن عمل عملاً صالحاً نجاه من النار ، وجاز إلى دار
الراحة والقرار . ومن لم يقدم في الدنيا عملاً صالحاً حجب عن النظر إلى وجه الجبار ، وهوى

(١) القسط : العدل ، والقسط أيضاً الحصص والنصيب (٢) السحت : يسكون الحياء وضمها
الحرام وأسحت في تجارتها إذا اكتسب السحت . (٣) الحسك شوك السعدان ، والحسك
أيضاً ما يعمل من الحديد على مثاله للمحاربين . والسكلايب آلة من الحديد كالخطاف *

في دار الندامة والبوار ، في دار عذابها سدوم ، شرابها حميم (١) وظلها لا بارد ولا كريم ، وطعامها الزقوم (٢) ينزدي والله في دار عذابها أليم ، ومسكنها جحيم ، وساكنها أبدا في العذاب مقيم ينزدي والله في نار قعرها بعيد ، وعذابها شديد ، وشرابها صديد ، ومقامها حديد ، وما هي من الظالمين ببعيد . وأنشدوا :

أما آت يا أخ أن تستفيقا وأن تنسأسي الحى والعقيقا
وقد ضحك الشيب في عارضيه لك وبانت مساويك فيه بروقا
وركب أتاها وقد عرضوا على أتباع المنايا طروقا (٣)
أدارت عليهم كؤوس الحمام صبوحا (تلازمهم) أوغبوقا (٤)
وما زال فيهم غراب الحما م فيسمعهم للمنايا نعيقا
ويججل في عرصات القصور رحي أعاد الفسيحات ضيقا
ألا فازجر النفس عن غيها عساك تجوز الصراط الدقيقا
مقام به تذهل المرصعا وتلقى الحوامل وعدا صدوقا
وتبرز للناس نار الجحيم لها عنق تتراعى حريقا
شرابهم المهل في قعرها تقطع أمعاءهم والعروقا
إذا طبقت فوقهم لم يكن لتسمع إلا البكا والشهيقا
أذلك خير أم القاصرا ت تحال مباسمين البروقا
قصرن على حب أزواجهن فمشتاقة تتلقى مشوقا
لقد فاز من كان للمصطفى بدار المقامة يوما رفيقا

حسن العمل والصراط

فمثل لنفسك يامسكين وقد جئت إلى الصراط وقد رأيت العاملين ، وقد جازوا وأنوارهم تسعى بين أيديهم وبأيمانهم ، ورأيت البطالين في ظلمات البطالات وغمرات الجهالات . فآله الله يا جماعة الضعفاء ، يامن قطع عمره في الخلاف والجفاء ، خذوا لانفسكم بالاحتياط ،

(١) الجحيم : الماء الحار (٢) الزقوم : اسم طعام للعرب فيه تمر وزبد . قال الله تعالى (إن شجرة الزقوم طعام الاثيم إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم) (٣) كذا ورد هذا البيت في الاصل ولم أقف على معناه (٤) لفظة (تلازمهم) لم تكن بالاصل وزدتها للوزن

واحذروا الأهوال الصعبة عند جواز الصراط . لان الصراط لا يجوزه آثم ، ولا ينجو منه ظالم . والصراط حق رقيق ، لا ينجو منه من خالف التحقيق ، وترك السنة ومنهاج الطريق (١) الصراط طويل بعيد ؛ لا يجوزه إلا من أخذ نفسه بالحزم الشديد ، واستقام على طاعة الولى الحميد . الصراط مهول مخوف ، لا يجوزه إلا من أغاث الملهوف ، وأطاع الرحيم الرؤف الصراط صعب مهول ، لا يجوزه إلا من اتبع سنة محمد الرسول ، وأطاع ربا لا يحول ولا يزول . الصراط كثير الزبانية (٢) لا يجوزه إلا من أطاع مولاه فى الفانية ، وراقب الله فى السر والعلانية .

ذكر فى بعض الاخبار أنه لا يجوز الصراط العبد والأمة إلا من بعد نشر الدواوين ، ووضع الموازين *

الموازين يوم القيامة

ذكر أن لكل إنسان ميزانا يوزن به عمله فمن عمل عملاً سيئاً خفت ميزانه وهوى فى النار وقد قيل : إن الميزان هو منصوب بين يدي عرش الرحمن يوزن به أعمال العباد . وكان الحسن رضى الله عنه يقول : لكل إنسان ميزان يوزن به عمله من خير وشر ، واستدل على ذلك بقوله تعالى (ونضع الموازين القسط (٣) ليوم القيامة) الآية . وأما قوله تعالى (وأما من ثقلت موازينه ، وأما من خفت موازينه) فهو ميزان الحسنات وميزان السيئات وقوله (ثقلت وخفت) فقوله (ثملت) بقول لا إله إلا الله بالاخلاص ، و (خفت) من الحسنات بالشرك والنفاق والرياء والسمعة . لان العبد قد يقول : لا إله إلا الله على معصية ويقول لا إله إلا الله والله أكبر على أخذ مال مسلم ، فانما ذلك نفاق لان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من قال لا إله إلا الله مخلصاً رجع ميزانه ونجا من النار ودخل الجنة » فقيل يا رسول الله وما إخلاصها ؟ فقال : « أن تزحزح عما حرم الله عليكم »

(١) المنهاج : الطريق الواضح (٢) الزبانية عند العرب الشرط وأصل الزبن الدفع لانها تدفع العصاة الى النار (٣) القسط : العدل ، والحصة والنصيب أيضا

وزن الاعمال

ذكر في بعض الأخبار انه يقدم عبد يوم القيامة للحساب فيخرج له تسعة وتسعون سجلا (١) مملوءة بالسيئات فتوضع في كفة الميزان فيشتد بهم العبد وكرهه فيقول الجبار جل جلاله : لعبدى ذخيرة ادخرتها له ، فيأمر الله تبارك وتعالى أن يخرج لدرقة صغيرة فيها مكتوب ، مات فلان وهو يشهد ويقول لا إله إلا الله مخلصا *

كلمة التوحيد

فيقول الله تعالى ضعوها في ميزان عبدى فتوضع في ميزانه فتكمل الميزان بها وترجع على جميع سيئاته فعند ذلك يفرح العبد فيأمر الله تبارك وتعالى به إلى الجنة وأنشدوا :

أعددت لله حين اللقاء	أشهد أن لا إله إلا الله
أقولها للاله خالصة	يرحمى في القيامة الله
أجل يوم الحساب أنج بها	يوم العقوبة يوم بلواه
يوم يفوز التقى قائلها	ويخسر الجاحدون نعماء
فهى لدار الخلود قائمة	ومن عصى فالجحيم (٢) مأواه
من قالها للاله مخلصه	فهو الذى قد أتاه تقواه
وهو الذى فى الجنان مسكنه	الله قد خصه وأرضاه
قد فاز عبد يكون ذاكرها	بدار عدن جوار مولاه
يحظى بدار الخلود قائلها	طوبى لمن قالها وطوباه (٣)
من كان عند الممات قائلها	فاز بدنياه وأخراه

فأله الله عباد الله ارغبوا إلى مولاكم أن يشترككم على الكلمة المباركة الخفيفة فى اللسان الثقيلة فى الميزان ، المزينة للديوان ، بها يرضى الملك الرحمن ، وبها يستخط اللعين الشيطان ، وبها ينجو العبد المذنب من النيران ، وبها يصل العبد إلى نعيم الخلد والأمان .

(١) السجل : الصك وسجل عليه الحاكم أى أثبت أقواله فى الصحيفة

(٢) فى الاصل : ومن عصى ثم فالجحيم ولا يستقيم (٣) طوبى فعلى من الطيب واسم شجرة

فى الجنة *

فضل الصدقة

ذكر أن العبد إذا قدم إلى ميزانه وأخرجت سجلات سيئاته أعظم من جبال الدنيا فإذا وجدت له صدقة طيبة تصدق بها لم يرد بها إلا وجه الله تعالى ، ولم يطلب بها جزاء من مخلوق ولا رياء ولا سمعة ولا محمدة ولا شكر ، فإن تلك الصدقة توضع في الميزان بأمر الملك الخلاق فترجح على جميع سيئاته ولو كانت سيئاته مثل وزن الجبال وأنشدوا :

يا جامع المال يرجو أن يدوم له كل ما استطعت وقدم للموازن
ولأنك كالذي قد قال إذ حضرت وفاته ثلث مالي للساكين (١)

واعلموا عباد الله أن الميزان إذا نصب للعبد فهو من أعظم الأحوال يوم القيامة ، لأن العبد إذا نظر إلى الميزان انخلع فؤاده وكثرت خطوبه ، وعظمت كروبه (٢) فلا تهدي روعة العبد حتى يري أثقل ميزانه أم يخف ، فإن ثقل ميزانه فقد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا ، وإن خف ميزانه فقد خسر خسرانا مبينا ، ولقى من العذاب أمرا عظيما *

شفاعة الرسول

ذكر في الأخبار أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم إذا قدموا إلى الميزان عظمت كروبتهم ، حين أظهرت لهم قبائحهم وعيوبهم ، ووزنت أوزارهم (٣) وذنوبهم ، وضائق حيلهم ، وتغيرت أحوالهم ، فعند ذلك يأتيهم النبي الشفيع محمد صلى الله عليه وسلم ، فإذا نظر إلى أمته قد تحيروا عند الميزان دعا الله أن يثقل موازينهم ، فيأمره الله تعالى أن ينظر إلى موازين أمته فينظر صلى الله عليه وسلم إليها فترجح موازينهم من نظره ونور وجهه صلى الله عليه وسلم .

ذكر أن الميزان بيد جبريل عليه السلام وله كفتان أحدهما بالشرق والآخرى بالمغرب ، وأن الذرة (٤) والخردلة والحبة من أعمال العباد من الخير والشر لتوضع في الكفة فتميل بها

(١) لأنه في هذه الحالة لا تقبل منه الصدقة لأنه تراث الوارث واختلف الفقهاء في جواز ذلك اختلافا كثيرا . والمراد أنه تصدق بعد أن أشرف على الهلاك (٢) الكرب الغم الشديد الذي يأخذ بالنفس (٣) أوزارهم آثامهم وأثقالهم وسلاحهم (٤) الذرة أصغر النمل ، والخردلة حب صغير جدا

بقدره الله تعالى ، قاله أعلم بحقيقة ذلك . فلا يحقرن أحدكم حسنة يعملها وإن صغرت في عينه فربما ثقلت الميزان ، ولا يحقرن أحدكم سيئة يعملها وإن صغرت فربما خففت الميزان . لأن الذنب الصغير في عين محتقره يأتي يوم القيامة وهو في الميزان أعظم من الجبال الرواسي *

ما يثقل الميزان

قال الله تعالى (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا) الآية . روى أبو هريرة رضي الله عنه . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . « كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان الى الرحمن ، سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم » وقيل جاء رجل الى رسول الله فقال . يا رسول الله جئتكم تعلمني علما يدخلني الجنة وينجيني من النار . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم . « ألا أدلك (١) على كلمتين ثقيلتين في الميزان ، خفيفتين على اللسان ، ترضيان الرحمن ؟ وتسخطان الشيطان ، تقول سبحان الله والحمد لله فانهما المقربتان يقربان من الجنة ، ويبعدان من النار » فكل من زعم أن الميزان ليس هو حق ، فقد رد على الله في كتابه ، وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم في سنته *

الرأس في الخير والرأس في الشر

روى عن الحسن رضي الله عنه أنه قال . يؤتى يوم القيامة بالميزان فتوضع بين يدي الله تبارك وتعالى ثم يدعى العباد للحساب فاذا كان العبد أو الامة رأسا في الخير (٢) يدعو اليه ويأمر به دعى باسمه ، ثم يقرب من الميزان فتوزن حسناته وسيئاته ولو كانت حسنة واحدة ولو كانت سيئاته أكثر من حسناته وأثقل من جبال الدنيا ، لأن الله تبارك وتعالى إذا تقبل من العبد أو الامة حسنة واحدة غفر له جميع ذنوبه وإن كثرت ذنوبه *

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة . « يا عائشة لو قبل الله تعالى من العبد سجدة واحدة لادخله بها الجنة » فقالت يا رسول الله فاذا يصنع بأعمال العباد ؟ فقال رسول الله

(١) كذا بالاصل وفيه نظر . (٢) يريد الرأس في الخير من سن سنة خير فانتشرت وعمل الناس بها كما أن رأس الشر من سن سنة سوء فانتشرت وعمل الناس بها . وفي الحديث « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة ، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة » والسنة الطريقة والسيرة .

صلى الله عليه وسلم : « يأكلها الرياء والسمعة كما تأكل النار الحطب » وإذا كان العبد أو الأمة رأساً في الشر يأمر به ويدعو إليه دعى باسمه فقدم إلى الميزان فتوضع حسناته وسيئاته فترجح سيئاته على حسناته ولو كانت سيئاته سيئة واحدة ولو كانت حسناته أكثر وأثقل من جبال الدنيا لأن الله تعالى أحبطها ولم يتقبل منها حسنة واحدة ، ويأمر بهم ذات الشمال إلى النار . فقال أصحابه رضي الله عنهم : يا رسول الله أما كانوا مسلمين ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « كانوا يصلون كما تصلون ، ويعصون كما تصومون ، ويزكون كما تزكون ، ويقومون من الليل برهه ، ولكن كانوا إذا عرض لهم درهم حرام وثبوا عليه كالذئب فأحبط الله أعمالهم بذلك ولم يتقبل منهم حسنة واحدة ، وإذا لم يتقبل الله من العبد حسنة واحدة فأحرى أن لا يؤثر في الميزان ، لأن الحسنات لا تنفع ولا تثقل الميزان إذا لم يتقبلها الله تعالى لأنه تعالى لا يقبل إلا ما كان لوجهه خالصاً » . فالله عباد الله إذا عملتم عملاً فاختصوا الله فإِنَّ الله لا ينفحكم ولا يتقبل منكم إلا ما كان لوجهه خالصاً . وأنشدوا :

من كان يعلم أن الله بأعشه يوم الحساب لدي نشر الدواوين

فلا يرد بفعمال البر أجمعها إلا الحساب وتثقل الموازين

فقدموا عباد الله للميزان بازوم طاعة الرحمن . قدموا الموازين بطاعتكم لسلطان السلاطين إخواني وأعظم مصيبة وحسرة من خفت موازينه من الحسنات ، وأمر به إلى العذاب والعقوبات . الويل ثم الويل (١) لمن خفت موازينه من صالح الأعمال ، وغضب عليه ذو الجود والافضال ، وأمر به إلى العذاب والنكال ، وإلى السلاسل والاعلال * .

وزن أعمال العباد

يا إخواني فإذا وزنت أعمال العباد ، وخف من خف وثقل من ثقل ؛أمروا أن يمشوا إلى الصراط فيجئ كل إنسان إلى الصراط فيقحم الصراط فمن الناس من يضع عليه قدمه ، فيزل من أول قدم يضعها فيهب في النار ، ومن الناس من يمشي القليل منه ويزل في النار ، ومنهم من يجوزه كالبرق الخاطف ، ومنهم من يجوزه كالريح المهبوب ، ومنهم من يجوزه كالطير السريع في طيرانه ، ومنهم من يهرول (٢) ، ومنهم من يكون كالضعيف إذا مشى ، ومنهم من

(١) الويل : كلمة مثل ويح ، وهي كلمة عذاب . وقال عطاء بن يسار : الويل واد في جهنم لو أرسلت فيه الجبال لما عت من حره . (٢) هرول ، الهرولة ضرب من السير بين المشي والعدو

يكون كالمبطون (١) الذي يمشى على يديه ورجليه ، ومن الناس من يأتي إلى الصراط فتخرج النار فتأخذه فتهدوي به . كل هذا على قدر أعمال العباد وأنوارهم ورتبتهم ، وعلى قدر القبول من الله تبارك وتعالى بها ، وعلى قدر تنقيط الموازين وتخفيفها . فإذا أتى العبد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم إلى الصراط فمن كان من أهل الذنوب ولم يكن له عمل يجوز به على الصراط بقي متحيراً لا يقدر على الجواز . فبيناهم في شدة الفرع من هول الصراط إذ أقبل محمد صلى الله عليه وسلم .

نور الرسول على الصراط

فإذا نظر صلوات الله وسلامه عليه إليهم كساهم نور وجهه صلى الله عليه وسلم ما يجوزهم الصراط ، فيأخذ كل واحد من نور وجه المصطفى صلى الله عليه وسلم على قدر صلاته عليه في الدنيا ، فيستبق العباد في الجواز على قدر ما أخذوا من النور الذي أخذوا من نور وجه المصطفى وكلما أخذ الخلق من نور وجهه صلى الله عليه وسلم زاد الله تبارك وتعالى في النور في وجه الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم فأكثروا من الصلاة على نبيكم صلى الله عليه وسلم فان صلاتكم عليه مبلغة إليه .

فضل الصلاة على النبي

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « أتجأكم من أهوال يوم القيامة ومواطنها أكثركم على صلاة وأولاكم بشفاعتي أكثركم على صلاة » فأكثروا من الصلاة عليه يامعشر المذنبين ، فهو شفيعكم يوم الجزاء والدين ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ، وجعلنا بالصلاة عليه من الآمين من عقابه ، والفائزين برحمته من عذابه ، إنه منعم كريم . وأنشدوا :

ألا أكرم بأحمد ذي المعالي شفيع الناس في يوم السؤال

إذا مد الصراط على جحيم تصول على العباد باستطال (٢)

إذا كان النبي لنا شفيعاً سننجوا من سلاسلها الطوال

(١) المبطن : العليل البطن . ولا أدري لماذا يمشى على يديه ورجليه !!

(٢) هكذا بالأصل ولم أقف على معناها ولعله يريد باستطالة فالجأه الوزن إلى هذه

اللفظة . وقد سبق أن نهت على أن أكثر الاشعار هنا لم يراع فيها المؤلف رحمه الله دقة الوزن والمعنى بل كان يرتجلها بحسب المقام لتحلية المجالس الوعظ والانشاد .

ولو كانت خطايانا جسما تشبه بالثقال من الجبال
لجزنا في الصراط بغير حزن إلى دار الخلود مع الجلال
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يمر الناس على الصراط فالزوالون والزالات
كثير وأكثر ما تزل النساء » ذكر أن الصراط عليه زبانية ينظرون إلى وجوه العباد فمن
رأوا في وجهه نورا تركوه أن يتحول ويحوز ، ومن لم يروا في وجهه نورا كبكوه في النار ،
ولا يكون النور يومئذ إلا من العمل الصالح *

جسور جهنم

روي بعض العلماء عن التابعين وعن بعض الصحابة أنهم قالوا : إن جهنم أعادنا الله منها
عليها سبعة جسور ، هي القناطر ، ثلاثة دون الرب سبحانه وتعالى ، الرابعة الوسطى عليها الرب
جل جلاله لا أحد ولا كيف تسليما وإيمانا وتصدية *

القنطرة الاولى

والصراط أحد من السيف فيقول الله تبارك وتعالى حين يبلغون القنطرة الاولى : وقفوهم
إنهم مسئولون ، ما لكم لا تنصرون ، فيحبسون فيحاسبون على الصلاة فمن وجدت صلاته تامة
نجا من تلك القنطرة ومن لم توجد له صلاة تامة هوى في النار فينجو من نجا ويهلك من هلك

القنطرة الثانية

ثم يحبسون على القنطرة الثانية فيحاسبون على الامانة وهي امانة الخالق و امانة الخلق
وإذا أراد الله بعبده خيرا جعل الغنى في قلبه وجعله آمينا لله وأعانه على أداء الامانات التي
افترض عليه جل جلاله من الوضوء والاعتسال والصلاة والصيام والزكاة وإعطاء كل ذي
حق حقه والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والحفظ لحدود الله فذلك العبد الذي ألهمه الله
تعالى رشده ، وبصره عيوب نفسه وجعل غناه في قلبه *

تأدية الامانة وتضييعها

وإذا أراد بعبده شرا جعل فقره بين عينيه وفي قلبه وكسله عن أداء الامانات من المفترضين
الذي افترض عليه وعلى جميع عباده ، وغيب عنه رشده ، وسلط عليه الشيطان فزين له سوء عمله
وحجب اليه عيوبه ، فاذا كان العبد كذلك فلا يبالي عما قال ولا عما قيل فيه ، ولا يكون همه إلا

في دنياه وإصلاحها ولا يبالي بتلاف دينه فذلك العبد الذي قد سقط عليه مولاه وأبعدته عن أبواب الخير كلها ، وقربه من أبواب الشر كلها . قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون) *

تضييع الأمانة

ذكر في بعض الاخبار أنه يؤتي بمضييع الأمانة فيقال له أد ماضيعت فيقول : يا رب ذهبت عنى الدنيا فمن أين أوديتها ؟ فيخلق له مثلها في قعر جهنم أعادنا الله منها فيقال انزل اليها وأخرجها الى صاحبها ، فينزل العبد المسكين اليها فيرفعها على كتفه فهي أثقل من جبال الدنيا كلها ، فاذا صار الشقى المسكين إلى أعلا جهنم وقعت من كتفه الى قعر جهنم ، فيقال له انزل اليها فينزل مرة أخرى ويرفعها ، فاذا صار الى أعلا جهنم وقعت منه ، فلا يزال هذا عذابه الى ما شاء الله تعالى من ذلك . هذا كله عند جواز الصراط والله أعلم . وهذا العبد والله أعلم الذي ضيع أمانات الناس . وأنشدوا :

خرجت من الدنيا وقد خنت أهلها وصرت الى النيران بالوزر والاثم
وطالبنى الجبار بالصدق والوفا وبان لاهل الجمع ما كان من جرمى (١)
وقيل لكل الخلق هذا مضييع أمانة رب العرش والذكر والحكم

القنطرة الثالثة

ثم يحاسبون على القنطرة الثالثة وهي أدني من الرب جل جلاله - بلا تكليف ولا تحديد - فيحاسبون على صلة الرحم كيف وصلوها *

صلة الرحم

ولم قطعوها والرحم (٢) يومئذ تنادى اللهم من وصلني فصله ، ومن قطعني فاقطعه . فينجو من نجا ويهلك من هلك *

(١) الجرم والجريمة الذنب واكتساب الاثم ، وذلك أن الحساب سيكون امام جميع الخلق وهم وقوف بين يدى الجليل الرحيم ، فتظهر الفضائح وتنكشف الاستار الامن رحم ربي (٢) الرحم القرابة وصلتها التعطف على الاقربين وفي القرآن (قل لأسألكم عليه من أجر الا المودة في القربى)

القنطرة الرابعة

ثم يمشون على القنطرة الرابعة فيحاسبون على بر الوالدين فينجون من نجا ويهلك من هلك وهو السؤال العظيم لان الله تعالى قد قرن شكر الوالدين فقال جل اسمه وعز وجهه (أن اشكر لى ولوالديك الى المصير) فالله تعالى يقول فى بعض كتبه المنزلة *

شكر الوالدين

أرض والدك فان رضائي فى رضا الوالدين وسخطى فى سخط الوالدين ، فلو أن عبدا جاء يوم القيامة بعمل ألف صديق وكان عاقبا لوالديه ما نظر الله تبارك وتعالى فى شىء من عمله وكان مصيره الى النار وما من عبد مسلم أو أمة مسلمة ضحك فى وجه والديه أو أحدهما الا غفر الله له ما كان منه من الذنوب والخطايا وكان مصيره الى الجنة . وأنشدوا :
والدان الى شكر الاله وصول (١) والوالدان الى دار السلام سبيل
صل والدك ولا تقطع حباهما ليجزينك فى دار البقاء جميل

القنطرة الخامسة

ثم يحسبون على القنطرة الخامسة فيحاسبون على حفظ اللسان من الغيبة والنميمة وشهادة الزور فينجون من حفظ لسانه ويهلك من سرح لسانه بما لا يعنيه لانه ليس من جوارح العبد أشد ذنبا من اللسان ، لان كلمة يتكلم بها العبد أو الامة تكون سببا لدخول النار *

ترك الغيبة والنميمة

وقد كان بعض الخائفين إذا أصبح أخذ لوحا ودواة وجعلهما بجواره فاذا تكلم كلمة كتبها فى اللوح ويقول لنفسه: هكذا أثبتت عليك الملك بامر الملك، فاذا غربت الشمس وصلى صلاة المغرب وضع اللوح بين يديه وجعل يقرأ ويبكى ويقول فى بكائه ونحيبه وتقديره لنفسه : يا نفس كأتى بك وقد سئلت عن هذا عند جواز الصراط، يا نفس تراك بأى كلمة من هذه تدخلنى النار ؟ فلا يزال يبكي حتى لا يجد بكاء وتفرغ دموعه فيغشى عليه ، فاذا أفاق (١) وصول : أى بسب برهما ودعائهما تصل الى رضا الله تعالى ورحمته كما أنهما طريق الى الجنة وهى دار السلام . وقد أمرنا الله تعالى ببرهما فى القرآن عند قوله (فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما) الآية .

ما هو فيه أخرج اللوح وكتب ما فيه بقرطاس وهو يقول متضرعاً : يا الله عفووا ورقموا ولطفوا بعبدك ، فلم ينزل هذا دأبه حتى مات ، فرآه بعض الصالحين في المنام في حالة حسنة فسأله عما لقي من الله تعالى فقال : ما يلقي من الكريم إلا الكرم ، جعل محاسنني لنفسي في الدنيا بدلا عن الحساب في الآخرة ، وجعل دموعي التي بكيت في الدنيا أنهارا ترويني يوم العطش إلا كبر ، وتفضل الكريم على بدخول الجنة وبجواز الصراط ، وهن على بالفضيلة العظيمة والزيارة الكبرى إلى وجهه الكريم *

كلمة الشر وعذابها

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة فينزل بها في النار بعد ما بين المشرق والمغرب ، فإذا أراد الله تبارك وتعالى بعبد خيراً أعانه على حفظ لسانه وشغله بعيوب نفسه عن عيوب غيره » (١)

قيل مر رجل على رجل فسلم عليه ، فقال له الرجل الذي سلم عليه : يا أخى لو كشفت لك عن حالى ما سلمت على ! فقال له الرجل الذي سلم عليه : يا أخى لو كشفت لى عيوبك لكان فى عيوبى ما يشغلنى عن جميع عيوبك . فجلس كل منهما يبكى فى ناحية حتى بل كل واحد منهما الأرض بدموعه ثم تفرقا *

شهادة الزور

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من شهد شهادة زور على ذمى أو مسلم أو من كان من الناس ، علق بلسانه فى الدرك الأسفل من جهنم » * وفى بعض الاخبار أن شهادة الزور من أعظم الكبائر عند الله تعالى ، وشاهد الزور يعلق بلسانه بكل كلمة فى شهادة الزور ، وبكل حرف كتب فيها شهادته ألف عام على الصراط عند القنطرة الخامسة . ولو أن شاهد الزور جاء يوم القيامة بعمل سبعين نبياً ما نظر الله اليه . وكذلك صاحب الغيبة والنعيمة لا يجوز من هذا الصنف الصراط إلا أن يعفو الله أو تدركه الشفاعة . وأنشدوا :

(١) ليت كثيراً من الناس يستمعون لهذه النصيحة الذهبية ويعملون بها ، فلقد يصادفك أحدهم وأنت مشغول بأمر من أمور الخاصة فيتداخل حتى ليتغافل إلى صميم أسرارك بأسئلته المملة الطويلة ، وكلما زدته إعراضاً زادك إلحاحاً لا لفائدة تعود عليه من ذلك بل لأن نفسه جبلت على ذلك والعياذ بالله .

إذا ازدحم العباد لى يجوزوا تساقط كل جبار أثيم
 بقعر النار ليس لهم معيث ولا للعاصى يوما من حميم
 ومن يطع الآله فسوف ينجو من التعذيب فى قعر الجحيم
 إذا نصب الصراط على جحيم فيا لله من هول عظيم
 ألا يا معشر الاسلام توبوا من العصيان للرب الرحيم
 إخوانى أطيعوا الله فى السر والاعلان ، واعملوا بالسنة والقرآن ، وانركوا الاوزار
 والعصيان ، واحذروا من هول الصراط المنسوب على سموم النيران *

القنطرة السادسة

ثم يحبسون على القنطرة السادسة فيحاسبون على حفظ الجار، فينجو من حفظ جاره وأكرم
 ضيفه ، ويهلك من خان جاره ولم يكرم ضيفه .

أكرام الضيف

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم
 ضيفه » وكرامته أن يكرمه لوجه الله وتسكون ضيافته من حلال ، وأما من أنفق على ضيفه من
 حرام فإنه لا ثواب له . فما أنفق على الضيف فى الخمر أو مما لا يرضى الله تعالى به فإن ذلك
 الضيف يأتي يوم القيامة يتعلق بهذا ويلعن هذا بهذا ، ثم يأتيان إلى الصراط وكل واحد
 منهما يلوم صاحبه ويقول له لعنك الله الذى ساعدتني على الانفاق فى غير الله ، ثم يقال لهما
 جوزوا الصراط ففي أول قدم يضعان على الصراط يهويان فى النار *

البركة مع الضيف

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الضيف إذا دخل بيت المؤمن دخلت معه الف بركة
 والف رحمة ، ويكتب الله تعالى لصاحب المنزل بكل لقمة يأكلها الضيف حجة وعمرة » .
 وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « درهم ينفقه الرجل
 على ضيفه أفضل من ألف دينار ينفقهها فى سبيل الله ، ومن أكرم الضيف لوجه الله أكرمه الله
 تعالى يوم القيامة بالف كرامة وخلصه من النار وأدخله الجنة » .
 وقد جاء فى حديث عائشة رضى الله تعالى عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول لها :

« يا عائشة لا تنكفني للضيف فتعلميه (١) » وإنما أراد صلى الله عليه وسلم مداومتها على إكرام الضيف *»

وفي حديث علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« يا على إذا جاءك الضيف فاعلم أن الله تعالى قد من عليك إذ بعثه إليك ليغفر لك ذنبك بذلك *»

ينزل الضيف برزقه

وفي حديث أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيها الناس لا تكرهوا الضيف فإنه إذا نزل نزل برزقه ، وإذا رحل رحل بذنوب أهل المنزل » (٢) *
وفي حديث معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه : ما من منزل ينزل فيه ضيف إلا بعث الله تبارك وتعالى إلى ذلك المنزل قبل نزول الضيف به أربعين يوماً ملكاً على صورة طائر ينادى يا أهل المنزل فلان بن فلان ضيفكم فى يوم كذا وكذا والخلف من الله من باب كذا وكذا فتقول الملائكة الذين وكلوا بأهل الدار . وبعد الخلف ما يكون ؟ فيخرج لهم ذلك الملك كتاباً فيه مكتوب ، قد غفر الله لأهل المنزل ولو كانوا فى ألف *»

وفي حديث آخر أنه قال . ما من عبد من عباد الله المؤمنين أكرم ضيفاً لوجه الله الكريم إلا نظر الله إليهم إن كانوا جماعة ، فإن كان الضيف من أهل الجنة وكان رب المنزل من أهل النار، جعله الله تعالى من أهل الجنة بإكرامه ضيفه *»

وفي حديث آخر . إن الضيف ورب المنزل — وأرباب المنزل إن كانوا جماعة — يأتون الصراط فيأخذ كل واحد منهم بيد صاحبه فيجوز الصراط أسرع من البرق الالامع ، فإن لم يكن فيهم من له عمل يجوز به الصراط أمر الله الملك الموكل بنفقة الضيف أن يأخذ يدهم ويجوز الصراط ولو كانوا مائة ألف *»

(١) ولذلك ندب أن يقدم الإنسان للضيف ما وجد سواء أكان قليلاً أم كثيراً ، لا كما يفعله الناس الآن من الاقتراض (ليبيضوا وجوههم أمام الضيف) وليس ذلك من السنة فى شيء فغاية الجود بذل الموجود ، وعلى الضيف أن لا يقترح بل يأكل ما يجد ويشكر عليه
(٢) ليس المراد أنه يحمل ذنوبهم ، بل أن الله تعالى يغفر لهم ذنوبهم بإكرامهم للضيف

إطعام الطعام

وإطعام الطعام ينقسم على ثلاثة أوجه ، مخلوف ومساوف ومتلوف ، فالمخلوف الذي يطعم لوجه الله لا يريد به غير الله تعالى ولا يطلب به جزاء من مخلوف ، والمساوف الذي تضيقه مرة ويضيفك أخرى . والمتلوف كل ما كان إطعامه على المعاصي . والمخلوف والمساوف فيهما الأجر إلا أن المخلوف أعظم أجراً ، والمتلوف هو حسرة وندامة يوم القيامة . وأنشدوا :

يا مكرم الضيف للرحمن خالقنا عند الصراط ستلقى الخير موفوراً
أكرم ضيوفك كي ترجوا الجواز غدا على الصراط وترجو الخلد (١) مجبوراً

حفظ الجار

وأما حفظ الجار فإن العبد أو الامة يسأل عن حفظه ، فمن حفظ جاره جاز الصراط ونجا من العذاب الاليم ، وصار الى جنة الخلد ودار النعيم *
روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما آمن بالله واليوم الآخر من بات شبعان وجاره جيعان ، أو بات ريان وجاره عطشان » ومن كرامة حفظ الجار أن توقظه من الغفلات تلهمه الى الطاعات ، وتأمره باقامة الصاوات *

تعلق الجار بالجار

ذكر في بعض الاخبار أن الجار يتعلق بجاره يوم القيامة فيقول : يارب جاري هذا خاتني في الدنيا . فيقول الله تبارك وتعالى : لم خنت جارك ؟ فيقول وعزتك وجلالك ماخنته لافي مال ولا في أهل وأنت أعلم بذلك . فيقول له جاره: ما فعلت ذلك ولكن رأيتني على المعاصي فلم تزجرني عنها فيؤمر به وبصاحبه الى النار وليغفر الله لهما . وما من عبد مسلم أو أمة مسلمة حفظ جاره وأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر الا جوزه الله تبارك وتعالى على الصراط قبل العباد بخسامة عام *

(١) الخلد : دوام البقاء ، ويريد الجنة لان نعيمها دائم لانفاذ له .

الوصية بحفظ الجار

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لقد أوصاني ربي ليلة أسري بي بحفظ الجار حتى ظننت أنه سيورثه » وبعض العلماء يرى شفاعة الجار . فكل من حفظ الجيران ، فقد أطاع الرحمن ، وأسخط الشيطان ، وعمل بالسنة والقرآن . روى أن الرجل الصالح والمرأة الصالحة يشفعان يوم القيامة في سبعين من جيرانهما ويجوزانهم على الصراط . عباد الله من حفظ الجار نجا من النار ، وجاز الصراط الى دار القرار ، ومن حفظ الجار فقد عمل بالسنة والكتاب ، وأطاع الملك الوهاب ، وأسخط الشيطان اللعين الكذاب ، ومامن جار يلتقى جاره المسلم فيسلم عليه الا غفر الله لجاره ولو كان له الف جار . حفظ الجار قرينة ووسيلة ، ودرجة عند الله وفضيلة . وأنشدوا :

يا حافظ الجار ترجو أن تنال به عفو الاله وعفو الله مذخور (١)
الجار يشفع للجيران كلهم يوم الحساب وذنوب الجار مغفور

القنطرة السابعة

ثم يحبسون على القنطرة السابعة فيسألون عن الصدق ، فمن حفظ لسانه عن الكذب نجا من الصراط ونجا من النار وصار إلى الجنة مع الأبرار *

الصدق والكذب

ومن كذب فقد خالف الكتاب والسنة ، وقد حرم نعيم الجنة .

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا كذب المؤمن كذبة من غير عذر تباعد منه الملائكة مسيرة سنة من ثمن ما جاء به ، وكتب الله تبارك وتعالى عليه بكذبة ثمانين خطيئة أقلها كمن يزني بأمه » (٢)

(١) مذخور : أي رأيته عند الله ذخيرة لك يوم القيامة . ولقد حكى عن المهلب بن أبي صفرة أنه كان يتكفل بأربعين بيتا من كل جهة من بيته بالخبز والطعام والسكوة حتى لا يتكلفوا أن يصنعوا طعاما في جواره أو يوقدوا تنورا . (٢) لان ذلك من أصعب الكبائر فضلا عن استحالة عقلا .

كذبة المؤمن ثمانين خطيئة

وإذا كذب المؤمن من غير عذر يخرج من فيسه شيء متين حتى يبلغ العرش فتلعنه حملة العرش ويلعنه ثمانون ألف ملك ، ويكتب عليه ثمانون خطيئة أقلها مثل جبل أحد . (١) الكذب بفاق ، والكذب من الكبار ، وإذا استحل العبد الكذب فقد استحل المحارم كلها وإذا لم يستحل العبد الكذب لم يقدر أن يباشر شيئاً من محارم الله ، وإن الصادق إذا جاء الصراط سبقه نور وجهه مسيرة مائة عام - يعني على الصراط - ومن صدق عمل بكتاب الله واتبع سنة رسول الله والصادق أسرع جوازا على الصراط وأسرع الناس دخولا الجنة . والكاذب في أول إقدام يضعها على الصراط يهوى في النار ، فلا ينجو من الجسر السابع - وهو أضعبها - إلا من صدق ويهلك من كذب جعلنا الله وإياكم برحمته ممن صدق فنجا وأنشدوا:

أصدق يريك (٢) الله العرش جنته يوم المعاد ولا تولع بتكذيب

إن الصدوق لدى الرحمن منزله دار الخلود بلا موت وتعذيب

يوم الجزاء على متن الصراط إلى دار النعيم بلا حزن وتكذيب (٣)

ذكر في بعض الاخبار أن الصادق يحوز على الصراط وهو لا يشعر به ولا يهوله فأن الله عباد الله كونوا من الصادقين ، ولا تكونوا من الكاذبين ، وتأسوا بخاتم النبيين وسيد المرسلين ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين *

نجاه الصادقين

ذكر في بعض الاخبار أن الناس الذين ينجون من الصراط وهو له يحبسون بقنطرة بين الجنة والنار ، يتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا ، حتى إذا نقوا وهذبوا أذن لهم بدخول الجنة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «والذي نفسي بيده إن أحدهم مسكنه في الجنة أدل منه لمسكنه الذي كان في الدنيا » يالها من كرامة ، ويالها من نعمة ، ويالها من منة ، ويالها من فرحة . فقدموا عباد الله في اليسير من الاوقات ، والقليل من الساعات ، ما يحوزكم الصراط ، وبقيةكم الآفات .

(١) جبل بالمدينة كانت عنده واقعة أحد الشهيرة (٢) في الاصل: بربك وهو خطأ كما ترى

(٣) في الاصل : وتبكيك . وهو تحريف لان الايات بائية بالباء الموحدة .

الصراط على متن جهنم محدود ، لا يتجوزه الا من خاف من أهوال اليوم الموعود ، وأطاع الملك المعبود ، الغفور الودود * .

الصلاة تجوز على الصراط

ذكر في بعض الاخبار أن من صام ثلاثة أيام من كل شهر وقام في ليلة من لياليها يصلي عشر ركعات يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد ثلاث مرات ، فإذا فرغ من صلاته صلى على محمد صلى الله عليه وسلم عشر مرات ثم يقول : سبحان من كان ولا مكان ، سبحان الموجود بكل حين وأوان ، سبحان المعبود في كل أوان ، سبحان المسيح بكل لسان ، سبحان المنجي من الهلكات ، سبحان خالق الارضين والسموات ، جوزة الله تبارك وتعالى على الصراط أسرع من البرق الخاطف ، ولا يؤذيه حر النار ويمضي الى الجنة مع أول زمرة من الصحابة والتابعين ، ويشفعه الله تعالى في سبعين من أهله وجيرانه . وهي أفضل ما يصام من الشهر وهي يوم ثلاثة عشر وأربعة عشر وخمسة عشر *

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يمر الناس على الصراط فالزالون (١) والزالات كثير وأما ما يزل النساء ، وجبريل عليه السلام أخذ بحجرتي (٢) إذا عصفت الريح بأمتي فصاحوا يا محمداه فلولاً أن جبريل عليه السلام أخذ بحجرتي لاغتت أمتي ، فيبادرون جوازا فلا يجوزهم ظالم ، فيقتلون متحيرين ثم يتداركهم الله برحمته وبفضل دعائهم فيقول جوزوا على الصراط بعفوى فيجوزوا » اللهم اغفر لنا جميعاً برحمتك . وأنشدوا :

لو علم الخلق ما يراد بهم	وأما مورد غد يردوا
ما استعذبوا لذة الحياة ولا	طاب لهم عيش إذا رقدوا
خوفا من العرض والصراط على	نار تلظى وحسرها يقدر
والناس في هول موقف عسر	قد عاينوا هوله الذي وعدوا
يا لك من موقف يفوز به	قوم هم للجنات قد وفدوا
مع النبي اصطفاه خالقنا	صل عليه المهيمن الصمد (٣)

(١) في الأصل ؛ فالزابلون والزابلات ، وهو خطأ لأن زل يزل زللاً فهو زال يقال زل في الطين وزل في منطقته أي أخطأ (٢) حجرة الازار معقده وحجرة السراويل محل التسكة (٣) الصمد السيد لأنه يصمد اليه في الحوائج أي يقصد

عباد الله اشتروا أنفسكم من مولاكم باليسير من الاعمال ، وبالقليل من الافعال ، وبالطيب من الاقوال ، من قبل حبسكم على الصراط لشدة الاهوال ، يوم لا يبع فيه ولا خلال ، بين يدي الكبير المتعال *

كيفية الجواز على الصراط

ذكر في بعض الاخبار أن الناس ينقسمون في جواز الصراط سبعة أقسام ، فيجوز أول قسم من الرجال والنساء كطرفة عين ، والقسم الثاني كالبرق الخاطف ، والقسم الثالث كالريح العاصف ، والقسم الرابع كالطير المجد ، والقسم الخامس كالخيل في جريها ، والقسم السادس كالماشى ، والقسم السابع كالمهرول *

أقسام الناجين على الصراط

فاما القسم الاول فهم أصحاب الصدقات وقوام الليل والعلماء يقده ونهم ، والقسم الثاني هم الذين استقاموا على أداء الفرائض ولم يفرطوا فيها وأدوها في أوقاتها ، والقسم الثالث هم الذين أدوا الزكاة ولزموا صحبة العلماء وأحبوهم ، والقسم الرابع هم الذين وصلوا أرحامهم وطلبوا بصلتها رضاء مولاهم . روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أوصى عند موته بصلة الرحم ، وما من عبد وصل رحمه بنفسه أو ماله إلا جعله الله تعالى يوم القيامة على الصراط كالذي يمشى في رياض الجنة ، ولا يرى من أهوال الصراط شيئاً ، ويدخل الجنة مع أول زمرة تجوز الصراط وأنوارهم تسعى بين أيديهم وبأيامانهم *

والقسم الخامس هم الذين غضوا أبصارهم عن محارم الله ، وصانوا فروجهم عن الفواحش ، وحفظوا أزواجهم عما لا يحل لهن ، وحججوهن ولاطفوهن ورفقوا بهن كما قال صلى الله عليه وسلم (١) *

(١) وفي هذا رد على من قال بأن المرأة الشرقية كانت مستعبدة من الازل ، فقد أمرت الشريعة الاسلامية في غير ما موضع باكرامها واعزازها وأباح لها التصرف بما لها وتجارها وسواها بالرجل في كثير من الامور . هذا في الوقت الذي كانت فيه المرأة الاوربية تحسب كالمحتاج في المنزل

حديث في العناية بالنساء

« النساء ودائع الاحرار ، ولا يعزهن إلا عزيز ، ولا يذهن إلا ذليل ، والدليل عند الله في النار » وكذلك المرأة إذا عزت زوجها وأطاعته فيما يرضى الله تعالى .
والقسم السادس هم الذين تجنبوا الربا والحرام ، وتجنبوا الخيانة في المكيال والميزان .
وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل مال خالطه الربا فهو زاد صاحبه إلى النار » *

آكل الربا

وقد ذكر أن آكل الربا يأتي الصراط فيجعل الله تبارك وتعالى كل درهم وكل حبة وكل ثوب وكل لقمة وكل شيء أكل أو اكتسبت يده من الربا ثعبانا من نار يخطفه من على الصراط ويهوى به في قعر جهنم مع اليهود ، ومن تاب تاب الله عليه وغفر له ما جنى ،
والقسم السابع هم الذين بروا الوالدين وبروا الأزواج وبروا الجيران وبروا
الاخوان ولزموا المساجد وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، وحفظوا حدود الله ولم تأخذهم
في اللهومة لأثم وعملوا بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . وأنشدوا :

أنظمت بالنجاة وكيف تنجو ولست على نجاتك بالحريص
ولو في نيلها أعملت حرصا لنلت الفوز بالثمن الرخيص
ولكني أراك تريد عزاً وحالك حال ممتن نقيص
وليس لمن تعرض للمعاصي هديت عن الضلالة من محيص

المتصدقين سرا وعلانية

يا أحبائي إذا جاز الناس الصراط وجدوا خلقا كثيرا نساء ورجالا قد سبقوهم إلى الجنة فيقولون من هؤلاء الذين سبقونا ؟ فنقول لهم الملائكة : هؤلاء الرجال الذين تصدقوا في السر ابتغاء وجه الله ، وتصدقوا في العلانية ليحببوا الصدقة إلى عباد الله ، هؤلاء الذين فرجوا عن المكروبين . وهؤلاء النسوة (١) اللواتي أطعن أزواجهن ، وحفظن فروجهن ، وحفظن

(١) في الاصل : النسوة الذين ترون لأزواجهن وحفظن فروجهن الخ .

أُستثنى عن أذى الزوج وعن أذى الجيران، وتصدقن في السر والاعلان، تسبق هذه الزمرة (١) جميع الناس إلى الصراط وجوازه بخمسمائة عام. ومن كان من إخوانهم من أهل الذنوب جازوا في شفاعتهم، فإذا جازت أول زمرة من الأولين السابقين، وزمرة المتأخرين يبقى رجل واحد فيضع قدمه الواحدة فتزل فيبقى بالقدم الأخرى، فيركب الصراط على بطنه والنار تصيبه على قدر ذنوبه *

آخر من يبقى على الصراط

فلا يزال يحبو ويتدرج ويبكى ويتضرع إلى الله تعالى حتى يجوز، فإذا جاز ونجا رد رأسه ونظر إلى الصراط وأهواله وأهوال أهل النار وعواء (٢) أهل النار فيقول: سبحان الذي خلصني منك ونجاني من أهوال النار. فبينما هو ينظر إلى الصراط ويقول هذا القول يبعث الله تعالى إليه بلطفه ملكا من ملائكته فيأتيه فيأخذ بيده ويقول له: قم يا عبد الله فينطلق إلى غدير (٣) من ماء على باب الجنة فيقول له الملك اغتسل من هذا الماء واشرب منه، فيغتسل العبد ويشرب كما أمره الملك فيعود كالقمر الطالع ليلة التمام، وتعود رائحته كرائحة أهل الجنة ولونه كالوان أهل الجنة، ثم ينطلق به إلى قرب جهنم فيقول له قف هاهنا حتى يأتيك اذن من ربك، فينظر إلى أهل النار ويسمع عواءهم كعواء الكلب يستغيثون من شدة العذاب، فإذا سمع العبد أهل النار وما هم فيه بكى وقال: يارب اصرف وجهي عن أهل النار حتى لا أنظر إليهم ولا أسمع صوتهم ولا أسألك غير هذا، فيأتيه ذلك الملك من عند رب العالمين فيحول وجهه عن أهل النار إلى أهل الجنة، فينظر إلى ناحية أهل الجنة فيري بينه وبين باب الجنة روضة خضراء مارأى أحدهم مثلها، ثم ينظر إلى باب الجنة وجماله وعرضه مسيرة أربعين يوما للطير المسرع والله اعلم من أي الأعوام، يقول يارب قد أحسنت إلى الإحسان كله جوزتني الصراط وأنجيتني من النار وأدبتني من باب الجنة هذه الروضة أسألك أن تبلغني إليها ولا أسألك غير ذلك فيأتيه ذلك الملك فيقول له يا ابن آدم ما كذبك ألسنت قد عزمت أنك لاتسأل غير هذا المقام، فيأخذ بيده وينطلق به للروضة فيدخله فيها.

(١) الزمرة: الجماعة والزمر الجماعات (٢) عواء أهل النار صياحهم. والعواء صياح الكلب والذئب وابن آوى. (٣) الغدير: القطعة من الماء يغادرها السيل أي يتركها.

باب الجنة

فينظر الى باب الجنة والى بهجة تلك القصور وأطرافها من الجندل (١) الاخضر ، وحصباؤها من الياقوت ، الاحمر فيستشيق نسيم طيب الكافور والمسك ويسمع حسن تغريد الاطيار وخير تلك الانهار وما لا تصفه السنة الواصفين ولا يخطر ببال المتفكرين ، فاذا سمع العبد ذلك كله استخفه الطرب فيقول : يا مولاي لقد أنعمت على نعماء أكمل النعم جوزتني الصراط وأنجيتني من النار وصرفت وجهي عن أهل النار حتى لا أراهم ، ولكن أسألك يا سيدي ومولاي أن تدخلني الجنة فأجعل هذا الباب بيني وبين أهل النار حتى لا أسمع حسيسهم (٢) ولا أري عذابهم ؟ فيأتيه ذلك الملك فيقول له يا ابن آدم ما أكذبك ألسنت قد زعمت أنك لا تسأل غير ما قد سألت ، فيقول وعزتك يا رب لا سألتك غيره . فيأخذ الملك بيده فيدخله الباب فينظر العبد عن يمينه وعن شماله مسيرة سنة ، فلا يري إلا الشجر المثمر مارأى قط مثلها ولا خطر على قلب آدمي ولا جن ، فينظر إلى أدنى شجرة فيرى عندها روضة فيها شجرة أصلها ذهب وأغصانها فضة وورقها حلي مارأى مثلها قط آدمي ولا جن ولا خطر على قلب بشر ، وثمرها ألين من الزبد وأحلا من العسل ، فيقول العبد يا رب لقد أنعمت على عبدك وتفضلت نجيتني من النار وأدخلتني الجنة وأعطينتني وأرضيتني ، وإنما بيني وبين هذه الروضة قليل فبلغني إليها فوعزتك لا سألتك غيرها . فيأتيه ذلك الملك فيقول له : يا ابن آدم ما أكذبك ألسنت قد زعمت أنك لا تسأل غير ما سألت ؟ يا ابن آدم أين ما أقسمت به أما تستحي من الله ؟ *

منازل الجنة

فيأخذ بيده فينطلق به إلى أدنى منزل من منازلها فاذا هو بقصر من لؤلؤة بيضاء بين يديه فلا يملك نفسه حين ينظر إليه ، فيقول يا رب أسألك هذا المنزل ولا أسألك غيره . فيأتيه الملك من عند الله سبحانه فيقول له يا ابن آدم ما أكذبك ألسنت أنك قد زعمت أنك لا تسأل غير ما أنت فيه ؟ فينظر بين يديه فاذا بمنزل كأنما المنزل الاول والثاني وجميع ما خلق (٣) ورآه حلم

(١) الجندل : الحجارة الكبيرة والحصاء هي الحصى الصغير (٢) الحسيس الصوت الخفي ومنه قوله تعالى (لا يسمعون حسيسها) (٣) كذا بالاصل ولعله : وجميع ما خلقه بتشديد اللام ي تركه وراه من المناظر العجيبة

فيسأله فيعطى فلا يزال كذلك حتى يعطى مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فلو نزل في أدنى قصر من قصوره الجن والانس لكان عنده من الكراسي ما يجلسون ويتكئون عليها، ولكان عنده من الموائد ما يفضل عنهم، ولكان عندهم من الطعام والشراب ما يأكلون، وإذا أكلوا وشربوا لم ينقص من الطعام والشراب إلا بقدر ما أصاب رجل واحد (وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) وأنشدوا:

مقام المتقين غدا جليل يطيب لهم مع الحور (١) المقيم
وأنوار عليهم مشرقات إذا ناداهم الملك الجليل

فائدة للجواز على الصراط

ذكر في بعض الاخبار أن العبد أو الأمة إذا ذكر الصراط وهوله وصعوبته ورقته وطوله وبعد مسافته، ثم بكى ثم قام فصلى عشر ركعات يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة، وقل هو الله أحد ثلاث مرات، ويسلم عن كل ركعتين، فاذا فرغ من العشر ركعات صلى على النبي صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم مائة مرة ثم قال: سبحان الله من خلق ما شاء وقضى بما شاء والحمد لله على كل شيء ثلاث مرات، ثم يقول: اللهم جوزني الصراط ونجني من هوله الله لا إله إلا أنت لا شريك لك وصلى الله على سيدنا محمد وآله. فمن صلى هذه الصلاة وقال هذا القول جوزه الله تبارك وتعالى الصراط وهو لا يشعر به ولا يهوله مع أول زمرة تمر إلى الجنة. فاغتصموا رحمكم الله هذا الثواب، وتحصنوا به من أليم العذاب، يا أولى العقول والالباب (٢) لأن الصراط حاد رقيق، وطريقه أبعد الطريق ياله من طريق، ما يعين على جوازه أخ ولا صديق، ألا عمل صامح ورب رفيق.

واعلموا وفقنا الله وإياكم أن العمر يذهب، والدنيا تفنى وتخرب، والنفس تموت والمرد إلى الحى الذى لا يموت. فاستعدوا بكثرة الانوار، وبالصلاة وفعل الخير فى الليل والنهار، وبالطاعة للنبي السيد المختار، وبالعامل بكتاب الملك الواحد القهار، وأبكوا على هول الصراط المنسوب على متن النار، يسره الله لنا وهونه علينا آمين رب العالمين إنه قريب مجيب.

(١) الحور جمع حوراء وهي التي اشتد بياض عينيها واشتد سوادها (٢) اللب العقل أيضا

شفاعة الناس بعضهم لبعض

ذكر أن العبد إذا جاوز الصراط وخلص ذكر في ذلك الموقف أباه وإبنائه وإخوانه وسيرانه فعند ذلك يسأل الصديق في صديقه، والوالد في ولده، والجار في جاره، والرجل في زوجته، والمرأة في زوجها، والامام في جماعته التي كان يصلي بها، فيشفع كل واحد منهم على قدر عمله ومنزلته عند ربه

روى قتادة عن الحسن البصري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له بعض أهله يا رسول الله هل يفكر الرجل يوم القيامة في حميمه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاثة مواطن لا يذكر فيها أحد أحدا، عند الميزان حتى ينظر أثقل ميزانه أم يخف، وعند الصراط حتى ينظر أيسره أم يأخذ الصحيفة أم بشماله» فهذه ثلاثة مواطن لا يذكر فيها أحد حميمه ولا صديقه ولا حبيب له ولا قريبه ولا بنيه ولا والديه وذلك قول الله تبارك وتعالى (لكل امرئ يومئذ شأن يغنيه) هو مشغول بنفسه عن غيره من شدة الأهوال العظام أسأل الله أن يسهلها لنا برحمته، ويهونها علينا بمنه ولطفه . وأنشدوا:

بكيت على هول الصراط وذكره وهول زفير النار من أعظم الذكر
وكيف يطيق الصبر من كان عاصيا الخالق كل الخلق في السر والظهر
ومن يك ذا خوف شديد لهوله فان له أمنا من الهول في الحشر
فليس لمن يبكي لهول صراطه جزاء سوى دار النعيم مع الفخر
فياله من هول فظيع يجوزه رجال أطاعوا الله في سالف العمر

عباد الله تفكروا في هول الصراط الرقيق البعيد، وأشفقوا من الهول العظيم الشديد، وأطيعوا الجبار الولي الحميد.

لا تقبل صلاة شارب الخمر

ذكر أن شارب الخمر إذا أتوا على الصراط تخطفهم الـ بانية فتهمي بهم الى عين الخبال، وهي قبح أهل النار، فيسقون بكل كأس شربوا من الخمر في الدنيا شربة من الخبال لو أن تلك الشربة تصب من السماء السابعة لاحتسرت السموات والأرضين بمن فيهن ومن عليهن . والأصل في شارب الخمر أنه يخطف من على الصراط لأنه ليس في وجهه نور لان النور لا يكون الا من العمل الصالح وشارب الخمر ليس له عمل صالح، والأصل فيه أن الاعمال كلها لا تقبل إلا من صلى،

لأن الصلاة هي رأس الأعمال، وشارب الخمر لا تقبل منه صلاة مادام مصراً على شرب الخمر فإذا لم تقبل منه صلاة فلا يقبل منه سائر عمله، فيأتي إلى الصراط ووجهه أسود، وقد عهد إلى الزبانية الذين على الصراط أن لا يتركوا أن يجوز إلا من له نور ومن ليس له نور أن يكبوه في النار إلا من تاب وترك الخمر ورجع إلى الله تعالى

التوبة من الخمر وثوابها

يا إخواني اعلموا أن شارب الخمر إذا تاب وترك الخمر لوجه الله تعالى كان يوم القيامة أفضل وأكثر نوراً على الصراط وأسرع جوازاً ممن لم يشربها (١) فالله الله يامعشر المذنبين، توبوا إلى مولايكم أسرع الحاسبين، يغفر لكم ذنوبكم أجمعين.

فضل المؤذنين

ذكر في بعض الاخبار أن المؤذنين إذا أتوا إلى الصراط يجدون نجائب من نور مسرجة بسرج الياقوت والزبرجد فيركبونها فتطير بهم على الصراط، ويشفع كل واحد منهم عند جواز الصراط في أربعين الفا كلمهم قد استوجبوا النار، ويجوز في نور المؤذن الف رجل وألف امرأة وفي حديث آخر: أن المؤذن إذا جاء إلى الصراط سبقه نور الآذان ونور لاله إلا الله ونور محمد رسول الله ونور الدعاء الذي يدعو الناس إلى توحيد الله تبارك وتعالى، فيجوز الصراط في نور المؤذن أربعون الفا ممن ليس لهم نور وهم أهل الذنوب والخطايا (٢)

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما من عبد مسلم حان عليه وقت الصلاة في أرض قفر أو موضع ليس فيه جماعة، فقام فأذن ثم أقام فصلى إلا وأم من جنود الأرض ما لا يحصى عددهم إلا الله تبارك وتعالى، ويكتب الله له بعددهم حسنات، ويمحو بعددهم سيئات، ويرفع له بعددهم في الجنة درجات، لودخل في أدنى درجة من درجاته الجن والانس لو سعتهم، ولكان فيها من الفرش والاسرة والموائد والطعام والشراب والخدم ما يفضل عنهم

(١) يريد بذلك أنه من انقطع عن هذه العادة السيئة خشية من الله تعالى فقد بذل من المجهود ما لم يبذله من لم يشربها، لأن عادة شرب الخمر إذا تمكنت من انسان صار الاقلاع عنها صعباً جداً، ويلحق بالخمر جميع ما يشبهها (٢) لأن المؤذن غالباً إذا أذن ابتغاء مرضاة الله وذكر عباده بأوقات الصلاة وأقامها وصلاها وواظب على ذلك انقطعت علائق نفسه السيئة عن ملاذ الدنيا، ووجد اللذة كل اللذة في ما هو بصدد.

وإن لم يؤذن واقتصر على الإقامة وحدها لم يصل خلفه إلا ملكاه اللذان يكتبان عمله « وفي حديث آخر » إذا أذن العبد المسلم في فلاة من الأرض ثم أقام فصلى جعل الله تبارك وتعالى خلفه سبع صفوف من الملائكة المقربين ، أحد طرفي الصف بالشرق والآخر بالمغرب ، فإذا فرغ من صلاته ودعا آمنوا على دعائه ويكتب الله تبارك وتعالى له بعددهم حسنات ، ويمحو عنه جل وعلا بعددهم سيئات ، ويرفع له تعالى بعددهم درجات ، كل درجة أعظم من الدنيا سبعون ألف مرة ، فيها من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . فإذا جاء يوم القيامة إلى الصراط جاء معه أصحابه من الملائكة الذين صالوا خلفه كل ملك منهم معه نور من نور الجنة فيأخذون بيده وبأيدي أهله وبأيدي إخوانه الذين صحبوه وأحبوه في الله فيفترقون عليهم من تلك الأنوار ويجوزونهم الصراط في شفاعته ويمضون معه إلى الجنة ولا يرون من هول الصراط ولا من حره ولا صعوبته شيئاً » *

فضل العلماء

ذكر في بعض الأخبار أن العلماء إذا أتوا إلى الصراط تكون وجوههم كالشمس الضاحية وأنوارهم بين أيديهم ويبد كل عالم منهم لواء من نور الجنة يضيء له مسيرة خمسمائة عام، وتحت لواء العالم كل من اقتدى بعلمه وكل (١) من أحبه في الله و مناد ينادي هؤلاء أحباء الله ، هؤلاء أولياء الله ، هؤلاء الذين خلفوا الأنبياء ، هؤلاء الذين علموا عباد الله ، هؤلاء الذين دعوا إلى الله ، هؤلاء الذين حفظوا حدود الله ، هؤلاء مصاييح الدجى ، هؤلاء أئمة الهدى . فإذا دنوا من الصراط يوضع على رأس كل واحد منهم تاج من نور الجنة لو وضع ذلك التاج في السماء السابعة العليا لخرق نوره إلى الأرض السابعة السفلى ، ويكسى كل واحد منهم حلة من حلل الجنة لو نشرت تلك الحلة بين السماء والأرض لغطي نورها نور الشمس ، ولمات الخلائق كلهم عشقا إلى رؤيتها ، ولماتت الأرض والبحار من رائحة المسك ، وينزل على رأس كل واحد منهم غمامة من نور تقيه من حر شرر جهنم ومن حر الشمس . وأنشدوا :

يا طالب العلم ترجو أن تنال به عفو الاله وعفو الله موجود

أطلب بعلمك وجه الله خالقنا إن الصراط على الزيران ممدود

عفو الاله لأهل العلم نائلهم وعفوه عند أهل الجهل مفقود

فأحرص هديت على التعليم مجتهدا وأنت عند اله العرش محمود

(١) في الأصل : وكان : وهو تحريفه وفي الخبر : المرء مع من أحب .

فاعمل بعلم رسول الله سيدنا وأنت بين عباد الله مسعود
واعلموا أن الله تبارك وتعالى لا يقبل عملاً بلا علم . قال الله تبارك وتعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء) فالعلماء قد أثبت لهم العجبار الخشية والتقى . قال الله تعالى (إنما يتقبل الله من المتقين) ومن لا يعلم لا يتقى ، وكيف يتقى من لا يدري ما يتقى (١) . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية ، وطلبه عبادة ، ومدارسته تسبيح ، والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة ، به يعرف الله ويعبد ، وبه يحمد الله ويوحد » هو إمام العمل والعمل تابعه ، يرفع الله بالعلم أقواماً فيجعلهم للخير قادة وأئمة يقتدى بهم وينتهى إلى رأيهم . فقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن العبادة لا تكون إلا بالعلم لقوله صلى الله عليه وسلم « به يعرف الله ويعبد » ويستوفى ذكر فضل العلم في قول الله تبارك وتعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء) (٢) والمقصود في هذا الموضع ذكر الصراط والجواز عليه .

فضل حملة القرآن

ذكر في بعض الاخبار أن حملة القرآن يحشرون يوم القيامة على كثران من مسك أسود وأنوار وجوههم تغشى بالآبصار فاذا أتوا إلى الصراط تلقىهم الملائكة الذين وكلوا بحملة القرآن فتأخذ بأيديهم وتضع التيجان على رؤسهم والحلل على أجسامهم وتقرب إليهم خيل من نور الجنة عابها سرج من المسك الازفر والعنبر الأشهب ألجمها من اللؤلؤ والياقوت يركبونها فتطير بهم على الصراط ويجوز في شفاعته كل واحد مائة ألف ممن قد استوجب النار ، ومناد ينادى : هؤلاء أحباب الله ، هؤلاء أولياء الله الذين قرءوا كتاب الله وعملوا به فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . وهم أهل الله وهم أحباب الله من أحبهم في الدنيا أحبه الله ، فجاوزوا الصراط وخلفوه بلا هول ولا هم ولا حزن ولا غم . وهذا إذا عملوا بالقرآن ، ووقفوا عند أوامره ونواهيه وأحلوا حلاله وحرموا حرامه وآمنوا بحكمه ووقفوا عند متشابهه ، وسارعوا إليه (أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون ، أولئك الذين هدى الله فبهم أقبله) أولئك أولياء الله الصالحون ، أولئك الذين رضى الله عنهم ووقفهم ومداهم وآتاهم تقواهم

(١) في الاصل : من لا يتقى (٢) لانه لا خفاء في كون العلماء أعرف بالله تعالى وقدرته من غيرهم لما امتلأت به صدورهم من خشيته ولما شاهدوه من بدائع قدرته وحكيم صنعته ، وأنه سبحانه الفعال في كل صغيرة وكبيرة ، وهذه المعرفة هي ثمرة كل العلوم وخلاصتها وزبدتها .

من لم يعمل بالقرآن

وأما حامل القرآن إذا لم يعمل به فإنه يأتي إلى الصراط فستقبله الزبانية بمقامع الحديد وأراذب النار وتسود وجوههم على قدر ما ضيعوا من العلم، فمن تعلم علما للتجبر والمباهمة أو الرياء أو السمعة ولم يرد به وجه الله تعالى وطلب عليه الرشا والبراطيل، وكتمه ولم ينصح به عباد الله، وطلب به الرياسة وصحبة الماوك، ومشى به إلى أبواب أبناء الدنيا وإلى دور الظلمة وأهل الجور وحكم به بغير العدل ألجم بلجام من نار جهنم وكان عمله عليه حجة وغمة ومحنة وحسرة وندامة وظلمة على الصراط. ثم يكون العلم للعامل نورا وفرحة وسرورا وجنة وجورا ينظر المغرور المسكين إلى وفود العلماء وزمر الأولياء وألويتهم على رؤسهم مفشورة، وقلوبهم ميا بشروا به من الفوز بالجنة مسرورة وأنوارهم تسعى بين أيديهم وبأيمانهم، والملائكة تنادى ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون، وأنت في ظلمك حيران، أيقنت بالحلول في سموم النيران، إلا أن يتداركك بعفو الملك الديان. وقد أخذ الملك بيدك وهوى نادى عليك ولجام النار في فك لو كان ذلك اللجام في الدنيا لاحرقها من مشرقها إلى مغربها وينادى عليك هذا الذى ضيع حدود الله، هذا الذى خالف أوامره، هذا الذى بدل عهد الله، وخالف كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وآثر حب الدنيا على ما عنده هو لا.

يامسكين أخذت على العلم أجرة وبرطिला (١)، واشتريت به ثمنا قليلا، ولم تراقب مولى كريما جليلا وتركت وراءك يوما هائلا ثقيلا، وخسرت يامغرور ملكا كبيرا دائما جزيلا.

فسقة حملة القرآن

ذكر في بعض الاخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الزبانية أسرع إلى فسقة حملة القرآن منهم إلى عبدة الاوثان والنيران، فيقولون ويبدأ بنا قبل عبدة الاوثان والنيران؟ فتقول لهم الملائكة ليس من يعلم كمن لا يعلم» وفي حديث آخر «إن الملائكة الذين جعلهم الله على الصراط إذا نظروا إلى حملة القرآن الفساق أخذوهم وزجوا في أقفيتهم وألقوهم

(١) ليس المراد هنا أن يأخذ المدرس على التدريس جعلا يعيش به، وإنما المراد من جعل العلم وسيلة لكسب السحت من المال بأن أعان به ظالما، أو مدح به جبارا غاشيا.

في جهنم أو يعف الله تعالى عنهم . اللهم اعف عنا وعن جميع إخواننا المسلمين ، واجعل القرآن حجة لنا ولا تجعله حجة علينا يا أرحم الراحمين . وأنشدوا :

عظمت مصيبة حامل القرآن إن كان ملجأه إلى النيران
فهو الجزاء لمن عصى رب العلا دار العذاب وموقف الحسran
عظمت خسارته وجل مصابه عند الصراط بظلمة وهوان
يا رب عفوا عن قبيح فعالنا أنت الدليل لجنسة الرضوان

فاتقوا الله معشر أهل القرآن في كتابه ، واشفقوا من أليم عذابه ، واعملوا بالقرآن وارغبوا في جزيل ثوابه ، لان القرآن هو لكم وهو عليكم إن لم تعملوا به ويل وثبور (فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور) *

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « عرضت على الذنوب كلها فلم أر فيها ذنبا أعظم من ذنب حامل القرآن وتاركه » ومعنى تاركه تارك العمل به ، العمل مع قلة العلم أفضل من كثرة العلم وقلة العمل . *

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يسأل حامل القرآن عما يسأل عنه الانبياء » وإذا غضب حامل القرآن يقول له القرآن أما تستحي أنا معك وأنت تغضب ، اقتد بي تنجو وأكرمني بالطاعة أكرمك وانجيك من الالهوال وأجوزك الصراط وأدخلك الجنة *

ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما من شفيع أفضل منزلة عند الله من القرآن نبي ولا ملك ولا غيره » فانا لله وإنا اليه راجعون على من لا يعمل بالسنة والقرآن كيف اختار النار على الجنان ، وعصى مولاه وأطاع الشيطان ، لقد ضل ضاللا بعيدا ، وتبوا عذابا شديدا . وبقي من الخير فريدا وحيدا . فيا لها من مصيبة ما أعظمها ، ومن حسرة ما أدومها *

ما خلف الصراط

روى الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خلف الصراط جسر عليه الامانة ، وجسر عليه الرب جل جلاله ، وجسر عليه الرحمة » فيأيتها السامع لما جاء من أحاديث الصفات والآثار المشكلات ، سلم الامور لباريها ، واترك تأويلها إن كنت تاليها وقاريها ، وعليك بخويصة نفسك ، واعمل ليوم رمسك (١) وذلك الجسر عليه السؤال ، ذلك الوقت يقول الله جل جلاله وتقدست أسماؤه ، عبدى عملت كذا في يوم كذا ؟ فيقول العبد نعم يارب فلا يزال الرب جل جلاله يعرف العبد والعبد يعترف ويقول نعم حتى يقول العبد : لا رسالك بي الى النار أهون على من هذا التوبيخ . فيقول له جل وتعالى يا عبدى بعينى إذا كنت عملت ذلك وكنت عليك شهيدا وملائسكتى وارضى ، ولكن سترت عليك بحلمى وجودى ، يا عبدى أنا سترتها في الدنيا عليك وأنا أغفرها اليوم لك . غفر الله لنا أجمعين ، وأمانتنا برحمته مسلمين تائبين على السنة والجماعة على شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم *

٥- مجلس في قوله سبحانه وتعالى وتقدست أسماؤه

وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم (٢)

هؤلاء الذين ذكرهم المولى جل جلاله بقوله (وعلى الاعراف رجال) هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فحبسوا على الاعراف ، والاعراف هى مواضع مرتفعة على الصراط لأن الصراط سبع قناطر وهى الجسور بعضها أصعب من بعض ، وبعضها أشد سؤالا من بعض ، وبعضها أكثر ارتفاعا من بعض ، وعند كل جسر يسأل العبد فيها عن عبادته التى افترضها الله عليه في الدنيا . فنسأل الله التوفيق في الدنيا والتسهيل في الآخرة في تلك المقامات .

(١) الرمس تراب القبر ورمس الميت دفنه . (٢) قيل إن الاعراف سرريين الجنة والنار وسمى أعرافا لمعرفة العباد أحوالهم عنده ففهم شقى وسعيد

سؤال العباد يوم القيامة

فأول ما يسأل عنه العبد الصلاة ، ثم الزكاة ، ثم الصيام ، ثم الحج ، ثم الأمانة ، ثم بر الوالدين ، ثم حفظ اللسان ، ثم حفظ الجار ، ثم صلة الرحم ، وكذلك جميع ما أمر الله عز وجل به وجميع ما نهى عنه ، فكل من جاء إلى جسر من جسور الصراط سئل عن عبادته فإن أجابها جاز وصار إلى الجنة ونور الايمان يسعى بين يديه وعن يمينه وعن شماله ، وإن لم يأت بها نقص نوره وهو نور الايمان لأن الايمان يزيد وينقص ، يزيد بطاعة الله وينقص بمعصية الله ، فكل من نقص ثوابه بالمعصية نقص نوره على الصراط . فمن أراد مولاه أن يعذبه أتم له النور في بعض جسور الصراط وطفأ النور عنه في بعضه (١) والصراط أسود مظلم من شدة سواد جهنم ، لو أن قطرة من ظلمة الصراط وضعت في الدنيا لأظلم مشرق الدنيا ومغربها ولما تخلق من شدة الظلمة ، وإنما حبس الله تعالى هؤلاء القوم على أعراف الصراط ليبين لأهل الجنة والملائكة والجن والانس ولجميع ما خلق الله تبارك وتعالى فضل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، لويظهر فخره وجاهه وقدره وحرمة عند ربنا جل جلاله وذلك أن الله تبارك وتعالى يأمر العباد بمضون على الصراط والصراط منصوب على متن جهنم ، وتأتي الخلائق إلى الصراط المؤمنون والكافرون ، فأما المؤمنون فيمضون وأنوارهم تسعي بين أيديهم وبأيامانهم أي عن أيامانهم

ظلمات الكفر والمعصية

وأما الكافرون فانهم يمضون في ظلمات الكفر وظلمات أعمالهم التي عملوا في حال الكفر في دار الدنيا فإذا أتوا إلى الصراط فأول قدم يضعونها على الصراط يهرون (٢) في النار فتخطفهم الملائكة بالكلايب فتلقيهم في قعر جهنم ، فإذا مضى المؤمنون بنورهم مضى المنافقون في آثارهم يتبعونهم وينادونهم أنظرونا نقتبس من نوركم فنمشي في ضوئكم ، فيقال أرجعوا وراءكم فالتمسوا نورا . وهو قوله تعالى (إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم) وذلك أنهم كانوا في الدنيا إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وأظهروا لهم الايمان باللسان واعتقدوا الكفر بقلوبهم ، والله تعالى يعامل العباد على عقائد قلوبهم ، والمنافقون كانوا يتربصون بالمؤمنين الدوائر ، فإذا كانوا على الصراط على آثار المؤمنين ليمشوا في نورهم قالوا للمؤمنين انظرونا نقتبس

(١) لقطة : في بعضه لم توجد بالأصل وزدتها للسياق . (٢) يهرون يسقطون إلى أسفل

من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا ، فيظنون أن وراءهم نورا يلتمسونه فيرجعون وراءهم فيرفع لهم سرداب (١) فيظنون أن في السرداب نورا يجوزهم على الصراط فيقتحم بهم إلى أبواب جهنم ، فاذا رأى المؤمنون المنافقين قد تساقطوا وتهاقوا في النار فرعوا مما حل بالمنافقين ، فعند ذلك يقال لهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار ، وهذا العذاب الذي فرعتم منه هو للمنافقين الذين عصوا الله ورسوله وجحدوا بآيات الله وخالفوا كتابه ، فعند ذلك يضرب بينهم بسور له باب *

السور الحاجز بين الجنة والنار

والسور هو الحائط له باب إلى الجنة وهو حائط بين الجنة والنار ، باطن ذلك الحائط فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب — يعني جهنم — والباطن فيه الرحمة — يعني الجنة — فاذا رأى المنافقون المؤمنين لم يرجعوا (٢) عليهم ولم يلتفتوا إليهم ، ورأوهم في حال السلامة والفوز . فيقول لهم المنافقون ألم تكن معكم في الدنيا على التوحيد وكنا نصلي معكم ؟ فيقول لهم المؤمنون . بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم — أي عذبتهم — وأحرقتم أنفسكم بالنار بخلافكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقولكم بألسنتكم ما ليس في قلوبكم ، وتكذبيكم ببقاء الله تبارك وتعالى ، وكذبتهم بهذا اليوم وتربصتم برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين الدوائر ، وغررتم لأمانتي حتى جاء أمراؤه ، وغررتم بالله الغرور فيما فعلتم برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين ، فالיום لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا — يعني لا يؤخذ من كافر ولا منافق فداء *

صفة المنافق

فالكافر هو الذي كفر في السر والاعلان ، والمنافق الذي كفر في السر وآمن في الاعلان وآمن بلسانه وكفر بقلبه ، وقوله مأواكم النار ، أي مرجعكم اليها ومستقركم فيها ، هذا كله غرور الشيطان بكم حتى جاءكم الموت و متم على النفاق ، فاذا رجعوا وراءهم ليلتمسوا النور (٣) رأوا سرداباً (٤) فيدخلون ذلك السرداب ويظنون أن النور فيه فيه جهنم بهم على أبواب جهنم فتخطفهم الملائكة بالكلايب فتقذفهم في جهنم حتى يجاوزون الباب الاول من جهنم ، ثم (١) في الأصل فيرفع لهم شراب وهو خطأ (٢) يرجعون : يرتقون ، وعرج في السلم ارتقى (٣) في الأصل : النار . وهو خطأ (٤) في الأصل : رأوا شراباً وهو خطأ وقد سبق في الأصل شراباً وصحتها لان ذلك هو الذي يقتضيه سياق الكلام

يلقون في الباب الثاني حتى يجاوزوه ، فلا يزالون من باب إلى باب حتى ينتهوا إلى الدرك الاسفل من النار فينتهي بهم إلى حجب (٩) يقال له حجب الحزن في ذلك الحجب بشر يقال لها الهيب فيها توايت من نار وعليها أقفال من نار .

بشر الهيب

على تلك البئر صخرة من كبريت في تلك البئر باب إذا رفعت تلك الصخرة استغاثت نيران جهنم من تلك النار التي تخرج منها ، فتأكل تلك النار التي تخرج من تلك البئر نيران جهنم وما فيها أسرع من طرفة العين ، فيؤتى بالمنافقين فيلقون في تلك البئر وتوضع عليهم تلك الصخرة فلا يخرجون منها أبدا ، كلما أكلت تلك النار لحومهم جلد الله لهم لحوماً غيرها ، فلا يخرجون من تلك البئر أبدا ، فذلك قوله عز وجل : (إن المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا) وقوله (إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم) يعني بقوله ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا . وأما المؤمنون الذين استوت حسناتهم وسيئاتهم فانهم يمشون على الصراط وأنوارهم تسعى بين أيديهم وبأيمانهم حتى إذا كانوا على جسر الصراط ، وهو أعلا الجسور من الصراط وهي الاعراف ، وهي المواضع المرتفعة واحدها عرف ، وتسمى النشز من الارض وهو الموضع المرتفع عرفا ، ومنها عرف الديك .

أهل الاعراف

فاذا صار على تلك المواضع من الصراط نقص نورهم وبقوا على أطراف أنامل أرجلهم ورأوا أن ذلك ظلمة ، وذلك أن الخلق على الصراط على قدر أعمالهم في الدنيا ، فمن الناس من يكون له من النور ما يضيء على الصراط مسيرة مائة عام ، ومنهم من يعطى من النور ما يضيء له مسيرة سنة ، وما يضيء مسيرة شهر ، ومسيرة جمعة ، ومسيرة يوم ، ومسيرة ساعة ، ومن الناس من يعطى من النور ما يضيء له موضع قدميه . على قدر منازلهم عند الله تبارك وتعالى وعلى قدر أعمالهم في الدنيا ، فيستبقون في الجواز على قدر أنوارهم التي معهم فمن كان له نور كثير جاز في السعة ، ومن كان له نور قليل جاز في الضيق ، على قدر ما أعطى الله لكل عبد ، فاذا ثبت أصحاب الاعراف على أنامل أرجلهم في ذلك ولا ينظرون إلى موضع أقدامهم من شدة الظلمة ، والظلمة هي من شدة سواد جهنم أعاذنا الله وإياكم منها وسهل لجميعنا

شدائدها وظلماتها ، وثبت على الصراط أقدامنا بمنه وفضله . والصراط أحد من السيف وأرق من الشجرة وآخر من البحر ، عليه من الحسك (١) والكلاليب أكثر من عدد الانس والجن قد تعلق بكل كlob من الزبانية عدد نجوم السماء إذا تكلم واحد منهم تناثر النار من فيه ، لو أن واحدا منهم بصق في البحار الزاخرة لجففها ، وإذا تكلم واحد منهم فزع صاحبه منه ، ولو سمع أهل الدنيا صوت واحد يتكلم بالكلام لمات كل من فيها من إنسها وجننها وجميع ما خلق الله تبارك وتعالى فيها من برها وبحرها من فظاعة كلامه ، ومن شدة صوته . وإذا صاح مالك (٢) خازن جهنم على خزنة جهنم يغشى عليهم من شدة صوته ، والصراط مع دقته ورقته يضطرب كما تضطرب السفينة بأهلها إذا كانت الريح عاصفة ، فإذا ثبت القوم على أناملهم من أرجلهم ولا يستطيعون الجواز وهم ينظرون الى أهل النار كيف يعذبون في النار ، قال الله تعالى : (وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجمعنا مع القوم الظالمين) وهم يستغيثون ويتضرعون الى مولاهم جل جلاله ويسألونه النجاة من النار ومن هول ما هم فيه من صعوبة الصراط ، فيمكنون كذلك ما شاء الله تبارك وتعالى مغموين مكروبين محزونين لا يدرون أينجون أم يهلكون !! مع كل إنسان منهم حافظا للذان كانا يكتبان عليه عمله في الدنيا ، فبينما هم كذلك إذ يلقي الله تبارك وتعالى ذكرهم في قلوب إخوانهم من أهل الجنة وعلى ألسنتهم ، فيقول بعضهم لبعض ياليت شعرنا ما فعل إخواننا من أهل الاعراف ؟ فيقولون مالنا علم بما صنعوا ولسكننا سؤال الحفظة ومن معهم حتى يخبرونا ما فعلوا فينادون من قصورهم يامعشر الملائكة الذين مع أصحاب الاعراف ما فعل إخواننا من أصحاب الاعراف ؟

شفاعة أهل الجنة في أصحاب الاعراف

فيقول الملائكة : يامعشر أهل الجنة أصحاب الاعراف لم يدخلوها وهم يطعمون بدخولها قد قل نورهم وطفئ سراجهم وبقوا على أطراف أناملهم وأرجلهم وهم وقوف ينتظرون رحمة ربهم فذلك قوله تعالى : (ونادوا أصحاب الجنة) يعني نادى الملائكة أصحاب الجنة (أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطعمون)

(١) الحسك : الشوك مثل حسك السعدان ، والحسك ما يعمل من الحديد على مثاله للحرب (٢) مالك هو الملك الموكل بالنار ، وجميع الكتب مملوءة بوصف شدته وغلاظته .

حياء آدم

فعند ذلك يلبس أهل الجنة الحلى والحلل ويضعون التيجان على رؤسهم ثم يمشون بأجمعهم حتى يأتوا آدم (١) عليه الصلاة والسلام وهو في قصره فينادون بأجمعهم يا أبانا أنت الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك كرام ملائكته وأسكنك جنته ، إن ناساً من ولدك محبوسون على الصراط قل نورهم وطفئ سراجهم فاشفع لهم عند ديان يوم الدين فيقول آدم عليه السلام : لست هنالك أنا الذي عصيت ربي وأكلت من الشجرة فغفر لي وأنا أستحي أن أسأله بعد المغفرة شيئاً ولكن عليكم بابني نوح الذي حمله الله في الفلك *

حياء نوح

فيأتون نوحاً عليه السلام فينادون بأجمعهم يا نوح فيشرف عليهم من قصره فينظر إلى جماعتهم فيقول لهم نوح : يا أهل الجنة ما الذي أزعجكم من منازلكم وما الذي جاء بكم ؟ فيقولون له يا نوح أنت الذي حملك الله في الفلك إن ناساً محبوسون على الصراط قل نورهم وطفئ سراجهم فاشفع لهم عند ديان يوم الدين ، فيقول لهم نوح لست هنالك أنا الذي خاطبت ربي فيما ليس لي به علم فغفر لي وأنا أستحي أن أسأله بعد المغفرة شيئاً ، ولكن عليكم بإبراهيم الذي اتخذته الله خليلاً ، وجعل النار عليه برداً وسلاماً ، فيأتون إبراهيم عليه السلام وهو في قصره فينادون بأجمعهم يا إبراهيم أنت الذي اتخذك الله خليلاً إن ناساً محبوسون على الصراط قل نورهم وطفئ سراجهم فاشفع لهم عند ديان يوم الدين ، فيقول لهم لست هنالك ، أنا الذي كذبت كذبتين - وقيل ثلاث - فغفر لي وأنا أستحي أن أسأله بعد المغفرة شيئاً ولكن عليكم بموسى بن عمران كليم الله ونبيه .

حياء موسى

فيأتون موسى عليه السلام فينادونه فيشرف عليهم فيقولون له يا موسى أنت الذي كلمك الله بغير ترجمان وأنزل عليك التوراة وضرب لك طريقاً يبساً في الأرض وأراك العجائب من (١) يتأمل المطالع هذه القصة التي أبدع فيها المؤلف أي إبداعاً وعمل فيها الخيال الغريب حتى أنها لتؤلف وحدها رواية خيالية بديعة منسقة التركيب وتلك طريقة معروفة عند القصاص في الترغيب والترهيب لا يخلو منها كتاب .

قدرته ، إن ناساً من إخواننا محبوسون على الصراط قل نورهم وطفئ سراجهم فاشفع لهم عند ديان يوم الدين ، فيقول لهم موسى : لست هنالك أنا الذي وكزت الرجل فقتلته فغفر لي وأنا أستحي أن أسأله بعد المغفرة شيئاً ولكن عليكم بعيسى ابن مريم العذراء البتول (١) البكر

حياء عيسى

فيأتون عيسى وهو صلى الله عليه وسلم في قصره فينادونه بأجمعهم يا عيسى ، فيشرف عليهم من قصره فيقول لهم يا أهل الجنة ما الذي أزعجكم من منازلكم ، وما الذي جاء بكم ؟ فيقولون له يا عيسى أنت الذي خلقتك الله من غير بشر وأنت الذي جعلك الله آية للناس ، وأنت ابن الطاهرة البكر العذراء البتول ، إن ناساً محبوسون على الصراط قل نورهم وطفئ سراجهم فاشفع لهم عند ديان يوم الدين ، فيقول لست هنالك أنا الذي زعمت النصارى أنني قلت لهم اتخذوني وأمي الهين من دون الله فأستحي منه أن أسأله شيئاً ولكن عليكم بالذي كان آخر المرسلين وهو اليوم أولهم ، عليكم به فهو إمام المتقين ، وسيد العالمين ، وخاتم النبيين ، محمد صلى الله عليه وسلم *

شفاعة محمد

فيأتون النبي صلى الله عليه وسلم وهو في قصره خير قصور الجنة ، فيقفون (٢) حول القصر والقصر قد أشرف (٣) نوره وبهجه على جميع قصور أهل الجنة ، فينادون بأجمعهم يا محمد يا أبا القاسم يا أحمد يا سيد العالمين يا إمام المتقين يا خاتم النبيين ، فيشرف عليهم صلى الله عليه وسلم من قصره والنور من وجهه قد أشرق على قصور الجنة كلها ، فيقول لهم صلوات الله وسلامه عليه : ما الذي أزعجكم من منازلكم وما الذي جاء بكم ؟ فيقولون له أنت الذي جعلك الله خاتم النبيين وسيد العالمين وإمام المتقين ، إن ناساً من أمتك على الصراط محبوسون قل نورهم وطفئ سراجهم فاشفع لهم عند ديان يوم الدين *

دخوله الجنة عدن

فيقول النبي صلى الله عليه وسلم أنا لها ، فيلبس صلوات الله وسلامه عليه الحلى والحلل

(١) البتول من النساء العذراء المنقطعة من الأزواج الدائمة للعبادة (٢) في الاصل : فيقولون حول القصر وهو خطأ (٣) لأنها قد أشرق نوره بالقاف

ويضع على رأسه (التاج) (١) صاوات الله وسلامه عليه ، ويتبعه أهل الجنة حتى ينتهي إلى باب الجنة عدن فيستفتح فيقال من هذا ؟ قال صلى الله عليه وسلم فأقول أنا أحمد فيفتح لي ، فإذا خلف السراق (٢) ملك يتلألاً نور فيقولني ما أرى منه فيؤنسي ويمسحني فيقول يا أحمد أنت عبد وأنا عبد مثلك ، ثم أمضي فانتهي إلى سرادق ثان فاستفتح فيقال من هذا ؟ فأقول أنا أحمد فيفتح لي ، فإذا خلف السراق ملك عظيم أعظم خلقاً وأشد نورا من الذي رأيت فيقولني ما رأيت من عظمه ، فيؤنسي ويمسحني ويقول يا أحمد أنت عبد وأنا عبد مثلك فلا أزال أمشي في عظم الملائكة وبعضهم أشد نورا من بعض حتى أنتهي إلى السراق السابع فاستفتح فيقال من هذا ؟ فأقول أنا أحمد فيفتح لي فإذا خلف السراق جبريل عليه الصلاة والسلام فيقول مرحباً بهذا الصوت لقد كنت إليه مشتاقاً فأمضي حتى أنتهي إلى الحجب فترفع الحجب فيستجلي لي رب العالمين جل جلاله وعظمت قدرته فإذا نظرت إليه خررت له ساجداً فأحمده بتحميد ما حمده بمثله ملك من حملة العرش ولا من حملة الكرسي ولا نبي مرسل حينئذ في ذلك المكان ، حتى يقول الكروبيون والروحانيون وأصحاب السراقات ، إن هذا لأهل أن يشفعه الله فيمن يشفع

سجوده بين يدي الله تعالى

فيقول الجبار جل جلاله وعظمت قدرته يا أحمد ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأرفع رأسي من السجود فإذا نظرت إلى ربي جل جلاله خررت ساجداً وأحمده وأثني عليه بمثل ما حمده به في المرة الأولى ، فأفعل ذلك ثلاث مرات وربى جل جلاله يقول لي في كل مرة ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع ، فأقول يا رب إن ناساً من أمتي محبوسون على الصراط قل نورهم وطفئ سراجهم فأتم لهم نورهم وأضي سراجهم وهم الذين يقولون عند ذلك (ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير) حتى تمضي كما مضى إخواننا إلى الجنة ، فيبعث الله تبارك وتعالى الملائكة فيأتون بالنور من الجنة عدن ، ثم يغمسون غمسا فيحيي الله نورهم ويضي سراجهم ، ثم تقبل الملائكة على أهل جهنم

(١) لفظة التاج ساقطة من الأصل (٢) السراق واحد السراقات التي تمد فوق صحن الدار وكل بيت من قطن فهو سرادق مثل الخيم التي تصنع الآن في احتفالات الأفراح والمآتم

فيقولون لهم (أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمته ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون) وذلك أن أهل جهنم لما نظروا إلى أصحاب الأعراف محبوسين على الصراط قال بعضهم لبعض : والله ما حبسوا هؤلاء إلا ليدخلوا معنا في جهنم ، فمن أجل ذلك قالت لهم الملائكة (أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمته) ثم تقبل الملائكة على أصحاب الأعراف .

جاء المصطفى العظيم

فيقولون لهم (ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون) أى لا تحزنون ولا تموتون في الجنة أبداً ، فيمضون والنور الذي جاءتهم به الملائكة في جنة عدن يسعى بين أيديهم وبأيمنهم حتى يجوزوا الصراط ويدخلوا الجنة ويلحقوا بمنزلهم وإخوانهم ونبيهم محمد صلى الله عليه وسلم ، وإنما حبسهم العجبار جل جلاله وعظمت قدرته ليظهر جاه محمد صلى الله عليه وسلم وفضله وحرمة ودرجته ومنزله ومكانه عند الله تبارك وتعالى من الشفاعة صلى الله عليه وسلم صلاة تشرف بها عقباه ، وتبلغه بها من الشفاعة العظمى رضاه آمين يارب العالمين صلاة دائمة منتهى الآباد طيبة باقية بلا انقطاع ولا نفاد ، صلاة تنجينها من حرجهم وبؤس المصير ، وتدخلنا الجنة مع صحابته الأبرار الطيبين آمين يارب العالمين *

- ٦ - مجلس في قوله تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها

(وفي حساب الملائكة والرسل واللوح المحفوظ)

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « تقف للعرض الأكبر بين يدي رب العالمين فيغرقون (١) على قدر أعمالهم »

وروي عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة يا بنى آدم انصتوا فطالما نصبت لكم وفي رواية أخرى فقد نصت لكم من يوم خلقتكم إلى يومكم هذا أسمع قولكم وأنظر أعمالكم ، فانظروا اليوم أعمالكم تعرض عليكم فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه ، احشروا على عبادي فوعزتي وجلالي لا يجوزني ظلم ظالم . فكيف بك يا مسكين يا مغرور يا تارك الحق والصواب ، يا مخالف للسنة والكتاب ، يا ظالماً لنفسه يا غافلاً عن الحساب يا من بذل نفسه لأليم العذاب ، يا من تمادى في معصية رب الأرباب ، ونسي الجنة وحسن المآب . وأنشدوا :

(١) كذا بالأصل ولعلهم يغرقون في عرقهم كما جاء في كثير من الأخبار

الى كم لا تفيق من التصابي وهذا العمر يؤذن بالذهاب
ويرضى بالقليل المرء حظا ويزهد في الكثير من الثواب
فقد ما غرت الدنيا أناساً كما غر المحين (١) بالشراب
تمنيهم غرورا باطلاات وتخدعهم بآمال كذاب
كانك لا تري في كل يوم جنائز تستحث الى الخراب
خلقت من التراب وعن قريب ستلحق - غير شك - بالتراب
وتحي بعد موتك كي تجازي بما قدمت في يوم الحساب
فان تك بالمسيء بقبيح فعل فحسبك بالعقاب مع العذاب
وإن كنت الذي قدمت خيرا جزيت به غداً حسن المآب

تبكيت الله تعالى للجبابرة

ذكر في بعض الاخبار أن الجبار جل جلاله إذا اجتمع الاولون والآخرون في عرصة القيامة نادى سبحانه وتعالى ، أين الجبابرة وأبناء الجبابرة ؟ أين الملوك وأبناء الملوك قصمت (٢) الجبابرة بسطاني ، وأفنت الملوك بعظمتي »

ذكر في الخبر أن الجبابرة يحشرون يوم القيامة على صور الذر أصغر الخلائق خلقة لتجبرهم على العباد ، والجبابرة هم الذين تجبروا على الخلق وعن اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقيل الجبابرة هم الذين جبروا المساكين والضعفاء على ما لم يطيقوا وهذا الاسم قد اشترك فيه الخالق والمخلوق ، فالخالق جل جلاله هو جبار على الحقيقة .

تفسير الجبار

وتفسير الجبار في حق الله تعالى الذي جبر عباده على ما أراد ، وقيل الذي يجبر عن ظلم العباد إن الله تعالى جل اسمه لا ينسب اليه الظلم لان حد الظلم وضع الشيء في غير موضعه ، لان الدنيا والآخرة ملك الله تعالى ، والجبار من العباد هو الظالم الذي يضع الشيء في غير موضعه ، يأخذ ما ليس له بحق ويرده الى ما قد ملكه الله تبارك وتعالى ، وإذا قضى الله تعالى

(١) كذا وردت بالاصل ، ولعلها : كما غر المحبين السراب أي الوعود الخادعة وعلى الجملة

ليس ذلك بكبير خطر . (٢) قصصهم : كسرهم .

على عبده بقضاء فهو له خيرة . لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يكمل للمؤمن إيمانه حتى يرى أن الذي قضاه الله عليه أوله خير له من الذي أراد لنفسه » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « في قضاء الله تعالى خيرة إلا قضاء النار » (١) وإذا قضى الله تبارك وتعالى على عبده بالنار فهو عبده وهو خلقه لم يعنه أحد على خلقه ولا على رزقه ، وهو يفعل ما يريد لا شريك له في ملكه . ثم ينادي الجليل جل جلاله (يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون) فإذا سمع الخلق هذا النداء رفعوا رؤوسهم وطمعوا كلهم في هذا النداء وقالوا كلهم نحن عباد الله ، ثم ينادي ثانية (الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين) فعند ذلك ينكس رأسه كل من لم يكن مسلماً ، فتبقى أهل الأديان متحيرين ويفرح المسلمون ، ثم ينادي ثالثة (الذين آمنوا وكانوا يتقون) أي كانوا يتقون الكبائر — فينكس أهل الكبائر من أهل التوحيد رؤوسهم ويرفع رؤوسهم سائر أهل التوحيد للذين اجتنبوا الكبائر وتابوا عنها توبة نصوحاً * فكيف بك يا مغرور يا مسكين قد ارتكبت الكبائر والصغائر ، وعصيت مولاك في الخفيات والظواهر ، وأيقنت أنك مسئول يوم تبلى السرائر ، ولأق من العقوبة على ذلك الحظ الجزيل الوافر . وأنشدوا :

عصيت الله ألوان المعاصي كأنني لست أوقن بالقصاص
فألى لا أنوح على ذنوبي وأبكي يوم يؤخذ بالنواصي

نصيحة

فانظر لنفسك يا مسكين يا ضعيف الإيمان واليقين، قبل حلول الندم ، وزوال النعم ، ونزول النقم ، حيث لا ينفع الندم . فاستعد للسؤال ، وتنبأ للجدال ، قال الله الكبير المتعال (يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفي كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون) *

السائق والشهيد

فإذا سمع العباد النداء وعلم كل عبد وأمة منزلته من جميع أهل الأديان ، نشرت الدواوين ووضعت الموازين ، وجرى بالنبيين ، ونصبت المنابر بالأنبياء والرسل فيجلس كل نبي على منبره وأمته قد أهدقت به ، ونصبت الكراسي للصادقين والشهداء (وجاءت كل نفس معها

(١) أي كل ما يقضى به تعالى خير إلا قضاؤه بالنار فهو بحسب ما يصيب العبد ليس فيه خير له البتة وإن كان عدل عقابه *

سائق وشهيد) سائق يسوقها وشاهد يشهد عليها ، فالناس يتقسمون في السياقة على قسمين ؛ قسم تسوقه الملائكة ببر وإكرام ، ورق (١) وإجلال ، وأقمنهم وتهدي روعاتهم كلها نظر العبد الي من يعذب أو ينكل يقول له سائقه من الملائكة : يا عبد الله ما أنت مثل هذا ، هذا عصي الله وأنت أطعته . والقسم الثاني يساقون بالانتهاز والسطوة والاغلاظ ، يسوقه سائقه وهو يروعه ويقول له يا عدو الله هذا الحساب سوف تدرى ، كلما نظر المسكين الي من يعذب أو ينكل (٢) قال له سائقه : الساعة تكون أنت مثل هذا ، هذا عصي الله وأنت عصيته ، أما علمت يا عدو الله أن الحساب والحشر أمامك ؟ وأنشدوا :

كأنى بنفسى قد بلغت مدى عمرى وأنكرت ما قد كنت أعرف من دهرى
وطالبنى من لا أقوم بدفعه وحولت من دارى الى ظلمة القبر
وفاز بميراثى أناس فشتتوا بافسادهم ما كنت أجمع من أمري
وأغفلني من كان يبدى محبتي فأخلصه ودى ويفمره برى
فلم يسخ لي منهم صديق بدعوة إذا ما جري يوما بحضرته ذكرى
وأضحى لىبقى ساكن مبهج به وفى اللحد يلقى لا أقوم الى الحشر
فيا شقوتى إن لم يجد بنجاته الهى ولم يجبر برحمته فقرى
فقد أثقلت ظهري ذنوب لو أنها على ظهر طور (٣) أنقذته من الوزر
فما أعظم مصيبتكم ، وما أطول حسرتكم إن لم يعف عنكم مولاكم وجعل النار مأواكم ، فاعتنموا التجارة فى دار الفناء والذهب ، يجازيكم بها مولاكم عند مناقشة الحساب ، فالحساب عظيم عسير ، والهلول والله جليل كبير ، والناقد ميم بصير ، واليوم عبوس قطير *
اللوحة المحفوظ

ذكر عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : إذا جمع الله تبارك وتعالى الاولين والآخرين فى صعيد واحد ونشرت الدواوين ، ونصبت الموازين ، وأحضرت الانبياء بأعماها ، وحضر الصديقون والشهداء ، وحشرو وحوش الارض ، وهوامها وطيورها وأنعامها ، وسكان جبالها وبحارها .

(١) كذا بالاصل والصحيح رقة . (٢) النكل : يوزن الطفل القيد ، ونكل به جعله عبرة لغيره (٣) الطور : الجبل العظيم

فينادي من قبل العرش أين اللوح المحفوظ ؟ (١) فيؤتى باللوح المحفوظ فيوقف بين يدي الجبار جل جلاله خاضعاً ذليلاً ، فيقول له تبارك وتعالى ما صنعت بالوحي الذي أنزلت فيك ؟ واللوح من درة بيضاء ، صفحته من ياقوتة حمراء ، عرضه كما بين السماء والأرض ينظر الله تبارك وتعالى فيه في كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة ، فيخلق في كل نظرة ، ويحيى ويميت ويعز ويذل ، ويرفع أقواماً ويفعل بهم الخير ويوقعهم بفضله ، ويخفض أقواماً ويصدّهم عن مناجى الهدي بعده ، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون يوم القيامة لأنهم ماقدروا الله حق قدره ولا عبدوه حق عبادته ، لأنه جل جلاله أجل وأعظم من أن يوفى في العبادة والطاعة والمعرفة حقه ، ما قدر على هذا نبي مرسل ولا ملك مقرب . فسبحان من لا سبيل إلى معرفته إلا باله جز عن معرفته . قال فيقف اللوح بين يدي الجبار جل جلاله وعظمت قدرته فيقول له أيها اللوح المحفوظ ما صنعت بالذي أنزلته فيك ؟ فيقول اللوح المحفوظ سيدي ومولاي بلغته عبدك ميكائيل *

رسالة ميكائيل

فينادي أين ميكائيل فيؤتى به صلى الله عليه وسلم وهو ملك عظيم له ستة عشر ألف جناح لو نشر منها جناحاً واحداً في الدنيا لما وسعته ، فيقف بين يدي الله تبارك وتعالى خاضعاً ذليلاً قد بلغت نفسه إلى حنجرته فلا هي تدخل ولا هي تخرج خوفاً وجزعاً وهيبة من الجبار جل جلاله ، فيقول الله له ما صنعت بالوحي الذي بلغ إليك اللوح المحفوظ ، وهل تشهد له بالتبليغ ؟ وأنا أعلم بذلك منك ولكن سبق في علمي أني أسأل اليوم عبادي وجميع خلقي واستشهد بعضهم على بعض ، فيقول ميكائيل : يارب بلغني اللوح المحفوظ وبلغته عبدك إسرافيل . وأنت أعلم *

رسالة إسرافيل

فيرأ اللوح المحفوظ بشهادة ميكائيل له ، ثم ينادي أين إسرافيل ؟ فيؤتى به صلى الله عليه وسلم وهو ملك عظيم له جناح بالشرق وجناح بالمغرب ورجلاه تحت تخوم الأرض السابعة (١) أنظر رعاك الله إلى هذه الرواية العجيبة وما فيها من دليل على الخيال السامي عند المؤلف فقد ركبها تركيباً محكماً استخلص منه إلى عظيم جاه المصطفى ومنزله العالية عند الله تعالى وتقديعه على سائر الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

السفلى والعرش على رأسه فيقف بين يدى الله تبارك وتعالى وجل مع عظم خلقه خاضعا ذليلا قد ذهبت نفسه وتغير لونه، وارتعدت فرائضه واضطربت أوصاله واصططكت ركبتاه، وقد بلغت نفسه إلى خلقه فلا هى تدخل ولا هى تخرج خوفا وجزعا وهيبة من الله تبارك وتعالى . فيقول له الجبار جل جلاله: ما صنعت بالوحى الذى بلغك ميكائيل ، وهل بلغك وهل تشهد له بالتبليغ ؟ وأنا علام الغيوب . فيقول إسرأفيل عليه السلام نعم ياسيدى ومولاى قد بلغنى وأنت أعلم وقد بلغته عبدك جبريل (عليه السلام) ، فيبرأ ميكائيل بشهادة إسرأفيل عليهما السلام ۞

رسالة جبريل

ثم ينادى أين جبريل ؟ فيؤتى بجبريل صلى الله عليه وسلم وقد تغير لونه وتبلبل لبه وارتعدت فرائضه واضطربت أوصاله واصططكت ركبتاه ، وقد بلغت نفسه إلى خلقه فلا هى تدخل ولا هى تخرج جزعا وخوفا من الجبار جل جلاله ، فيقول الله تبارك وتعالى : يا جبريل ما صنعت بالوحى الذى بلغك عبدى إسرأفيل وهل تشهد له بالتبليغ ؟ فيقول جبريل عليه السلام نعم يا سيدى ومولاى بلغنى وبلغته نبيك نوحا (١) عليه السلام وأنت أعلم . فيبرأ إسرأفيل بشهادة جبريل ۞

شهادة نوح

فيؤتى بنوح عليه السلام حتى يوقف بين يدى الجبار جل جلاله وقد ذهبت نفسه وتغير لونه وقد مات فزعا وخوفا من الجبار جل جلاله، فيقول الجبار جل جلاله: يا نوح ما صنعت بالوحى الذى بلغك عبدى جبريل (عليه السلام) وهل تشهد له بالتبليغ ؟ فيقول عليه الصلاة والسلام نعم ياسيدى ومولاى قد بلغنى عبدك جبريل (عليه السلام) وقد بلغته قومى وأنت أعلم من جميع عبادك بذلك . فيقول الله تبارك وتعالى: صدقت أنا أعلم من جميع خلقى ولكن قد سبق فى علمى أن أسأل جميع خلقى وأستشهد بعضهم على بعض وأنا الخاكم الجبار الذى لا أجور فى حكمى . ثم يدعى قوم نوح عليه السلام فيقول لهم ما صنعت بالوحى الذى بلغكم نوح (عليه السلام) وهل بلغكم وهل تشهدون له بالتبليغ ؟ فيقول قوم نوح : ربنا ما جاءنا من نذير ولا رأينا يومنا قط ولا سمعنا به ولا بلغ اليك رسالة ، فاذا سمع نوح

(١) لا أدرى الحكمة التى خص بها المؤلف نوحا عليه السلام فى إسناد هذه القصة إليه

إلا إن كان يريد (فكذبته قومه) وذلك لعمرى اقتباس عجيب .

عليه السلام كلام قومه ذهبته نفسه وود لو ابتليته الارض ، ولو قضى الله تبارك وتعالى بالموت لمات نوح حين جحدته قومه حياء من الله تبارك وتعالى ، فيقول الله تبارك وتعالى : يا نوح هل تجد من يشهد لك أنك قد بلغت قومك الرسالة ؟ فينظر نوح عليه السلام في الموقف يمينا وشمالا ومشرقا ومغربا يتضح ويتبصر من بين سائر الانبياء والمرسلين ، وبين كراسي الشهداء والصديقين ، فلا يرى في المنابر أعلا ولا أنور ولا أحسن ولا أزهى من منبر محمد صلى الله عليه وسلم .

جاه الرسول الاعظم

ولا يرى في الانبياء أحسن وجهها من وجه محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا يرى نوح في الكراسي أنور ولا أحسن من كراسي أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا يرى أبهى ولا أنور ولا أحسن من كراسي أبي بكر الصديق رضى الله عنه . ولا يرى في الوجوه أحسن وجهها من وجوه أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا يرى في الصديقين والشهداء أحسن ولا أبهى ولا أنور من وجه أبي بكر الصديق رضى الله عنه .

فضل أبي بكر الصديق

فيقول له نوح : قد أصبت من يشهد لي يا مولاي وسيدى ، فيقول الله تبارك وتعالى - وهو أعلم - من يشهد لك يا نوح ؟ فيقول نوح عليه السلام : يشهد لي محمد صلى الله عليه وسلم وأمة بأني قد بلغت قومي الرسالة ، فينادى مناد أين النبي الامي العربي التهامي ؟ أين احمد أين سيد العالمين ، أين خاتم النبيين والمرسلين ، أين إمام المتقين ؟ فعند ذلك يقوم محمد صلى الله عليه وسلم ، وعند ذلك يرفع أهل الجمع رءوسهم إذا رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمضي صلوات الله عليه حتي ينتهي الى ربه عز وجل ، فيقول له ربه يا أحمد - ونوح قائم ينظر - ما تقول (١) هل بلغ نوح الرسالة الى قومه ؟ فيقوم محمد صلى الله عليه وسلم : نعم يا سيدى ومولاي قد بلغ وأقام يدعوهم الى الايمان ألف سنة الا خمسين عاما . فيقول الجبار

(١) في الاصل : ما يقول محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد ورد كثيرا عند الكلام المسند الى الله تعالى ؛ جبريل عليه السلام ، ميكائيل عليه السلام ، محمد صلى الله عليه وسلم ، وذلك - كما أرى - زيادات من النساخ على الاصل كما جرت العادة عند ذكر هذه الاسماء

جل جلاله : صدقت يا أحمد . فعند ذلك يفرح نوح عليه السلام ويتهالى وجهه : ثم يقول الله تعالى : يا محمد هلم أمتك إلى الحساب والشهادة ، فبينما الحلائق في الموقف إذ يموج بعضهم في بعض ويفزعون فرعة عظيمة ، فتجتمع كل أمة حول نبيها وتنظر أمة محمد صلى الله عليه وسلم يمينا وشمالا فلا يرون النبي صلى الله عليه وسلم ، والائم قد أهدقت بأنبيائها وينظر الانبياء والائم إلى منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم خاليا .

منبر الرسول والمحشر

فيقول بعضهم لبعض : لمن هذا المنبر الذي لا يرى في الموقف مثله لحسنه وجماله ، ولا يرى أنور منه ولا أعلا ولا أبهى منه ، ونراه خاليا ولا نرى له صاحبا ؟ فبينما هم ينظرون إلى منبر النبي صلى الله عليه وسلم إذ ينادى المنادى ، ألا أن هذا المنبر منبر محمد صلى الله عليه وسلم ، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم يناجى ربه في المذنبين من أمته يشفع لهم إلى الله تعالى . فبينما هذه الامة وقوف مغمومون محزونون بما يأتي النبي صلى الله عليه وسلم من عند ربه عز وجل ، إذ يخرج اليهم صلوات الله وسلامه عليه من عند ربه جل جلاله حتى ينتهي اليهم فيقوم بينهم فيرفعون رؤسهم وينظرون إليه ، فاذا رآهم صلوات الله وسلامه عليه أرسل عينيه بالبكاء ، فاذا نظروا (تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً) الآية . ذلك يوم مهول عبوس يوم تشيب فيه الرؤس ، وتذهل فيه النفوس ، وتبلى كل نفس ما أسلفت ، وتقدم كل أمة على ما قدمت ، وتذهل كل مرضعة عما أرضعت (١) يجد والله كل عبد وأمة ما عمل وقدم من خير ثوابا ونعيا ، وسرواً مقبلاً ، ورباً كريماً ، رؤفا بعباده رحيماً . ويجد كل عبد وأمة ما عمل من شر خبزياً جسيماً ، وناراً وجحيماً ، وعذاباً مقبلاً ، ونكالاً أليماً ، ورباً غضباناً عظيماً (يوم تجد كل نفس ما عملت)

الثواب والعقاب

يجد الطائع الثواب ، ويجد الفاسق العذاب . يجد المؤمن لذة الوصال ، بالنظر إلى الكبير المتعال ، في دار الخلد والجلال ، ويجد الكافر العذاب والنكال ، والسلاسل والأغلال ، والجحيم

(١) اقتبس المؤلف رحمه الله تعالى هذا من القرآن الكريم من قوله تعالى (يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) وكثيراً ما كان يرتب مجالس وعظه على الفقرة الأخيرة من الآية ويتدفق في بلاغة وعظته .

والخبال ، وفضاعة الاهوال ، يوم تجدد كل نفس واعملت ، يجد المؤمن النعيم والكرامة ، والأمن في القيامة ، والعافية والسلامة ، والحلول في دار المقامة ، ويجد الكافر الخزي والندامة ، والعذاب والملازمة (يوم تجدد كل نفس ما عملت) يجد المؤمن الدرجات ، ويجد الكافر العقوبات ، يجد المؤمن السرور ، ويجد الفاجر الثبور ، يجد المؤمن النعيم والخاود ، ويجد الفاجر عذابا غير مردود ، ويجد المؤمن ما قدم من الاحسان ، في درجات الجنان في جوار الرحمن ، مع الخيرات الحسان ، ويجد الفاجر ما عمل من العصيان في سموم النيران ، في جوار الشيطان ، مع الذل والهوان . يوم تجدد كل نفس ما عملت ، في يوم هائل عظيم ، يوم تكثر فيه العموم وتعظم فيه المصوم ، ويفصل الرب بين عباده وهو الحى القيوم (يوم تجدد كل نفس) يوم تندم على القبائح ، وتتأسف عند معاينة الفضائح ، وتوجد الاعمال في الصحائف الصالحات . يوم تجدد كل نفس يوم يندم الظالم ويخسر الآثم ، ويكون الجبار جل جلاله في ذلك اليوم العدل الحاكم ، ذلك يوم الندامة والحسرة ، والاهوال والعبرة . وأنشدوا :

يا واحدا صمدا بغير قرين ارحم ضراعة عبدك المسكين
واعطف على إذا وقفت مروعا حيران بين يديك يوم الدين
يا حسرتي بين العباد إذا هموا خافوا الحساب تخف عنهم دوني
ما حيلتي في (يوم ١) نشر صحيفتي إذ قيل لي خذها بغير يمين
ما حيلتي عند الحساب وهوله إذ قصرت بي قوتي وبقيني
لا حيلة عندي ولا (٢) موئل إن خاتني طمعى وحسن ظنوني
يارب لا تترك عبيدك هالكا وارحم بفضلك عبرتي وشؤني (٣)

(يوم تجدد كل نفس ما عملت من خير محضرا) أى تجده حاضرا عتيدا (٤) وتسأل عن أعمالك سواء لا شديدا (وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا)
قيل الأمد (٥) البعيد الذي يود من عمل سوء وعصى مولاة أن يكون بينه وبين عمله
السوء كما بين المشرق والمغرب *

وقيل الأمد البعيد الغاية في البعد الذي يتعنى أنه تاب في الدنيا وتبدل الشر بالخير حتى يمحي

(١) لفظة (يوم) لم ترد بالأصل ، وزدتها للوزن (٢) لفظة (لي) لم ترد بالأصل أيضا
(٣) الشؤون هي ملتقى عروق الرأس ومنها تتجىء الدموع وأطلقت مجازا على الدموع
نفسها كما في البيت (٤) العتيد الحاضر المهيأ (٥) الأمد الغاية كالمدى

عنه السوء بالتوبة فلا يراه ولا يسمعه ولا يعاقب عليه. إذا رأى التائبين غفر لهم بالتوبة ، وبذلت سيئاتهم بالحسنات والاثوبة ، كما قال تعالى (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون) الآية *

فائدة التوبة

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل بنى آدم خطاء وخير الخطائين التوابون » فإذا رأى المسكين الذي عمل سوء وقد أحاطت به الكروب وترادفت عليه الهوم والخطوب ، واسود وجهه من ظلمات الذنوب ، وقد غضب عليه علام الغيوب ، ورأى الذين تابوا من إخوانه وأهله وأصحابه وجيرانه قد فازوا بالملك الكبير ، والحساب اليسير ، ولبأس السندس والحريز ، والنظر إلى وجه السميع البصير (١) ورأى نفسه قد خسرو خاب ، وحرم الثواب ، ونوقش الحساب ، وحجب عن رب الارباب ، وصار إلى أليم العذاب . يود لو كان تائباً ، ولم يكن من الرحمة خائباً ، يود لو كان السوء عنه بعيداً ، ولم يكن حاضراً عتيداً ، ولم يكن العذاب عليه شديداً . يود لو كان من التائبين ، ولم يكن من المحرومين ، يود لو كان من الآمنين ، ولم يكن من المخالفين ، يود لو كان من الطائعين ، ولم يكن من العاصين ، يود لو كان من المحسنين ولم يكن من الظالمين ، يود لو كان من أهل الجنان ، ولم يكن من أهل النيران ، يود لو كان من أهل الثواب ولم يكن من أهل العقاب . يود لو كان من أهل النعيم ، ولم يكن من أهل الجحيم ، يود لو كان من الأولياء ، ولم يكن من الأشقياء . يود لو كان من أهل الوفاق ، ولم يكن من أهل النفاق . يود لو كان من أهل الفوز بالجنة ، ولم يكن من أهل العذاب والمحنة . يود لو كان سعيداً رشيداً ، ولم يكن عن الله بعيداً . لا أبعدنا الله وإياكم من رحمته ، وقربنا وإياكم بالفوز لجنته .

عمل العبد يلزمه

ذكر في بعض الأخبار أن العبد إذا مات أحضر عمله كله عند رأسه حين يغسل خيراً كان أو شراً فإذا صلى عليه ومضى إلى قبره وانصرف الناس عنه بقي عمله معه في قبره ولا يزال معه في قبره إلى يوم يخرج من قبره فإذا خرج خرج معه ، فإذا قدم إلى الحساب اجتمع عمله كله

(١) قد جاء في القرآن الكريم (وجوه ناضرة إلى ربها ناظرة) وفي الحديث « سترون ربكم كالقمر عند تمامه لا تضارون شيئاً من رؤيته » ورؤية الله تعالى يوم القيامة لاشك فيها وتلك أفضل الكرامة . وقد أيدها الإمام أحمد بن حنبل بأحاديث صحيحة

خير به وشره حتى حر كاته وأنفاسه ووفاقه وخلافه ، يجد الكل مجموعاً لم ينس منه شيء من الكبائر ولا من الصغائر ، ولا من الظواهر ولا من السرائر :

الحض على التوبة

فإن الله معشر المذنبين مثلي أبعثوا عن عمل السوء بالتوبة إلى الرحمن ، ولا تغرنكم الحياة الدنيا فأنها غرور الشيطان ، واعلموا أن الله تبارك وتعالى يمحو عنكم سيئاتكم بترك الذنوب والعزم على التوبة ، ويرحمكم يوم الحساب بحسن الآتية . يا أخى يا أخى وما عسى أن أقول لك من كرم مولاك الجليل جل جلاله لو أن الذنوب التي عملت في أيام طغيانك وعصيانك كانت مثل جبال الدنيا برمالها وبحارها وأنهارها ، وتبت توبة واحدة بصدق وحرقة وندامة ، ليغفرها لك مولاك الكريم بكرمه وفضله ، ولا تسأل عنها يوم القيامة (١) وأنشدوا :

نهارك الطيب محيلاً على	مطاعم لو نلتهم لم تمت
وخطبك الله جل اسمه	بترك الذنوب التي حرمت
فأعرضت عن أمره لاهياً	وأمنت نفسك ما خوفت
فأطعمتها أن تنال الرضا	بجهلك في فضل من قد عصت
فإذا تقول إذا أزعجت	لتخرج بالكراه فاستسلمت
فلا ندم حط أوزارها	ولا توبة غسلت ما جنت
وأفردت وحدك في ملحد	بكت فيه نفسك ما أسلفت

ما تحويه الآية

يا أهل الذنوب تدبروا هذه الآية فإن فيها بلاغة لمن تذكر ، وزجراً لمن اعتبر ؛ وتخويفاً لمن تدبر ، ونهياً لمن تفكر . فالفكرة عبادة ، وخير وزيادة . لأن مولاكم الكريم قد خوفكم وهددكم وزجركم بها زجراً شديداً فقال (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً أو ما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً) ثم قال (ويحذركم الله نفسه) أى يحذركم عقابه وعذابه إذا عصيتموه ، ويجزى لكم ثوابه إذا أطعتموه ، فلا يحقرن أحدكم من الذنوب شيئاً وإن صغر فربما كان فيه شدة العذاب والعقاب ، ولا يحقرن أحدكم حسنة يعملها وإن قلت فربما كان فيه الرضا من الملك الوهاب . واعلموا أن الذنب الذى يحقره صاحبه يكون يوم

(١) قال الله تعالى (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)

القيامة في ميزان فاعله أثقل من جبال الارض، فازجر نفسك عن غيها وقدم في حياتك ليوم فقرك . والاصل في الذنب الصغير أن يكون سببا لدخول صاحبه في النار . إن العبد المغرور يعمل الذنب ويحقره ولا يفكر في من قد عصاه وهو الجبار جل جلاله ، فعند ذلك يغضب عليه مولاه ويقول له : عبدى حقر ذنبه واستخف بحقى ، وعزى وجلالى لأعذبه عليه بالنار ومن تاب تاب الله عليه وغفر له بالتوبة *

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إياكم ومحقرات الذنوب فان لها من الله طالبا » قال الله سبحانه (يوم تجد كل نفس نفس ما عملت) الآية . وأنشدوا :

قد ذهب الحى الى عرسه (١)	وعذب الميت فى رمله
مرتهن النفس بأعمالها	لا يأمن الاطلاق من حبسه
لنفسه صالح أعمالها	وما سوى هذا على نفسه

حكاية عن أحد الصالحين

حكى أن المنصور بن عمار رحمه الله دخل على عبد الملك بن مروان ، فقال له عبد الملك : يا منصور مسألة ؟ وقد أمهلتك سنة كاملة ، من أعقل الناس ، ومن أجهل الناس ؟ قال فخرج منصور إلى بعض الفضاء من القصر ليخرج فاذا الجواب قد حضره ، فرجع الى عبد الملك ، فقال له عبد الملك يا منصور ما الذى ردك إلينا ؟ قال : يا أمير المؤمنين أعقل الناس محسن خائف وأجهل الناس مسى آمن . فبكى أمير المؤمنين حتى بل ثيابه بدموعه ثم قال أحسنت والله يا منصور ثم قال له اقرأ على شيئا من كتاب الله فهو الشفاء لما فى الصدور ، وهو الدواء والنور . فقرأ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا) الآية . فقال عبد الملك : قتلتنى يا منصور ثم غشى عليه ، فلما أفاق قال له يا منصور ما معنى (ويحذركم الله نفسه) قال منصور عقوبته يا أمير المؤمنين . فبكى عبد الملك ثم أفاق فبكى مرة أخرى ثم قال يا منصور وما معنى (رؤف بالعباد) قال رحيم غفار لمن تاب وأناب قال وما معنى (ما عملت من سوء محضرا) قال كل صغيرة وكبيرة يجدها العبد يوم القيامة ، لم يغفر الله منها شيئا . فبكى عبد الملك حتى غشى عليه ، فلما أفاق قال :

(١) الضمير راجع الى عرس الميت أي أن زوجته سوف تتزوج بحى خلافة وامواله يتمتع بها الوارث وليس له بعد موته الا رمله يعذب او ينعم فيه ولا يدفع عنه العذاب ما ترك من مال بلغ ما بلغ ان لم يؤد حق الله فيه ، وهو الزكاة والصدقة وصلة الرحم .

رقة عبد الملك بن مروان

إن والله من فكر في هذه الآية وعصى مولاه بعد ذلك لقد ضل ضلالا بعيدا . وأنشدوا :

بكيت على عظم الذنوب وغزرها (١)	وما قل من يكي لعظم سؤاله
تفكر في عظم السؤال وهوله	وتندب دهرًا زاد قبح فعاله
لعل إله العرش يرحم عبده	ويمنحه في الحشر طول وصاله
ويغفر ما قد كان في طول جهله	ويسكنه بالعفو دار جلاله
وإن نظر الرب العظيم جلاله	فذاك جسم من جزيل نواله

(يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا) تجد والله كل نفس ما قدمت في الايام ، من الطاعات والاجرام . ذلك يوم المصائب ، ويوم النوائب ، ويوم العجائب . يوم هتك الاستار ، يوم تسعر فيه النار ، يوم يفوز فيه الابرار ، ويندم فيه الفجار ، وتعرض العباد على الواحد القهار . فالعجب كل العجب من قطع عمره في الاغفال ، وضع أيامه في المحال ، وأقنى شبابه في الضلال ، ولم يعمل بما في كتاب ذي الجلال ، قال الله الكبير المتعال (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا) يقول الله تعالى يا ابن آدم تطلب موعظة ساعة وتقيم على الذنب سنة ؟ ! وأنشدوا :

ما بال قلبك باللذات قد شغفا وعن فوات صواب الفعل ما أسفا
وقد توعدته الجبار خالقنا وبالذنوب والعصيان قد كلفا

توبيخ الله تعالى للعباد

ذكر في بعض الاخبار أن الله تبارك وتعالى يقول في بعض كتبه المنزلة على أنبيائه : يا عبدي ما الذي زهدك في ورغبتك في غيري ؟ عبدي أنا أتقرب إليك وتهرب عني وأطلبك وتفرمني ! عبدي بسطت لك غرور الدنيا فاشتغلت بها عني ، وآثرتها على وزهدت في سعة رحمتي ! أهكذا يفعل المطيعون بأربابهم المحسنين إليهم ؟ عبدي من الذي سترك وكلاك وحفظك ووقاك ؟ هل كانت لك شركة في نفسك معي ، أم هل كانت لك قوة بنفسك على ؟ عبدي ما الذي قصرك عن

(١) كذا بالأصل ولعله يريد غزارتها أي كثرتها فألجأه الوزن الى ذلك

عبادتي ؟ ما الذى زهدك فى طاعتي ؟ أين أنت من هادم المذات ، أين أنت من نواح (١) الآباء والامهات ، أين أنت من المفرق بين البنين والبنات ، أين أنت ممن لا يستأذن على اصحاب القصور ، ولا يستأمر أرباب الدور ، أين أنت من قاصم الجبارين الموكل بأرواح المخاوقين ؟ عبدى أليس قد اضمحلت آثار الماضين ، ودرست معالم السالفين ، واتبع آثارهم الباقون . ومن ذا الذى يقوم بخلود الدهر غيري ، ومن ذا الذى ينفع دوام الابد غيري ، عجزت عن الخلود الجبال الراسيات والاطواد العاليات ، والبحار الطاميات . أنا الذى تفردت بالبقاء ، وحكمت على عبادى بالفناء ، أنا الله لا اله الا أنا لا شريك معى فى ملكى ، ولا نظير لى فى حكمى . ولا ضد لى فى سلطانى . وانشدوا :

أما والذى لا خلد الا لوجهه — ومن ليس فى العز المنيع له كفو
لئن كان هذا العيش مرا مذاقه — لقد يجتني من غشه الشمر الخلو

السؤال لا يدع ذرة

واعلموا أن الله تبارك وتعالى مسائلكم عن الكبيرة والصغيرة ، والحفية والسريرة ، وعن كل ما قل ، وما دق وما جل ، لا يغفل عن شيء ، يجد العبد ما عمل حاضرا ، ويجزى به واقرا ويسأل عما عمل سرا وظاهرا (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا) تجد والله القليل والكثير ؛ والفقير والذرة والقطمير . وانشدوا :

والله لو بكينا طول الايام — بدمع هامل — سجام
وفررنا من الاهل والاوطان — الى الجبال والآكام (٢)

خوفا من ذلك المقام ، لكان ذلك لنا قليلا خوفا من سؤال الملك العلام . فكيف ونحن لانفيق من الغفلات ، ولا نتنبه من السكرات ، ولا نخاف يوما نجد فيه الحسنات والسيئات ، ونسأل عن المظالم والتبعات : كما قال الذى فطر الارض والسموات (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا)

(١) فى الاصل : واج الامهات ، وأظنها تحريف من النساخ لذلك أصلحتها بما يقاربها فى الرسم : نواح (٢) الآكام جمع أكمة وهى التل المرتفع من الرمل أو الحجارة وهذا الكلام ليس بشعر ولكنى وجدته فى الاصل كذلك فتركته على رسمه .

سؤال الله تعالى للعباد

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله تعالى يخاو بعبده يوم القيامة ليس بينه وبينه حجاب ويقول له : عبدي عملت كذا وكذا في يوم كذا ، أما علمت أنني مطلع عليك يا عبدي أفجعلتني أهون الناظرين إليك ؟ أما استحييت مني ، أما استحييت من ملائكتي ، أما خفت من عقابي ، عبدي أرويتك من الماء البارد (١) وقويت جسمك ووسعت عليك من سعة رفدي فحسيتني ! حتى أن العبد ليدوب حياء من الله ويغمره العرق حتى يكاد يموت من الفزع ، ثم يقول العبد يارب النار أهون علي من حيائي منك ومن العباد فيأمر الله تعالى به إلى النار ، فيمضى العبد وهو يرد رأسه ويقول : يارب وعزتك وجلالك ما عصيت بهذا كله استخفافا بحقوقك ، وما ظننت بك إلا أن تغفر لي كما سترت علي في الدنيا ، وقد أيقنت أن عصياني ذلك لا يضررك ، وأن رحمتك لي لا تنقصك . فيقول الله تبارك وتعالى : عبدي صدقت لم تقطع رجاءك من رحمتي . فوعزتي وجلالي لا أغفر لك اليوم ، يا ملائكتي مروا بعبدي إلى الجنة . ومن العباد من يقول : يارب العذاب على أهون من توبيخك لي ، أرسل بي إلى النار كما يفعل بالعبد الآبق (٢) عن مولاه . فيقول الله تبارك وتعالى : عبدي ما وبختك إلا لأعرفك أن ذنوبك بعيني إذ عصيتني بها ، وجعلت توبيخي لك كفارة لذنوبك ، وقد غفرتها لك وقد رحمتك وأنا أرحم الراحمين . مروا بعبدي إلى الجنة . جعلنا الله وإياكم من أهل الجنة أجمعين ، وتوفانا برحمته مسلمين ، وختم لنا عند فراق الدنيا بحسن الخاتمة وكلمة التقوى قول لا اله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وشرف وكرم ، وحشرنا معه في المقام الاعظم ، مع أصحابه وأزواجه الكرام أمهات المؤمنين آمين يارب العالمين .

(١) جاء في بعض التفاسير عند قوله تعالى (لتسألن يومئذ عن النعيم) أن النعيم هو الماء البارد في الصيف . (٢) أبق العبد بفتح الباء هرب

- ٧ - مجلس ثانى فى قوله سبحانه وتعالى

(يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً) الآية

قال الله سبحانه وتعالى: (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً) يجد المؤمن الحسنات فى قرار الجنات ، والقصور العاليات ، والحدور والدرجات ، والنظر إلى رب الارضين والسموات ، يجد الطائع البشرى ، ويجد الفاجر النار الكبرى ، يجد المؤمن الامان ، مع السرور والرضوان ، ويجد الفاجر الهوان ، مع الذل والخسران ، يجد المؤمن الملك الجزيل ، مع الثواب والتفضيل ، وأنهار السلسيل ، والنظر الى وجه الملك الجليل ، ويجد الفاجر النوح والعويل ، والحزن الدائم الطويل ، والعذاب الشديد الثقيل ، يجد المؤمن الخلاص ، والتبجيل والاختصاص ، ويجد الفاجر العذاب وشدة القصاص . المؤمن يوم القيامة مرحوم ، والفاجر باللعنة مرجوم ، المؤمن عند الحساب مستور ، والفاجر عند السؤال مشهور . المؤمن عند الحساب يلاطف ، والفاجر عند السؤال يكشف . المؤمن حسابه عتاب ، والفاجر سؤاله عذاب . المؤمن يجد من مولاه الرحمة ، والفاجر يجد من الله النقمة . المؤمن حسابه يسير ، والفاجر حسابه عسير . المؤمن يجد لباسه حرير الجنان ، والفاجر لباسه سراويل القطران . المؤمن يجد عمله سروراً ، والفاجر يجد عمله ويلاً وثوراً . المؤمن يجد الاتصال ، والفاجر يجد الانفصال . المؤمن يجد الخلاص والفكاك ، والفاجر يجد الهوان والهلاك . المؤمن مع محمد النبى ، والفاجر مع الشيطان الغوى . المؤمن فى وجهه نضرة النعيم ، والفاجر فى وجهه ظلمة الجحيم ، المؤمن فى الحساب ريان ، والفاجر فى الموقف عطشان . وأنشدوا:

أنت المخاطب أيها الانسان فأصخ (١) إلى يلح لك البرهان
أودعت ما لو قلته لك قلت لى هذا لعمرك كله هذيان
فانظر لعقلك من بيانك واعتبر إتقان صنعته فثم الشأن (٢)

(١) أصاخ له استمع . (٢) أى إذا نظرت بعين فكرك وتدبرت بسديد رأيك صنع الله تعالى وإتقان هذا الصنع فى الذرة الصغيرة وفى الفيل الكبير لعلمت أنه هناك الشأن أو الدلالة على قدرته ووحدانيته . وفى كل شيء له آية تدل على انه الواحد

وجزا محاسن فعلهم في حشرهم عند الاله وعنده الرضوان
هنا لعمري ظاهر لا يخفى نطق الرسول وبين الفرقان

حكم قدسية

ذكر في بعض الحكم التي أنزلت على الانبياء عليهم الصلاة والسلام : عجبا لمن لا يرحم نفسه كيف يرحم ، وعجبا لمن يدوم على المعصية كيف يرجو حسن المآب ، وعجبا لمن يعمل أعمال النيران وهو يطلب نعيم الجنان ؟ كأنك يا أخى قد قربت من العرض والحساب ، ووقفت بين يدي الملك الوهاب ، فيأمر بك الى الجنة وحسن المآب ، أو الى النار وأليم العذاب تفكر في هذا كله يا مغرور لعل القسوة تنجلي من قلبك ، والوقر أن يزول عن سمعك ، والغطاء أن يرتفع عن بصرك ، فانها لاتعمي الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور . فانظر يا أخى بنور فكرتك ، وأطلق الموعدة على بحر عبرتك ، فلعل العين أن تدمع ، ولعل القلب أن يرق ويخشع ، فاذا جرت الدموع وخشعت القلوب محيت الذنوب ، وبلغت المنال والمرغوب ، ويسر حسابك علام الغيوب . وأنشدوا :

تذكرى المسك في التراب حتى أنادي إلى الحساب
هون كل البلاء عندي وهكذا فقد للشباب (١)
فليت شعري وكم مقامى تحت الثرى أو متى اياي
لو كان لي عقل ما هنانى نومي ولا ساغ (٢) لى شرابي
ولا ضحكك ولست أدري مالى لدى الله من حساب

النداء بأسماء الخلائق

ذكر في بعض الاخبار أن الخلائق إذا وقفوا في أرض القيامة فيقف كل عبد وأمة إذ نادى المنادي باسمك يا مغرور على رؤوس الاولين والآخرين أين فلان بن فلان ، أو أين فلانة بنت فلان ، هلم إلى الحساب بين يدي رب العالمين ، فاستقر في سمعك يا مسكين أنك أنت المنادي من جميع الخلق ، فقامت على قدميك قد تغير من الفرع لوانك ، وانخلع من الجزع :

(١) أى وهون أيضا فقدي للشباب وهو حقا أشد ما يحزن عليه الشيخ . وقيل ان الشباب علة التصابي روائح الجنة والشباب (٢) يساغ الشراب سهل مدخله في الخلق .

قلبك ، واضطربت من الملح مفاصلك ، وقد سمع من كان حولك حسيس قلبك بالخفقان ، وأوصالك قد اشتدت في الطيران ، فكادت نفسك أن تزهق من خوف الرحمن ، فاذا نظر الملك الموكل بسوقك وقد تغير لونك وتحير لبك ، علم أنك أنت المنساذى باسمه فاذا كنت من أهل النفاق ، والعصيان للملك الخلاق ، نظر على وجهك ظلمة الذنوب ، فعلم أنك عدو لعلام الغيوب ، فجمع بين ناصيتك وقدميك ، غضبا لغضب الله عليك .

أهل الرشاد والتوفيق

قال الله تبارك وتعالى (يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والاقدام) وإن كنت من أهل الرشاد ، والتوفيق والسداد ، الذين وفوا الله بالميعاد ، وخافوا مولاهم رب العباد ؛ أخذ بيدك الملك وقادك ، يجوز بك بالرفق ورفع الخلائق أبصارهم اليك ، وتمنوا مثل ما من الله عليك ، وأنت سائر الى ربك ليجازيك بسعيك ، ويعبدل عليك بكسبك . فلما انتهى بك الملك الى سلطان العظمة ، فإن كنت من أهل السير الصالح في الدنيا سترك جل جلاله بالنور ، وأبدى لك البشرى والسرور ، وقربك وأدناك ، وفضلك وحبابك ، فلم يطلع على حسابك ملك ولا نبي ولا رسول ، إلا الملك الجبار الذي لا يحول ولا يزول ، فيقول لك عبدى أنت الذى كنت تسهر والعباد نائمون ، وتصوم والعباد يشبعون ، وتبكي والعباد يضحكون ، وتحزن والعباد يفرحون ، وتخافنى والعباد آمنون ، أنت الذى كنت تجتهد فى عبادتى والعباد بطالون ، وتتصدق والعباد يبخلون ، وتبذل المعروف بين عبادى والناس يمنعون .

يقول المولى جل جلاله : فوعزتى وجلالى وملكى ومجدى وكبريائى وعظيم سلطانى وقدرتى على جميع العباد لأومنن روعك ، ولا يبخنك جنتى ، ولا وسعنك مغفرتى ورحمتى ، ولا عطيتك من جزيل ثوابى وحسن ما أبى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . ولا يبخنك النظر الى وجهى ، ولا رفعت قدرك وجاهك ، ولا شفعتك فى إخوانك وأهلك وأحبابك وجيرانك من أهل الذنوب والخطايا .

شفاعة العبد المؤمن

يقول المولى جل جلاله يا عبدى اخرج الى موقف الحشر فانظر الى من لقيني من أهل الذنوب على التوحيد قد شفعتك فيه خذ بيده وانطلق به الى الجنة بلا خوف ولا حزن ، والله تعالى أعلم . وأنشدوا :

عنى اليك (١) فى اللذات من شغلى ولا سبيل الصبا واللهو من سبلى
حال التقى دون ما قد كنت تعرفه فلست منه على زيغ ولا زلال (٢)
فى الحشر لى شغل عن كل مشتغل بلذة وعن الالحاظ والمقل
هذا طار الكرى عن مقلتى وزوى عنى المني وطوي المبسوط من أملى
كم ليلة بت فيها ساهرا أرقا أخشى العقاب وأخشى سرعة الاجل

قال الله تعالى (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينما وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد) رءوف والله بالمؤمنين ، ذو نقمة على الظالمين ، رءوف بأهل الاحسان ، وذو انتقام من أهل العصيان ، رءوف بأهل السداد ، وذو انتقام من أهل العناد ، يا مغرور تفكر فى هذه الآية فلك فيها من التخويف غاية ، ومن الزجر والتقريع نهاية ، فازجر نفسك عن هواها ، عساك تبلغها يوم العرض منهاها

حكاية عن ذي النون المصرى

حكى عن ذي النون المصرى بن ابراهيم الاخيمى (٤) رحمة الله تعالى عليه أنه قال : خرجت مرة من المرات إلى ناحية الاردن من أرض الشام ؛ فلما علوت الوادى فاذا أنا بسواد قد أقبل وهو يقول (وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) فلما قرب منى السواد

(١) كذا ورد بالاصل وصحتها : اليك عنى ، بمعنى كف عنى . (٢) الزيغ الانحراف عن السبيل السوى ، والزلل الخطأ والوقوع فى المعصية . (٣) زوى الشئ يزويه زيا جمعه وقبضه وفى الحديث « زويت لى الارض فاريت مشارقها ومغاربها » وهى هنا بمعنى منع وحجب . (٤) إخيم بلدة من صعيد مصر مشهورة وهى الآن مركزا مهما يصنع فيه قماش جيد . وذى النون المصرى من أعلام المتصوفين القدماء اشتهرت عنه ألفاظ من الحكمة العالية والفلسفة الاسلامية وربى كثيرا من المريدين . وله ترجمة وافية فى تاريخ الخطيب البغدادي

إذا هو شخص، فتأملته فإذا هو امرأة عليها جبة صوف وخمار من صوف، ويدها ركوة (١) ويدها الأخرى عكاز، فقالت لي غير فازعة مني: من أنت؟ فقلت لها رجل غريب، فقالت يا هذا وهل يوجد مع الله غربة وهو مؤنس الغرباء، ومعين الضعفاء، فاجعله أنيسك إذا استوحشت، وهاديك إذا ضللت، وصاحبك إذا احتجت. قال ذو النون: فبكيت من كلامها فقالت مم بكائك؟ قالت لها وقع دواؤك على دائي وأنا أرجو أن يكون سببا لشفائي، قالت فان كنت صادقا في مقالتي فلم بكيت؟ قلت لها رحمك الله والصادق لا يبكي!! قالت لا، قلت لها لم لا يبكي الصادق؟ قالت لان البكاء راحة القلب وملجأ يلجأ اليه، وما كتم القلب أحر من الزفير والشهيق وذلك ضعيف عند أوليائه. قال ذو النون: فبكيت والله متعجبا من قولها فقالت لي مالك؟ قلت أنا والله متعجب من قولك، قالت وهل نسيت القرحة التي ذكرتها؟ قال قلت لها رحمك الله إن رأيت أن تمني على بالزيادة. فقالت وما أفادك الحكيم في مقامك بين يديه من الفوائد ما يستغنى به عن طلب الزوائد! قال قلت لها رحمك الله ما أنا بمستغن عن طلب الزوائد، قالت صدقت يامسكين حب مولاك واشتق اليه فان له يوما يذيق فيه أوليائه كأسا لا يظمئون بعده أبدا. ثم علا شهيق ثم قالت: يا حبيب قلبي إلى كم تخلفني في دار لا أجد فيها صادقا بريئا من الدعاوى الكاذبة يسعدني على البكاء أيام حياتي. ثم تركتني وانحدرت في الوادي وهي تقول: اللهم إليك لا إلى النار، حتى غاب شخصها عن بصرى، وانقطع صوتها عن سمعي. قال ذو النون: فوالله ما ذكرت كلامها قط الا كدر على أحشائي وعيشي. قال ذو النون: فلقد أدبني واستقام حالي منذ رأيته. وأنشدوا:

أريد وأنت تعلم ما مرادي وتعلم ما تلجج في فؤادي
فهبل ذلتي واغفر ذنوبي وسأخني بها يوم التلادي

(١) الركوة وعاء للهدأ يحمله المتزهدون ويصنع من الخشب غالبا. وترى كثيرا مع المتمشيين.

رجع الى الموعظة

يا أخى ؛ مالك لا تفكر في قول مولاك الذى لم يزل عليك شهيدا ، وهو يسئلك ويراك . قوله تعالى (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا) الآية . اقرع يامسكين بهذا الكلام باب قلبك فمساك تزيل عنه الاقفال ، وترده عن الغنى والمحال ، وتوقظه عن السهو والاغفال ، قال الله الكبير المتعال (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا) يوم يظهر الخفى من أعمالك ، يوم تبكى على قبيح أفعالك ، يوم يحزن المسىء من أقوالك ، يوم تنوح على خطاياك وضلالك *

جهنم وشدةها

ذكر أن الخلق اذا اجتمعوا في الموقف وضاق المتسع ، وعظم الفزع ، واشتد الجزع ، واختلفت الاقدام ، وكثر الازدحام ، وجاءت جهنم بالهول الاعظم ، والعذاب المقيم الالزم (١) ووقفت بين يدي الجبار خاضعة للملك القهار ، أمر الجبار جل جلاله أن تفتح أبوابها ، وترفع كل جلال (٢) عليها ، وهى سبعة أبواب على كل باب سبع مائة الف جلال وهى الحجب ، ولولا تلك الاجلال لاحتقرت السموات ومن فيها والأرضون ومن عليها ، غلظ كل جلال خمسمائة عام ، فاذا فتح منها الابواب رفعت تلك الحجب من عليها ورمت النفط والقطران وحجارة الكبريت (٣) ويخرج منها عنق من نار اسود فيلتقط من الموقف كل ذهب وفضة وياقوتة وزبرجدة (٤) ولؤلؤة استعدت لزينة الدنيا .

(١) فى الاصل الاردم ولم أقف لها على معنى (٢) الجلال جمع جل وهو يصنع للدواب . وهنا بمعنى الحجاب أى الستار الموضوع على جهنم (٣) لاغرابة فى هذا الوصف فأنا نشاهد بأعيننا البراكين الأرضية عند التها بها وهى تقذف هذه المواد بعينها حتى تعفى على مدن برمتها . (٤) الزبرجد جوهر ثمين معروف لونه أمل الى الزرقه واللؤلؤ ما يخرج من الاصداف .

زينة الدنيا الزائلة

فياخذ الكل ويجمعه والجبّار جل جلاله يقول لها : أترى ما لم يكن لنا فكل ما كان من زينة لم يرد به وجه الله تعالى أخذته النار ، ومناد ينادى أصحابها هذه زينتك التي اشتغلتم بها عن طاعة الله عز وجل وآثرتموها على ما عند الله ، ولم تتبعوا سنن النبيين ، ولا سير الصالحين . ثم ينادى المنادى أتبعوا زينتكم ، فتخرج عنق من النار مرة أخرى فنلتقط أصحابها إلا من رحم الله

صاعقة جهنم

فعند ذلك يقول كل عبد وأمة ياليت هذا كله جعلته في جنب الله ، ياليت لم يكن معي ، ياليت بعد عني ، ثم يأمر الله تعالى أن ترتفع صاعقة من جهنم سوداء قسود وجوه أقوام من الرجال والنساء ، وتعمى أبصار قوم من الرجال والنساء ، وتختتم على أفواه قوم من الرجال والنساء ، فذلك قول الله عز وجل (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) يا أخي يامسكين يا ضعيف اليقين مثلي أتراك من أي الفريقين تكون ؟ أم من الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الملك الرحيم ، أو من الذين اسودت وجوههم فى العذاب الاليم ؟ أفهل تكون من الذين ابيضت وجوههم بالرحمة ، أم من الذين اسودت وجوههم بالنقمة ؟ فكل من اسود وجهه قد أيقن بالنار ، وكل من ابيض وجهه قد أيقن أنه من أهل دار القرار ، فيا لها من فرحة ما أعظمها . ويا لها من مصيبة ما أؤدومها ، فاذا نزل السواد فى وجه من شاء الله تبارك وتعالى صار ذلك السواد حجابا بينه وبين النظر الى وجه مولاه ، واذا نزل البياض فى وجه من أراد الله تبارك وتعالى بيبض وجهه رفع ذلك النور حجاب الذنوب الذى يحجب العبد عن النظر الى وجه علام الغيوب

من ابيض وجهه

وذلك أن البياض نور المغفرة ؛ وهو نور الرحمة ، وهو نور القرب ، وهو نور الوصال والسواد أيضا هو سواد البعد ؛ وهو سواد الانفصال ؛ وهو سواد التشكال ؛ وهو سواد النقمة ، وهو سواد الحجة قال الله تعالى (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) فالحجاب يامسكين يامغرور في الدنيا وقع على قلبك باكتساب السيئات ، ودوامك على الخطيئات واشتغالك عن رب الأرضين والسموات ، قال الله تبارك وتعالى : (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا) فيامعشر المذنبين ابعثوا السوء وأبدلوه بالاحسان ، وارغبوا في نعيم الجنان وارجعوا عن الاثوار والعصيان ، فانها تزيدكم من عذاب النيران . يا أخى أبعده السوء وابغضه بغضاً شديداً ، وكن على إبعاده بالتوبة جلداً جليداً ، من قبل أن يأتي يوم تود أن لو كان السوء عنك بعيداً ، ولم تتبع شيطاناً غوياً مريداً . وأنشدوا :

يا من إليه جميع الخلق يبتهاوا وكل حي على رحمة يتكل
يا من نأى فرأى مافي الغيوب وما تحت الثرى وحجاب الليل منسدل
يا من دنا فنأى عن أن تحيط به الأفكار طرا أو الأوهام والعلل
أنت الملاذ اذا ما أزمة شملت وأنت ملجأ من ضاقت به الحيل
أنت المنادى به في كل حادثة أنت الآله وأنت الذخر والأمل
أنت الغياث لمن سدت مذهبه أنت الدليل لمن ضلت به السبل
إنا قصصدناك والآمال واقعة عليك والكل ملهوف ومبتهل
فان غفرت فعن طول (١) وعن كرم وإن سطوت فأنت الحامد العدل

(١) في الاصل : حول وهو خطأ . والطول بالفتح المن والتفضل

حكاية ذى النون عن الراهب الصامت

قال ذو النون رحمه الله : ذكر لي عن راهب بالشام أنه لم يكلم أحدا مدة أربعين سنة ، فنهضت إليه فلم أزل أنادى تحت صومعته (١) وأقسم أن يشرف على حتى أشرف من أعلا صومعته ، فراودته على الكلام فأبى على ، فقلت له بالذي سكنت من أجله ومن خوفه إلا أجبته عما أسألك عنه ، فقال لي قل ولا تطيل الكلام على ، قلت له منذ كم أنت في هذا الموضع ؟ فقال : منذ يوم واحد ، فقلت له وكيف ذلك ؟ قال سمعت الناس يقولون أمس واليوم وغدا ، فأما أمس فقد فات ، وأما اليوم فلي ، وأما الغد فلا أدري أبلغه أم لا ، ثم أدخل رأسه فما كلمني وهو يبكي ويقول لا صبر لي على النار . وأنشدوا :

أيانفس لاصبرا على النار فاعلمي وكوني على خوف من النار ما عشت
ودومي على الأحران ما دمت حية عسى تذهب الأحران عنك إذ ماتت
يقولون في طول الكلام بلاغة وقد علموا أن البلاغة في الصمت (٢)
إذا العبد لم يلاعب هواه بعقله عصي ربه وازداد مقتا على مقت

تقسيم العمر على الاعمال

معشر المذنبين اجعلوا أعماركم ثلاثة أيام ، يوم مضى ويوم أنتم فيه ويوم تنتظرونه لا تدرون بما يأتيكم من صلاح أو فساد ولعلكم لا تبلغونه ، فاصالحوا اليوم الذي مضى بالندم على ما فاتكم فيه من الطاعة والاحسان ، وما اقترقم فيه من الذنوب والعصيان ، واليوم الذي مضى إنما تصالحونه في اليوم الذي أنتم فيه بالبكاء والندامة ، وذم النفس مع الملامة . وأنشدوا :

حتى متى نحن والايام نحسبها وإنما نحن فيها بين يومين
يوم تولى ويوم أنت تأمله لعله أجلب الأيام للحين (٣)

آنس الله روعتي وروعتكم يوم النشور ، وآنس وحشتي ووحشتكم في القبور ، إنه على ذلك قدير ، وهو عليه يسير ، وأمانتنا وإياكم على هذه الكلمة ؛ شهادة أن لا إله الا الله محمد (١) الصومعة بناء صغير دقيق الرأس يسكنه راهب النصاري . وهي أشبه بفلا صغيرة لسكنى فرد أو اثنين (٢) وقيل في المعنى : رب صمت ، أبلغ من كلام . (٣) الحين بالفتح الهلاك وحان الرجل هلك .

رسول الله غير مبدلين ولا مغيرين ولا مبتدعين آمين رب العالمين .

٨ - ﴿ مجلس في قوله تعالى فأما من أوتى كتابه يسهينه ﴾

الآية

يا أنحى يامسكين يا حيران ، من الذنوب والعصيان ، يا من تعرض لسخط الملك الديان ،
يا من أقر عين عدوه الشيطان ، بتماديه على الخذلان ، والضلال والبهتان ، والاوزار
والطغيان ، يا مغرور إنك آخذ كتابا ، ووارد حسابا ، ونازل ثوابا ، أو عذابا . فقدم
يا غافل في دار الغرور ، ما تجده في السكتب المنشور ، من الثواب والحبور ، والفرح
والسرور ، والضياء والنور ، من رحمة العزيز الغفور *

أين السكتب يوم القيامة

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « السكتب كلها تحت العرش فاذا كان يوم
القيامة بعث الله تبارك وتعالى ريحا تطيرها بالآيمان وبالشمائل (١) ، أول حرف في السكتب »
(اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسييا) ما أعدل الملك الوهاب ، إذ جعل الإنسان
حسب نفسه في قراءة السكتب . يا مسكين يا مغرور إن أخذت السكتب بالشمال فحسبك
العذاب والنكال ، والمحن والاهوال ، والسلاسل والأغلال ، والحجم والخبال ، واللعة
والانفصال ، من ذي الجود والجلال . وإن أخذت السكتب باليمين ، فحسبك المقام الآمين
في أعلا عليين ، مع الولدان والخور العين ، والاتصال برب العالمين ، وبمحمد خاتم النبيين ،
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين . وإن أصررت في الدنيا على جرمك ، ولم تتب الى
مولاك عن قبيح ذنبك ، فسوف تأخذ كتابك من وراء ظهرك ، فتجد فيه ما يحزن قلبك ،
ويعظم حزنك ، ويكثر كربك ، فيامعشر المذنبين اعلوا أنما جعل الله الدنيا ابتلاء واختبارا ،
وأوجب عليكم فيها حقوقا كبارا ، فتي ضيعتموها فقد اودعتم كتبكم آثاما وأوزارا ، ومتى
وفيتم بها فقد ملائتم كتبكم سرورا وأنوارا . وما من عبد ولا أمة إلا وله كتاب يقرؤه يوم
العرض والحساب ، وإنما مثل الناس عند قراءتهم السكتب ، كمثل الزارع إن زرع طيبا رفع

(١) الشمائل جمع شمال على غير قياس كأنهم جمعوا شمالة مثل حمالة وحمائل .

طيباً ، وإن زرع خبيثاً رفع خبيثاً . يا أخي فكانك أنت كتبت به بأقوالك ، وملا تته بأفعالك ، وسودته بالقبايح من أعمالك . وأنشدوا :

كأنى بنفسى فى القيامة واقف وقد فاض دمعى حين أعطى كتابيا
لعلى بأفعالى وسوء مناقبى وأن كتابى سوف يمدى المساويا
فيا أهل الذنوب مثل اعلموا أن الأعمال قد أثبتت عليكم فى الديوان ، من الاحسان
والعصيان ، والزيادة والنقصان ، والنفاق والايمان ، وأنت غافل فى سكرة الغرور ،
وكتابك مملوء بالويل والشبور (١) ، فبادروا إلى الصحائف وامحوا ما فيها من القبايح ،
ومحصوا (٢) ما قد ثبت عليكم من الفضائح ، وذلك باكتساب الحسنيات ، كما قال رب الأرضين
والسموات (إن الحسنيات تذهبن السيئات) .

أول الناس حساباً

ذكر فى بعض الأخبار أن أول ما يحاسب الله من الامم أمة محمد صلى الله عليه وسلم فإذا
اجتمع الأولون والآخرون فى أرض القيامة وقفت أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فأول من
يدعى منهم إلى الحساب رجل من قریش من بنى مخزوم يقال له عبد الله بن عبد الأسد ، وله
أخ يقال له الأسود بن عبد الأسد وفيها نزلت هاتان الآيتان (فأما من أوتى كتابه يمينه)
إلى قوله (فى الايام الخالية) نزلت هذه الآية فى عبد الله بن عبد الأسد (وأما من أوتى كتابه
بشماله) وهو الاسود بن عبد الأسد ، فأما عبد الله وهو المؤمن فيدخل من وراء الحجب
فيوقف بين يدي الله عز وجل ، فترعد فرائصه ، وتنفك أوصاله ، وتذهل نفسه من شدة
الخوف من الله تعالى ، فبينما هو على أشد الاحوال من الخوف بين يدي الجبار جل جلاله إذ
يأتيه ملك من عند الله تعالى ويده صحيفة بيضاء محتومة بخاتم الخلد ، فيقول له الملك :

كتاب الحسنيات

هذا كتابك فيتناول الكتاب يمينه ، وكل من كان من أهل الشقاوة إذا أوتى كتابه يروم
أن يمد اليمين لاخذه فلا يقدر لانه يجد يمينه كأنما علق فيها جبال الدنيا ، فلا يطيق أن
يرفعها من الثقل ، وقيل إنها تغل يده ، وقيل إنها تلتصق بجسده ، وقيل إن الملك يقول له :

(١) الشبور الهلاك والخسران . (٢) التمهيص الابتلاء والاختبار

يا عبدو الله خذ كتابك بشمالك فانك من أصحاب الشمال ، جعلنا الله وإياكم من أصحاب اليمين . فيتناول عبد الله أخو الاسود كتابه بيمينه ويقال له اقرأ ما عملت من خير وشر ولا تلومن إلا نفسك ، فيفرض خاتم الكتاب فينشر كتابه فاذا هو مكتوب بخط أبيض ، في باطن الكتاب السيئات ، وفي ظاهره الحسنات فيقال له اقرأ سيئاتك فأول حرف يجد في الكتاب أصغر ذنب عمله في الدنيا ، فاذا رأى ذلك الذنب ميل رأسه ونكسه حياء من الله تعالى وسأل منه من العرق مالو أن مائتين من الابل أكلت حمضا (١) والتهمت عطشا ووردت على عرقه لشربت كلها ورجعت وقد رويت وما نقص من عرقه شيء .

كيفية السؤال

هذا كله حياء من الله عز وجل ، فيقول الجبار جل جلاله : عبدي فيقول لييك ربي وسعديك ، فيقول ارفع رأسك أتعرف ذنبك هذا ؟ فيقول مولاي وسيدي وعزتك وجلالك إني لأعرفه ، فيقول عبدي أتذكر يوم كذا وكذا في موضع كذا وكذا وأنت على هذا الذنب ؟ فيقول نعم وعزتك وجلالك . فيقول له الجبار جل جلاله عبدي إنك إذا أخفيت ذلك من الخلائق لقد علمت أني كنت مطلعاً عليك ، فيقول بلى ياسيدي ومولاي وعزتك وجلالك لقد علمت ذلك ، فيقول له جل جلاله أما استحييت مني ؟ أما راقبتني ؟ أما علمت أن مرجعك الى . والعبد في هذا التوبيخ قد علاه العرق ، وذاب من شدة الغرق (٢) فيقول مولاي وسيدي لان ترسل بي الى النار أهون على من هذا التوبيخ . فيقول الله تبارك وتعالى عبدي أليس قد سترتها عليك في الدنيا ؟ فيقول العبد مولاي لقد فعلت ذلك بي ، فيقول جل جلاله عبدي وعزتي وجلالي ومجدي وجودي وكرمي لقد محوتها من قلوب الملائكة وقلوب الآدميين ، وأبقيتها بيني وبينك حتى تعلم نعمتي عليك وأفضالي لديك في الدنيا والآخرة *

(١) الحمض والحماض نبت ينبت في الصحارى تأكله الابل فيورث عندها عطشا شديدا

(٢) الغرق الخوف

غفران الذنوب

فلا يزال جل جلاله يفعل به ذلك في كل ذنب حتى يقرأ جميع ما في كتابه من الذنوب
فاذا أتى على آخر الكتاب وجد فيه ، عبدى هذه سيئاتك قد غفرتها لك . فعند ذلك يبيض
وجهه وتحسن بشرته وينذهب عنه الحزن والهم والجزع . ثم يقول الله جل جلاله قلب كتابك
فاقرأ حسناتك فيقلب العبد كتابه فيقرأ حسناته كلها مر على حسنة ازداد قلبه فرحاً وسروراً ،
وازداد بياضاً وحسناً ونوراً ، ثم يؤتى بتاج من نور فيوضع على رأسه لو أخرج ذلك التاج
إلى الدنيا لكشف نوره ضوء الشمس والقمر *

لباس المسكرمين

ويؤتى بحلتين من حلل الجنة شبر منها خير من الدنيا وما فيها مائة ألف مرة، فليلبسها ويحلى
كل مفصل منه بحلى الجنة ، ويقال له اخرج على الناس واخبرهم وبشرهم أن لكل عبد وأمة
من المؤمنين مثل ذلك . فعند ذلك يخرج عبد الله بن عبد الاسد وكتابه يمينه وقد أشرق
وجهه نورا ، وقلبه قد امتلأ سرورا . قد جرت على وجهه نضرة نعيم الجنان ، وتلك علامة
لاهل الايمان . والملك أخذ يمينه وهو ينادي عليه نداء البشرى ألا إن فلانا قد سعد سعادة
لا يشقي بعدها أبداً ، والخلائق قد رفعوا أبصارهم اليه وتمنوا مثل ما من الله به عليه وهو
يقرأ (ماؤم اقرؤا كتابيه) ليس فيه سيئة واحدة قد غفر الله تبارك وتعالى جميع ذنوبى
ومحاهها عنى (إني ظننت أنى ملاق حساييه) إنى أيقنت فى الدنيا أنى ألقى هذا اليوم وكنت
خائفا من هوله (١) ومن قراءتي كتابى ومن حساب ربى جل جلاله فلا يزال كذلك حتى
ينتهى إلى أصحابه فيقولون من هذا العبد الذى أكرمه الله ورضى عنه ؟ اللهم اجعله من أحببنا
وقربه منا حتى ننظر الى ما قد فضله مولانا به ، فاذا قرب منهم سلم عليهم فيقولون له من أنت
يا عبد الله ؟ فيقول أو ما تعرفونى ؟ فيقولون له يا عبد الله لقد زينتك كرامة المولى جل جلاله حتى
(١) هكذا أورد المؤلف رحمه الله تعالى تفسير هذه الآية على طريقته الوعظية وللمفسرين

راء كثيرة تخالف تفسيره فليراجعها من شاء

لأنعرفك فمن أنت ؟ فيقول لهم أنا عبد الله بن عبد الاسد ، ألا وإن لكل واحد منكم مثل هذا ، وشكنا ينزل الله تبارك وتعالى بكل مؤمن يكون رأسا في الخير يدعو إليه ويأمر به ، ثم يشفعه الله تبارك وتعالى في كل من شاء من أهل الذنوب ، فعند ذلك يفرح أصحابه بما قد بشرهم به من المغفرة والفرز بالجنة والنجاة من النار (فهو في عيشة راضية) قد رضى ورضيت نفسه ورضى مولاه عنه وهو راض بتلك العيشة والعيشة الجنة (في جنة عالية) في غرفة ارتفاعها مسيرة مائة عام من لؤلؤة بيضاء أو من ياقوتة حمراء ملاطها المسك الاذفر ، والعنبر الاشهب ، والكافور الابيض (قطوفها دانية) يعنى ثمارها دانية منهم إذا اشتهوها نزلت عليهم حتي تدخل عليهم في منازلهم فتدنو منهم فيأكلون من ثمارها ما يشتهون وهم نيام أو قعود أو قيام على أى حال أرادوا ، ثم ترجع إلى أماكنها وذلك قوله تعالى (كلوا واشربوا هنيئا) لأموت فيها ولا حزن (بما أسلفتم في الايام الخالية) يعنى الايام الماضية وهى أيام الدنيا التي أطاعوا الله تبارك وتعالى فيها ، واستقاموا ولم يزوغوا عن طاعته . وأنشدوا :

يا ربك عبد من عبيدك مـذبـب كثير الخطايا جاء يسألك (١) العفوا
فأنزل عليه العفو يا من يمنه على قوم موسى أنزل المن (٢) والسلوى
أنا عبدك المسكين فارحم تضرعى ولا تجعل النيران يارب لى مثوى
وخفف من العصيان ظهري إني بلغت من الاوزار غايتها القصوى

فهذا عبد الله بن عبد الاسد الذى أنزل الله تعالى فيه هذه الآية ، وعلى سيرته فى الحساب تجرى سير المؤمنين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم على قدر أحوالهم واجتهادهم فى الدنيا فى الخير والاستقامة على طاعة الله ﷻ

أشد الناس عذابا

وأما قوله تعالى (وأما من أوتى كتابه بشماله) فهو الاسود بن عبد الاسد المخزومي وهو أخو عبد الله بن عبد الاسد وذلك أن الله تعالى يدعو به على أثر أخيه عبد الله فيدخل الاسود حتى يوقف بينه وبين الله عز وجل حجاب السخط فيكون من وراء الحجاب لأن الله تبارك وتعالى (١) فى الاصل : يسأل العفو ولا يستقيم . (٢) المن كالترنجبين ، وفى الحديث « الكأمة من المن » وكان يسقط على بنى إسرائيل بلا تعب ولا عناء حلوا باردا . والسلوى طائر قيل هو السمان والسلوى أيضا العسل .

وتعالى لا يراه إلا المؤمنون وأما الكفار فلا يرونه قال الله تعالى (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) فيوقف الاسود بين يدي الملائكة يرعد من خوف العذاب ، والملائكة الذين معه هم ملائكة العذاب ، فيبينها هو كذلك إذ يأتيه ملك من ملائكة السخط فيأخذ بيده اليمنى ثم يهزها فيخلعها من موضعها فيعلقها من صلبه (١) بجلده ، ثم يأخذ برأسه فيلوى عنقه فيحول وجهه في قفاه .

كتاب السيئات

ثم يأتيه ملك من وراء ظهره في يده صحيفة سوداء فيها كتاب بخط أسود في باطن الكتاب حسناته وفي ظاهره سيئاته والكتاب مختوم ، فيقال له هذا كتابك خذ فلا يقدر أن يتناوله يمينه لأن يمينه مخلوعة من منكبه ، فيناول كتابه بشماله فيقال له فض خاتم الكتاب فيفضه ويقال له انشر كتابك وأقرأه ، فينشر الصحيفة وهي سوداء فيبدأ بباطن الكتاب فتستقبله حسناته فيقرؤها ويفرح ويظن أنه سينجوا من عذاب الله تبارك وتعالى حتى إذا بلغ آخر الصحيفة وجد فيها هذه حسناتك قد ردت عليك لأنك لم ترد بها وجه الله تعالى والدار الآخرة ، وذلك قوله تعالى (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون) أى لا ينقصون ، تعجل لهم في الدنيا أجور أعمالهم ولا يثابون في الآخرة بشيء من أعمالهم ، ولا يتجاوز عنهم في شيء من أعمالهم السيئة حتى يعذبهم الله تعالى عليها ، وأعمالهم الحسنة أحبطها الله عز وجل بالكفر ، والأعمال الصالحة التي يراد بها وجه الله تبارك وتعالى يحازي الله تعالى عز وجل أصحابها بالثواب الباقي وهو نعيم الجنة والنظر إلي وجه الله الكريم ، فوجه الله باق ونعيم الجنة باق ، لأن الله تعالى خلق الجنة ثوابا لأهل الأعمال الصالحة التي يراد بها وجه الله تعالى (كل شيء هالك إلا وجهه) وكل عمل يراد به وجه الله لا يهلك ، يبقى ثوابه لصاحبه وثوابه الجنة ، فإن الله تبارك وتعالى يثيب على العمل الباقي بالنعيم الدائم الباقي ، ويثيب على العمل الفاني ، وهو ما يعمل للدنيا وزينتها بالعرض الفاني وهو حطام (٢) الدنيا ، والمؤمن لا يرضى الله عز وجل أن يثيبه على عمله الصالح بعرض من الدنيا وأن يوسع عليه في الدنيا (٣) فأنما يعطيه ذلك زيادة ومعونة يستعين بها على طاعته ، وأجر عمله ادخره له ليوم فقره .

(١) كذا بالأصل ، ولعلها من خلفه بجلده ، فحرفها النساخ صلبه وليس لها معنى . (٢) الحطام ما تكسر من اليبس والمراد به هذا المتاع القليل الفائدة (٣) أى بالمال والجاه والقوة

إذا احتاج إليه . ثم يقال للأسود بن عبد الأسد ؛ اقلب كتابك فأقرأ فيقلب ظاهره فتستقبله سيئاته مثل الجبال الرواسي وهي سود بخط اسود ، لأنها محبوسة بالكفر غير مقبولة ، فأول سيئة يقرؤها يسود وجهه ويسمى (١) لونه كلما قرأ سيئة ازداد سماجة وقبحا ، فإذا بلغ آخر الصحيفة وجد فيها هذه سيئاتك قد أضعفت ، إني قد أضعف عليك العذاب بعملك السيئات .

صفة العذاب للكافر

فيرجع وجهه أشد سوادا من القار — وهو الزيت — ويعظم جسده للنار حتى يكون ما بين منكبيه مسيرة شهر ، وغلظ كل غلظ من نخذه مسيرة ثلاثة أيام ، وما بين شفتيه العيا والسفلى أربعون ذراعا وقد خرجت أنيابه وأضراره من بين شفتيه بادية وعيناه زرق وحدقتاه قد وقعتا على وجهه من شدة ما هو فيه من العذاب ، وكل ضرر من أضراره أعظم من جبل أحد ، شعره كاتجام القصب ، وله سبعة جلود غلظ كل جلد منها أربعون ذراعا ما بين الجلد إلى الجلد مسيرة ثلاثة أيام فيها ديدان لها جلبة بجلبة الوحوش في البرية ، في جسده من الشعر ما لا يحصى عدده إلا الله تعالى ، في أصل كل شعرة من الآلام والوجع والعذاب ما لو قسم على أهل الدنيا من يوم خلقهم الله تعالى إلى يوم يبعثهم لماتوا كلهم في أسرع من طرفة عين . ثم يؤتى بسلسلة ذراعها سبعون ذراعا فتغل بها يدها وعنقه ويدخل طرفها في فيه وتخرج من دبره ثم يلف ما بقى منها على عنقه يتوقد ويشتعل نارا ، ثم يؤتى بصخرة من كبريت أعظم من الجبل العظيم لو وضعت على جبال الدنيا لذابت من حرها فتعلق في عنقه وهي تشتعل نارا ، ثم يؤتى بتاج من نار فيوضع على رأسه فيصعد حر الصخرة إلى وجهه وينزل حر التاج إلى وجهه ويجتمع مع حر الصخرة ولا يقدر أن يرفع عن وجهه بيديه لأنهما مغلولتان إلى عنقه قال الله تعالى (أفن ينقئ بوجهه سوء العذاب يوم القيامة) وقال عز وجل (وتغشي وجوههم النار) تغشي وجوه الكفار . ثم يؤتى بسربال (٢) من قطران وهو نحاس (٣) جهنم قد انتهى في شدة الحر فيلبسه ، لو أن ذلك السربال القى في الدنيا لصارت الدنيا من مشرقها إلى مغربها جرة واحدة أسرع من لمح البصر ، ثم يقرن مع شيطان يكون ذلك الشيطان عليه

(١) سمى قبح ، والسماجة القباحة (٢) السربال القميص (٣) كذا بالأصل ولعله

تحريف وهو نفاية جهنم أو ما يشبهها لأن القرآن الكريم ذكر القطران والنحاس فلو كان شيئا واحدا لما عدده .

أشد من كل عذاب يعذب به ، ثم يقال له اخرج على الناس واخبر أصحابك أن لكل واحد منهم مثل هذا العذاب . فيخرج الاسود على أقبح الاحوال وكتابه بشماله ليس فيه حسنة واحدة وسيئاته ظاهرة للخلق والمملك ينادى على الاسود بن عبد الاسد : يا أهل الموقف قد شقى الاسود شقاوة لا يسعد بعدها أبدا . العنوه فان الله تعالى قد لعنه وسخط عليه ، فينادى بأعلا صوته نداء يسمعه أهل الجمع (ياليتنى لم أوت كتابيه) أى ياليتنى لم أعط كتابي بشمالى ولا يحل بى هذا البلاء الذى أنا فيه (ولم أدر ما حسايه) أى ياليتنى تبث وآمنت ولم أحاسب بهذا الحساب ، ولا نزل بى هذا العذاب . (ياليتها كانت القاضيه) أى ياليت الموت عاد الى حتى يريحنى من هذا العذاب (ما أغنى عني ماليه) يعنى المال الذى كان معه فى الدنيا وكان ينفقه فى غير الله ويبخل به فى ذات الله تبارك وتعالى (هلك عني سلطانيه) أى انقطعت عني حاجتى واضمحلت . ثم يأمر الله تبارك وتعالى أن يخرج له منبر من جهنم من نار فينصب له ويصعد عليه وتبدو كل قبيحة عملها فى الدنيا ويلعنه كل من فى الموقف ويعيره حتى يود لو أمر به الى النار ، ثم يقول الله تبارك وتعالى للبلائكة (خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم فى سلسلة ذرعا سبعون ذراعا فاسلكوه) فيبتدره سبعون الف ملك خلقوا من نار السموم مع كل ملك منهم من العذاب خلاف ما مع الآخر ف يأخذونه بينهم فيلقونه فى الهاوية من النار الحامية ، ويدخلون بسلسلة فى فيه ويخرجون طرفها من دبره كما تصنع الخرزة فى السلك ، ثم يطعم الغسلين وهو شئ أسود نتن — لو أن قطرة من الغسلين (١) أخرجت الى الدنيا لمات جميع أهلها من النتن .

(١) الغسلين : هو ما انغسل من لحوم أهل النار ودمائهم . ويقال هو صديدهم .

طعام أهل النار

وإنما يطعم أهل النار الغسلين لأنهم كانوا في الدنيا لا يرون أن يغتسلوا من الجنابة ولا يتوضؤوا للصلاة فيحرق الغسلين مواضع الوضوء والغتسال وما سقط منه أطعموه إياه جزاء بما ضيعوا في الدنيا من حقوق الله تعالى ، وهذا العذاب كله للأسود بن عبد الأسد ، وكذلك لكل من كان في الشر رأساً يأمر به ويدعو إليه ، يفعل به كما فعل بالأسود بن عبد الأسد ، وكل من كان في الدنيا في الخير رأساً يأمر به ويدعو إليه يفعل به كما فعل بعبد الله بن عبد الأسد ، يجرى الله تعالى الناس كلهم على هذا المنهج في الخير والشر والله يفعل ما يشاء لا إله إلا هو وهو حسبنا ونعم الوكيل ، فنعوذ بالله من أعمال أصحاب الشمال .

- ٩ - ﴿ مجلس في قوله تبارك وتعالى ووضع الكتاب ﴾

الآية

يا أهل الذنوب مثلي ، يا أهل العيوب مثلي ، يا من يعصى ولا يتوب ، يا من الغى والمحال له محبوب ، يا من ضيع غاية المنى والمرغوب ، يا من سود كتابه بمعصية علام الغيوب . اعلوا عصمتنا الله وإياكم أن للعباد غدا صحائف يقرؤون فيها الحسنات والقبائح ، فمن كتب له حافظاً خيراً في الدار الفانية فهو خير له في الدار الباقية ، ومن كان خائفاً في الدنيا من العذاب ، متحفظاً مما يثبت عليه في الكتاب ، متجنباً لمعصية رب الأرباب ، وفقه الله مولاه . للحق والصواب ، ويسر عليه برحمته الحساب ، ومخيت أوزاره من الكتاب ، ورضى عنه الملك الوهاب ، وأمر به إلى الجنة وحسن المآب . ومن علم أن عمله يثبت عليه في الديوان ، وهو يقرؤه لا محالة بين يدي الرحمن ، فكيف يألف العصيان ، وكيف يتحرك منه اللسان ، بالزور والبهتان ، ومخالفة كتاب الملك الديان .

الفرق بين الحسنة والسيدة

ذكر في بعض الحكم أن رجلاً كان يسوق دابته فعمرت فقال الرجل : تعست الدابة — يعني عمّرت (١) — فقال ملك اليمين لملك الشمال ليست بحسنة فأكتبها ، فأوحى الله تعالى لملك الشمال ماترك صاحب اليمين فأكتبه أنت ، فسكتب صاحب الشمال قول الرجل تعست الدابة . وأعظم من هذا أنه ما من عبد ولا أمة يتنفس نفساً إلا أثبت عليه في الكتاب ، فإن خرج النفس في طاعة الله أثبتته صاحب اليمين ، وإن خرج النفس في غير طاعة الله تعالى أثبتته صاحب الشمال حتى يحكم الله تبارك وتعالى يوم الحساب فيه بحكمه ، فمن علم هذا يقيناً فلا يحتاج أن تمر عليه ساعة من ساعاته ، ولا وقت من أوقاته ، ولا لحظة من لحظاته إلا في ذكر الله وفي الفكرة في عظمة الله *

النجاة في ذكر الله

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ليس شيء أنجى للمؤمن من عذاب الله من ذكر الله ، وأكثر ما يجد المؤمن في صحيفته يوم القيامة الاستغفار في الليل والنهار » فكل من كان في الدنيا من قراءة كتابه خائفاً مشفقاً ، كان الله تبارك وتعالى به عند قراءته إياه رحيماً مرفقاً . ومن كان في الدنيا من الغافلين ، كان (عند) (٢) قراءته من النادمين . فلو رأيتم يا أهل الذنوب ما قد أثبت عليكم في الديوان ، من الخطايا والعصيان ، والزور والبهتان ، والزيادة والنقصان ، والغفلة والنسيان ، لعظمت منكم المصائب ، وكثرت منكم النوائب ، ولسارعت إلى الثواب والرغائب ، ولتبتن إلى رب المشارق والمغارب . وأنشدوا :

ما بال عينك لا تبكي لما سلفا ذكر الذنوب وخوف النار والتلفا
يا أيها المذنب المحصى جرائمه لاتنس ذنبك واذكر منه ما سلفا
من الذنوب التي لم تبل جدتها وكيف تبلى وقد أودعتها صحفا
أما تخاف أما تخشى فضائحها إذا الغطاء انجلي عنهن وانكشفا

(١) كذا وردت بالأصل ولعلها لغة ، والتعس الهلاك وهو ضد الانتعاش .

(٢) لم ترد في الأصل لفظة عند فزدها لاستقامة المعنى .

اعلموا معاشر المذنبين لو أن الله تعالى أطلع بعضنا على صحائف بعض ، وكشف له ما فيها من الذنوب لكان الناس يشتغلون عن معاشهم بتعيير بعضهم لبعض ، ولعنة بعضهم لبعض (٢) فانا لله وإنا إليه راجعون

حكاية عن رقة ابن واسع

حكى عن محمد بن واسع رحمه الله أنه ما رآه أحد قط ضاحكا ، وإن كان ليكي حتى ترجمه الناس ، فذكر له ذلك فقال : يا أحبابي وكيف يضحك من لا يدري ما أثبت عليه في كتابه ولا يدري بما يختم له *

اللهم اختم لنا بخير . وكان رجل يكلم محمد بن واسع في حاجة فقال له محمد بن واسع : أدن مني فلو كانت للذنوب رائحة لما قدرت أن تدنو مني . فيامعشر المذنبين مثلي ونفسي أعنى وكلنا مذنب لا تغتروا بستر الله تعالى عليكم فإن له يوماً يهتك فيه الاستار ويحاسب عباده على ما عملوا في الليل والنهار ، فقوم إلى الجنة وقوم إلى النار . فالخير والشر قد حصل عليكم في الكتاب ، الذي يوضع لكم يوم العرض والحساب ، بين يدي رب الأرباب ، قال الملك الوهاب (ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه) وضع الكتاب للمؤمنين ، ووضع الكتاب للمجرمين . وضع الكتاب لأهل الإيمان ، ووضع الكتاب لأهل الضلال والطغيان . وضع الكتاب لأهل الجنان ، ووضع الكتاب لأهل النيران . وضع الكتاب لأهل الثواب ووضع الكتاب لأهل العقاب . وضع الكتاب للطائعين ، ووضع الكتاب للعاصين ، ووضع الكتاب لأهل الاخلاص والوفاق ، ووضع الكتاب لأهل الرياء والنفاق ، ووضع الكتاب لأهل الوفاء ، ووضع الكتاب لأهل الجفاء ، ووضع الكتاب للعاملين ، ووضع الكتاب للباطالين (٣) وضع الكتاب للقائمين ، ووضع الكتاب للنائمين ، ووضع الكتاب للمستغفرين ، ووضع الكتاب للغافلين . وضع الكتاب للسعداء ، ووضع الكتاب للأسقياء . وضع الكتاب لأهل الجنة ، ووضع الكتاب لأهل المحنة . وضع الكتاب للأبرار

(١) وجاء في الحديث « لو تكاشفتهم ما تدافتم » وتلك والله حكمة بالغة من الله تعالى فقد ستر على كل إنسان سيئاته وأودع المحبة والمودة في قلوب الناس بعضهم لبعض رغمان تطاحنهم على العيش وما في طباعهم من الآثرة (٣) في الاصل : للباطالين والسياق والتطابق يقتضي للباطالين أزماء العاملين كما صححناها .

ووضع الكتاب للفجار . وضع الكتاب لأهل التوبة ، ووضع الكتاب لأهل الحوبة . وضع الكتاب لأهل الكرامة ، ووضع الكتاب لأهل الندامة . وضع الكتاب لأهل الرشاد ، ووضع الكتاب لأهل الفساد . وضع الكتاب لأهل الحسنات . ووضع الكتاب لأهل السيئات . وضع الكتاب لأهل النعيم والسرور ، ووضع الكتاب لأهل الويل والشور . فكتب تبشر بالجنة ، وكتب آخرها بالعنة والمحنة . جعلنا الله وإياكم ممن يبشره كتابه بالجنة برحمته .

إحاطة الكتاب بكل شيء

واعلموا يا معشر المذنبين أن الله تعالى لم يدع شيئاً من القول إلا وقد فسره لعباده وأنزل بذلك كتابه العزيز فقال فيه تبارك وتعالى (ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون) وقد أعلمنا هنا ومولانا أن (كل إنسان أزمانه طائر) وأن كل إنسان لابد له من السؤال ولابد له من حساب ، ولابد له من ثواب أو عذاب . ومولانا عز وجل قد أمرنا بالعمل الصالح ، ووعدنا عليه بالجنة ، ونهانا عن المعاصي وتوعدنا عليها بالنار . وما قدمتم من خير وشر قد أثبت عليكم في كتاب مكتوب ، بالحسنات والذنوب * .

حكاية في كتابة الكتب

روى عن الحسن (١) رحمه الله أنه قال : ما من عبد ولا أمة يدفن إلا دخل عليه ملك في قبره معه دواة وقرطاس ، فيأخذ الملك برأس الميت ويقعده ويرفع إليه ذلك القرطاس ويناوله قلماً ويقول له اكتب جميع ما عملت في عمرك الذي وجبت عليك فيه الحدود من خير وشر . فيأخذ الميت القلم فيكتب وإن لم يكن في الدنيا كاتباً ، فإن كان العبد من أهل السعادة فأول ما يجري القلم بيده باذن الله تبارك وتعالى : بسم الله الرحمن الرحيم ، لأن بسم الله الرحمن الرحيم لا تكون في كتاب أهل الشقاوة وإنما تكون في كتاب أهل الإيمان والسنة والأمان والغفران . لأن بسم الله الرحمن الرحيم هي آية الإيمان وهي إخبار عن رحمة الله ولطفه جل جلاله .

(١) تكرر ذكر الحسن رضي الله تعالى عنه وهو الحسن البصري العابد الزاهد فريد عصره في الزهد والبلاغة كان إماماً عظيماً ومحدثاً كبيراً لم يكن في عصره مثله . وكانت مجالسه الوعظية مشهورة في الآفاق .

يا أهل السنة من هذه الأمة، فاذا ثبت العبد في كتابة بسم الله الرحمن الرحيم فقد أمن في قبره من العذاب والعنيفة ❦

البسملة وبركتها

وإذا لم يثبت في كتابة بسم الله الرحمن الرحيم فقد حل به العذاب في قبره. فاذا كتب العبد ما عمل من خير وشر شقيا كان أو سعيداً ، يطوى الملك الكتاب ويعلقه في عنقه . فاذا خرج العبد من قبره يوم القيامة جاءه ذلك الملك فأخذ الكتاب وناول له إياه وقال : يا ولي الله أو يا عدو الله أتعرف هذا ؟ فيقول نعم أنا كتبته ، وأنا عملته ، فيقول له فاقراه فيستقبله منه ما سبق له من سعادة أو شقاوة ❦

فإن الله معشر المذنبين مثل المؤمنين لا تضيعوا أيامكم بالقبائح ، ولا تهملوا أعماركم في الذنوب والفضائح ، فإن جميع أعمالكم قد حصلت عليكم في الصفائف الصفائح ، وستقرؤها بين يدي مولاكم وتشهد عليكم الجوارح ، بالقيح والحسن من أعمالكم . وأنشدوا :

سوف يأتي عليك ساعة خوف حين تعطى صفائف الأعمال
وكأنى أرى فضائح قوم قد تجلى لكشفها ذو الجلال
ليت شعري إذا قرأت كتابي يميني أعطاه أم بشمال

حكاية عن عيسى عليه السلام

روى عن محمد بن اللباد رحمه الله أنه قال : دخل عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم وعلى نبينا محمد مدينة خربة فدخل قصرآ من قصورها فنادى ، يا خراب الأخر بين أين أهلك وعمارك؟ فأجابه شيء من آخر القصر : يا ابن مريم بادوا وسعودوا . فاجتهد يا أخى لا نفرط فان العظام قد بليت وبقيت أعمالهم في رقابهم . وأنشدوا :

لا تحقرن من الذنوب صغيرها إن الصغير غدا يعود كبيراً
كل الذنوب وإن تقدم عهدا عند الإله مسطراً مسطوراً

أيها الرجل المقيم بالمشيب ، الملبس حلة المعاصي المريب ، قد خسرت أيام الشباب ، وبذلت مهجتك للعذاب ، بغفلتك عما في الكتاب ، واتباعك اللعين الكذاب ، وتهاونك بالحساب ، وصدودك عن الصواب ، ومعضيتك لرب الأرباب . ما حيلتك يا مكروب مثل سودت

كتابك بالذنوب ، وعصيت مولاك علام الغيوب ، وبعث الحظ الجزيل بالكذب المشوب ، وضيعت الجنة التي ليس فيها نصب ولا لغوب (١) واعلموا معشر المذنبين أن العبد إذا وفقه مولاه وأعطاه الفسكرة في قراءة كتابه كان عند مولاه مستجاب الدعاء *

حكاية في الاعتماد على الله

حكى : عن مطرف بن الشخير رحمه الله أنه أرسل رسولا عن عوذ ماء (٢) وكان في زمان الحر ، فأبطأ عليه الرسول وكان عنده جماعة قد عطشوا وكان معه قليل ماء ، فقام فتوضأ بذلك الماء ثم صلى ركعتين دعا فيهما مولاه سبحانه ، فأرسل الله تبارك وتعالى سحابة حتى شرب هو وأصحابه ، فقليل له بم بلغت هذه المنزلة ؟ فقال : جعلت كتابي نصب عيني في ليلي ونهارى حتى كأني أقرؤه بين يدي ربي جل جلاله *

حكاية عن مالك بن دينار

قال عبد الواحد بن زيد رحمه الله : كنا عند محمد بن واسع ومعه مالك بن دينار فجاء رجل فكلّم مالكا وأغلظ عليه في الكلام في قسمة قسمها وقال وضعتها في غير حقها وفضلت بها أهل مجلسك ليكثرُوا جمعك ولتصرف وجوه الناس إليك ، قال فبكى مالك بن دينار وقال : ما أردت بهذا هذا الذي تقول ، قال بلى والله لقد أردته ، فلما أكره على مالك الكلام رفع جيب يديه وقال : اللهم ان هذا قد شغلنا عن ذكرك فارحنا منه كيف شئت ، فسقط الرجل ميتا بادن الله *

(١) النصب بالفتح شدة التعب واللغوب الاعياء (٢) أي عن شدة عوذهم واحتياجهم للماء كما يحصل غالبا في البلاد التي لم يكن بها نهر جارى .

دعاء ابن واسع

وكان محمد بن واسع اذا جن عليه الليل يبكي ويقول في بكائه : ويلى من ذنوب قد
أحصيت ، ومن صحيفة قد ملئت ، وربى قد علم ذلك ولم يخف عليه من ذلك شئ . فأورثه
الله تعالى بيكائه على كتابه ، وعلى حياته من ربه الاستجابة في الدعاء وتنور القلب . وأنشدوا :

أرى المشيب بالعذار قد ألم كأن موتى عن قريب قد هجم
خط المشيب أسطرا في مفرق فراعنى ما خطه وما رقم
هل الفتي اذا انقضى شبابه الا كزرع هاج (١) سوف ينحطم
شاب الفؤاد قبل شيب لمتى (٢) واعتادنى ضعف القوى قبل الهرم (٣)
ويحى من التويخ من ربى غدا من ذلك الأمر الشديد المستهم (٤)
ويحى اذا نادى المنادى بى ألا قم عبدا سوء مسرع للعرض قم
ويحى اذا ما قال لى مقررأ وخص شيئا بعد شئ ثم عم
ما قد صنعت فى فروضى والذى قضيت منها هل صفا لى هل سلم
فجئت ربي خاسرا قد أثقلت ظهري ذنوب كمال سحاب المرتكم (٥)

قال الله تبارك وتعالى (ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه) وضع الكتاب
لفصل القضاء ، ووضع الكتاب للحزن والبكاء . وضع الكتاب لتبدو الفضائح ووضع
الكتاب لتظهر القبائح . وضع الكتاب لتصح الصحائح . الله الله يامعشر المذنبين حاسبوا
أنفسكم قبل يوم الحساب ، وارحموا أنفسكم قبل نزول العذاب ، وبادروا بالتوبة قبل غلق
الباب ، واجتهدوا فى بقية أعماركم قبل وضع الكتاب ، وسارعوا إلى المغفرة من ربكم قبل
الخجل بين يدي رب الأرباب ، وقبل أن تطلبوا بردا للجواب ، وتحبس الألسنة عن النطق
والخطاب ، وتشهد الجوارح بما عملت من عصيان أو ثواب . وأنشدوا :

(١) هاج النبات يابس وجف (٢) اللمة الشعر الذي يحاوز شحمة الاذن فاذا بلغ المنكبين
سمى قمة (٣) الهرم كبر السن ، والهرم مشهور بمصر (٤) يريد الامر الشديد المهم (٥) أصله
المتراكم أى المجتمع بعضه على بعض

أبكي لذنبك طوال الدهر مجتهدا إن البكاء معول (١) الاحزان

لا تنس ذنبك في الكتاب وعظمه إن الذنوب تحيط بالانسان

مساكين أهل الذنوب ، أطاعوا الشيطان ، وعصوا الرحمن . مساكين أهل الذنوب جلت
كروبههم وعظمت خطوبهم ، وكبرت عيوبهم ، وأحصيت عليهم في الكتاب ذنوبهم . مساكين أهل
الذنوب عصوا الجبار في الليل والنهار ، وبذلوا مهجتهم لعذاب النار ، وسودوا صحفهم بالخطايا
والاوزار ، مساكين أهل الذنوب غفلوا عن الطاعة ، وخالفوا السنة والجماعة ، وخسروا
أنفسهم قبل قيام الساعة . وأنشدوا :

(من كان) يخشى الله (٢) جل جلاله فليكثر العبرات في الخوات

فلعله بعد التذكر والبكا بدلت له العبرات بالحسنات

وتخفف الاوزار عن منشوره يوم الحساب وهو وقف الحسرات

عجائب الكتب

قال الله تعالى: (ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه) عباد الله عند وضع الكتاب
عجائب ، وأحزان ومصائب ، وكروب ونوائب . فواحد يوضع له الكتاب فيكي ، وآخر
يوضع له الكتاب فيفرح ويبيكي . وآخر يوضع له الكتاب فتجري على وجهه نضرة النعيم (٣)
 وآخر يوضع له الكتاب فتعلو وجهه ظلمة الجحيم . وآخر يوضع له الكتاب محتوما بسخط
الرب الجواد . وآخر يوضع له الكتاب محتوما بالتوفيق والسداد

اللهم وفقنا للطاعة ، وأمتنا على السنة والجماعة ، ونجنا من أهوال يوم الساعة ، وأدخلنا
في جملة أهل الشفاعة . واعلموا معشر المذنبين أن الماء يحو الكتاب من الواسح الصديان ،
والدمع يمحو من كتبكم الأوزار والعصيان ، والهموم والغموم والاحزان . فاجتهدوا في البكاء
معشر الاخوان ، وأكثروا الندامة فانها توجب الغفران . وأنشدوا :

دعوني على نفسي أنوح وأندب بدمع غزير واكف يتصب

(١) كذا ورد بالاصل ولعله يريد به معول الاحزان والمعول الفأس العظيمة . أو هو

المعول عليه أي المحمول عليه (٢) سقط في الاصل : من كان وزدناها (٣) النضرة الحسن والرواق
والنضار الذهب

دعوني على نفسي أنوح فاني أخاف على نفسي الضعيفة (١) تعطب
وإني حقيق بالتضرع والبكا إذا ما هذا (٢) النوام والليل غيب (٣)
وجالت دواعي الحزن من كل جانب وغارت نجوم الليل وانقض (٤) كوكب
كفني ان عيني بالدموع بخيلة وإني بآفات الذنوب معذب
فمن لي إذا نادى المنادى بمن عصي إلى أين إلجائي إلى أين أهرب؟
وقد ظهرت تلك الفضائح كلها وقد قرب الميزان والنار تلهب
فيا طول حزني ثم يا طول حسرتي لأن كنت في قاع الجحيم أعذب
فقد فاز بالملك العظيم عصابة تبيت قياما في دجي الليل ترهب
إذا أشرف الجبار من فوق عرشه وقد زينت حور الجنان الكواعب
فناداهم سهلا وأهلا ومرحبا أبحت لكم داري وما شئتم اطلبوا
فبادروا رحمكم الله في هذه الايام الشريفة ، إلى محو السيئات من الصحيفة .

ضرب مثل في رقة القلب

يا أخي الخشبة اليابسة إذا دخل طرفها الواحد في النار عرق طرفها الآخر ، وكذلك القلب إذا كانت فيه حرقه ندامة الذنوب التي حصلت في الكتاب المكتوب الموضوع ، جادت العينان بوا كف الدموع ، ولانت الجوارح بالخضوع ، والقلب بالانابة والخشوع .
وانشدوا :

كتبت بأدمعي في صحن خدي كتابا بالتذلل والخضوع
فقالوا قد عفونا عنك لما محوت قبيح فعلك بالدموع

(١) في الاصل - الضيعة وهو تحريف . (٢) هداً سكن ويريد إذا نام الناس وسكنت الحركات والأصوات (٣) الليل غيب شديد الظلام (٤) انقض الكوكب سقط وهوى

-حكاية عن التوبة-

ذكر عن بعض الخائفين أنه قال : رأيت رجلا واقفا على صبي من الصبيان في المكتتب وهو يمحو لوحا ، وكان اللوح قد كتبه بالحبر ، وكانت الكتابة قد ثبتت ولا تزول بالماء ، فجعل الصبي يحك اللوح بالحبل والتراب ، فقال الرجل الواقف عليه : يا بني مالك تحك اللوح بالحبل فقال ليزول الحبر الذي ثبت فيه ، فقال له الرجل والحبل يا بني يزيل الحبر ؟ قال نعم ألا ترى أن الحبل إذا حك في تنور البئر يؤثر فيه وهو حجر فيصير فيه من أثر الحبل شبه الخنادق ! فقال الرجل ذلك بطول المدة ، فقال الصبي لا يا نعم الرجل إلا بالحزم والاجتهاد وإياك يا نعم الرجل بعيد الذهن ، قال الرجل كيف ذلك يا بني ؟ قال : لاني قد قات لك إشارة لو ألقيتها على قلبك لأفاق وامتحي الحبر الذي عليه ، فقال الرجل : يا بني كان على قلبي حبرا ؟ قال يا نعم وأي لون هو الحبر ؟ قال : هو أسود . قال الصبي : يا نعم ألم أقل لك إنك بعيد الذهن ، وأي سواد أشد من سواد الذنوب على القلوب ! فصاح الرجل صيحة وخر مغشيا على وجهه ثم أخذني البكاء . فقال له الصبي أما الآن فقد وجدت الدواء لذنوبك ومحوها من كتابك وقلبك . فقال الرجل : يا بني وما الدواء ؟ فقال له : البكاء . فقال : يا بني والبكاء يمحو الذنوب من الكتاب والقلب ؟ قال له : نعم والدليل على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم « إن الدموع تطفيء بحار النار يوم القيامة عن الباكي » *

الدموع تمحو الذنوب

فاذا محت الدموع : بحار النار فأحرى أن تمحو من الكتاب القبائح والأوزار ، وإذا زالت من الكتاب الفضائح والأوزار ، رضى عنك الملك الغفار ، وأمر بك إلى دار الراحة والقرار ، وخلصت من عذاب البوار . فابكوا يا جماعة المسلمين على ما أذنبتم في الشهور والأعوام ، وفي الساعات والأيام ، من الخطايا والاجرام ، واكتساب الربا والحرام ، وظلم الضعفاء والأرامل والأيتام ، وما فرطتم فيه من أداء حقوق الملك العلام . وأنشدوا :

وددت أن دموعي بحر فأسفحها (١) من مقلتي على ما فات من زمني

(١) في الأصل : وددت أن دموعي يجري فأسفحه ، ولا يستقيم ذلك . وأسفحها أهريقها

واها على أسف منى على وهل يحنى التأسف الاغلة الشجن
والله لو صبح تحقيق التأسف ما ألفت إلامع النوام في الحزن (١)
يأليت لي عينا في كل جارجة تبكى على بدمع مانع الوسن

فضل البكاء

قالواجب- والله يا أهل الاسلام- على كل مسلم علم من نفسه ذنباً أن يكثّر البكاء عليه عساه
يمحوه من كتابه مولاه ، ويتفضل عليه ويغفر له ما قد جناه ، فهو المنان الكريم ، المتفضل
العظيم . اللهم يا أكرم الأكرمين ، ويا آخر الغافرين تفضل علينا بتوبة وعلى جميع المذنبين ،
تنقلنا بها من ذل المعصية إلى عز الطاعة ، وثبتنا عليها حتى تخرجنا من الدنيا بلا ذنب
ولا تباعة (٢) على منهاج أهل السنة والجماعة ، الذين أوجبت لهم الرحمة والشفاعة . اللهم إن
الطاعة والمعاصي بقدرك ، وفي يدك القلوب والنواصي ، فطهر قلوبنا بماء التوبة ، واغسلها من
دنس الحوبة ، وامتحننا بالسلامة في ديننا ودنيانا ، وفي أسماعنا وأبصارنا ، وجميع جوارحنا
ما أبقيتنا ، ولا تردنا على أعقابنا بعد إذ هديتنا ، فانك على كل شيء قدير ، ولا حول ولا قوة
إلا بالله العلي العظيم *

١٠- ﴿مجلس في ذكر الجنة وأوصافها﴾

﴿وما أعد الله لأوليائه من النعيم فيها﴾

أيها المرید إنه ينبغي لك أن تشغل قلبك وتعمل فمكرك بالتطلع إلى ما أعد الله عز وجل
لأوليائه في جنته ، والاشتياق إلى ما وصف الله لنا من نعيمها فمن اشتغل بذكرها ، واشتاق
إلى نعيمها ، لهى عن الرغبة في الدنيا والحرص عليها والترجع بأمانها ، وترك طلب العلو فيها

آيات في الجنة

وقد قال الله عز وجل (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يرون علواً في الأرض ولا فساداً
والعاقبة للمتقين) وقال عز من قائل (مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار
أكلها دائم وظلها) وقال عز من قائل (جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب
(١) كذا وردت بالأصل ولعله يريد مع المقيمين أبداً في الحزن (٢) التباعة والتبعة ما اتبع به

ولؤلؤ ولباسهم فيها حرير) وقال (الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور)
 الآية . الى لغوب . وقال عز من قائل (فى جنات النعيم على سرر متقابلين يطاف عليهم بكأس
 من معين) الآية . الى مكنون . وقال عز وجل (يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب)
 الآية . الى خالدين *

أحاديث فى الجنة

روى عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما رأيت
 مثل الجنة نام طالبها ، ولا مثل النار نام هاربها » *
 روى عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من
 اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات ، ومن أشفق من النار لطي عن الشهوات ، ومن ترقب
 الموت هانت عليه المصيبات » *

روى عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما خلق
 الله الجنة قال لجبريل اذهب فانظر اليها ، فذهب فنظر اليها ثم رجع فقال يارب لا يسمع بها
 أحد إلا دخلها ، ثم حفها بالمسكاره (١) فقال الله اذهب فانظر اليها ، فذهب فنظر اليها فقال
 يارب وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد ، فلما خلق الله النار قال يا جبريل اذهب فانظر
 اليها ، فذهب فنظر اليها فقال جبريل يارب لا يسمع بها أحد فيدخلها ، ثم حفها بالشهوات
 فقال يا جبريل اذهب فانظر اليها فذهب فنظر اليها فقال يارب وعزتك لقد خشيت أن لا يبقى
 أحد إلا دخلها » فبما مشر المشتاقين جامدوا عدوكم اللعين بترك الشهوات ، ونافسوا فى أفعال
 الخيرات ، وتحملوا فى طاعة مولاكم المسكروهات ، يسكنكم مولاكم الجنات ، ويؤنسكم
 أعلا الغرفات ، ويرفع لكم الدرجات *

شجرة طوبى

روى عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن فى
 الجنة شجرة يقال لها طوبى لويسير الراكب فى ظلها مائة عام لم يقطعها » (٢) بطحاؤها ياقوت
 (١) وفى الحديث « حفت الجنة بالمسكاره ، وحفت النار بالشهوات » وذلك أن الطاعات
 تشق على النفس والشهوات تخفف عليها الا لمن عصم الله سبحانه وقليل ما هم (٢) وقد أخرجه
 مسلم ولم يسمها طوبى بل قال شجرة فقط.

وترابها مسك ابيض ، وروحها عنبر أشهب ، وكشبانها كافور اصفر ، وبسرها زمرد أخضر ، وأفئادها سندس واستبرق ، وزهرها رياض أصفر ، وورقها برود خضر ، وثمرها حلال صفر ، وسقيها زنجبيل وعسل ، وعبقها زعفران مبهج ، والالنجوج (١) يتأجج من غير وقود يتفجر من أصلها أنهار السلسيل والرخيق ، وظلها مجالس أهل الجنة يأنفونه ، ومتحدث يجمعهم تحتها *

وصف الجنة

فبينما هم ذات يوم يتحدثون في ظلها إذ جاءتهم الملائكة بنجائب مزودة بسلاسل من ذهب كأن وجوهها المصاييح نضارة وحسنا وبرها خمر أحمر ، وعبقري أبيض مختلطان الحمرة بالبياض والبياض بالحمرة لم ينظر الناظرون إلى مثله حسنا وبها ، ذللا من غير محنة ، نجب من غير رياضة (٢) رحالها من الياقوت الأخضر ؟؟ ملبسة بالعبقري والأرجوان ، ولجتها ذهب وكسوتها سندس واستبرق ، فأناخوا اليهم تلك الرواحل وحيوهم بالسلام من عند الرب السلام وقالوا لهم أجيوا ربكم جل جلاله فإنه يستزيركم فزوروه وليسلم عليكم وتسلموا عليه ، وينظر اليكم وتنظروا اليه ، ويكلمكم وتكلموه ، ويحييكم وتحيوه ، ويزيدكم من فضله فإنه ذو رحمة واسعة ، وذو فضل عظيم *

رواحل الجنة

فيتحول كل رجل منهم على راحلته ثم يسير بهم صفا واحداً معتدلاً الرجل الى جنب أخيه عن يمينه لا يفوت ركة ناقة ركة صاحبته ولا تعدو أذن ناقة أذن صاحبته ، يمرون بالشجرة من أشجار الجنة فتميل لهم عن طريقهم كراهية أن يفرق بينهم ، فإذا وقفوا بالجبار تبارك وتعالى أسفر (٣) لهم عن وجهه الكريم ، وتجلي لهم في عظمته العظيمة ، فيسلمون عليه ويرحب بهم وسلامهم وتحيتهم أن يقولوا ربنا أنت السلام ومنك السلام ولك حق الجلال والجلال فيقول لهم الرب جل جلاله عبادي عليكم السلام مني وعليكم رحمتي ومحبتي مرحبا وأهلاً بعبادي

(١) أظنه نوع من الطيب يتبخر به . (٢) يريد أن هذه النجائب ذات اللون العجيب لم تدلل بالرياضة والتعليم وإنما خلقة (٣) أسفر الصبح أضاء ، وفي الحديث « أسفروا بالفجر فإنه أعظم للأجر »

الذين أطاعوني بالنيب والذين حفظوا وصيتي ورعوا عهدي وكانوا مني على كل حال مشفقين (١) فيقولون وعزتك وجلالك وعظمتك وعلو مكانك ما قدرناك حق قدرك ولا أدينا اليك كل حقك فأذن لنا بالسجود لك ، فيقول لهم ربهم عز وجل إني قد رفعت عنكم مؤنة العبادة فهذا حين أرحت لكم أبدانكم ، وهذا حين أفضيتكم إلى روحى ورحمتى ، ورجنتى وكرامتى ومبلغ الوعد الذى وعدتكم فاسألوني ما شئتم وتمنوا على أعطكم امانىكم فإني لن أجزيكم اليوم بقدر اعمالكم ولكن أجزيكم بقدر رحمتى وكرامتى وراقى وعزى وجلالى وعلو مكانى وعظمة شأنى فاسألوني ما شئتم ، فإيزالون فى الأمانى حتى ان المقصر فى امنيته يقول : ربنا تنافس اهل الدنيا فى دنياهم ، وفخر بعضهم الى بعض فاجعل حظى من الجنة كل شىء كان فيه اهل الدنيا من يوم خلقتها الى يوم افنيتها ، فانا رفضناها وزهدنا فيها وصغرت فى اعيننا تشاغلا بأمرك وإعظامالك وإجلالاولإعزازاه

اكرام الله تعالى

فيقول لهم ربهم لقد قصرتم فى أمنيتهم ورضيتهم بدون حظكم وبأقل من حقكم فقد أوجبت لكم ما سألتهم وتمنيتم حتى تعرفه انفسكم ؛ والحقة بكم ما قصرت عنه امانىكم فانظروا الى ما أعددت لكم والى ما لا تبلغه أمانىكم ولم يخطر على قلوبكم فيؤتون ذلك ، فيقولون ربنا انت أحق بالامن والرحمة ولو وكلتنا الى انفسنا وامانينا لضيعنا حظنا وإذا بقباب فى الرفيع الاعلى قد نصبت وغرف من الدر والمرجان قد رفعت ابوابها من ذهب ، ومنابرها من نور وسررها من ياقوت ، وفرشها من سندس واستبرق يفور من اعراضها وافواهاها ماء . نور شعاع الشمس عنده كنور الكوكب الدرى فاذا هم بقصور شاحخة فى اعلا عليين من الياقوت يزهر نورها فلوانها متخذة اذا لامتشت الابصار من شدة صفائها وعشق جوهرها فما كان منها ابيض فمن الياقوت الابيض مفروشا بالحرير الابيض . وما كان منها احمر فمن الياقوت الاحمر مفروشا بالعبرى الاحمر . وما كان منها اخضر فمن الياقوت الاخضر مفروشا بالسندس الاخضر . وما كان منها اصفر فمن الياقوت الاصفر مفروشا بالارجوان الاصفر ، مبوبة بالذهب الاحمر والفضة البيضاء قواعدها من جوهر واركانها من ذهب وشفوفها قباب من لؤلؤ وبروجها غرف من مرجان

(١) الاشفاق الخوف

براذين الجنة

فهم كذلك وإذا براذين مقربة من الياقوت الاحمر مصنوعا فيها الروح (١) بجنبها الولدان المخلدون ويبد كل وليد حكمة برذون من تلك البراذين على كل أربعة منها مرتبة من مراتب الجنة كالرحالة أسفلها سرير من ياقوتة وعلى كل سرير منها قبة من ذهب مفرغة في كل قبة منها فراش من فرش الجنة مظهرة ، في كل قبة منها جاريستان من الحور العين على كل جارية منها ثوبان من ثياب الجنة ليس في الجنة لون حسن الا وهو فيهما ولا ريحة طيبة الا عبق بهما ينفذ ضوء وجوههما غلظ القبة حتى يظن من ينظر اليهما أنهما من دون القبة ، يتبين مخبا في عظامها كما يتبين السلك الابيض في الياقوتة الصافية ، ثم يأمر الله عز وجل رجلا منهم فيتحول في مركبه مع صاحبه فتعانقه وتقبله وتمنيه بكرامة الله عز وجل ، والقبة إما لؤلؤة وإما زمردة ، وإما ياقوتة وإما درة وإذا في قبة من تلك القصور منابر من نور عليها ملائكة قعود ينتظرونهم ليهتوهم ويحيوهم ، فيتحول كل رجل منهم على مركبة تزف تلك البراذين وجنبها الولدان المخلدون ، تشيعهم الملائكة المقربون يقطعون بهم رياض الجنة . فلما رفعوا الى قصورهم نهضت الملائكة في أعراضهم فاستنزلوهم وصافحوهم وشبكوا أيديهم في أيديهم ثم أجلسوهم بينهم ثم أقبلوا على الضحك والمداعبة حتى علت أصواتهم .

مصافحة الملائكة

تقول الملائكة أما وعزة ربنا وجلاله ماضحكننا منذ خلقنا الا معكم ، ولا هزلنا الا معكم ، فهنيئنا لكم هنيئا بكرامة ربكم . فلما ودعوهم وانصرفوا عنهم دخلوا قصورهم فليس أحد منهم الا وقد وجد الله عز وجل قد جمع له في قصره أمنية التي تمنى ، وإذا على كل قصر منها باب يفضى الى واد أفيع (٢) من أودية الجنة ، محفوفة تلك الأودية بجبال من الكافور الايض وكذلك جبال الجنة وهي معادن الجواهر والياقوت والفضة فارغة أفواها في بطون تلك الأودية ، في بطن كل واحد منها أربع جنات ، (جنتان ذواتا أفنان فيهما عينان تجريان

(١) كذا وردت هذه العبارة ولعله يريد براذين بجنبها الولدان ويبد كل وليد لجام برذون منها . والحكمة في البراذين انها موطأة الظهور مريحة جدا للراكب حتي قيل إن راكبها يشرب خوقظهرها القهوة ولا تندفق منه (٢) أفيع أي عبق الريح متسع يقال فاحت ريح المسك فوحانا وفيحانا

فيهما من كل فاكهة زوجان ، وجنتان مدهامتان ، فيهما عينان نضاختان ، وفيهما فاكهة ونخل ورمان ، وحور مقصورات في الخيام لم يطعنهن انس قبلهم ولا جان ، كأنهن الياقوت والمرجان) . فلما تبوءوا المنازل واستقر قرارهم زارهم ربهم تبارك وتعالى في ملائكته فيقول لهم (هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً) قالوا نعم ، قال كيف وجدتتم ثواب ربكم ؟ قالوا ربنا رضينا فارض عنا . فيقول لهم الجليل جل جلاله برضائي عنكم نظرتكم إلى وجهي وسمعتكم كلامي وحللتكم داري وصافحتكم ملائكتي . فنهيتاهنينا عطائي لكم ليس فيه نكد ولا تسكير فقالوا (الحمد لله الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها الغوب) *

عدد الجنات وأسمائها

روى عن وهب بن منبه عن ابن عباس قال : لما خلق الله تبارك وتعالى الجنات يوم خلقها وفضل بعضها على بعض فهي سبع جنات : دار الخلد ، ودار السلام ، وجنة عدن — وهي قصبة الجنة وهي مشرفة على الجنان كلها وهي دار الرحمن تبارك وتعالى ، ليس كمثل شيء ولا يشبهه شيء ولباب جنات عدن مصراعان من زمرد وزبرجد من نور كما بين المشرق والمغرب (١) — وجنة المأوى ، وجنة الخلد ، وجنة الفردوس ، وجنة النعيم . سبع جنات خلقها الله عز وجل من النور كلها مدائن وقصورها ، وبيوتها وشرفها وأبوابها ودرجها ، وأعلامها وأسافلها ، وآيتها وحليها ، وجميع أصناف ما فيها من الثمار المتدلية ، والأنهار المطرزة بألوان الاشربة ، والخيام المشرفة ، والاشجار الناضرة بألوان الفاكهة ، والرياحين العبقية ، (٢) والازهار الزاهرة والمنازل البهية المعجبة *

الحور العين

فيها الأزواج المطهرة ، والعين الغنجات ، بريط النور (٣) معتجرات بوشح الكرامة ، متزينات ، بالمسك منزملات ، حديق أعينهن كاحلات ، وأطرافهن خاشعات ، وفروقهن مكلاة بالدر ، مركبة بالياقوت ، ينادين بأصوات غنجة رخيمة لذيفة يقطن : نحن الخالدات فلا نموت (١) كذا وردت ولعله يريد أنهما من زمرد وزبرجد منير ، لأنه يستحيل أن يكونا من جوهر ومن نور . (٢) عبق به الطيب لزق وهو هنا فاح طيبه (٣) الربطة الملاحة إذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقين .

أبدا ، ونحن الغانجات فلا نبأس أبدا ، ونحن المقيمات فلا نظعن أبدا ، ونحن الراضيات فلا
نستخط أبدا ، ونحن الحور الحسنات أزواج أقوام كرام ، ونحن الابدكار السوام للعباد
المؤمنين ، طوبى لمن كان لنا وكنا له . فذلك قوله عز وجل (إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن
أبكاراً عرباً) عاشقات لازواجهن (أتراباً) مستويات في الاسنان (حور عين) حسان
جمال (كأَمْثال اللؤلؤ المكنون) كأنهن الياقوت والمرجان . مشيها هرولة ، ونفختها حالية
شبيهة بهية فائقة واثقة لزوجها عاشقة وعليه محبوسة وعن غيره محجوبة فذلك قوله عز وجل
(فيهن قاصرات الطرف) يقول قصرت أطرافهن عن الرجال فلا ينظرن إلى غير أزواجهن
(لم يطمثن إنس قبلهم ولا جان) وكلما أصابها زوجها وجسدها غدراء عليها سبععون حلة
مختلفة الوشى والالوان ، حملها أهون عليها وأخف من شعرها .

صفة الحور

في نحرها مكتوب ، أنت حبي وأنا حبك لست أبغى بك بدلا ولا عنك معدلا . كبدها
مرآته وكبده مرآتها يرى مخ ساقها من وراء لحمها وحليها كما ترى الشراب الاحمر في الزجاج
البيضاء ، وكما يرى السلك الابيض في جوف الياقوتة الصافية .

دار السلام

وخلق دار السلام من الياقوت كلها أزواجها وخندها وآنيتهما وأسرتهما وحبالها
وقصورها وخيامها ومداينها ودرجها وغرفها وأبوابها . وثمارها من اللؤلؤ والياقوت .

جنة عدن

وخلق جنة عدن من الزبرجد كلها على هذه الصفة . وخلق جنة المأوى من الذهب الاحمر
بجميع ما فيها على هذه الصفة *

جنة الخلد

وخلق جنة الخلد من الفضة البيضاء بجميع ما فيها على هذه الصفة . والجنات كلها مائة
درجة ما بين الدرجتين خمسمائة عام . حيطانها لبنة من ذهب ولبنة من فضة ، ولبنة من ياقوت

ولبنة من زبرجد . ملاطها (١) المسك ، وقصورها الياقوت ، وغرفها اللؤلؤ ، ومصارعها الذهب ، وأرضها الفضة ، وحصباؤها المرجات ، وترايبها المسك . أعدها الله عز وجل لأوليائه ، يقول الله تبارك وتعالى يا أوليائي جوزوا الصراط بعفوي ، وادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها بأعمالكم ، فلكم صنعت ثمار الفردوس ، ولكم نصبت شجرة الخلد ، ولكم بنيت القصور التي أسست بالنعيم ، وشرفت بالملك والخلود»

درجات أهل الجنة

قال ابن عباس رضي الله عنهما : فأسفل أهل الجنة درجة من له من الجنة مسيرة خمسمائة عام ، ويزوج خمسمائة حوراء ، وأربعة بكر ، وثمانية آلاف بيت ، وإنه ليعانق الزوجة عمر الدنيا فلا يتأخر واحد منهما عن صاحبه ، وإنه لتوضع المسائدة بين يديه فلا ينقضي شبعه عمر الدنيا ، وإنه ليوضع الاناء على فيه فلا ينقضي ربه عمر الدنيا ، وإنه ليأتيه ملك بين أصبعيه مائة حلقة تحية من ربه تبارك وتعالى فيلقياها على بدنه فيقول العبد : الحمد لله وتبارك ربي وتعالى فما عجبت كاعجابي بهذه الهدية . فيقول الملك : أعجبتك ؟ فيقول نعم ، فيأذن الملك أدنى شجرة من جنة الخلد فيقول أنا رسول ربك إليك تسكوني لولى الله ما أحب فقتلون له على ما يشتهى »

طعام الجنة

ويبلغ غداؤه سبعين ألف صفحة من ألوان لحوم الطير كأنها البخت لا ريش لها ولا زغب ولا عظم ، فلا تطبخ بالنار ، ولا تقلبها القدور ، ولذتها لذة الزبد ، وحلاوتها حلاوة العسل ، ورائحتها رائحة المسك . يأكل من كلها يجد لآخرها من الطعم كما يجد لأولها (٢) . وفي عشائه مثل ذلك»

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا كلون ويشربون ويتفكحون يصير طعامهم

(١) الملاط هو المادة التي توضع بين الاحجار وبعضها ويقال لها الآن : المونة . وتصنع

من رمل وجير وجبس وغيره

(٢) يريد أن طعامها لا يتغير في فمه من الشبع في آخر الطعام لأنه يأكل حينئذ للذة وليس

لسد خلة الجوع لأنها اتفت هناك .

وشرابهم رشحا كرشح المسك يخرج من أجسادهم ، ويبعث الله تبارك وتعالى إليهم الملائكة بهدية من لدن العرش»

دلال الحور

روى عن الحسن رضى الله عنه أنه قال : بينما ولى الله فى الجنة مع زوجته من الحور العين على سرير من ياقوت أحمر وعليه قبة من نور ، إذ قال لها : قد اشتقت إلى مشيتك ، قال فتنزل من سرير ياقوت أحمر إلى روضة مرجان أخضر ، وينشئ الله عز وجل لها فى تلك الروضة طريقين من نور ، أحدهما نبت الزعفران ، والآخر نبت الكافور ، فتمشى فى نبت الزعفران ، وترجع فى نبت الكافور ، وتمشى بسبعين ألف لون من الغنخ »

وروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يسطع نور فى الجنة فيرفعون رؤوسهم فإذا هو نور حوراء ضحككت فى وجه زوجها » »
وروى عن جابر بن عبد الله أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يتمخضون ولا يتغوطون ولا يبولون ولكنه رشح كرشح المسك ، قد ألهموا التسليم والتقديس والتكبير والتحميد » »

لباس أهل الجنة

وروى عن بعض العلماء أنه قال : بلغني أن ولى الله فى الجنة يلبس حلة ذات وجهين يتجاوبان بصوت ملبح ، تقول التى تلى جسده أنا أكرم على ولى الله منك أنا أمس بدنه وأنت لا تمسين بدنه ، فتقول التى تلى وجهه بل أنا أكرم على ولى الله منك أنا أرى وجهه وأنت لا ترى وجهه »

وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « نبعث أهل الجنة على صورة آدم عليه السلام فى ميلاد ثلاث وثلاثين سنة جرداً مرداً مكحلين ، ثم يذهب بهم الى شجرة فى الجنة فيلبسون منها ثياباً ، لا تبلى ثيابهم ، ولا يفنى شبابهم » »

أول من يدخل الجنة

وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة

القمر ليلة البدر ، والذين على آثارهم كأشد كوكب درى فى السماء إضاءة ، قلوبهم على قلب واحد ، لا اختلاف بينهم ولا تباغض يسبحون الله بكرة وعشيا ، لا يسقمون فيها ولا يموتون ، ولا ينزفون (١) آيتهم من الذهب والفضة ، وأمشاطهم الذهب ، ووقود بحارهم الالوة (٢) ورشحهم المسك »

مساكن الجنة

وقال الحسن رحمه الله فى قوله عز وجل (ومساكن طيبة فى جنات عدن) قيل سأل ابن أخيه فى ذلك فقال : يا ابن أخى على الخير وقعت ، سألت عنها أباهريرة وعمران بن حصين فقالا على الخير وقعت ، سألنا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سألنا فقال : « هى قصر فى الجنة من لؤلؤة بيضاء فيها سبعون دارا من ياقوتة حمراء ، فى كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء ، فى كل بيت سبعون سريرا على كل سرير فراش لون على لون ، على كل سرير امرأة من الخور العين . فى كل بيت مائدة على كل مائدة سبعون قصعة ، وعلى كل مائدة سبعون وصيفا ووصيفة يعطى الله المؤمن فى غداة واحدة ما يأكل ذلك الطعام ، ويطوف على تلك الأزواج » *

طيور الجنة

وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إنه لينظر إلى الطائر فى الجنة فيخبر بين يديه مشويا والطائر أمثال الابل ، فيقول الطائر منها يا ولى الله أما أنا فقد رعيت فى وادى كذا وكذا ، وأكلت من ثمار كذا وكذا ، وشربت من ماء عين كذا وكذا ، وسنى كذا وريحى كذا فكل منى ، فاذا اشتهى حسن الطائر واشتهى صفته فوقع فى نفسه وقع الطائر على

(١) لا ينزفون أى لا يسكرون . يريد لا تنزف عقولهم ، ونزف معناها نزح كما تقول نزف ماء البئر نزحه كله ، ولما كانت الجنة دار نعيم وراحة وتكريم اقتضت حكمته تعالى أن يخرها وإن حصلت منه نشوة الخمر وفيها طعم الخمر إلا أنها لا تذهب بعقول شاربيها هناك .

(٢) الالوة . عود الطيب ، ولقد أخرج أصحاب السنن هذا الحديث عن أبي هريرة رضى الله عنه بألفاظ مختلفة تؤدى هذا المعنى إلا أن فيه : بدل قلوبهم على قلب رجل واحد ، على خلق رجل واحد بفتح الخاء وبعضهم رواها بضمها . وكلاهما يصح .

ما يريد قبل أن يتكلم ، نصفه قديداً ونصفه شواء ، كلها شبع ألقى الله عليه الف باب من الشهوة في الأكل ، ثم يؤتى بالشراب على برد الكافور — وليس بهذا الكافور — وطعم الزنجبيل — وليس بهذا الزنجبيل — وعلى ريح المسك — وليس بهذا المسك — فإذا شرب هضم ما أكل من الطعام ، ويأكل مقدار أربعين عاماً ، ويعطي قوة مائة شاب في الجماع ، ويجمع مقدار أربعين سنة ، له في كل يوم مائة عذراء ، بذكر لا يمل ولا يثنى ، وفرج لا يثني ولا يثني . »

أنهار الجنة

قال وهب بن منبه رضى الله عنه : إن في رياض الجنة نهر من أنهارها فهو أصل أنهار الجنة كلها أظهره الله عز وجل حيث ما أراد ، وأن النيل نهر العسل ، ودجلة نهر اللبن في الجنة ، والفرات نهر الخمر في الجنة وسيحان نهر الماء في الجنة ، وجيحان كذلك ، وهما بارض الهند ، وهما نهر الماء في الجنة ، وصفهم الله عز وجل في الدنيا حتى يصيرهم إلى الجنة . (١)
وذكر وهب عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« مكتوب على باب الجنة إني أنا الله لا إله إلا أنا لا أعذب من قالها ، إني أنا الله لا إله إلا أنا محمد رسول الله لا أعذب من قالها » .

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لشبر في الجنة خير من الدنيا وما فيها » قال الله عز وجل (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة عين جزاء بما كانوا يعملون) .

سرر الجنة

قال ابن عباس رضى الله عنه : وذلك أن ولي الله في الجنة على سرير والسرير ارتفاعه خمسمائة عام وهو قول الله عز وجل (وفرش مرفوعة) قال والسرير من ياقوت أحمر وله
(١) سيحان نهر بالشام ، وساحين نهر بالبصرة ، وسيحون نهر بالهند ، وفي غالب الكتب الإسلامية لا يذكر إلا هذه الأنهار التي ذكرها المؤلف رحمه الله وإن كان يوجد كثير من الأنهار العظمى في قارة أوروبا وأستراليا وفي أمريكا ولكن تلك الأنهار وإن كانت أنهاراً عظيمة إلا أنها لم تكن معروفة عند عامة المسلمين في الصدر الأول ، فلذلك لم تذكر ضمن هذه الأنهار المشهورة عندهم . اللهم إلا إذا استثنينا نهر الكنج المقدس في الهند فقد ذكر من ضمنها .

جناحان من زمرد أخضر ، وعلى السرير سبعون فراشا حشوها النور ، وظواهرها السندس ، وبطانتها من استبرق ، ولو دلى أعلاها فراشا ما وصل إلى آخرها مقدار أربعين عاما *.

أرائك الجنة

وعلى السرير أريكة وهي الحجلة وهي من لؤلؤة عليها سبعون سترا من نور وذلك قوله عز وجل (هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون) يعني ظلال الأشجار ، على الأرائك يعني الأسرة في الحجال ، فبينما هو معانقها لا تمل منه ولا يمل منها والمعانقة أربعين عاما فإذا رفع رأسه فإذا هو بأخرى متطلعة عليه تناديه : يا ولي الله أما لنا فيك من دولة ؟ فيقول حبيبتى من أنت ؟ فتقول أنا من اللواتي قال الله فيهن (ولدينا مزيد) قال فيطير سريره ، أو قال كرسى من ذهب له جناحان فإذا رآها فهي تضعف على الأولى بمائة ألف جزء من النور فيعانقها مقدار أربعين عاما لا تمل منه ولا يمل منها ، فإذا رفع رأسه رأى نورا ساطعا في داره ، فيعجب فيقول سبحان الله أملك كريم زارنا ، أم ربنا أشرف علينا ؟ فيقول الملك وهو على كرسى من نور بينه وبين الملك سبعون عاما ، والملك في حجبه في الملائكة : لم يترك ملك ولم يشرف عليك ربك عز وجل ، فيقول ما هذا النور ؟ *

زوجة الدنيا

فيقول الملك لزوجتك الدنيوية وهي معك في الجنة ، وإنها اطلعت عليك ورأتك معانقا لهذه فتبسمت فهذا النور الساطع الذي تراه في دارك هو نور ثنائها ، فيرفع رأسه إليها فتقول : يا ولي الله أما لنا فيك من دولة ؟ فيقول حبيبتى من أنت ؟ فتقول له يا ولي الله أما أنا فمن اللواتي قال الله عز وجل فيهن (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين) الآية . قال فيطير سريره إليها فإذا لقيها فهي تضعف عن هذه الأخرى بمائة ألف جزء من النور ، لأن هذه صامت وصلت وعبدت الله عز وجل ، فهي إذا دخلت الجنة أفضل من نساء الجنة ، لأن أولئك أنبتن نباتا ، فيعانق (١) هذه مقدار أربعين عاما لا تمل منه ولا يمل منها ، ثم انها تقوم بين يديه وخالخلها من يواقيت ، فإذا وطئت يسمع من خالخلها صفير كل طير في الجنة ، فإذا مس كفها كان ألين من المنخ ويشم من كفها رائحة كل طيب في الجنة وعليها سبعون حلة

(١) كناية عن الملازمة .

من نور لو نشر الرداء منها لأضاء ما بين المشرق والمغرب ، خلقت من نور والحلل عليها أسورة من ذهب وأسورة من فضة (١) وأسورة من لؤلؤ ، وتلك الحلل أرق من نسيج العنكبوت وهو أخف عليها من النقش ، وأنه يري معساقها من صفائها ، ورقتها من وراء العظم واللحم والجلد ، والحلل مكتوب على ذراعها اليمين بالنور (الحمد لله الذي صدقنا وعده) وعلى الذراع الآخر مكتوب بالنور (الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن) *

تبادل الحب

ومكتوب على كبدها بالنور حبيبي أنا لك لا أريد بك بدلا ، وكبدها مرآته ، وهي على صفاء الياقوت وحسن المرجان وبياض البيض المسكون (عربا أترابا) العرب العاشقات لازواجهن ، والاتراب بنات خمس وعشرين سنة ، مفليجة لو ضحككت لأضاء نور ثناياها ولو سمع الخلائق منطلقها لافتتن كل بر وفاجر ، فهي قائمة بين يديه فمساقها يضعف على قدميها بمائة ألف جزء من النور ، وفخذها يضعف على ساقها بمائة ألف جزء من النور ، وعجزها يضعف على فخذها بمائة ألف جزء من النور ، وبطنها يضعف على عجزها بمائة ألف جزء من النور وصدرها يضعف على بطنها بمائة ألف جزء من النور ، ووجهها يضعف على نحرها بمائة ألف جزء من النور ، ولو تفلت في بحار الدنيا لعذبت كلها ، ولو اطلعت من سقف بيتها إلى الدنيا لأخفى نورها نور الشمس والقمر ، عليها تاج من ياقوت أحمر مكال بالدر والمرجان على يمينها مائة ألف قرن من قرون شعرها *

ضفائر الجمال

وتلك القرون قرن من نور وقرن من ياقوت وقرن من لؤلؤ وقرن من زبرجد وقرن

(١) رب معترض يقول : كيف يجمع بين اللؤلؤ والفضة في الأساور ولو كانت من ذهب ولؤلؤ وما شابهها لكان أجمل وانما يوضع بينهما أساور فضة فذلك ما لا يقره الذوق السليم . فردا عليه أقول : إن الفضة المذكورة هنا ليس كالمعارف بيتنا وانما كل ما يكون في دار الكرامة فشيء خالد لا يفنى ولا يصدأ ولا يتفتت ، فالفضة هناك وإن سميت فضة إلا أنها تكون مشابهة لما يليها من الجواهر ، وفي القرآن (وأكواب كانت قوارير قوارير من فضة قدروها تقديرا) والقوارير الزجاج فتقدير الفضة مثل الزجاج أمر تعجز عنه البشر

من مرجان، وقرن من در مكل بالزمرد الاخضر والاحمر، مفضض بألوان الجوهر، موشح بألوان الرياحين ليس في الجنة طيب الا وهو تحت شعرها، الواحدة تضيء مسيرة أربعين عاما، وعلى يسارها مثل ذلك، وعلى مؤخرها مائة الف ذؤابة من ذوائب شعرها، فتلك القرون والذوائب الى نحرها ثم تتدلى الى عجزتها ثم تتدلى الى قدميها حتى تجرد بالمسك، وعن يمينها مائة الف وصيفة كل قرن بيد وصيفة، وعن يسارها مثل ذلك ومن ورائها مائة الف وصيفة كل وصيفة آخذة بذؤابة من ذوائب شعرها

الوصائف

ومن بين يديها مائة الف وصيفة معهن مجامر من در فيها بخور من غير نار ويذهب ريحه في الجنة مسيرة مائة عام، حولها ولدان مخلدون شباب لا يموتون كائنهم اللؤلؤ المنشور كثرة، فهي قائمة بين يدي ولي الله ترى اعجابه وسروره بها وهي مسرورة عاشقة له، فتقول له يا ولي الله لتزدادن غبطة وسرورا، فتمشي بين يديه مائة الف لون من المشي (١) في كل مشية تجلي في سبعين حلة من النور، وان الماشطة معها فاذا مشت تتمايل وتنعطف وتتكاسر وتدور، وتبتهج بذلك وتبتسم فاذا مالت مالت القرون من الشعر معها ومالت الذوائب معها ومالت الوصفان معها، فاذا دارت درن معها، فاذا أقبلت أقبلن معها، خلقها الرحمن تبارك وتعالى خلقة اذا أقبلت فهي مقابلة واذا ولت فهي مقبلة الوجه لا تفارق وجهه ولا تغيب عنه، ويرى كل شيء منها، اذا جلست بعد مائة الف لون من المشي خرجت عجزتها من السرير وتدلى قرونها وذوائبها فيضطرب ولي الله لولا أن الله سبحانه قضى أن لاموت فيها لمات طربا، فلولاً أن الله تبارك وتعالى قدرها له ما استطاع أن ينظر اليها مخافة أن يذهب بصره فتقول له يا ولي الله تمتع فلاموت فيها. وأنشدوا:

بحسبك يا عمار من دار بلغة جنان بها الخيرات (٢) يزلفن في الحلل

(١) لعله يريد بالمشي هنا أنواعا من الرقص لكمال الرفاهية والتمتع بأجمل المناظر كما يفهم من السياق، والمشي ليس فيه شيء من اللذة لمن يراه، وقد كان المؤلف رحمه الله كثيرا ما يكنى عن الشيء بما يشابهه لانه كان يلقي دروس وعظه بمنزل الخليفة تحت نوافذ حرمه، فكان يحترس جدا في أقواله وتشبيهاته وتليحاته.

(٢) الخيرات هن الخور العين، قال الله تعالى (فيهن خيرات حسان) ويزلفن يريد يتقربن والزلفة والزلفى بمعنى وهي القربة والمنزلة

ويمشون هونا في الجنان أمامهم خيام من الدر المجوف في السكل
إذا برزت حوراء خف بها إليها وأشرقت الفردوس والقوم في شغل
يعانقن أزواجا لسكل مطهر على فرش الديباج والعيش قد كل
وطاف بها الولدان من كل جانب ونودي ولي الله يحزى بما فعل
وقال غيره

يا خاطب الحوراء في خدرها وطالبا ذلك على قدرها
انهض بعزم لا تسكن دانيا وجاهد النفس على صبرها
وجانب الناس وارفضهم وحالف الوحدة في ذكرها
وقم اذا الليل بدأ وجهه وصم نهرا فهو من مهرها
فلو رأيت عيناك إقبالها وقد بدت رمانا صدرها
وهي تماشي بين أترابها وعقدتها يشرق في نحرها
هأن في نفسك هذا الذي تراه في دنياك من زهرها (١)

ضيافة الله

روي أنس بن مالك رضي الله عنه أن الله تبارك وتعالى إذا سكن أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، هبط ربنا الجليل جل جلاله بلا تسكييف ولا تمثيل يتعالى ربنا ذلك ، الى مرج أفيح فمدينته وبين خلقه حجابا من لؤلؤ وحجابا من نور ثم وضعت منابر النور وسرر النور وكراسي النور ثم أذن لرجل كريم على الله عز وجل بين يديه أمثال الجبال من النور يسمع دوى تسبيح الملائكة معه وصفق (٢) أجنحتهم فد أهل الجنة أعناقهم فقيل من هذا الذي قد أذن له الله عز وجل ؟ فقيل هذا المجبول بيده والمعلم الاسماء ، والذي أمرت الملائكة فسجدت له والذي أبيض له الجنة آدم صلى الله عليه وسلم أذن له على الله عز وجل ، قال ثم أذن لرجل آخر على الله عز وجل بين يديه أمثال الجبال من النور يسمع تسبيح الملائكة معه وصفق أجنحتهم فمد أهل الجنة أعناقهم فقيل من هذا الذي أذن الله عز وجل ؟ فقيل هذا الذي اتخذ الله خليلا وجعل النار عليه بردا وسلاما إبراهيم عليه الصلاة والسلام قد أذن له على الله عز وجل ، قال ثم أذن لرجل

(١) يريد من زهرة الدنيا ، أي ما تراه فيها من النعيم الزائل المزيف . (٢) الصفق الضرب الذي يسمع له صوت ، ومنه التصفيق باليدين . والريح تصفق الاشجار فتصططق أي تضطرب .

آخر على الله عز وجل بين يديه أمثال الجبال من النور يسمع دوى تسبيح الملائكة معه وصفق أجنحتهم، فمد أهل الجنة أعناقهم فقيل من هذا قد أذن له على الله عز وجل؟ فقيل هذا الذي اصطفاه الله عز وجل برسالته وقربه نجيا وكلبه تكليما موسى عليه الصلاة والسلام قد أذن له على الله عز وجل، ثم أذن لرجل آخر معه مثل جميع ما كـب (١) النبيين قبله بين يديه أمثال الجبال من النور وبسمع دوى تسبيح الملائكة وصفق أجنحتهم، فقيل من هذا الذي قد أذن له على الله عز وجل؟ فقيل هذا أول شافع وأول مشفع وسيد ولد آدم وأول من تنشق عنه الأرض وصاحب لواء الحمد أحمد صلى الله عليه وسلم قد أذن له على الله عز وجل - قال فيجلس النبيون على منابر النور، والصديقون على سرر النور، والشهداء على كراسي النور وجلس سائر الناس على كشبان من المسك الأبيض الأذفر *

وفد الله

ثم ناداهم الرب جل جلاله من وراء الحجب مرحبا بعبادي وزواري وجيراني ووفدي، يا ملائكتي انهمضوا الى عبادي فاطعموهم، قال فتقرب الملائكة اليهم لحم طير كأنها البخت لاريش معها ولا عظم، فأكلوا ثم ناداهم الرب جل جلاله من وراء الحجب مرحبا بعبادي وزواري وجيراني ووفدي، أكلوا اسقوهم يا ملائكتي، قال فنهض اليهم غلمان كأنهم اللؤلؤ المشور بأباريق الذهب بأشربة مختلفة تجدد لذة آخرها كلذة أولها (لا يصدعون عنها ولا ينزفون)، قال ثم ناداهم الرب تبارك وتعالى من وراء الحجب مرحبا بعبادي وزواري وجيراني ووفدي، أكلوا وشربوا فسكرهم، فقربت اليهم أطباق مكللة بالياقوت من الرطب الجنى الذى أسماه الله، أشد بياضا من اللبن، وأطيب من عذوبة الشهد، فطعموا وشربوا وفسكروا ثم ناداهم الرب جل جلاله من وراء الحجب مرحبا بعبادي وزواري وجيراني ووفدي، أكلوا وشربوا وفسكروا فكسوهم.

كرامة الله لعباده

قال ففتحت لهم أشجار الجنة بحلل مصقولة بنور الرحمن فألبسوا، ثم ناداهم الرب من وراء الحجب مرحبا بعبادي وزواري ووفدي أكلوا وشربوا وفسكروا وكسوا، طيئوهم، قال (١) كذا بالأصل، ولعمري تحريف مواكب أى الحاشية أو الامة كما يفهم من سياق الحكاية

فهاجت عليهم ريح من تحت العرش يقال لها المثيرة بأنابيب المسك الأبيض الاذفر فنضجت على وجوههم من غير غبار ولا قنار (١) ثم يناديهم الرب تبارك وتعالى من وراء الحجب مرحبا بعبادى وزوارى وجيرانى ووفدى أكلوا وشربوا وفككها وكسو وطيبوا ، وعزنى وجلالى لأتجلين لهم حتى ينظروا إلى فذلك منتهى العطايا وفضل المزيد ، فيتجلى الرب تبارك وتعالى فيقول السلام عليكم عبادى أنظروا إلى فقد رضيت عنكم ، قال فتداعت قصور الجنة وأشجارها واهتزت تقول سبحانك سبحانك أربع مرات وخر القوم سجدا ، فناداهم الرب جل وعز عبادى أرفعوا رؤسكم فانها ليست بدار عمل ولا بدار نصب وإنما هى دار جزاء ودار ثواب ، وعزنى وجلالى ما خلقتها إلا لأجلكم وما من ساعة ذكرتمونى فيها فى دار الدنيا إلا ذكرتكم فوق عرشى *

سوق الجنة

وروى عن سعيد بن المسيب أنه أتى أبا هريرة رضى الله عنه ، فقال له أبو هريرة أسأل الله أن يجمع بينى وبينك فى سوق الجنة ، فقال له سعيد : أوفىها سوق ؟ قال نعم أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل الجنة إذا دخلوها فنزلوا بفضل أعمالهم فيؤذن لهم فى مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون الله عز وجل ، ويبرز لهم من عرشه تبارك وتعالى فى روضة من رياض الجنة وتوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من زبرجد ومنابر من ياقوت ومنابر من ذهب ومنابر من فضة يكون أدناهم - وما فيهم أدنى - على كشبان المسك والكافور وما يرون أصحاب المنابر أفضل منهم مجلسا *

رؤية الله تعالى

قال أبو هريرة رضى الله عنه : فقلت يا رسول الله هل نرى ربنا عز وجل ؟ قال : « نعم هل تضامون فى رؤية القمر ليلة البدر ؟ » فقلنا لا قال « فكذلك لاتضامون فى رؤية ربكم تبارك وتعالى » ولا يبقى فى ذلك المجلس أحد الا حاضره الله عز وجل محاضرة حتى انه ليقول عز وجل لرجل يا فلان أتذكر يوم عملت كذا وكذا ؟ يذكره عدلاته فى الدنيا فيقول يارب ألم تغفرلى ؟ قال بلى فبسة مغفرتى نلت منزلتك هذه ، قال فبينما هم على ذلك إذ غشيتهم سحابة

(١) كذا وردت بالأصل ، والصحيح : قنر بدون الف وهو الغبار أيضا . وأما القنار فأظنه ريح القدر عند استوائها بالطعام

من فوقهم فأمرت عليهم طيبا لم يجدوا مثل ريحه شيئا قط فيقول ربنا عز وجل قوموا الى ما أعددت لكم من الكرامة ، قال فنأتى سوقا من أسواق الجنة قد حفت به الملائكة لم تسمع به الآذان ، ولم تنظر اليه العيون ، ولم يخطر على القلوب ، قال فيحمل لنا فيها ما اشتيننا ليس يباع فيها شيء ولا يشتري وفي ذلك السوق يلقي أهل الجنة بعضهم بعضا ، قال فيلقى الرجل ذو المنزلة المرتفعة من هودونه فيروعه ما عليه من اللباس فما ينقضى حديثه حتى يتمثل عليه أحسن منه ، وذلك أنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها . قال ثم ننصرف إلى منازلنا فيتلقانا أزواجنا فيقبلن مرحبا وأهلا بحبيبتنا لقد جئت وأن بك من الجمال والطيب أفضل مما فارقتنا عليه فقول لنا جالسنا اليوم ربنا الجبار جل جلاله ويحق لنا أن نتقلب بمثل ما انقلبنا *

المتحابون في الله

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « المتحابون في الله في الدنيا هم في الجنة على عمود من ياقوتة حمراء في رأس العمود سبعون ألف غرفة يشرفون على أهل الجنة إذا اطلع أحدهم ملائكة حسنه بيوت أهل الجنة نوراً كما تملأ الشمس بيوت أهل الدنيا ، قال فيقول أهل الجنة أخرجوا بنا ننظر إلى المتحابين في الله فيخرجون فينظرون في وجوههم مثل القمر ليلة البدر عليهم ثياب خضر مكتوب في جباههم بالنور هؤلاء المتحابون في الله » *

حلل الجنة

وقال عليه الصلاة والسلام : « إن أهل الجنة إذا زاروا (١) ربهم وأروادوا الانصراف يعطى كل رجل منهم رمانة خضراء فيها سبعون حلة لكل حلة سبعون لونا ليس منهم حلة تشبه الأخرى ، فإذا انصرفوا من عند ربهم مروا في أسواق الجنة ليس فيها بيع ولا شراء ، وفيها من الحلل والسندس والاستبرق والحريز والرفرف والعبقري من در وياقوت وأكاليل معلقة فيأخذون من تلك الأسواق من هذه الأصناف ماشاءوا ولا ينقص من تلك الأسواق شيئا وفيها صور كصور الناس من أحسن ما يكون من الصور مكتوب في نحر كل صورة منها من تمنى أن يكون مثل صورتي جعل الله حسنه على صورتي ، فمن تمنى أن يكون حسن وجهه مثل حسن تلك الصورة جعله الله على تلك الصورة . قال ثم ينصرفون الى منازلهم » *

(١) في الاصل إذا أرادوا ، وهي تحريف ، لان الذي يفهم من الحديث الزيارة لا الأرادة

خواتم الجنة

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن أهل الجنة يعطيهم الله خواتم من ذهب يلبسونها وهي خواتم الخلد ، ثم يعطيهم خواتم من در وياقوت ولؤلؤ وذلك إذا رأوا ربهم في داره دار السلام » *

نوق الجنة

وروى عن بعض العلماء أنه قال : بينا أهل الجنة يتحدثون في ظل طوبى إذ يأتيهم الملائكة بنوق مزودة (١) بسلاسل الذهب كأن وجوهها المصابيح من حسننها ، ذلك من غير تهينة (٢) نجب من غير رباية عليها رحائل (٣) الذهب وكسوتها سندس واستبرق حتى ترفع اليهم ، ثم يسلخوا عليهم فيقولون : إن ربكم بعث اليكم بهذه الرواحل لتركبوها فتزوروه وتسلمون عليه ، قال فيتحول كل واحد منهم على راحلته ثم يسرون بها صفا في الجنة الرجل منهم إلى جنب صاحبه لا يجاوز أذن ناقة منها أذن صاحبتها ولا ركبة ناقة منها ركبة صاحبتها ، وإنهم ليمرون بالشجرة من شجر الجنة فتأخر من مكانها ، فاذا وقفوا بين يدي الرحمن تبارك وتعالى أسفر لهم عن وجهه الكريم وتجلي لهم فيسلمون عليه ويرحب بهم ويقال إن سلامهم عليه أن يقولوا : ربنا أنت السلام ومن عندك السلام ولك حق الجلال والاكرام ، فيقول لهم الجليل جل جلاله وعليكم سلام مني وعليكم رحمتي وكرامتي ، مرحبا واهلا بعبادي الذين أطاعوني بالغيب وحفظوا وصيتي ، فيقولون : لا وعزتك ما قدرناك حق قدرك وما أدينا إليك كل حقك ، إذن لنا أن نسجد لك ، فيقول إني قد رفعت عنكم مؤنة العبادة وأفضيتهم إلى كرامتي *

أمانى أهل الجنة

وبلغ الوعد الذي وعدت لكم فتمنوا فان اسكل إنسان منكم ما تمنى ، فيتمنون فيعطى

(١) الزمام : خيط يشد في البرة التي في أنف البعير (٢) في الاصل : من غير مهنية وهو تحريف . (٣) الرحائل جمع رحل وهو كالسرج للفرس ، وقد تأيدت هذه الرواية بجملة أحاديث في زيارة المؤمنين لله تعالى وضيافتهم .

كل واحد منهم ما نمي ، ثم يزيدهم تبارك وتعالى من فضله وكرمه ما لم تبلغ اليه (١) أمانتهم ،
وأنشدوا :

يا راغب الخور الجمم (٢) والدل (٣) والشكل وحسن الشيم
الناعمات الدائمات الرضى فى جنة الفردوس مأوى النعم
ارفض بدار زهرها زائل واغنم الصحة قبل السقم
وابدر إلى الرؤية مستبصرا واعتق التشديد (٤) عند الظلم
واستغفر الله لما قد مضى واستشعر الخوف وطول الندم
تفر بما تطلب من لذة وتأمن البلوى وعقبى النقم (٥)

- ١١ - ﴿ مجلس فى قوله تبارك وتعالى ﴾

(كل نفس ذائقة الموت)

قيل لما نزلت هذه الآية قالت الملائكة : متنا وعزة الله ، فعند ذلك أيقن كل ذى عقل
وروح أنه هالك . وأنشدوا :

أضحك من الموت فيه نصيب وينعم عيشا إن ذا لعجيب
ويأكل والايام تأكل عمره وليس له جسم لذاك يذوب
ومن عرف الرحمن لم يهن قلبه نعيم ولم ينفك عنه نجيب
بعدت عن الورد الرضى بزلة وبى قطعت دون الوصول ذنوب

قال الله تعالى : (كل نفس ذائقة الموت) يموت كل صغير وكبير ، يموت كل أمير ووزير ،
يموت كل عزيز وحقير ، يموت كل غنى وفقير ، يموت كل نبى وولى ، يموت كل نجى وتقى ،
يموت كل زاهد وعابد ، يموت كل مقر وجاحد ، يموت كل صحيح وسقيم ، يموت كل مريض
وسليم ، كل نفس تموت غير ذى العزة والجبروت . وأنشدوا :

(١) فى الاصل اليهم . (٢) كذا فى الاصل ولعله يريد الخور ذوات الجهم ، والجمة مجتمع
شعر الرأس . (٣) الدل هو الدلال والثني فى القول والمشى . (٤) كذا فى الاصل وهي
تحريف وإنما صحتها التسديد أى السمر والقيام للعبادة (٥) يشير إلى قوله تعالى (تلك عقبي
الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار) .

ألا كل مولود فله الموت يولد ولست أرى حيا عليها يخلد
تجرد من الدنيا فانك إنما خرجت من الدنيا وأنت مجرد
وأنت وإن خولت مالا وكثرة فانك في الدنيا على ذاك أوحد
وأفضل شيء نلت منها فانه مناع قليل يضمحل وينفد
فكم من عزيز أعقب الذل عزه فأصبح منه وما وقد كان يحمد
فلا تحمد الدنيا ولكن فندمها وما بال شيء ذمه الله يحمد

ذكر الموت

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أكثروا ذكر هازم اللذات (١) ومفرق الجماعات ، وتوسدوه إذا نتم وأجعلوه نصب أعينكم إذا فتم ، واعمروا به مجالسكم فانه معقود بنواصيكم » يعنى بما وكل به منكم ، يفسد نعيمكم ، ويخرب مصانعكم (٢) ويفنيكم كما أفنى من كان قبلكم فلا تنسوه فانه لا ينساكم ، ولا تغفلوا عنه فانه ليس بغافل عنكم . وأنشدوا :

يا جار أحبابه شهورا وجار أمواته دهورا
ليس سرورا يعود حزنا إذا تأملت به سرورا

وروى عن عيسى عليه السلام أنه قال : ما من مولود يولد إلا وفي سترته من تراب الارض التى يموت فيها . وأنشدوا :

أمر على المقابر كل حين ولا أدري بأى الارض قبرى
وأفرح بالغنى إن زاد مالى ولا أبكى على نقصان عمري

ما أحسن حال من ذكر الموت فعمل لخلاصه قبل الفوت ، وأشغل نفسه بخدمة مولاه ، وقدم من دنياه لأخراه ، ورغب فى دار لا يزول نعيمها ولا يهان كريمها . وأنشدوا :

الموت لا شك آت فاستعد له إن اللبيب بذكر الموت مشغول
فكيف يلهو بعيش أو يلذ به من التراب على عينيه مجعول

روى عن أبي ذر رضى الله عنه أنه قال : يا رسول الله أى المؤمنين أكيس ؟ قال :

(١) هازم اللذات هو الموت شبهه بالجيش يظفر بعدوه فهزمه ، لأن الموت إذا حضر ناهزمت أمامه جميع اللذات . (٢) المصانع : الحصون والقلاع ، والمصنعة بفتح الميم وضم النون كالخوض يجمع فيه ماء المطر .

« أكثرهم للموت ذكرا ، وأحسنهم له استعداد » .

حكاية عن الربيع

وقيل للربيع رحمه الله ألا تجلس معنا نتحدث ؟ فقال : إن ذكر الموت إذا فارق قلبي ساعة
فسد على قلبي . وأنشدوا :

ما أغفل الناس عن وعيد قربه الليل والنهار
والعار ماجرت المعاصي وليس في النائبات عار
ويحك ما تصنع المنايا تأتي فتخلي لها الديار
فلا قلوب لها عيون ولا عيون لها اعتبار

عباد الله اسعوا في فكاك رقابكم ، واجهدوا أنفسكم في خلاصها قبل أن تزهق ، فوالله
حايين أحدم وبين الندم ، والعلم بأنه قد زلت به القدم ؛ إلا أن يحوم عقاب (١) المنية عليه ،
ويفوق سهامها إليه ، فإذا الندم لا ينفع ، وإذا العذر لا يصنع ، وإذا النصير لا يدفع ، وإذا
الشفيع لا يشفع ، وإذا الذي فات لا يسترجع ، وإذا البأس المحابي به في النجاة لا يطمع .
فكأنني بك يا أخى وقد صرخ عليك النسوان ، وبكى عليك الأهل والأخوان ، وفقدك
الولدان ونفخ لفرقتك الجيران ، ونادى عليك المنادى قد مات فلان بن فلان . ثم نقلت عن
الاحباب ، وحملت الى أرماس التراب ، وأضجعوك في محل ضنك ، قصير السمك ، مهول
منظره ، كثير وعره ، مغشى بالوحشة . عرفته مهول الصريح ، مطبق الصفيح ، على غير مهاد
ولا وداد ، ولا مقدمة زاد ولا استعداد . وأنشدوا :

المرء يخدعه مناه والدهر يسرع في بلاه
يا ذا الشبيه لا تكن من تعبده هواه
واعلم بأن المرء مر تهن بما كسبت يداه
والناس في غفلاتهم والموت دائرة رحاه
الحمد لله الذي يبقى ويهلك ما سواه

(١) العقاب من كواسر الطيور ولا يسكن إلا قمم الجبال وهو فيها بمنزلة الاسد من
الوحوش . ولحبله خاصية فينفض على الذئب فيقده نصفين ، وهو طويل العمر بعيد السفر
يتغذى بالعراق ويتعشى باليمن وهو حاد البصر جدا . ويأكل الحيات إلا رموسها .

سكرات الموت

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما اختضر جمل يقول : « لا إله إلا الله إن للموت لسكرات » وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول — وعنده قدح ماء — عند موته وكان يدخل يده فيه ويمسح بالماء على وجهه ويقول مرة بعد مرة : « اللهم هون على سكرات الموت » *

وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لو أن ألم شعرة من شعر الميت وضع على أهل السموات والأرض لما توا أجمعين » لأن في كل شعرة ألم الموت ، ولا يقع الموت ولا يحل في شيء إلا مات *

وروى أنه قال : « لو أن قطرة من الموت وضعت على جبال الدنيا كلها لزالَتْ » وأنشدوا :
 تيقظ للذي لا بد منه فان الموت ميعات العباد
 يسرك أن تكون رفيق قوم لهم زاد وأنت بغير زاد ؟ !

آلام الموت

روي أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لكعب يا كعب حدثنا عن الموت ، فقال يا أمير المؤمنين هو غصن كثير الشوك ، ادخل في جوف رجل حتى إذا أخذت كل شوكة بعرق ، ثم جذبه رجل شديد الجذب فقطع ما قطع وأبقى ما أبقى . وأنشدوا :

ألا أيها المغرور والموت نحوه خلقت له تحذو (١) إليه الركائب
 أغرك حلم الله أم لست موقنا بأنك مبعوث غدا ومحاسب
 بأيسر من مثقال حبة خردل وإنك مجزى بما أنت كاسب

روى عن الحسن رحمه الله أنه قال : لما مات خليل الرحمن اجتمعت إليه أرواح الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فقالوا : إن الله تعالى اتخذك خليلا من بين سائر الانبياء

(١) أى تسير اليه مسرعا ، والحادى هو الذى يحدو للابل فى السفر أى يغنى لها بصوت .
 شجى لتنسى ألم السير وتصغى إليه فتقطع شوطا بعيدا ، ومن ذلك أخذ قواد الجيوش الحديثة سير الموسيقى فى مقدمة الجيوش تصدح بأنغامها فيتبعها الجيش نشطا سرىعا .

والرسل ، فان كان الموت خفف عن واحد فأنت هو ، فأخبرنا كيف وجدت طعم الموت ؟

طعم الموت

فقال : أواه ، وجدته والله شديدا ، والذي لا اله غيره هو أشد من الطبخ في القدور ، والقطع بالمناشير ، أقبل ملك الموت نحوى بكلوب من حديد فأدخله في كل عضو مني ثم استل الروح من كل عضو حتي جعله في القلب ، ثم طعن في القلب طعنة بحريته المسمومة بسم الموت فلو أني طبخت في القدور سبعين مرة لكان أهون علي . فقالوا يا ابراهيم لقد هون الله عليك الموت فاذا كان هذا حال الانبياء فما يصنع بالخطئين !! كفى بالموت طامة . وإذا بجبريل صلى الله عليه وسلم عندهم يسمعهم فقال لهم : يا أرواح الطيبين ما بعد الموت أشد وأطم وأعظم من الموت . وأنشدوا :

وما الناس الا هالك وابن هالك وذو نسب في الهالكين عريق
إذا امتحن الدنيا لليب تكشف له عن عدو في ثياب صديق

داود والذرة

ذكر في بعض الاخبار أن داود عليه الصلاة والسلام كان في محرابه فاذا بدودة كالذرة ، فقال داود في نفسه ما يعبا الله بهذه الدودة فأنطقها سبحانه وقالت : والله يا داود إني أعبد الله سبحانه وتعالى وأخافه وأسأله أن يهون علي الموت . وأنشدوا :

يحب الفتي طول البقاء وإنه على ثقة أن البقاء فناء
زيادته في الجسم نقص حياته وليس على نقص الحياة نماء
إذا ما طوى يوما طوى اليوم بعضه ويطويه من بعد الصباح مساء
جديدان لا يبقى الجميع عليهما ولا لهما بعد الجميع بقاء

ذكر في بعض الاخبار أن الله سبحانه وتعالى قال لابراهيم صلى الله عليه وسلم لما مات يا خليلي مت ؟ قال يا الهى مت ! قالها ورددها عليه ثلاثا قال يا خليلي كيف وجدت طعم الموت ؟ قال كسفود (١) محي جعل في صوف رطب ثم جذب . قال أما أنت فقد هونا عليك

(١) السفود كتور الحديد التي يشوي عليها اللحم ، ويطلق عليها الآن السيخ . ومن عادة الصوف المبلول أن يكون كثير التعقيد لا ينحل إلا بصعوبة شديدة

الموت . وأنشدوا .

أرى المرء يبكي للذي مات قبله وموت الذي يبكي عليه قريب
وما الموت إلا في كتاب مؤجل إلى ساعة يدعي لها فيجيب

موسى ومو عظته

وروى أن موسى صلات الله وسلامه عليه لما صارت روحه إلى الله سبحانه قال يا موسى
كيف وجدت الموت ؟ قال : وجدت نفسي كالعصفور حين يقلى على المقلاة ، لا يموت فيستريح ،
ولا ينجو فيطير . وفي رواية أخرى قال : وجدت نفسي كشاة حية تسلم بيد القصاب . وأنشدوا :
الموت لا والدا يبقى ولا ولدا هو السبيل إلى أن لا ترى أحدا
مات النبي فلم يخلد لامته لو خلد الله حيا قبله خلدا
للموت فبنا سهام غير مخطئة من فاته اليوم سهم لم يفته غدا
ماضر من عرف الدنيا وغدتها الا ينافس فيها أهلها أبدا
روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لو علمت الطير والبهائم من الموت ما تعلمون
ما أكلتم منها سمينا » *

نوح وخوفه

وروى عن وهب بن منبه أنه قال : قام نوح عليه السلام خمسمائة عام لا يقرب النساء
وجلا من الموت ، وهو المطلع *
وروى أن عيسى صلات الله وسلامه عليه قال للحواريين : أدعوا الله أن يخفف عنى سكرات
الموت . وأنشدوا :

قد سقاك الهوى شراب الأمانى فاستعطبت المقام تحت التدانى
وتصامت عن نداء الأمانى لاهيا عن وقائع الحدائى
وإذا عارضتك خطرة ذكر (١) بادأك الطباع بالنسيان

(١) فى الاصل: عاضتك خطوة ذكر ، وهو تصحيف . وعارضتك خطرة ذكر أى
تفكرت فى الموت وما بعده والقيامه والشدة فيها ، وعزمت على التوبة والندم ثم رجعت ثانية
ناسيا لاهيا

سكرات الموت

وفي بعض الاخبار ، الموت ثلاثة آلاف سكرة ، كل سكرة منها أشد من الف ضربة بالسيف
وفي بعض الاخبار أن الدنيا كلها بين يدي ملك الموت كالمائدة بين يدي الرجل يمد يده الى
ما شاء منها فيتناوله ويأكله . بل الدنيا كلها مشارقها ومغاربها برها وبحرها وكل ناحية منها أقرب
الى ملك الموت من الرجل على مائدته وإن معه أعوانا الله أعلم بعديهم ليس منهم ملك إلا لو
أذن الله له أن يلتقم السموات السبع والارضين السبع في لقمة واحدة لفعل ، وما تقرب
ملك الموت من حملة العرش إلا ازدادوا فرعا منه حتي يرددوا ، وإن غصة من غصص الموت
أشد من الف ضربة بالسيف ، وفي كل ما خلق الله عز وجل البركة الا في الأجل فإنه مؤقت .
لوفاء العدة وانقضاء المدة . وأنشدوا :

للمنايا رحي عليك تدور كلنا جاهل بها مغرور

رحم الله من بكى للخطايا كل باك فذنبيه مغفور

يا ابن آدم ما أغفلك وعن الصواب ما أبعدك ، كأنك بالموت قد فاجأك وملك الموت
قد وافاك ، فيئس منك الطيب ، وفارقت الحبيب ، وتفجع لفقدك كل قريب . ف وقعت في
الحسرة ، وجفتك العبرة ، وبطل منك اللسان ، بعد الفصاحة والبيان ، وأدرجت في الأكفان
وأزعجت عن الاوطان ، وصار القبر مأواك ، وإلى يوم القيامة مثواك . وفارقت الاهل
والاخوان ، ووقع بهم عنك السلو والنسيان ، فان كان لك منزل سكنوه ، أو كنت ذا مال
اقتسموه . وأنشدوا :

يا عجباً للارض ما تشبع وكل حى فوقها يفجع

ابتلعت عاداً فأفنتهم وبعد عاد أهملت تبع

وقوم نوح أدخلت بطنها فظهرها من جمعهم بلقع

يا أيها الراضى بما قد مضى هل لك فيما قدم مضى مطعم

اذكر الموت

يا هذا اذكر ما وصفته ، واحفظ ما حكيته ، وعليك بالصوم والاجتهاد ، والطاعة لرب العباد
ومراقبته في الليل والنهار ، والتضرع اليه في ظلمات الاسحار . يا هذا عمرك أنفاس معدودة ،

وعليك رقيب يحصِّيها ، . لاتنس الموت فإنه لا ينساك . المبادرة المبادرة انما هي أنفاس
لو حبست عنك لا تقطع عنك عملك آخر الابد ، وخروج نفسك آخر الامد وفراق أهلك آخر
العدد. وأنشدوا :

إذا ما الموت جر على أناس كلاكه (١) أناخ بآخرينا

فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

فاذكر حالك أيها الغافل ، يوم تقلبك على المغتسل يد الغاسل ، قد زال عزك عنك ،
وساب مالك منك ، وأخرجت من بين أحبابك وجهزت لتراتك ، وأسليت إلى الدود ،
عصرت رهنا بين اللحود ، وبكى عليك الباكون قليلا ، ثم نسوك دهرًا طويلا ، فتغيرت
منك المحاسن والخلى ، وتحكم في أعضائك البلى ، وقطعت في الأكفان ، وسمى اليك الديدان ،
فبلى منك اللسان ، وسالت الخدق كأنك لم تكن قط من رأى ولا نطق . وأنشدوا :

فلو أنا إذا متنا تركنا لكان الموت راحة كل حي

ولكننا إذا متنا بعثنا ونسأل بعدها عن كل شئ

ابن آدم كأنك بالموت قد حل بساحتك ، وحال بينك وبين ماتريد ، وأنت في النزع
والكرب الشديد ، لا والد يدفع عنك ولا وليد ، ولا عدة تنجيك ولا عديد ، ولا عشيرة
تحميك ولا قصر مشيد . أليس ذلك نازل بك على كل حال ، أي وعزة الكبير المتعال ،
فإنك الآن حين ينفعك البكاء والاستسكانة ، قبل حلول الحسرة والندامة . وأنشدوا :

يا من يموت ويسأل عما يقول ويفعل

إن الموكل بالنفو س إذا أتى لا يمل

والنار منزل من عصى والنار بثس المنزل

مَوْعِظَةٌ حَسَنَةٌ

يا ابن آدم بادر إلى حسن العمل ، بينما أنت في فسحة ومهل ، وتب إلى مولاك من قببح
الخطايا والزلل ، قبل أن يقال فلان عليل ، أو مدنف ثقیل ، فهل إلى دوائه سبيل ، أو على
طبيب من دليل ، فتدعى لك الأطباء ، ويجمع لك الدواء فلا يزيدك ذلك إلا بلاء . وقد
اجتمع عندك الإخوان والاحباء ، والاهل والاقرباء ، وكثر حولك البكاء ، ثم يقال
(١) السكلكل والكلكال: الصدر ، وذلك كناية عن ان الموت تعدى قوم الى قوم وسيرجع

لهم ثانيا

حشرج (١) ونفسه توشك أن تخرج ، وأنت تعين الأمر العظيم بعد اللذة والنعيم ، وعدلت ببصرك عن القريب والحميم ، وحل بك القضاء ، وخرجت الروح من الأعضاء ، ثم عرج بها إلى السماء ، فيألفها من سعادة أو شقاء . وأنشدوا :

فلو يكن شيء سوى الموت والبلى وتفريق أعضاء ولحم مبدد
لكننت حقيقا يا ابن آدم بالبكا على نائبات الدهر مع كل مسعد

فاستعذ من ذنوبك يا مسكين ، قبل عرق الجبين ، وانتشار العرقين ، وقبل مد الشمال وقبض اليمين ، وتضعيف قوتك بالأنين ، ويكثر حو اليك البكا والخنين ، وجرت دموعك لمفارقة الأهل والبنين ، ولا ينفعك ما جمعت من الأموال في الشهور والسنين ، ثم أنت في قبرك لعملك رهين ، إلي يوم عرضك على أسرع الحاسبين . قد تغير جسمك في الجنادل والتراب ، بعد تنعمك بدقائق الشباب . وأنشدوا :

من لم يظأ منا التراب برجله وطىء التراب بنضرة الخد
لو كشفت للناس أغطية البلى لم يعرفوا المولى من العبد
من كان بينك في التراب وبينه شبران كان بموضع البعد

اسماء العباد

ذكر في بعض الاخبار أن لله سبحانه وتعالى شجرة فرعها تحت العرش مكتوب على كل ورقة من أوراقها اسم عبد من عبيده ، فإذا جاء أجل العبد سقطت تلك الورقة التي فيها اسمه في حجر ملك الموت فأخذ روحه في الوقت . وأنشدوا :

لأنى لعبت وحادى الموت في طلبى وإن في الموت شغل لى عن اللعب
لو شممت مهجتي فيما خلقت له ما اشتد حرصى على الدنيا ولا كفى
سبحان ربى فلا شيء يعادله (٢) إن الحريص على الدنيا لفي تعب
لا تغتر بديار لا مقام بها واقصد لدارك إن الموت في الطلب ٣

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما من يوم إلا وملكنا يناديان ، يا أهل

(١) أى أصبح في وقت طلوع الروح وحشرجت نفسه إذا تهبأت روحه للطلوع ، وذلك عند الاحتضار (٢) في الاصل : سبحان من لا شيء يعدله ، وصحناه لاستقامة الوزن والمعنى . (٣) الاصل : إن الموت في طلب

الدنيا ولدتم للموت ، وتبنون للخراب ، وأتم محاسبون ومعذبون عند ربكم . وأنشدوا :
 عجبت لجازع بالك مصاب بأهل أو حميم ذي اكتئاب
 شقيق الجيب داعي الويل جهلا كأن الموت كالشيء العجاب
 وسوي الله فيه الخلق حتى نبى الله فيه لم يحايي
 له ملك ينادي كل يوم لدوا للموت وابسوا للخراب
 لمن نبى ونحن إلى تراب تعود كما خلقنا من تراب
 ألا يا موت لم أر منك بدا أنيت فلا تحيف ولا تحايي (١)
 كانك قد هجمت على مشيبي كما هجم المشيب على الشباب
 قيل مر رجل على خراب فسمع إنسانا ينشد هذه الايات .

قل للذين بنوا ديارا عاليه وتنافسوا والموت منهم دانيه
 شيدتموها راغبين وأتم تردوا القبور وتركوها خاليه
 أين الملوك وأين ماقد جمعوا وجيوشهم وعبيدهم وزبانيه
 تحت التراب تقطعت أوصالهم وأكفهم بعد الاعنة باليه
 ثم قرأ (قل هو نبي عظيم أتم عنه معرضون)

نوح وزهده

ذكر في بعض الاخبار أن جبريل عليه السلام هبط على نوح عليه السلام ، قال فوجده
 قد عمل خصا (٢) على البحر ، فقال ايش هذا يا نوح ؟ فقال : يا جبريل هذا لمن يموت كثير ،
 فقال له جبريل عليه السلام : لتأتين أمة أعمارهم من الستين الى السبعين يبنون بالحصى والآجر
 والحجر ، فقال نوح عليه السلام . ما كان على هؤلاء انهم يستفون الرماح حتى يموتوا . وأنشدوا :
 لو كنت تعقل يا مغرور ما برقت عينك للناس من خوف ومن حذر
 ما بال قوم سهام الموت تخطفهم يفاخرون برفع الطين والمدر

(١) لا تحيف لا تظلم ، ولا تحايي الحباء العطاء وحباه يحبوه حبة أعطاء
 (٢) الخص هو ماوى بسيط كالذى يصنعه الفلاحون وسط المزارع من سعف النخل
 وغيره ويسع انسانا واحدا . ويدخل ضمن ذلك الصومعة التي يصنعها الرهاب والزهاد في
 البرية المنقطعة والصحارى الشاسعة (٣) لم ترد في الاصل نقطة للناس .

عيسى والجمجمة

روى أن عيسى عليه السلام مر بجمجمة فتذفها برجله وقال تكلمى باذن الله تعالى : قالت يا روح الله أنا مالك زمام كذا وكذا ، بينما أنا جالس في ملكي وعلى رأسي تاجي وحولي جنودي وحشمتي ؛ اذ بدالى ملك الموت فزال مني كل عضو على حياله ، ثم خرجت نفسى فيا ليت ما كان من ذلك الجمع كان فرقة ، وما كان من ذلك الانس كان وحشة ، فما ظنك يا عاصى بصفحة ملك الموت اذا بدت وعايبتها عند كشف الغطاء فتتظر اليها بطرف كليل وقلب وجل ، ثم تسئل الروح للخروج فلا تخرج حتى تسمع نغمة ملك الموت باحدى البشارتين : البشر يا عدو الله بالنار ، أو أبشر يا ولي الله بالجنة . وأنشدوا :

يخيل لى بكاء القوم حولى وقواهم الأأزف الرحيل
وما يغني البكاء اذا تقضى لدى عمرى وإن كثر العويل
فخذ للسوت أهبتة فاما نجاة بعد أو هول طويل

عمر بن العاص عند موته

روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أنه قال لابنه عند الموت : ليتنى ألقى رجلا عاقلا عند نزول الموت يخبرنى بما يجد ، فقال له ابنه : قد نزل بك الموت فصفه لى الذى تجد ؟ فقال لى يا بنى كأن جنبى فى تحت وكأن غصن شوك يخرج من قدمى الى هامتى وكأنى أتنفس من سم إبرة . ثم مد يده وقال : اللهم لا قوى فانتصر ، ولا برىء فاعتذر ، اللهم إني مقرر مذنب مستغفر . ثم مات رضى الله عنه . وأنشدوا :

للموت فاعمل بجد أيها الرجل واعلم بأنك من دنياك مرتحل
الى متى أنت في لهو وفي لعب تسمى وتصبح فى اللذات مشغل
كأنى بك يا ذا الشيب فى كرب بين الأجابة قد أودي بك الاجل
لما رأوك صريعا بينهم جزعوا وودعوك وقالوا قد مضى الرجل
فاعمل لنفسك يا مسكين فى مهل مادام ينفعك التذكار والعمل
إن التقى جنان الخلد مسكنه ينال حورا عليها التاج والحلل
والمجرمين بنار لاخمود لها فى كل وقت من الأوقات تشتعل

سليمان وملك الموت

روى أن ملك الموت كان صديقاً لسليمان عليه السلام وكان يزوره أبدأً ، فدخل عليه يوماً وعنده رجل يكلمه سليمان ، فجعل ملك الموت ينظر إلى الرجل الذى مع سليمان نظراً منكراً فقال الرجل لسليمان بعد خروج ملك الموت : يا نبي الله من هذا الداخل عليك آنفاً؟ فقال ملك الموت، فقال له لقد رأيته يحسد النظر إلى، ولكن لى اليك حاجة ، قال وماهى؟ قال تأمر الريح أن تحملنى إلى الهند. فأمر سليمان الريح فحملته إلى الهند، ثم قال سليمان بعد أيام لملك الموت : وجدت عندى منذ أيام رجلاً فنظرت إليه نظراً منكراً؟ فقال ملك الموت كنت أعجب منه ، أمرت بقبض روحه فى ذلك اليوم بجزائر الهند وهو عندك بالشام . فقبض روحه فى ذلك اليوم بالهند . وأنشدوا :

الموت بحر يهاب المرء مورده وكل يوم له من كأسه جرع
لا صحة المرء فى الدنيا تؤخره ولا يقدم يوماً موته الوجع
وكل يوم علينا فى فجائعه طير يحوم فلا ندرى بمن يقع

سعيد بن المسيب والجنى

روى أن سعيد بن المسيب (١) دخل يوماً مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يلتفت فى أركان المسجد يتفكر فىمن أدرك من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ثم بكى وجعل يقول:

ألا ذهب الحماة وأسلموني فوا أسفا على فقد الحماة
تولوا للقبور فأسقموني فوا أسفا على فقد الثقة

فأجابه هاتف من ركن المسجد بصوت محزون ، من كبده مشجون ، وهو يقول :

فدع عنك الثقة فقد تولوا ونفسك فابكها حين المات
فكل جماعة لا بد يوماً يفرق بينهم وقع الشسات

(١) كان رضى الله عنه من كبار الصحابة واصحاب الصفة، وزوى فاكثر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان من الذين إذا ذكر الله تعالى فاضت أعينهم ورقت قلوبهم وخشعت أبصارهم .

فقال سعيد : من أنت فقد زدتنى حزنا ؟ فقال : أنا من مؤمنى الجن ، كنا فى هذا المسجد سبعين رجلا فأتى الموت على جماعتنا كما أتى على جماعتك ، ولم يبق منهم غيرى كما لم يبق من الانس غيرك ، وإنا بهم لاحقون ، فانا لله ، وإنا اليه راجعون . وأنشدوا :

جرت الرياح على جميع ديارهم فكأنما كانوا على ميعاد
فأرى النعيم وكل ما يلى به يوما يصير الى بلى ونفاد

صالحاء الجن

وذكر عن بعض العباد أنه كان يصلى فقرأ هذه الآية (كل نفس ذائقة الموت) وجعل يتدبرها ويردها ، فسمع قائلا يقول : يا هذا كم تردد هذه الآية ؟ فوالله لقد قتلت بها أربعة من الجن ما رفعوا رؤسهم الى السماء قط حياء من الله تعالى ، ولقد ماتوا من ترديدك هذه الآية . وأنشدوا :

ليس ينجوا المقصود من ملك الموت اذا جاءه ولا الطيار (١)
للمنايا وإنما للمنايا خلق الطفل والشيوخ الكبار
كم رأينا من سادة وملوك ما على الارض منهم ديار

العبد وربّه

حكى عن بعض العارفين أنه قال : إن الله سبحانه يسر الى عبده سرين يخبره ذلك بالهام يلهمه ، أحدهما اذا ولد وخرج من ظلمة بطن أمه ، يقول له عبيد قد أخرجتك الى الدنيا طاهرا نقيّا نظيفا ، وسر عند خروج روحه ، يقول له عبيد ما صنعت فى أمانتى عندك ؟ هل حفظتها حتى تلقانى على الوفاء والعهد والرعاية فألقاك بالوفاء والجزاء ، أو ضيعتها فألقاك بالمطالبة والعذاب ؟ وأنشدوا :

يا من تقدم جده وأبوه وصديقه سكن الثرى وأخوه
وغدا الى دار البلى أترابه ومضى الى حفر القبور بنوه

(١) يريد الطير المقصوص الريش والطيور الذى يطير بجناحيه ، وذلك كناية عن أن الموت لا يترك عظيما ولا حقيرا . وفى القرآن (فاذا جاء أجلهم لا يستقدمون ساعة ولا يستأخرون) . ولعمري من طالع هذا ولم يرعوى فلا رحمه الله

ورأى مصارع إخوة وقرابة بين الثرى فى برزخ سكنوه
ألا أنيت قبورهم فسألنها عنهم وعن مافى القبور لقوه
فلتخبرنك أن أحكام البلى تجرى عليهم مذهم وطلوه
وليخبرنك أنهم وجدوا الذى عملوه مكتوبا فاعملوه
ما زادت الحفظاء فى أعمالهم مثقال خردلة ولا نقصوه
يامعشر الإخوان إن سييلكم كسيلهم فى كل ما سلكوه
ولكم نصيب فى البلى كنصيبهم وكأنه قد حل فانتظروه
ومحجب قد غره حجاباه لما أتاه الموت ما حجبوه
لكنهم سجدوا فوق سريريه وتكفلوه بأربع حملوه
ساروا به حتى إلى دار البلى بيت له تحت الثرى قبروه
حتى إذا ما غيبته أكفهم بين الجنادل فى الثرى تركوه
وتفرقوا عن بابه وتبدلوا بابا سواه وغيروا ونسوه

عمر بن الخطاب وعظته

روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : أكثروا من ذكر هازم اللذات فانكم لا تذكرونه فى قليل إلا كفى وأجزى ، ولا فى كثير إلا قلله *
فإن الله عباد الله اجتهدوا واستعدوا للبوت ، وبادروا آجالكم قبل الفوت ، تفوزوا بالجنان فى دار الرحمن . وأنشدوا :

لملك الموت فى الدنيا ديون تحل فليس يطلها المطول
وكل العالمين بها ملى (١) فليس له على أحد جميل
سواء إذ يحل على غريم عليه ذوو التعزز والذليل (٢)

فإن الله معاشر المسرفين لا تفوتوا بالعز والمال ، فإن الموت لا يهاب الكبير الجليل ، ولا يرحم الحقير الذليل ، فكوانومنه على حذر وأعدوا له صالح الاعمال ، من قبل أن يأتى يوم لا حيلة فيه لمحتال . يا إخوانى الى كم هذه الغفلة ؟ الى كم هذا التماذى فى البطالة والاغترار
(١) ملى أى جدير ، يريد أن كل العالمين يحمل فى عنقه للبوت دينا لا بد أن يؤديه طائعا أو مرغما (٢) أى العزيز ذو التعزز كما يقال للقوي ذو القوة ، وللجبار ذو الجبروت .

بالمهلة ؟ أو أنشدوا :

يا أيها الناس كان لي أمل قصر عن بلوغه الاجل
ما أنا وحدي نقلت حيث تروا كل الى مثله ينتقل
فليتق الله ربه رجل أمكنه في حياته العمل

حث النبي أصحابه على ذكر الموت

روي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في بيت بعض نسائه إذ سمع صوتا في مجلس من مجالس أصحابه وقد استعلى على حديثهم الضحك ، فخرج عليهم صلوات الله وسلامه عليه حتي قام على رؤسهم فقال : « أرى الضحك قد غلب على مجلسكم هذا ، أفلا تذكرون مكدر اللذات في أثناء حديثكم ؟ » قالوا وما مكدر اللذات يا نبي الله ؟ قال : « ذكر الموت » فبكى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأجمعهم *

فاذا كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مصاييح الاسلام ، وقادة الانام ، السادة الكرام ، رجع ضحكهم بكاء من هول يوم الحمام (١) وقد أفنوا أعمارهم في طاعة ذي الجلال والاكرام ، وقطعوا أيامهم في العمل بالسنة والأحكام ، فكيف بمن تهادي في المعاصي والاحرام والطغيان والآثام ، وأكلوا الربا (٢) والحرام ، وأموال الضعفاء والايام ؟ وأنشدوا :

الموت في كل حين ينشر الكفنا ونحن في غفلة عما يراد بنا
لا نطمئن الى الدنيا وزهرتها ، إن توشحت من أثوابها المخنا
أين الاحبة والجيران ما فعلوا أين الذين هموا كانوا لنا سكنا
سقاهاهم الدهر كأسا غير صافية فصيرتهم لاطباق الثرى رهنا

فقاله الله معاشر المذنبين لا تشغلوا عنم يطلبسكم ، ولا تنسوا من لا ينساكم ، وقد خلقكم الله تعالى وخلق آجالكم من قبل أن تأتي ساعة السكرات ، والندم على ما فات ، فهيات هيات ثم

(١) الحمام الموت . (٢) قال الله تعالى (يمحق الله الربا ويربي الصدقات) والربا ما يتعامل به أكثر

الناس الآن وهو أن يقترض ديناراً وله عليه ربح يبلغ في أكثر الاحايين النصف بحجة أنه تجارة ، أو ما يصنعه بعض النساء المشهورات بالدلالات من أنهن يشتري ما ترغبه المقرضة منهن ثم يضمن عليه أرباحا لمن أو بأي شكل من ذلك فكله ربا . وكل فائدة ينالها المقرض وإن قلت

هيات هيات . وأنشدوا:

إسمع فقد أسمعك الصوت إن (لم) تبادر فهو الفوت
بل كل ما شئت وعش سالماً آخر هذا كله الموت

يا أخى إذا جاءك الموت لا ينفك ما جمعه ، ولا ينجيك ما اكتسبته ، فامهد نفسك قبل
مفارقة الاحباب ، والجيران والاصحاب ، والخروج من الديار إلى منازل الدود والتراب
وبيوت الوحشة والعذاب ، إلا أن يعفو الملك الوهاب ، فتفكروا يا أولى الالباب ، بامعشر
الشيب والشباب . وأنشدوا :

مضى أمسك الماضى شهيداً معدلاً وأعقبه يوم عليك شهيد
فان تك بالأمس اجتاحت إساءة فبادر باحسان وأنت حميد
ولا تبق فعل الصالحات إلى غد لعل غدا يأتي وأنت فقيـد
إذا ما المنايا أخطأتك وصادفت حميمك فاعلم أنها ستعود (١)

ذكر الموت والعمل

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما أ كثر رجل ذكر الموت إلا زاد ذلك
في عمله » فيا إخوانى أ كثرُوا ذكره لعل الله أن يهونه عليكم ، ويرحمكم عند نزوله بكم . واجعلوا
الموت عند منامكم (مهادا) وعند قيامكم سهادا . واستعدوا بكثير الحسنات ، واجتنب
الاوزار والسيئات . فرحم الله أمراً رحم نفسه ، ونظر إليها و ذكر رمسه . وأنشدوا :

نقص الموت ويحكم كل طيب ودهانى بفقد كل حبيب
كم وكم قدر أيت من حدث السن عزيز كغصن بان رطيب
حسن بالموت فائتني بانكسار واضعا خده بذل عجيب
قائلا إخوانى سلام عليكم إذ دنت شمس مدتى بالمغيب

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما أ كثر رجل ذكر الموت إلا ترك
الفرح والحسد والرغبة » يا أخى لو كان عندنا علم أنه لا يموت منا إلا رجل واحد لا يعلم
من هو فينا ، لكان الواجب علينا أن لا ترقأ لنا دمة خوفا من الموت ، فكيف ونحن على

(١) أى اذا لم تمت أنت اليوم ومات حميمك أي صديقك وصفيك فاعلم أنها لا بد ستعود
إليك فلست بناج منها أنت ولا حميمك .

يقين أنه لا يبقى منا أحد . وأنشدوا :

يلقى الفتى حذر المنية كارها منها وقد حدثت به لو يشعر
نصبت حبالها له من حوله فاذا أتاه يومه لا ينذر
إن امرأ أمسى أبوه وأمه تحت التراب لو اجب يتفكر
تعطي صحيفتك التي أمليتها فترى الذي فيها اذا ما تنشر
حسناتها محشوة قد أحصيت والسيئات فأى ذلك أكثر

فابكروا معاشر المذنبين على ساعة لا بد منها ، أما ترون الموت قد أفنى الأمم الماضية ، وقتل القرون الخالية ، وهدم القصور العالية ، عطل عشارهم ، وخرب ديارهم ، وهدم منازلهم ، وقطع آثارهم ، وقطف أعمارهم ، ولم ينفعهم ما جمعوا ، ولم يحصنهم ما بنوا وصنعوا . قد صاروا في القبور رميا ، ولقوا من الموت والاهوال أمراً عظيماً ، فهذا دليل على أن الموت لا يترك أحداً من المخلوقين ، حتى يتوفاهم وينقلهم إلى التراب أجمعين *

حكاية في الزهد

روي عن عمرو بن مرة أنه قال : ذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فأنشأ عليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كيف زهده في الدنيا وتركه لما يشتهى منها ؟ » قالوا إنه ليصيب منها . قال « فكيف ذكره للموت ؟ » قالوا ما سمعناه يكثرك ذكره . قال « ليس صاحبكم هناك » فمن لا يكثرك ذكر الموت ، ولا يترك الرغبة في حطام الدنيا ؛ فلا خير فيه والله أعلم . وأنشدوا

إنما الدنيا بلاغ ليس في الدنيا ثبوت
إنما الدنيا كبيت نسجته العنكبوت
ليس للطالب فيها كل يوم غير قوت
كل من كان عليها عن قليل سيموت

فإن الله بادرنا العمر اليسير ، والأجل القصير ، قبل نزول ملك الموت بالهول العظيم الكبير فالموت يقصم الأصلاب ، ويذل الرقاب ، ويرد كل مخلوق إلى التراب ، ويقرب المؤمن الطائع إلى الجنة وحسن المآب ، ويسوق الفاجر العاصي إلى أليم العذاب ، فتفكروا في الموت يا أهل الفناء والذهاب . وأنشدوا :

هل للفتى من عثار الدهر من واق أم هل له من حمام الموت من راق
قد رجأوني (١) وما بالشعر من شعث ولبسوني ثياباً غير أخلاق
وكفّفوني وقالوا أيما رجل وأدرجوني كأني طي مخراق
هون عليك ولا تولع باشفاق فانما مالنا للوارث الباقي

عظة ابن مسعود

روى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال : ليس بغافل ولا ذا كرا للموت من عد غداً
من أجله ، فرب مستقبل يوماً لا يستكملّه ، ومؤمل غداً لا يبلغه ، لو أبصرتم الآجل ومروه
لأبغضتم الآمل وغروره . فيا عجباً للفروع ذهبت أصولها ، وللنجوم قد آن أقولها *

الداء والدواء

روى أن رجلاً جاء إلى عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها فقال : يا أم المؤمنين إن بي داء فهل
عندك دواء ؟ قالت وما دأؤك ؟ قال القسوة ، قالت بش الداء دأؤك ، عد المرضى واشهد الجنائز
وتوقع الموت . فآله الله يا أعراض المنية ، ويا أبواب الرزية ، لا تنسوا الموت الذى كتبه الله على
العباد ، المخرب الاقطار والبلاذ ، وكونوا منه على حذر واستعداد ، يا أبدان الاسقام ، ويا أعراض
الحمام . وأنشدوا :

من كان يعلم أن الموت مدرجه والقبر منزله والبعث مخرجه
وأنه بين حيات تنهشه يوم القيامة أو نار تنضجه
فكل شيء سوى التقوى به سمج وما أقام عليه منه أسمجه
ترى الذى اتخذ الدنيا له وطناً لم يدر أن المنايا سوف تزججه

عظة عمر بن عبد العزيز

روى عن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أنه كان يقول : أيها الناس ما الجذع مما لا بد منه ،
وما الطمع فيما لا يرجى ، وما الحيلة فيما لا يزول ، وإنما الشيء من أصله ، وقد مضت من
(١) رجل الشعر مشطه وساواه ، يريد ساعة أن يموت الميت فيمشطون شعره ، ويقلمون
في بعض الأحيان أظفاره ، ويغسلونه ويطيّبونه ويدرجونه في الكفن كأنه شيء لا قيمة له .

قبلنا أصول نحن فروعها ، فما بقاء الفروع بعد الاصل ، فكل ماهو آت قريب . أيها الناس إنما أنتم في الدنيا أغراض تتنصل فيكم المنايا ونهب للبصائب ، ومعدن للنوائب ، مع كل أكلة غصص ، ومع كل شربة شرق ، الاتناون نعمة الا بقراق أخرى ، ولا يعمر فيكم معمر لا بهدم آخر من أجله ، (١) وأنتم أعوان الختوف على أنفسكم ، فأين المهرب مما هو كائن فالله الله يا إخواني لا تركنوا الى طول الامل ، ولا تنسوا اقتراب الاجل ، فالموت لا بد منه . وأنشدوا :

آه على سفرة بغير أياب آه من حسرة على الاحباب
آه من سكرة بغير شراب آه من ركبة (٢) بغير ركاب
آه من مضجعي وحيد افريدا بين فرش من الحصى والتراب

يا إخواني هل رأيتم أحدا خلد في الدنيا حتى تكونوا مخلصين ، أم أنتم من الرحيل الى الآخرة على شك فتكونوا بالقرآن كافرين ، فوالله لو كان الامر كذلك لخلد خاتم النبيين ، لقد رانت على قلوبكم سترة الغافلين ، واستحوذ على نفوسكم كيد الشيطان اللعين ، حتى نسيتم الموت المفرق لجمع الجامعين . وأنشدوا :

ليس دوام البقاء للخلق لكن دوام البقاء للخلاق
غلب الموت حيلة كل محتال واعى بدائه كل راق
عطفت شدة الزمان فادة الى فاقة وضيق خناق
لا يغرنك الغرور من الدنيا لا فمناها شدائد بسياق

القرآن والموت واعظان

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « تركت فيكم واعظين ناطقا وصامتا ، فالناطق القرآن والصامت الموت » مساكين فلا بالقرآن عملتم ، ولا في الموت تفكرتم ، تمشون وتصبحون وقلوبكم معلقة بعلائق الدنيا ما عندكم من الموت خبر ، ولأنتم منه على حذر قلوبكم خالية من خوف الرحمن ، عامرة بخدوع الشيطان ، كأنكم قد أنتمت الموت وطوارق

(١) كذا بالاصل ، ولعلها تحريف الا بهدم آخر من أصله (٢) في الاصل : آه من رقدة بغير ركاب ، ولا معني لها فصحيحها : ركبة ليستقيم المعني ، والمقصود بذلك حين يحمل الى القبر فوق الاعناق .

الجلدان ، وأنشدوا :

ومكبت جموح الغي في سبل العبا ولم تدر أن النائبات تنوب
وجررت أذيال البطالة لاهيها كأنك لم يكتب عليك ذنوب
وأملت كتاب الشمال صحائفها بكثرة ماتأتى ولست تنوب
ومهما يغيب عنك الحمام لمدة ستبلغها حتما أنت كئيب
فقل لي إذا وافي على غير أهبة بأي جواب إن دعيت تجيب

فإن الله عباد الله عطلوا أنفسكم بأبائكم وأحبابكم ، وجيرانكم وإخوانكم ، فإن في ذلك بلاغا لمن تذكر ، وعبرة لمن تفكر ، إخوانكم كانوا بالامس معكم يأكلون مما تأكلون ، ويلبسون مما تلبسون ، فأصبحوا اليوم وقد صارت القبور لهم بيوتاً ، وصاروا بين أطباق الثرى خفوتاً قد قسم الوارث أموالهم ، ونكح العدو والصدق عيالهم ، وأهان العدو أطفالهم . قد هتكت منهم الاستار ، واستوحشت منهم الديار ، وتحديث عنهم الاخبار . وأنشدوا :

رأيت الموت لا يبقى خليلاً على خل وإن عاشا (١) زمانا
فكن منه علي حذر فاني رأيت الموت لا يعطى أمانا
أنسنا غرة منه كأننا بما نعى به نعى سوانا
وكم للموت من دار ودار أبان عميرها عنها فباننا (٢)
فكم ذى نخوة وعزيز قوم أذل الموت عزته فباننا
كأننا قد نظرنا عن قريب الى ما قد وعدناه عيانا

شدة الموت

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الموت وغمه وكرهه فقال : « هو أشد من ثلاثمائة ضربة بالسيف » فيا معشر الموقنين بنزوله ماهذه الفترة ، وما هذه السكرة ؟ من ذكر الموت قل فرحه وحسده ورغبته .

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا رأى فترة أو غفلة من الناس وقف

(١) في الاصل : وان عاش زمانا للفرد وصححناها اذ السياق يقتضى ذلك . (٢) أبان عميرها ، أى أبعد عنها عامرها فبعد ، وخربت داره بعد أن كانت عامرة به .

ببَاب المسجد فأخذ بأعضاء (١) الباب ثم صاح بأعلا صوته : « يا أيها الناس الموت الموت جاءكم الموت بالوحية (٢) سعادة أو شقوة ، جاءكم الموت بما جاء به بالروح والراحة، والكرامة والراحة، في جنسة عالية ، لأولياء الله من أهل دار الخلود الذين سعيهم لها ورغبتهم فيها ، ألا إن لكل ساع غاية وغاية كل ساع الموت ، جاءكم الموت بما جاء به بالخزي والندامة ، والمكرمة الخاسرة في نار حامية لأولياء الشيطان من أهل دار الغرور الذين سعيهم لها ورغبتهم فيها ، إلا إن لكل ساع غاية وغاية كل ساع الموت ، فسبق ومسبوق » *

فالله الله يا إخواني كونوا من السابقين ولا تكونوا من الخاسرين ، وكونوا من الموت على تحقيق وبقين . وأنشدوا :

أراك بما ترضى به النفس (٣) والهوى ويفضيه منه الله صرت تدين
وقلبك لا يزداد الا قساوة فدارك بالذكري عساه يلين
فان كنت في شك من الموت فاعتبر بمن قد مضى يزداد منك يقين
كأني بك استغرقت في غمراته وجاءك من بعد الخراك سكون
وقد حشرجت في الصدر منك وأسبلت بأدمعها تجري عليك عيون
فقل لي اذا وسدت ويحك في البلى وهيل عليك الترب كيف تكون؟

تمنى الموت

عباد الله تذاكروا أعماركم قبل الفوت ، وتأهبوا لأهوال غصص الموت »
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تتمنوا الموت فان هول المطلع شديد ، وإن من سعادة المرء أن يرزقه الله تعالى الانابة اليه ويطيل عمره » فاننا لله وإنا اليه راجعون
على من طال عمره وساء عمله ولا تنفعه الموعظة ، فمن كان منا كذلك فقد عظمت خسارته ، وما ربحت تجارته . وأنشدوا :

(١) العضد: الساعد وهو من المرفق إلى الكتف ، وعضاداتا الباب درفتاه أو المكان الذي فيه يعلق الدرفتان (٢) الموت الوحي السريع ولعل المراد جاءكم الموت بالوحية فحرفت .
(٣) في الاصل النفوس ولا يستقيم الوزن .

نودى بصوت أيما صوت ما أقرب الحى من الموت
 كأن أهل الحى فى غيهم قد أخذوا أمانا من الموت
 كم من صحيح عامر بيته لم يمس الا خارب البيت
 نعم (١) وكم حى بكى ميتا فأصبح الحى مع الميت

دعاء مجرب

اللهم يا أكرم الأكرمين ، تفضل علينا وعلى جميع المذنبين ، بتوبة تنقلنا من ذل المعصية إلى عز الطاعة، وثبتنا عليها حتى تخرجنا من الدنيا بلا ذل ولا تباعة ، على منهاج أهل السنة والجماعة الذين أوجبت لهم الرحمة والشفاعة ، اللهم إن الطاعة بقدرك والمعاصي ، وفى قبضتك القلوب والنواصي ، فظهر قلوبنا بماء التوبة ، واغسلها من دنس الحوبة (٢) ومتعنا بالسلامة فى ديننا ودنيانا ما أبقيتنا ، ولا تردنا على أعقابنا بعد إذ هديتنا ، وصلى الله على محمد خاتم النبيين ، وخير المرسلين ، واحشرنا تحت لوائه أجمعين ، على منهاجه وسنته غير مبدلين ولا مغيرين موفقين معصومين غير مغضوب علينا ولا ضالين ، يا أرحم الراحمين ، (وأخردعواهم أن الحمد لله رب العالمين) ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . والله أعلم .

- ١٢ - (مجلس فى موت الانبياء والاولياء والصالحين)

وهو قوله تعالى (كل نفس ذائقة الموت) معاشر الموتى وأبناء الموتى أنتم موتى بلا محالة وإنما سبقكم إخوانكم إلى مناخ القبور ، فإذا استكمل ولد آدم من أولهم وآخرهم قام الكل للعرض والنشور ، على الملك الغفور . فاستعدوا لذلك المقام ، واجتنبوا الاوزار (٣) والآثام وبادروا بالتوبة قبل نزول الحمام .

صفة الموت

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الموت غصن كثير الشوك أدخل فى جوف

(١) فى الاصل : وكم وكم حى بكى ميتا ، ولا يستقيم . (٢) الحوبة الاثم والمعصية .

(٣) الاوزار جمع وزر والوزر الاثم والثقل والسلاح .

رجل أخذت كل شوكة بهرق ثم جذبه رجل شديد الجذب ، فأخذ ما أخذ ، وأبقى ما بقي .
وأنشدوا :

يا من سسينأى (١) مسرعا كما نأى عنه أبوه
مثل بقلبك قو لهم جاء اليقين فلقنوه
وتحللوا من ظلمه قيل الفراق وودعه (٢)

فالله الله عباد الله لا تضيعوا أعماركم في الباطلات ، ولا تنفوا أيامكم في الجهالات ،
واذكروا الموت مفرق الاحباب ، وقاطع الانساب ، ومذل الرقاب ، وقاصم الجبابرة
والاثرياب ، مهلك الآباء والائمات ، وقاتل الاخوة والاخوات ، ومبيد الجيران والقرابات
الموت يقطع أموالكم ، ويغير أحوالكم ، ويرمل نساءكم ، ويديم أطفالكم ، فلا يبقى منكم خيلا ولا
حييا ، ولا جاهلا ولا أدبيا . وأنشدوا :

الموت أفنى من مضى والموت يفنى من بقى
والموت يجمع في الترى بين المنعم والشقى
يا مسكين أنفقت مالك في بنيان الدور ، وتشيد القصور ، ونسيت الموت والتحول إلى
ظلمة القبور ، ثاويا فيها إلى يوم النشور . وأنشدوا :

ألا للخراب بنى العامرونا وللموت ما ولد الوالدونا
وعما قليل يرى الآخرو زعجائب ما قد رأى الأولونا
ويشقى أناس بما جمعوا ويسعد بالقلة الزاهدونا
ولا يرحمون إذا ما بكوا ولا يرتجى الرحمة الظالمونا
ويسأل قوم هناك الرجوع فلا يرجعون ولا يكرمونا
اعلم يا مسكين أن المنية خير من الحياة الدنية ، يا ابن آدم الرقاد والله تحت التراب ، خير
لمعصيتك لرب الارباب .

(١) النأي البعد ، وينأى يبعد (٢) أى مثل بفكرك قول العائد من حول المحتضر : جاء
اليقين أي جاء الموت ودنت ساعته فلقنوه الشهادات وتحللوا من ظلمه أى واسألوه أن يحللكم
من ظلمكم له قبل فراقه الدنيا .

عظة الموت

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كفى بالموت واعظا ، وكفى بالعبادة شغلا ، وكفى باليقين غناء » واعلموا عباد الله أنه لا أمة بعد أمتكم ، ولا نبي بعد نبيكم ، وإنما ينتظر بأولكم أن يلهق آخركم ، ثم يجمعون في عرصة القيامة ، لوقوع الحسرة والندامة ، عند ذلك لا ينفعكم مال ولا بنون ، ويحال بينكم وبين ما تشتهون ، ويحقق بكم ما كنتم به تستهزئون .
وأنشدوا :

كل سحي وإن بقي فمن الموت يستقي
فاعمل اليوم واجتهد بادر اليوم يا شقي

ابو العتاهية الشاعر

ذكر عن أبي العتاهية (١) رحمه الله أنه دخل يوما على الرشيد فقال له الرشيد : أنشدني ، فقال اجعل لي الأمان ، قال أنت آمن فأنشأ وأنشد :

لأنامن الموت في طرف (٢) ولانفس وإن تسترت بالحجاب والحرس
واعلم بأن سهام الموت قاصدة لكل مدرع منا ومترس
مأبال دينك ترضى أن تدنسه وثوبك الدهر مغسول من الدنس
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجرى على اليبس

فاعلموا يا معشر بني آدم أن الموت لا يترك (٣) منكم أحدا ، ولا يرحم والدا ولا ولدا ، فاجعلوه بين أعينكم منصوبا ، فإنه لا يترك الفرح كئيها مكروبا ، فيقيننا يقين من يموت ، وأعمالنا أعمال من لا يموت ، كأن يقيننا بالمرت مشروبا بالشك ، وكأن إيماننا بالبعث ممزوجا بالافك ، ماهذه حال من أيقن بالحمام ، يعصى مولاه في الليالي والأيام . وأنشدوا :

نحن من العمر في ظنون وفي يقين من المنون (٤)
ثم (٥) لا نذكر المنايا أليس ذا غاية الجنون

(١) أبو العتاهية شاعر مشهور من شعراء الدولة العباسية تزهد في آخر عمره وأتي في الزهد بالعجب العجيب . (٢) أي في طرفة عين ، أو قبل أن تقلب طرفك (٣) في الاصل لا يؤخذ منكم وهو خطأ . (٤) المنون الدهر والمنية لأنها تقطع المدد . (٥) ثم حرف عطف يدل الترتيب والتراخي وهي هنا بمعنى هناك للبعيد بمنزلة هنا للقريب .

مثل الدنيا والموت

ذكر عن بعض الصالحين أنه قال : رأيت في المنام رجلاً وهو في برية وأمامه غزالة وهو يجرى خلفها وهي تفر منه ، وأسد كأعظم ما يكون خلقه وقد هم أن يلحقه ، والرجل يرد رأسه وينظر إلى الأسد فلا يجزع منه ، ثم يجرى خلف الغزالة حتى لحق به الأسد فقتله . فوقفت الغزالة ، تنظر إليه وهو مقتول ، إذ جاء رجل آخر قد فعل ما فعله المقتول فقتله الأسد ولم يدرك الغزالة ، فخرج آخر ففعل كذلك ، قال فما زلت أعد واحداً بعد واحد حتى عدت مائة رجل صرعي والغزالة واقفة ، فقلت إن هذا لعجب ! فقال الأسد : مم تعجب ؟ أو ما تدري من أنا ومن هذه الغزالة ؟ فقلت لا ، فقال أنا ملك الموت وهذه الغزالة الدنيا ، وهؤلاء أهلها يجدون في طلبها وأنا أقتلهم واحداً بعد واحد حتى آتى على آخرهن . فاستيقظت فرعاً مرعوباً وأنشدوا :

حتى متى وإلى متى تتواني وأظن هذا كله نسيانا
والموت يطلبنا حيناً مسرعاً إن لم يزرنا بكرة مسانا
إنا لنوعظ بكرة وعشية وكأنما يعنى بذلك سوانا
غلب اليقين على التشكك في الردي حتى كأنني قد أراه عيانا
يامن يصير غدًا إلى دار البلى ويفارق الإخوان والخللانا
إن الاما كن في المعاد عزيزة فاختر لنفسك إن عقلت مكانا
وانظر لنفسك إن أردت تعزها قبل الممات ولا تكن مهوانا

واعلموا عباد الله أن مامن جماعة وإن كثرت إلا والموت يقللها حتى يفنيها عن آخرها وإنما أعمارها عوار والعارية لا تبقى ، يرجع الكل إلى الله تعالى يفصل بينهم بالحق وهو خير الفاصلين ، فشقى وسعيد ، ومنعم ومعذب . وأنشدوا :

وما أهل الحياة لنا بأهل ولا دار الفناء لنا بدارا
وما أموالنا إلا عوار سيأخذها المعير من المعار
فالله الله عباد الله إياكم أن يأتى صاحب العارية وقد ضيعتموها

ملاقة الارواح

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : إذا عرج بروح المؤمن تلقته أرواح المؤمنين

بالرحمة والبشرى كما يتلقى الغائب في الدنيا ، ثم يقبلون عليه فيسألونه فيقولون : ما فعل فلان وما حاله ؟ فيقول بخير تركته والله على طريقة حسنة . فيقولون ياربنا أنت هديته لذلك فقبته عليه حتى تقبضه ، وإن سألوه عن إنسان قد مات فيقول قد هلك فيقولون إنا لله وإنا اليه راجعون ، عمل والله بغير عملنا فسلك به غير طريقنا ، ذهب والله به إلى أمه الهاوية (١) بسست الأم وبسست المريية *

أعمال الاحياء والاموات

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تعرض على الموتي أعمالكم فإن رأوا خيرا استبشروا به وقالوا اللهم هذه نعمتك فأتممها على عبدك ، وإن رأوا سيئة اغتموا لها وقالوا اللهم راجع بعبدك » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فلا تحزنوا أمواتكم بأعمالكم السيئة فإن أعمالكم تعرض عليهم » (٢) فالله الله عباد الله اجتهدوا في اكتساب الحسنات ، واجتنبوا في ليلكم ونهاركم السيئات ، فإن ذلك محزن الأهل والأقربين من الأموات . واعملوا في صحتكم قبل السقم ، وقدموا في شبابكم قبل الهرم ، فإن الموت إذا جاء لا يرجع ، وسهامه إذا فوقها لا تدفع ، وكأسه إذا أدارها لا تنزع ، حياضه مورودة ، وساعاته معدودة ، وأهواله مشهودة والحيلة عند نزوله مفقودة غير موجودة . وأنشدوا :

الموت حتم حوضه مورود والموت يفنى جمعنا (٣) ويبيد
والموت يحكم في النفوس بحتفها (٤) وله على تنفيذ ذاك جنود
والموت يفسد مهجة الملك الذي قد عززته (٥) عساكر وجنود
وقلوبنا في كل ذا مشغوفة حبا لدار زهرها معقود
وإلى متى تهوى الذي هو هلكها وإلى متى لا نلثني وتعود ؟

(١) هاوية : اسم علم للنار . قال الله تعالى (فامه هاويه) أى مستقره النار .
(٢) وفي بعض الاحاديث تعرض على أعمالكم . وبالجملة فالعمل الصالح يسر الميت لانه يعود عليه من صلاحه لانه يعم بصلاحه ، والعمل السوء وإن كان وزره على صاحبه إلا أنه يمنع عن الميت ثواب العمل الصالح من صدقة أو دعاء .

(٣) في الاصل : جميعنا ولا يستقيم . (٤) في الاصل . في النفس ولا يستقيم .
(٥) في الاصل : عزته .

الله الله ، يا أعراض المنية ، ويا أبواب البلية ، ويا معادن الرزية . أفيقوا من هذا الوسن ،
قبل أن تزودوا من أموالكم بخيوط (١) وكفن . إذا تبرأ منكم الحبيب ، وأنكر معرفتكم
القريب ، وصار كل واحد منكم كأنه أجنبي وغريب . وأنشدوا :
الموت باب وكل الناس داخله فليت شعري بعد الباب ما الدار ؟
الدار دار نعيم إن عملت بما يرضى الله وإن خالفت فالنار

المثابرة

يا أخى بالله عليك لو أتاك الحمام ولك ملك الدنيا أما كنت تختار عيش يوم بالجميع ؟
فبادر ما دمت فى فسحة من العمر ، قبل أن يضيق عليك الامر ، لو صيغ بك الليلة أجب
الداعى أما كنت نادما على ما قدمت ، وبا كيا على ما فرطت ؟ وأنشدوا :

الموت بحر طامح موجه تذهب فيه حيلة السابح
يا نفس إني قائل فاسمعي مقالة من مشفق ناصح
ما يعجب الانسان فى قبره مثل التقى والعمل الصالح

فإن الله عباد الله استعدوا للموت ، فكأنه قد نزل بكم فأرمل النسوان ، وأيتم الولدان ،
وفرق الاخوان ، فوالله يا أيها الانسان وإنما أنا وأنتم ذلك الانسان ، لو لم يكن ماء ولا
ظلال ، ولا جواب ولا سؤال ، ولا نعيم ولا ثواب ، ولا جحيم ولا عقاب ، لكان فى الموت
وسكرة ، والقبر وظلمة ، واللحد وضغطته ، ما يمنع العاقل اللبيب عن كسب الخطايا والذنوب
فكيف ومن وراء ذلك هول مهول ، وشرح يطول ، من الصور وتفخته ، والنشور وروعته
والصراط ورقته ، ومسألة الله تعالى للعبد وتوبيخه . فما يكون جوابك أيها المغرور ، إذا وقفت
بين يدي العالم الغفور ، الذى يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور ؟ فأظهر لك قبائحك ، ونشر
لك فضائحك ، واستشهد عليك جوارحك ، فان عفا عنك فأنت من الفائزين ، وإن طالبك
بما قد مت يداك فأنت من الخاسرين . عفا الله عنا أجمعين ، وغفر لنا ذنوبنا فمخير الغافرين
آمين رب العالمين . وأنشدوا :

من كان يرجو أن يعيش فاني أصبحت أرجو أن أموت فأعتقا
فى الموت ألف فضيلة لو أنها عرضت لكان سيده أن يعشقا

قبض أرواح الصالحين

ذكر في بعض الاخبار عن بعض السلف الاخيار عن النبي المصطفى المختار أن الله عز وجل إذا أراد قبض روح عبده الكريم عليه ، وهو التقى لانه بالتقوى كرم عليه ، دعا بملك الموت فقال اذهب يا ملك الموت الى عبدي فلان فأنتي بروحه ليرتاح عندي فحسبي من عمله أتى قد بلوته في السراء والضراء فوجدته حيث أحب ، فيذهب ملك الموت فيأخذ من مسك الجنة الأذفر وحريرها الأبيض فيهبط به ويهبط في أثره خمسمائة ملك ليس منهم ملك الاومعه بشارة من الله تعالى إلى ذلك الولي ، وليس منهم ملك يدري ما مع صاحبه من البشارة ، وليس منهم ملك إلا ومعه صباير (١) من الريحان — يعني حزما من الريحان — من ريحان الجنة ، فاذا هبطوا أحلقوا بولي الله ، وجلس ملك الموت عند رأسه ونفث في وجهه سم الموت فصرعه ويقول له : يا ولي الله ارتحل من الدنيا فليست لك دار وليست لك بوطن ولا بد لك يا ولي الله أن تذوق كما ذاق إخوانك من قبلك ، قال فلك الموت أطف باستخراج نفسه من الوالدة بولدها . فاذا أذنت نفسه بالخروج وكانت عند ذقنه أكب عليه الذين جاؤا مع ملك الموت وهم خمسمائة ملك يخبرونه بالبشارة التي أرسلهم الله بها اليه ، وليس منهم ملك إلا وهو يضع على كل طائفة من جسده من صباير الريحان الذي جاؤا به ، فاذا خرجت نفسه لفها ملك الموت في ذلك الأبيض والمسك الأذفر ، ثم يعرج بها إلى السماء وتثبت الملائكة الذين بشروه عند جسده عند أهله *

ملائكة الرحمة

فاذا دنا من السماء تلقاه جبريل عليه السلام في سبعين ألف موكب من الملائكة فأخذ الروح منه جبريل عليه السلام فخرج به حتى يضعه بين يدي الجبار تبارك وتعالى ، فيقول جل جلاله وتعالى — ليس كمثل شيء — لجبريل عليه السلام اذهب فدع ولي الله في سدر مخضود (٢) وطلع

(١) الصباير: جمع صبرة وهي تجمع على صبر والصبرة من الطعام ولم أجدا الصباير بالضاد المعجمة كما هي بالأصل . (٢) السدرة: شجرة النبق ، والمخضود المقطوع شوكة المشذب . والطلع شجر عظام من شجر العضاء وقال المفسرون المراد به الموز. والمخضود المنضد بعضه

منصود . فاذا حمل الرجل إلى سرير هبط خمسمائة ملك آخرون سوى الذين جاؤا مع ملك الموت، فيجلسوا صفين مابين منزله إلى قبره يستقبلون جنازته بالاستغفار ، وإذا أدى في قبره وحى عليه التراب وولى القوم جأته الصلاة فكانت عن يمينه ، وجاءه الصوم فكان عن شماله وجاءه ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن فكانا عند رأسه ، وجاءه مشيه إلى الجمع وإلى مجالس العلم وعيادة المرضى واتباع الجنائز والصدقة فكانوا عند رجله ، وجاءه الصبر على ما يكره وعلى ما يحب فلم يجد مجلسا في ناحية من نواحي قبره ، فيخرج له من قبره عنق من العذاب فيأتي عن يمينه ، فتقول له الصلاة اليك عني لا سبيل لك عليه إنما استراح ولى الله من الاقبال والادبار هذه الساعة ، ثم يأتي عن شماله فيقول الصيام اليك عني لا سبيل لك اليه إنما استراح ولى الله من الاقبال والادبار هذه الساعة ، ثم يأتي عند رجله فيقول له مشيه إلى الجمع وإلى مجالس العلماء وعيادة المرضى واتباع الجنائز والصدقة اليك عني لا سبيل لك عليه إنما استراح ولى الله من الاقبال والادبار هذه الساعة ، قال فلما لم ير شيئا انقمع ودخل في الموضع الذى خرج منه فيقول الصبر لهؤلاء : أما اذا كفيتهمونى عذاب القبر فسا كفيكموه عند الميزان اذا نصب *

سؤال الملوك

قال ثم يخرج الله اليه منكرا ونكيرا وهما ملكا القبر أسودان أزرقان يبحثان (٢) القبور بأنبياهما ، ويطآن في أشفارهما . كلامهما مثل الرعد القاصف ، وأبصارهما مثل البرق الخاطف ، وأنفاسهما مثل لهب النار ، وألوانهما مثل الليل المظلم . فيقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك ؟ فيقول الله ربى ودينى الاسلام ونبى محمد عليه الصلاة والسلام ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ، فيقولان له قد علمنا أنك ستكون مؤمنا فيفتحان له بابا إلى النار فينظر إلى ما أعد الله فيها لاهل المعصية من العقوبة والعذاب ، قال فيرفعان ذلك الباب دونه ثم يقولان له لا تخف يا ولى الله من هذا الباب أبدا ، ثم يفتحان له بابا إلى الجنة فينظر إلى ما أعد الله لاهل طاعته من الخير الدائم المقيم الذى لا زوال له ولا فوق بعض وفى القرآن (نضده تنضيدا) للمبالغة فى وضعه متراصعا .

(١) بحث بمعنى قش والمراد به هنا يخرقان القبور بأنبياهما . وقد وردت جملة أحاديث فى استبشاع صورتهم ومهول خلقتهما وشدة بطشهما ولا إيمان لمن أنكرهما

انقطاع فيقولان له يا ولي الله هذا دارك وقرارك ومنزلك *

نعيم القبر

قال فذلك الباب مفتوح إلى قبره إلى يوم القيامة يخرج من ذلك الباب إلى قبره ريح الجنة وروحها وبردها ويوسعان له في قبره مدبصره ، ثم يقولان له يا ولي الله نعم فينام نومة العروس في حجابها حتى يبعثه الله تعالى يوم القيامة إلى أزواجه وقهارته وحرمة ، ألا ترى أيها الغافل عن طاعة ربه المصير على ذنبه إلى هذا الولي الذي صار إلى قبره وخرج عليه نوع من عذاب ربه وأن أعماله الصالحة كانت جنوداً حوله فلم يجد العذاب دونها مدخلا إليه ؟ ولولا قيامها حواله لكان عذاب الله واصلا إليه ، فلو لم يكن بطاعة الله عاملاً لم يجعل المولى بينه وبين عذابه حائلاً ، ومن لم يكن بينه وبين النار حائل فاهلاك ، والخزي له حاصل ، والعذاب والذل إليه واصل ، فكل من زعم أنه مؤمن بالله عز وجل ورسوله وكتابه ولم يجعل العمل الصالح وقاية بينه وبين عذابه فقد تعرض لهلاكه وعقابه ، لانه لم يجعل حائلاً بينه وبين جسده وكل موضع أمر الله سبحانه وتعالى باتقائه في كتابه ، فانما هو تحذير من عذابه . وأنشدوا :

الموت أهناً للطيع وأصلح والموت أطيب للتقي وأنجح
والموت أقرب للجنان طريقة والعبد يكرمه الاله ويمنح

سليمان وملك الموت

ذكر في بعض الاخبار أن سليمان عليه الصلاة والسلام دعا الله تعالى وسأله أن يريه ملك الموت وأن يلبسه من القوة حتى يكلمه ، فبينما هو قاعد ذات يوم على سريره إذ خرج رجل من جنب السرير ليس يراه أحد إلا سليمان لم يرسليمان قط أتم خلقاً منه ، فقال يا عبد الله ما أدخلك دارى ؟ قال أدخلنيها ربها ، أدخلني من هو أملك لها منك ومنى ، فعلم عند ذلك أنه من ملائكة الله ، فقال له من أنت من ملائكة ربي ؟ قال أنا ملك الموت . قال فسمعوا من كلامه جلجلة فصعق (١) سليمان من خوفه ومن كان معه في البيت ، فقال ملك الموت يا رب إن عبدك

(١) صعق: غشى عليه ، ولقد سبق للؤلؤف رحمه الله أن ذكر حكاية عن سليمان وأن ملك الموت دخل عليه ونظر إلى رجل عنده نظرة شديدة وأن الرجل حملته الريح إلى الهند ولعل ملك الموت كان يتشكل عنده بأشكال لا ترعب ، أو لعله آتس به بعد ذلك .

سليمان ونبيك سألك أن تأذن لي بالدخول عليه وقد بلغ من خوفه ومن معه ما ترى فالبسه من القوة ما يطبق النظر الي . فأوحى الله تعالى الى ملك الموت أن صنع يدك في صدر سليمان ففعل فأفاق سليمان ومن معه بأذن الله تعالى ، قال سليمان يا ملك الموت أترى خلق الله في السموات والارض مثلك ؟ فقال ملك الموت يا نبي الله والذي بعثك بالحق إن رجلى الساعة على منكبي ملك وذلك الملك هو الموت قد تحرق قرناه السموات السبع وارتفع فوق ذلك مسيرة الف عام ورجلاه قد جاوزا الثرى بخمسمائة عام فاتحاه رافعا صوته بالتهليل والتكديس والتسبيح باسطا يديه لو أذن الله له أن يقبضهما الى صدره لضم السموات وما فيهن وما عليهن ما خلا العرش ، وأن فوقه ملكا قائما قد ادخل رجله تحت منكبي هذا الملك وهذا من فوقه مسيرة الف عام فاتحاه ، وأن شفته العليا ملتصقة بالعرش والسفلى تحت الثرى لو أذن الله تعالى له ان يضع شفته العليا على السفلى لاطبق ما بينهما في جوفه ، وأن لله ملكا عنقه مثني تحت العرش ورجلاه قد جاوزتا رجلى هذين الملكين مسيرة الف عام يخرج الريح من انفه لو أذن الله أن يتنفس لادخل جميع ما خلق الله في السموات والارضين في فيه سوى العرش ، وأن هؤلاء الملائكة الذين وصفت لك يكون خلقهم عند خلق غيرهم من الملائكة الذين فوقهم كجناح ذبابة عند الفيل ، وأن لله ملكا باسطا كفه اليمنى منذ خلقه الله تعالى رافعا صوته بالتهليل والتسبيح والتكديس والتحميد لو أذن الله له أن يقبض كفه لقبض جميع الخلائق ما خلا العرش . فقال سليمان صلى الله عليه وسلم يا ملك الموت ا كف فغنى فلقطد وصفت أمرا أتخوف أن تطير روحى ولا تثبت نفسى ولا أطيق أسمعه ، فكف ملك الموت ، فعندها قال سليمان عليه السلام يارب مئى التقي مع الاحبة ، يارب قد أحبت لقاءك والراحة من الدنيا . فهذا كان سبب موت سليمان عليه السلام. وأنشدوا:

الموت مر والعيش هم فأى هذين لزم (١)
وقد تعجبت إذ هنالى عيش وعندى بالموت علم
أنقل رجلى من كل دار خوف المنايا والارض سم
والروح مستوفز ٢ بجسمى له على الانتقال عزم

فكأناكم والله بالموت قد فاجأكم وأزعجكم عن لذاتكم ، ونعص عليكم شهواتكم ، ونقلكم إلى بيوت الوحشة والضيق ، حيث لا ينفعكم حميم ولا صديق ، ولا أخ شقيق ، ولا والد شقيق

(١) فى الاصل لازم ولا يستقيم (٢) مستوفز ومتحفز أى تهيأت للخروج

نداء الموت

روي عن سلمان الفارسي (١) رضى الله عنه أنه قال : مامن يوم إلا ومالك الموت ينادى يا أهل الدنيا عجلوا عجلوا لان أهل القبور محبسون من أجلكم ، اتركوا ما جمعتم ، وخربوا ما بنيتم ، الويل لكم إن أدرككم الموت علي هذه الحالة ، زيتتم الدور ونسيتم القبور . اذكروا القبور وحششتها ، والموت وسكرته ، والصراط ودقته . الموت سكرة في سكرة ، وحيرة في حيرة وجذبة يالهها من جذبة . فالمسكين يكابد غصص المنون ؛ داهش العقل كالحزون . قاله الله عباد الله أفيقوا من سكراتكم . وانتبهوا من نوماتكم ، واستيقظوا من غفلاتكم ، قبل نزول المنية ، وحلول الرزية ، ووقوع البلية . حيث لا مال نافع ، ولا حميم شافع ، ولا فرح واقع ، ولا رجاء طامع ، ولا حسنة تزداد ، ولا حياة تعاد ، ويزودك أحبابك بالصراخ ، ويكثرون عليك البكاء والنواح ، فلا عثرة تقال ، ولا رجعة تنال . وأنشدوا :

ألا إن أيام الحياة مراحل طريق الفتي منها إلى الموت ساحل ٢
يسر بما يمضي لما هو آمل ويأتي الردى (من) دون ما هو آمل
وما يومه إلا غريم محكم إذا ما اقتضاه نفسه لا يماطل
عجبت لمن يبغي السلامة جاها ومر الليالي كلهن غوائل
ونحن بنو الايام نظلم نفوسنا ونرجع وهى القاتلات الثواكل
ومن لحظ الدنيا بعين بصيرة رأى عينها فى نفسه وهو شائل (٣)

عظة من الغفلة

أيها الانسان — وكلنا ذلك الانسان — استيقظ من غفلاتك ، وهب من رقدتك . قد آن يدعى

(١) سلمان الفارسي كان من كبار الصحابة وكان من أبناء فارس واعتنق المسيحية وبحث فعلم بقرب مبعث الرسول فما زال يرتقبه حتى بعث فآمن به وكان رقيقا فاعطاه النبي ذهابا اشترى به نفسه وعاونه بغرس ثلاثمائة فسيلة حتى أعتق . (٢) فى الاصل : سائل وأظنه تحريف ، فانه لا يقال طريق سائل . أو لعلها ساهل وإن كانت غير فصيحة . وأصلحتها ساحل لانه أقرب إلى المعنى المقصود . (٣) كذا فى الاصل ، ولعله من شألت نعماته كناية عن موته . غير أن الميت لا يلاحظ الدنيا بعين بصيرة ولا كيلة . ولعله جاهل

إليك الطبيب بجمع الدواء ؛ فلا يرجى لك مما نزل بك الشفاء . ثم يقال فلان قد أوصى
وجميع ماله قد أحصى . قد تبرأ من الدنيا وعلائقها ، وأقبل إلى الآخرة وحقائقها . ثم ضعف
جنانك ، وثقل لسانك ، وانقطع كلامك فلا تسكلم إخوانك ، وكثرت خطوبك ، وعظمت
كروبك ، إذ عرضت عليك عند كشف الغطاء ذنوبك ، واشتدت الإحزان ، وعلا صراخ
النسوان ، وحزن الصديق الودود ، وفرح العدو الحسود ، ثم يقال لك هذا ولدك الصغير
وهذا الكبير ، وهذه بنتك الكبرى ، وهذه شقيقتهما الصغرى ، فلا ترد عليهن جواباً ، ولا
يستطيع لسانك خطاباً . ثم اشتد بك النزع والسياق ، إذا التفت الساق بالساق ، وانتزع ملك
الموت روحك الضعيف ، وعرج به إلى مولاك الرب اللطيف ، يجازيك على ما قدمت في سالف
الأيام ، ويسألك عما اكتسبت من الحلال والحرام . وأمر بك إما إلى جنة عالية ، ذات نعيم
وخلود ، وإما إلى نار حامية ذات جحيم ووقود ، وزودت من مالك حنوطاً وكفنوا ونزلت في
رمسك بعملك مرتها . وانصرف أهلك لقسمة ما خلفت من الأموال ، وما سعت فيه من
الحرام والحلال . وأنشدوا :

أبقيت مالك ميراثاً لو ارثته فليت شعري ما أبقى لك المال ؟
القوم بعدك في حال يسرهم فكيف بعدهم صارت بك الحال ؟
ملوا البكاء فما يبكيك من أحد واستحكم القيل في الميراث والقال
مالت بهم عنك دنيا أقبلت لهم وأدبرت عنك والأيام أحوال

قال رجل من الصالحين : رأيت رجلاً قد مات ووراثته يختصمون في ميراثه قبل أن تخرج
جنازته ، فقلت هذه الآيات المتقدمة *

نداء الملك

ذكر في بعض الاخبار أن تحت العرش ملكاً ينادى كل يوم وليلة ، الويل ثم الويل لمن
ترك عياله بخير ، وقدم على الله بشر . فأنه الله ارحموا أنفسكم قبل أن لا ترحموا ، وأكرموا
قبل أن لا تكرموا . واذكروا الموت وما بعده من عظيم الأحوال ، واستعدوا له بذخائر الأعمال
وأنشدوا :

أرى الدهر لا يصفى إلى من لا يعاتبه وأعتب دنياه على من يثالبه (١)

(١) كذا في الاصل ولم أقف على معناه في المراجع التي راجعتها وهو بالتأكييد محرف .

ونحن نرجي الخلد في غير دارنا وأين خلود المرء إن مات صاحبه
 كأننا عطاشى والمنية منهل نسير إليه واللىالى ركائبه
 كفى سألنا للمرء يوم وليلة ومن يلبس الايام فهو سوابه
 فلا تأمن الدهر الخؤون فانما هو اليوم سلم ثم حرب عواقبه
 أيها الناس استعدوا لما خلقتكم له فان الله لم يخلقكم عبثا ، وإنما خلقكم لتعبدوه وتوحدوه (١)
 وليميتكم ويبعثكم بعد الموت ، وما رزقكم رزقه إلا لتستعينوا به على طاعته . وما خلق الدنيا
 إلا للزوال ، وجعلها دار ابتلاء واختبار ، وسجنا لاوليائه ، وجنة لاعدائه . فراحلة الاولياء
 الموت ، وعذاب اعدائه الموت . لان الاولياء إذا ماتوا صاروا إلى جنة النعيم ، والعيش المقيم
 والاعداء إذا ماتوا صاروا إلى العذاب الاليم . فالله الله عباد الله لا يغرنكم بالله الغرور .
 وأنشدوا :

ومنتظر للموت في كل ساعة يشيد وينى دائما ويحصن
 له حين تبلوه (٢) حقيقة موقن وأفعاله أفعال من ليس يوقن
 عيان كانكار وكالجهل عليه بمذهبه في كل ما يتيقن

حكاية عن واعظ

ذكر أن شيخنا من تيماء كان يجلس إليه أصحابه ، فاذا كان عند قيامهم عنه قال :
 قوموا قيام من قد يشسوا من المعاودة حذرا من القاطف للنفس ملك الموت ، ثم يبكي ويكوا
 حوله . وأنشدوا :

وكن مستعدا لداعى المنو ن فكل الذى هو آت قريب
 وقبلك داوى المريض الطيبب فعاش المريض ومات الطيبب

(١) قال الله تعالى (وما خلقت الانس والجن إلا ليعبدون) وليس المراد أن يتواكل
 الانسان اعتمادا على رزقه المقسوم بل لا بد من السعى والحركة فى استجلا به كما جاء فى
 الحديث « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » وقال عمر
 ابن الخطاب رضى الله عنه : لقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ، وكان أكثر الصحابة تجارا
 أو صناعا . (٢) أى حين تختبره لانه يدعى العلم بكل شىء وعلمه أشبه بالجهل لان ثمرته فى
 العمل تناقض ادعائه العلم ، ومذهبه الذى يتيقن به باطل وما أكثر هذا الصنف بيننا .

يخاف على نفسه من يتو ب فكيف تري حال من لا يتوب
إن من الشرر لحكمة !!

خشية عيسى ملك الموت

روى أن عيسى عليه السلام كان إذا ذكر عنده الموت أو ذكره تقطر جسده ماء من خوف هوله ! يا أخى يا غافل مثلى يا مسكين فعيسى صلوات الله عليه يخاف الموت وهو على ما كان عليه من الطاعة لربه فكيف بك يا مسكين على ما أنت عليه من المعصية لمولاك ؟؟ فآله الله يا إخوانى لا تغتروا بصحة الاجسام ، ومداومة الايام ، فان الموت يأتى فى ألهى ما أنت عليه فى الدنيا وألذ ما أنت فيه ، فلا الصحيح يدعه لصحته ، ولا الصغير يرحمه لصغره ، ولا الكبير يهابه لكبره . وأنشدوا :

وكم من صحيح بات للموت آمنا أتته المنايا بغتة بعد ما هجع
فلم يستعلم إذ جاءه الموت بغتة فرارا ولا منه بحيلة امتنع
وقرب من قبر فصار مقيله وفارق من قد كان بالامس قد جمع
فلا يترك الموت الغنى لماله ولا معدما فى المال ذا حاجة يدع

حديث في ملك الموت

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن ملك الموت ينظر لوجه العباد فى كل يوم سبعين مرة ، فإذا ضحك العبد الذى بعث لقبض روحه يقول له : يا عجباً لك يا فلان أمرت بقبض روحك وأنت تضحك » فالعجب كل العجب بمن الموت يطلبه ، والمنية تعاجله وهو من ذلك على يقين ، وهو يضحك ويلهو . وأنشدوا :

ضحك الفتى من عجبه (١) جهالة والموت يطلبه حثيثا مسرعا
والموت لا يدع الجهول لضحكه الا رماه بسهمه فتفجعا
فتفلق (٢) أوصاله لنزوله وتفتت العظم الصليب توجعا
وبكى لفرقة ماله وعياله ومضى إلى دار البلى متضرعا

فآله الله عباد الله لا يغرنكم طول الامل ، وجسدوا واجتهدوا وكونوا من الموت على

(١) فى الاصل: من عجب ولا يستقيم . (٢) فلقة يفلقه شقه كفلقه فانفلق وتفلق

وجل ، فان الموت غادرنا ، وماس وصاح ، وأنت يا أخى منه على يقين وتحقيق ، فلم
تجد (١) عن منهاج الطريق ؟ »

نداء للميت

ذكر في بعض الاخبار أن الميت ينسأى إذا وضع على المغتسل : أين لسانك الفصيح
ما أسكتك ، أين صوتك الشجي ما أخرسك ، أين ريحك العطر ما أنتنك ، أين حركاتك
ما أسكنك ، أين أموالك الكثيرة ما أفقرك ، الويل لك إن كنت عاصيا ، والبشرى لك إن
كنت طائعا ، وتناديه الملائكة إذا وضع في القبر يا عبد الله أنت تركت الدنيا أم الدنيا تركتك.
أنت جمعت الدنيا أم الدنيا جمعتك ، أنت استعددت للنية أم النية عافصتك (٢) خلقت من
التراب ، وأعدت (٣) للتراب. وأنشدوا :

خلقت من التراب بغير ذنب وعدت إلى التراب ولى ذنوب
فألى لا أجاهد فى خلاصى بعزم للمعاصى لا أتوب
ومالى أثقلت ظهري ذنوب ومنها لا أمل ولا أنيب
ومالى لا أرق لسوء حالى ومن نفسى على غدا رقيب
ومالى مبعود مقصى طريد وفى كل القبائح لي ضروب
وكم بالبر تسوينى ومطفى ولا أدري متى تأتى شعوب
فيا من ليس لي رب سواه عليم بالذى أدعو يجيب
تجاوز يا إلهى عن ضعيف بغفران لعل عسى أتوب
وهب لي نلتى وعظيم جرمى فأنت الواحد الفرد القريب

عباد الله لا تغفلوا عن ذكر الموت ، وتفكروا فيه قبل الفوت ، فوالله ما بين أحدكم وبين
طول الأسف ، والندامة على ما قد سلف ، إلا أن تنزل به المنية ، غدوة أو عشية ، فعظ نفسك
قبل حلول الرزية . وقيل فى قول الله تعالى (وانفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم
الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب) قيل الاجل القريب عند كشف الغطاء ،
يقول العبد عند الموت ، يا ملك الموت أخرني يوما أعمل فيه صالحا لنفسي ، فيقول ملك

(١) تجد : تميل وتنحرف (٢) عففه يعففه قلعه ، وفلانا أثخنه فى الجراح والصراع ،
وعفف يده لواها (٣) أعدت من الاعادة الرجوع .

الموت : ففئت الايام فلا يوم ، فيقول أخري ساعة ، فيقول ففئت الساعات فلا ساعة ، فيقول
اتركني أتكلم ، فيقول فرغ كلامك فلا كلام . فتبلغ الروح الحلقة قوم فيؤخذ بكظمه فتقطع
الاوراق والاعمال ، ويبقى عدد الانفاس ليشهد فيها المعاينة عند كشف الغطاء فيحتد بصره ،
فاذا كان في آخر نفس زهقت نفسه فيدركه ما سبقت له من شقاوة أو سعادة *

سؤال الرجوع للدنيا

وقيل أول من يسأل الرجعة من لم يكن أدى زكاة ماله كقوله عز وجل (فأصدق وأكن
من الصالحين) فالتة الله بادروا قبل حلول الاجل ، وانقطاع الامل من صالح العمل ، وفراغ
الانفاس ، وورود الارماس (١) ولا ينفعك حبيب ولا حميم ، ولا ولد ولا والد رحيم ،
قد أحاطت بك الخطوب ، وكثرت عليك الكروب وأخذ الوارث مالك ، ونكح العدو
أو الصديق عيالك . وأنشدوا :

أرى الأزواج تنكح إن هلك	ويقسم وارثي ما قد تركت
ولا يبقى الوداد بقلب خل	إذا انقطع الرجا مني وميت
وينساني الصديق فما يبالي	أمر به ويعرض إن ذكرت
ويشمت بي رجال من سفاه	وما قد كنت قط بهم شمت
ولست بحاصل الا علي ما	من الاعمال في الدنيا عملت
فياذا العرش عفوا عن ذنوبي	وعن زللي وما كنت اجترمت
وشفع في نيك حين أدعى	غداة العرض إن تفعل نجوت

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه عرض عليه ما يصيب أمته من بعده فما روى
ضاحكا مستبشرا حتى قبضه الله تعالى *

٤٨٠٠٠ قبيلة

ذكر في بعض الاخبار أن الله تعالى خلق في الارض مائة وأربعين ألف
قبيلة ، فجعل في البحر ثمانية آلاف قبيلة ، وجعل بين السموات والارض أربعين ألف قبيلة
(١) الارماس جمع رمس ، بمعنى كتمان الخبر ، والدفن ، والقبر . وكذلك المرمس
والراموس .

تحمليها الريح ، ليس منها دابة صغرت أو كبرت في الارض أو بين السماء والارض إلا ومعهها
ملك من قبل الله تعالى ؛ فمالك يهيئ لها رزقها باذن الله ويسوقها اليه ، وملك آخر يقودها
باذن ربها إلى مستقرها ومتقلبها حتى الذرة والقملة والدودة والبعوضة والذبابه ، فإذا استوفت
أثرها ورزقها وبلغ أجلها قبض ملك الموت روحها . فسبحان من له الملك والتدبير
عباد الله ، فالتة الله لا تغفلوا عن طاعة مولاكم فان الموت يطلبكم بالليل والنهار ، والعشى
والابكار ؛ فاجتهدوا في الحسنات ، واجتنبوا في ليلكم ونهاركم السيئات . قبل نزول الموت والندم
فالموت لا يترك ملكا ولا أميرا ، ولا حاجبا ولا وزيرا . وأنشدوا :

قد صرف البواب والحاجب وقهرمان (١) الدار والكاتب
وأصبح الصاحب من بينهم بحيث لا جار ولا صاحب
واعتاظت الناهد (٢) من بعده الفاسواه وكذا الكاعب (٣)
وجد في تفريق مالم يزل يجمعه وارثه اللاعب
فكن من الدنيا على أهبة يا زاهدا فيها ويا راغب
فانها أم لابنائها منها عدو قاتل سالب

رحمة الله بالمسرفين

ذكر في بعض الأخبار أنه مات رجل من أهل المدينة وكان مسرفا على نفسه فدعي لجنائزته
محمد بن المنكدر رحمه الله فأبى أن يحضر جنازته ، ثم حضرها فعوتب في ذلك فقال : لقد
استحييت من الله أن أرى أن رحمته تضيق عليه ولا تسعه فضليت عليه . يامسكين مثلي اعلم أنه
إذا نزل ملك الموت بالعبد المذنب فيرجع إلى مولاه بالذل والصغار . فترجو إن شاء الله تعالى
أن يعف عنه ويرحمه ويجعل الموت كفارة لذنوبه . وأنشدوا :

أفي كل يوم للمنية أقرب وكل الذي آتية يحصى ويكتب
فيا سوا تأقدا آن وقت ترحلى وها أنا في الميدان ألهو وألعب
فان لم تجد بالعفو منك عن الذي جنته يدي إني إذا لمخيب

(١) قهرمان الدار رئيسه وكبيره المتولى شأنه (٢ ، ٣) الناهد الذي يرزنها من
الفتيات ، والكاعب الذي استدار نهدا مثل الكعب ولم ينهد بعد . ويريد بهما زوجاته إذ
يتزوجن غيره بعد موته .

ذكر أنه كان بالبصرة قتي وكان مسرفاً على نفسه ما ترك ذنباً إلا ارتكبه ، ولا شراً إلا اكتسبه ، فلما مرض لم يعده أحد من جيرانه فدعا بعضهم وقال : إنه قد نزل في ماترى فاذا مت فادفني في زاوية من زوايا بيتي فقد أذيت جيرانى في حياتي وما أحب أن أضرب بالموتى بعد وفاتي . فرؤى بعد موته في المنام في حالة حسنة فقيل له ما فعل الله بك ؟ فقال أوقفني بين يديه وقال يا عبدي هجروك جيرانك حنقا عليك ، وضيقوا مسالك الرحمة بين يديك ، فوعزني وجلالي وجودى ومجدي وارتفأى فوق علو مكاني ما ضاقت رحمتي عنك ، عبدي هذه خلعت مغفرتي ومنازل جنتي وخاتم أمانى وسجل إحسانى وأنا الغفور الرحيم *

حكاية عن الحسن

قال الحسن رحمه الله قد علم الله منا قبل أن يخلقنا أننا نذنب ونعصيه ولم يمنعه ذلك منا أن يجعلنا مسلمين . قاله الله يا أهل الذنوب مثلي بادروا قبل نزول السكرات ، ووقوع الحسرات واجتهدوا فان الموت آت ، وكل آت فهو قريب . قد آن وكلما آن فقد حان . وأنشدوا :

أأمل أن أخلد والمنايا يشن إلى من كل النواحي (١)
ولا أدري إذا أمسيت حيا لعلى لا أعيش إلى الصباح
عباد الله أيامكم مراحل تقطعونها ، وساعاتكم مناهل تردونها ، والموت يطوف عليكم بالليل والنهار لا يؤخر من فقدت ساعاته ، وفرغت أيامه وأوقاته * .

حكاية عن بعض الصالحين

يحكى عن بعض السادة الأخيار أنه قال : خرجت يوما لزيارة القبور فاذا بقوم يحملون جنازة فتقدمت اليها وصليت بهم ثم شهدت دفنها فنحست نعسة فأتاني آت فقال لى : قد غفر الله لهذا الميت على ظلمة ذنوبه ، فانتبهت مرعوبا فأخبرت بذلك أم الميت فقالت : الحمد لله رب العالمين والله لقد كان مسرفاً على نفسه ، فلما نزل به الموت بكى وقال لى يا أماه ضعى خدى فى الأرض والتراب ففعلت ذلك ، فقال ضعى قدمك على خدى وأدعى الله واستوهبني منه فاعله يرحمنى وأقلعنى فص خاتمى وتصدقنى بضمنه فعسى الله يرحمنى . فقلت لها قد غفر الله له ورحمه ، ثم أخبرتها .

(١) المنايا جمع منية كناية عن الموت ، ويشن عليه أى يقفزن ويرتفعن اليه ، ويريد

بذلك أنه يرى أسباب الموت تثب اليه من جميع الجهات فكيف يعتقد بالخلود فى الحياة

بالذي رأيت . فالله الله معشر المخلصين تضرعوا إلى ربكم قبل يوم موتكم فمساءه أن يرحمكم
 بويتجاوز عن سيئاتكم . فذلك عليه يسير وهو على كل شيء قدير . وأنشدوا:
 رأيت المرء تأكله الليالي كأكل الأرض ساقطة الحديد
 ولا تجد المنية حين تأتي على نفس ابن آدم من مزيد
 فلا تغفل - فديتك - عن منون تدور رحاه بالهول الشديد
 فكأنكم بالأعمال قد انقضت ، وبالدنيا قد مضت ، فاستعدوا بدخائر الأعمال لما تلقوا من
 عظيم الأهوال ، وقد نودي فيكم بالتحويل ، وقد قرب منكم الرحيل *

شاب عاص غفر له

حكى عن بعض الخائفين أنه قال : كان في جوارى شاب وكان يتشاغل بالبطالة والجهالة
 مارأيته صاحيا من السكر قط وعهدى به البارحة وقد رفع صوته (١) على أمه في ساعتي
 هذه . فأخبرتني أنه أصبح ميتا من غير علة ولا مرض ، وسألتني في كفننه فزجرتها وقلت
 الحمد لله الذي أراحنا منه ، ففضت مدحورة فرق لها قلبي وقلت إن الرحمة لا تضيق على
 المذنبين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فبعثت من ساعتي في طلبها وعزيتها وصبرتها واشترت
 لها كفنا وحضرت جنازته . فمرقتي بعض أصحابنا أنه رآه في المنام وأنه سأله ما فعل الله به ؟
 فقال قدمت على الله تعالى وكنت قد دخلت قبل وفاتي الحمام ، فرأيت شخصا ميتا (٢) مقعدا ،
 فتوليت غسله ونظافته وحمله إلى بيته فقال : غفر الله لك ذنوبك كلها فصادت دعوته إجابة
 فغفر الله تعالى لي وأنا في الجنة مع التعلق بالسنة (٣) غفر الله لنا أجمعين ، وأماننا مسلمين ،
 وختم لنا بخواتم الصالحين ، إنه على ذلك قدير . وأنشدوا :

لا تأسفن على الدنيا وخليها فالموت لاشك يفينا ويفنيها
 واعمل لدار يكن رضوان خازنها والجار أحمد والرحمن عاليها
 أرض لها ذهب والمسك طينتها والزعفران حشيش نابت فيها
 أنهارها لبن محض ومن عسل والخمر يجري رحيقا في مجاريها
 والطير تجري على الأغصان عاكفة تسبح الله جهرا في مغانيها

(١) كذا في الأصل صوته ولعله يريد سوطه أي ضربها (٢) كذا في الأصل ميتا ولعله يزيد من
 الكاتب (٣) كذا ولعله يريد مع العاملين بالسنة أو ماشابه ذلك .

أحمد دلالها والرب بآئعها وجبريل ينادى فى نواحيها
من يشتري الدار فى الفردوس يعمرها بركة فى ظلام الليل يحيمها
أين الملوكة الذى عن حظها غفلت حتى سقاها بكأس الموت ساقها
أقنى القرون وأقنى كل ذى عمر وكذلك الموت يفنى كل من فيها
والموت أحق بالدينيا وزخرفها والناس فى غفلة عن ترك ما فيها
لو أنها عقلت ماذا يراد بها ما طاب عيش لها يوما ويلها
تلهو وتأمل آمالا تسر بها شريعة الموت (١) تطوينا وتطويها
والله لو قنعت نفس بما رزقت من المعيشة إلا كان يكفيها
والله والله أيماننا مكررة ثلاثة من يمين بعد ثانيها
لو أن فى صخرة صها مليلة (٢) فى البحر راسية ملس نواحيها
رزقا لعبد يراه الله لانفلقت حتى تؤدى اليه كل ما فيها
أو كان تحت طباق السبع مسلها لسهل الله فى المرقى مراقبها
حتى ينال الذى فى اللوح خط له فان أتته وإلا سوف يأتيها
أموالنا لذوى الميراث نجمعها ودورنا لخراب الدهر نذيرها
تلك المنازل فى الآفات خاوية أضحت خرابا وذاق الموت بانها

عظة للاستعداد للموت

عباد الله قد آن وقت التحويل ، إلى الوقوف بين يدي الملك الجليل ، فانفاسكم معدودة عليكم ، وملاك الموت قاصد اليكم ، يركبكم بكل سكه ، ولا بد لكم من منهله . يقطع آثاركم ، ويخرب دياركم . فرحم الله عبدا فطر لنفسه ، وقدم لخدمته من أمسه ، قبل حلوله فى رسمه . وعمل فى العمر اليسير ، لليوم العجوس القمطير ، وسأل المغفرة من السميع البصير ، الذى هو على كل شىء قدير ، وهو مولانا ومولاكم ونعم المولى ونعم النصير .

(١) فى الاصل . سريعة المؤمن وهو خطأ (٣) مليلة وملبومة أى مستديرة صلبة . يعنى لو قدر الله لانسان رزقا فى جوف صخرة فى البحر أو تحت طباق الارض اسهل له الحصول عليها حتى يأخذه ولاكن لابد من السعى والطلب ابتغاء فضل الله

الموت ينتقى الخيار

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا تقارب الزمان انتقى الموت خيار أمتي كما ينتقى أحدكم خيار الرطب من الطبق » ، فانا لله وإنا اليه راجعون الذي ذهب عنا الأختيار وبقينا في غمار مع الأشرار فلا للموت نعمل قبل إتيانه ، ولا أحد منا يقطع عن عصيانه . ماهذه أفعال المؤمنين ، ولا هذه سيرة الموقنين ، قد أضلنا عدونا الشيطان اللعين ، وخذعنا بمكره وأغوانا أجمعين *

عمل الملكين

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا قبض الله روح عبده المؤمن صعد ملكاه إلى السماء فقالا ربنا وكلتنا بعبدك المؤمن فلان نكتب عمله وقد قبضته اليك فأذن لنا ان نصعد إلى السماء ، فيقول الله عز وجل سمائي مملوءة بملائكتي يسبحونني ، فيقولان فأذن لنا أن نسكن الأرض ، فيقول عز وجل أرضي مملوءة من خلقي ، فيقولان ياربنا أين نكون ؟ فيقول عز وجل قوما عند قبر عبدي فسبحاني واحمداني وهللاني واكتبنا ثواب ذلك لعبدي إلى يوم القيامة » فالحمد لله الذي جعلنا من أمة محمد المصطفى وحسبنا بهذا فضلا ، وكفى بكتاب مولانا لامواتنا الحسنات ، ويجعل الموت لهم كفارة لما سلف من السيئات . واللهدوا :

على كل حال (١) وشريكون فقد مات مثلك في مثلها
فما لك تلعب بالسترها وتخدع نفسك عن عقابها
من الرشيد في برها بالعقوبة وترضى بذلك من جهلها
وانت تخالف فيها العذوبة وتطوى لسانك عن عذلها
وسيف المنية قد سلها وانت تمام على قتلها (٢)
ودولة ذى العزم مقطوعة وانت تغفل عن عذلها

إلى متى هذا الصدود ، عن طاعة الملك المعبود ، والغفلة عن بحر الموت المورود ، فارحموا انفسكم قبل التلف ، وابكوا عليها قبل الأسف ، فان السفر بعيد ، وهول المطاع فظيع شديد ،

(١) كذا في الاصل ، ولعلها . على كل خير وشريكون (٢) في الاصل ، وانت ترقد عن قتلها ولا يستقيم وكذا البيت الذي بعده

والزاد قليل ، والهم والحزن طويل ، وبعد ذلك اليوم العبوس الثقيل . يا أخي لكل حي قوت وانت يامسكين قوت الموت ، فاعمل للموت قبل القوت . وأنشدوا :

أراني في انتقاص كل يوم ولا يبقني على النقصاص شي
طوى العصران ماشره مني فأتلّف سجنى نشر وطو (١)
فأنك قد فئت ومات بعضي فان الحرص باق في حي
وطير الموت حائمة لقتلي مدلاة على وفي عي

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من أكثر الفسكرة في الموت هون الله عليه سكراته » وجعله منه على خذر ، ومن غفل عن ذكره يوشك أن يأتيه فجأة على غير أهبة ولا استعداد » فأنه الله قد انصرفت عنكم أعماركم وأنتم لاتشعرون ، فان اتبعتم هموم الدنيا حتى تفرغ فانها لاتفرغ أبدا ولو عشتم إلى أن تنقرض الدنيا . فتفرغ يامسكين في اليسير من الايام ، ودارك أمرك مع مولاك قبل نزول الحمام .

المبادرة بالتوبة

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أيها الناس بادروا بالتوبة قبل أن تموتوا ، وبادروا بالأعمال الزاكية قبل أن تشغلوا ، وصلوا الذي بينكم وبينه بكثرة ذكركم إياه » (٢)

السني والزنديق

ذكر في بعض الحكايات أن رجلا من أهل السنة لقي رجلا زنديقا قد نحل جسمه وتغير لونه وأذا به الخوف ، وكان السني قويا سمينا ، فقال له الزنديق . يا هذا صف لي بعض ماتعته ؟ فقال : اعتقد الموت وغصصه ، وسكراته وأهواله . فلما سمع الزنديق مقالته صاح صيحة عظيمة ثم وقع على وجهه مغشيا عليه فهكث ماشاء الله ثم أفاق فقال له زندي ، فقال ثم من بعد الموت القبر وظلمته ، واللحد وضججته ، ومنكرا ونكيرا ؟ قال ومامنكر ونكير ؟ فقال ملكان أسودان أزرقان يطآن في شعورهما ، ويحفران الأرض بأنياهما ، ويبد كل ملك

(١) كذا في الاصل جثتي ولعلها محرفة عن صحتي او ما يشبهها (٢) لان من اشتغل بذكر الموت عمل له واستعد للقائه وأيقن أنه لابد ملاقيه ، واما من نسيه فانه يتبادي في غيه ويسمد في جهله ولا يبالي بملاقاته فلا يعمل الصالحات ولا يخشى الموبقات فيهلك .

منتهيا عمود من حديد جهنم لو ضرب به جبال الدنيا لقلعها من أصولها يسألان العبد في قبره ، قال وثم ما بعد ذلك ؟ قال هول البعث والنشور والحساب والميزان والصراط ، قال وما الصراط ؟ قال هو جسر منصوب على جهنم أرق من الشعرة وأحد من السيف وأحر من الجمر عليه حسك وكلاليب قد تعلق بكل كlob عند نجوم السماء من الزبانية ، لو أذن الله لواحد منهم أن يخرج إلى الدنيا لأحرق بحارها وجبالها وإنسها وجنبا وهوامها ودوابها من حرق نفسه ، قال له وما الزبانية وما جهنم ؟ قال الزبانية خلقوا من النار هم ملائكة العذاب ، وجهنم دار العذاب أوقد عليها النار أربعة آلاف سنة ، السنة أربعة آلاف شهر ، الشهر أربعة آلاف يوم ، اليوم أربعة آلاف ساعة ، الساعة أربعة آلاف نظرة ، النظرة الواحدة مقدار سبعة آلاف سنة من سنين الدنيا . وهي سوداء مظلمة من دخلها طال بلاؤه وحزنه . قال له الزنديق : لقد عجبت من قلة عقلك ، هذا كله تعتقده وأنت سمين !! فوالله ما أصدق أنا بشيء من هذا الذي ذكرته إلا بالموت وحده وقد أطال (١) حزني وذاب جسمي ، وإنما أنت من عدد الانعام التي لا تعقل فأن الله إخواني أشكروا الله على ما به أنعم عليكم من جزيل نعمه إذ بعث إلي جميع خلقه محمد صلى الله عليه وسلم ، أخرجكم به من الضلالة ، وأيقظكم به من سكرة الجهالة ثم أتحفكم بطيبات رزقه ، وفضلكم على كثير من خلقه ، فلا تستعينوا بنعمه على معاصيه فان الموت لا بد منه وقد وعظكم الله .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كفى بالموت واعظا » فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليجعل الموت نصب عينيه ، فإنه لا يدري متى يقدم عليه . وأنشدوا :

والموت سلطان عليك مسلط إذا حم لم يصرف بنهي ولا أمر
ودارك إما شقوة أو سعادة ومالك من باب اليأسوى القبر (٢)

كفى عظة بالموت ان ركابه على سفر يهوي إلى حيث لا يدري

رفق ملك الموت بالمؤمن

روى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان جالسا عند مريض فرأى ملك الموت عند رأسه فقال له « يا ملك الموت ارفق بصاحبي » فقال له يا محمد أنا بكل مؤمن رفيق . فأن الله لا تغفلوا

(١) في الاصل : وقد أبان حزني ولعلها محرفة (٢) وقد سبق أن ذكر المؤلف رحمه الله

القبر باب وكل الناس داخله فليت شعري بعد الباب ما الدار

عن ليس يغفل عنكم ولا تنسوا الموت فإنه لا ينساكم ، وفقنا الله وإياكم لحسن العمل والفعال
وهذان وإياكم لصالح الاعمال ، إنه الجواد الكريم المفضل

- ١٣ - ﴿ مجلس في ذكر القبور ﴾

قال الله سبحانه وتعالى (أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ) السورة مكية ، التكاثر يعني
في الدنيا *

روت زينب بنت جحش عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال . « إذا قرأ قارىء أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ يدعى في ملكوت السموات والأرض بمؤدى الشكر لله » *

حكاية في الخوف من الله

روي عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال كان رجل باليمن يقال له يعلى وكان
مشركا ليس له من الدنيا إلا قطيفة توارى عورته ، ويأوى بالنهار إلى ظل شجرة ، وبالليل إلى جحر
كجحر الكلب ، فسمع بخروج النبي صلى الله عليه وسلم فأقبل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وكان شابا ،
ترفعه أرض وتضعه أخرى حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وقعد مع أهل
الصفة (١) يطعم القبضة من العجوة والكسرة من خبز الشعير ، وكان لا يفارق مجلس النبي صلى الله عليه
وسلم حتى تعلم أربع سور من القرآن فسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول « لا فاقة بعد القرآن ،
ولا غنى بعد النار » فقال يا رسول الله زوجنى ؟ ، قال « أعندك مال !! » قال عندي أربع سور من
القرآن ، ومن كان عنده الوحي وكلام الله فهو غني ، قال النبي صلى الله عليه وسلم « صدقت
فانطلق إلى بني سلمة — حى من الانصار — واستخر الله فأول جارية تستقبلك فهى زوجتك
فانطلق الشاب لا يدري إلى أين يتوجه فاستقبلته جارية جميلة ، فقال يا جارية أى حى هذا ؟
قالت بنو سلمة ، قال الشاب الله أكبر أنت امرأتى تعالى ، قالت ما أسفك ! قال لست بسفيه
ولكن أمرنى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم . قالت الجارية إن كان أمرك بذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم فسمعا وطاعة لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولكن حتى

(١) أهل الصفة هم قوم من الصحابة الدرام ليس لهم منازل في المدينة وكانوا يلزمون

المسجد وكانت لهم صفة يجلسون عليها فانسبوا إليها ، منهم أبو هريرة وأبو ذر وأبو الدرداء
وغيرهم كثيرون . وقد ترجمهم أبو نعيم في الخلية ترجمة وافية

أسمع منه، فانطلق الشاب والجارية ليأتيا النبي صلى الله عليه وسلم فاذا أبوها وأخوها قتيلا أين تذهبين ؟ فقالت إن الشاب تعلق بي وزعم أبي امرأته فانكرت ذلك عليه فقال كذا أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنا معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسمع منه، فقالا سمعنا وطاعة لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم فانطلقوا جميعا حتى دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتكلم والدها فقال : يا رسول الله زعم هذا الشاب الغريب أنك أمرته بما صنع بابنتي؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم « نعم فزوجه ابنتك على اسم الله وبركته » قال قد فعلت ، فزوجه الشيخ ابنته وأشهد النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « يا معشر المسلمين أعينوا أخاكم » فجمعوا له أربعة أواق فضة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لك أوقيتان ولزوجتك أوقيتان » فقال يا رسول الله قد جعلت أوقيتيه لها أيضا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم والدها « جهزوا هذه الجارية للشاب من يومه هذا » قال الشيخ سمعنا وطاعة لله عز وجل ولرسوله ، فجاء الشاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمره أن ينصرف إلى أهله ، فجاء إلى منزله فدخل إلى فراش مفروش ، وإلى بساط ممدود ، وإلى زوجة جالسة ، وإلى سراج يزهر ، وإلى طعام قد هيء له ، فلما نظر إلى ذلك بادر إلى مكان في مجلسه فصلى فيه ركعتين شكراً لله عز وجل لما رأى ، ثم قام وصلى ركعتين ثم رفع رأسه إلى السماء فحمد الله وأثنى عليه وشكر نعمته ، ثم جعل يقوم في خلال ذلك فيصلي ركعتين ثم يقوم إلى مثل حاله من الثناء فالشكر لله عز وجل لما رأى ، فلم يزل كذلك حتى أصبح ، ثم غدا إلى المسجد فصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الغداة والظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة ثم رجع إلى منزله ، فلما عاين أهله وما هيء له بادر إلى مسجده فصلى مثل صلاته في الليلة الأولى وجعل يحمد الله عز وجل ويشكره بين كل ركعتين حتى أصبح فغدا إلى المسجد فصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعل مثل ذلك حتى تمت له ثلاث ليال (١) فجاء الشيخ في اليوم الرابع فدخل على ابنته فسأها عن زوجها وحالها معه ! فقالت لا أدري ما زوجي ما يعرف غير الصلاة وهو الليل كله يحمد الله ويثنى عليه ويصلي ، فجاء الشيخ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما منعك من أهلك ! » فقال

(١) لقد اشرق عليه نور النبوة ونفحات الايمان فصادف ذلك مرعى خصبا وقلبا منيرا فنقله من ظلمات الشرك والضلال إلى نور الهدى والجلال فتجرد عن جميع ما عده راحمه الله

يارسول الله تذكرت شأني وكنت مشركا باليمن لم يسكن لي مأوى الا جحر كجحر الكلب آوى اليه الليل والنهار اتبع ظلال الشجر والخيطان حين أخرج من جحري فهداني الله للإسلام وعلني أربع سور من القرآن فشرح الله صدري بها ونور بها قلبي ، فلما زوجتني هذه الجارية نظرت إلى فراشها وإلى حسنها وجمالها ولم أر فراشا قط منذ كنت ، ونظرت إلى سراج يزهر ولم يكن لي سراج قط ، ونظرت إلى هذه الحالة فتدبرت إحدى سورى الأربع فزهدني الله فيها وما عندها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « وأى سورة هي ؟ » قال (ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر كلا سوف) ثم بكى وبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فلما هدؤوا قال الشاب : يارسول الله خصني منك بدعوة ، فقال « اللهم اغفر له الكثير » واشكره على السير ، واغنه برحمتك « فلم تأت عليه جمعة حتى قيل للنبي صلى الله عليه وسلم إن الشاب قد مات ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا إله الا الله اذا فرغتم من غسله أخبروني » فاخبروه صلى الله عليه وسلم فقال « هنيئلك الجنة » ثم سأل زوجته هل نال منها شيئا ، قالت : لا والذي بعثك بالحق نبيا ما نال مني شيئا »

حكايات عن الصالحين في الخشية من الله

قال ميمون بن مهران : دخلت على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وهو يقرأ (ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر) فقال : إنما يزورون المقابر بالموت ، ولا بد لكل زائر أن يعود لوطنه من جنة أو نار »

وقال زر بن حبیش عن علي رضى الله عنه قال كنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت (ألهاكم التكاثر) يقول شغلکم التكاثر بالاموال والاولاد عن ذكر الله وطاعته ، واللهو ماشغل ، واللهو ماشغل . وأكثر ما يقال في البطالة (حتى زرتم المقابر) يوتكم . ويقال إن حين من قریش تفاخروا وتعاددا بالاموات كان منا فلان وكان منا فلان ، (كلا سوف تعلمون) يقول سوف تعلمون اذا متم (ثم كلا) يقول ثم كلا سوف تعلمون في قبوركم وهو وعيد مع وعيد فعنى الاول غير معنى الثانى وليس ذلك بتكرير . قال الفراء : والكلمة قد تكررهما العرب على التغليظ والتخويف . فهذا من ذلك . ثم قال (كلا) أى كلا لا يؤمنون بالوعيد ، ثم استأنف وقال (لو تعلمون علم اليقين) يقول محض اليقين ، وهو الذى لا شك أعلمكم أنكم سترون الجحيم فى الآخرة كقوله (وبرزت الجحيم لمن يرى) فالتكرار فى قوله تعالى (لترون الجحيم)

في القيامة إذا برزت (ثم لترونها عين اليقين) إذا دخلتموها . قال الفراء : هذا تكرار التخليط . ويقال (لترون الجحيم) أى لترونها رؤية علم (ثم لترونها عين اليقين) بالمشاهدة (ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) يسألون عن شكر ما كانوا فيه من النعم والحياة والنعيم ، فزعم قوم أن الآية في الكفار ، وقال آخرون بل هى على العموم في المؤمنين .

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس ، الصحة والفراغ » *

روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم « أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة أن يقال له : ألم أصبح جسمك وأروك من الماء البارد » ١ :

وعن محمود بن لبيد قال . لما نزلت (ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى نعيم !! وإنما هما الاسودان التمر والماء وسيوفنا على عواتقنا . قال « أما إنه سيكون » ابن مسعود وقتادة وسعيد قالوا : الأمن والصحة . مجاهد قال : الخبز والماء والملح . ابراهيم النخعي : من سقى الله تعالى على الطعام حين يأكل ، ويحمد الله حين يفرغ فقد أذى شكره . الحسن قال : كانوا يعدون من النعيم في الدنيا أن يتغدى الرجل ويتعشى . على رضى الله عنه : النعيم الرطب والماء البارد . أبو أمامة قال : النعيم خبز البر والماء العذب وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « طيب النفس من النعيم » أبو الدرداء رضى الله عنه قال : النعيم الشعير والماء العذب . محمد بن علي (١) قال : النعيم العافية . وقال أبو عسيب مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : مر بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلاً فدعاني فخرجت اليه ، ثم مر بأبي بكر فدعاه فخرج اليه ، ثم مر بعمر رضى الله عنه فدعاه فخرج اليه ، ثم انطلق بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل حائطاً (٢) لبعض الانصار فقال لصاحبه أطعمنا بسر (٣) فجاء بعذق (٤) فوضعه فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ثم دعا بماء

(١) هو محمد بن علي بن أبي طالب المشهور بابن الحنفية نسبة لأمه وكانت من بني حنيفة رضى الله عنه . كان مشهوراً بحبه لآخويه الحسن والحسين رضى الله عنهما وقد أوصاه أبوه عند وفاته ببرهما ورحمتهما والرعاية لحقهما لعظيم فضلهما (٢) الحائط هنا هو سور يصنع على الكرم والنخل والحدايق . (٣) البسر أوله طلع ثم خلال ثم بهر ثم رطب ثم تمر . والواحدة بسرة (٤) العذق المعروف بالسباطة . أو هو النخلة نفسها

بارد فشرب وشربوا ثم قال « لتسألن عن هذا يوم القيامة » فأخذ عمر العذق وضرب به الأرض حتى تنسأثر البسر ، وقال يا رسول الله إنا لمستولون عن هذا يوم القيامة ؟ قال « نعم إلا كسرة تسد بها جوعتك ، وخرقة تلف بها عورتك ، وجحر تدخل فيه من القر والحجر » على بن أبي طلحة عن ابن عباس قال : النعيم حجة الأبدان والاسماع والابصار يسأل الله العباد فيها استعملوها وهو أعلم بذلك منهم ، وهو قوله تعالى (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) قال الله تعالى (ألهاكم التكاثر) قيل معناها ألهاكم التكاثر في الدنيا بجمع الحطام ، واكتساب الآثام ، والتهادى في الاجرام . وأنشدوا :

أرضيت دارا لا بقاء لها تعد الشرور وتنصب الفتنا
ما يستقيم سرور صاحبها حتى يعود سروره حزنا
عجبا لها لا بل لموطنها مغرور حين بعدها وطنا
فالحمد لله اللطيف بنا ستر القبيح وأظهر الحسننا
ما تنقضى عنا له من حتى يجدد بعدها مننا

يا أخى اشتغلت باللذات ، وافنيت عمرك بالترهات ، وعصيت إله الأرض والسموات ونسيت بيوت الوحشة والخيرات . فياله من بيت ما أظلمه ، ومن صندوق ما أغمه . منزل الوحشة ، وبيت الغمة والوحدة . وأنشدوا :

وربما عوقص (١) ذو صفة أصبح ما كان ولم يستقم
يا واضعا للبيت في قبره خاطبك القبر ولم تفهم

حتى زرتم المقابر بيوت الوحشة ، ومنازل الضيق والغمة في ضيق وكربات ، وغم وحسرات ، وأهوال مقطعات . من ظلمات القبور ، وسؤال منكر ونكير ، والخلود في البرزخ إلى يوم النشور ، فانظر لنفسك أيها المغرور ، فان القبر له شأن يتلوه شئون . وأنشدوا :

لا تغرنك الحياة (٢) وقدم واحذر القبر إن للقبر شانا
إن فيه لما يحاذر ذو الله ب إذا كان ذا تقى ومعانا

(١) عوقص بمعنى لواه الموت وشده وجذبه . (٢) في الاصل : لا تغرنك الحياة الدنيا ولا يستقيم . وذو اللب أى ذو العقل وقيل اللب القلب .

إننى موقن بما فى كتابى عاجلا تسونى الا كفانا
فاذا ما وضعت فى ظلمة اللحد د وبذلت من مكان مكانا
واذا لم يدركنى ربى بعفور ألق فى القبر ذلة وهوانا

صفة القبر

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « القبر روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النار ، ألا والله ليتكلم فى كل يوم ثلاث مرات فيقول أنا بيت الظلمة ، أنا بيت الوحشة ، أنا بيت الدود » الله الله يا اخوانى اعملوا لهذا الضيق ، وجدوا فى العمل باجتهاد وتحقيق . وأنشدوا :

كأنى باخوانى على حافة القبر يهيلونه (١) فوقى وأدمعهم تجرى
عفى الله عني حين أترك ثاويا أزار فلا أدرى وأجفى فلا أدرى
فانتبهوا عباد الله من نومة الغفلة ، واعملوا ليوم النقلة ، واستعدوا لظلمة القبر مادمتم فى فسحة ومهلة ، ولا تقطعوا أيامكم بالحوال ، وجنبوا أعماركم سوء الفعال ، فان الموت نازل بكم ، والقبر أمامكم . وأنشدوا :

إني أبشك من حديثى والحديث له شجون
ضيعت موضع مضجعي وقتنا ففارقني السكون
قل لى فأول ليلة فى القبر كيف ترى أكون ؟!

أشد ما على الميت

قيل إنه لا يأتى على الميت فى قبره أشد وأصعب من أول ليلة يبيت فيه ، فمن تفقد ميتة فى أول ليلة بشىء من الصدقة ، والا فليصل ركعتين وليهد ثوابهما لميته يرفع الله تعالى عن ميتة ما يجحد من الغم والوحشة ، ويكتب الله للمصلين عبادة ستين سنة بقيامها وصيامها . وأنشدوا :

بالله يا عين بوحي وابكى على ونوحى
غداً أو سد قبرى غدا أزور ضريحى
غدا نزوح الاحبة وتمنئى أن تروحي

(١) هال الدقيق فى الجراب صبه ، وهال التراب فى القبر أرسله لإرساله ، وأهال لغة فيه .

ذكر أن الميت إذا وضع في قبره وقال ولي الميت : انصرفوا آجركم الله يقول الميت - إن كان من أهل الشقاء - يا ليتني مع من انصرف لعظم ما يعاين من هول المطلاع . يا أحبائي فإذا كان لاحدكم بيت ولم يسط فيه علي ما يجلس جلس على التراب والارض ، كذلك من لم يقدم لقبره عملاً صالحاً لنفسه بقي مستوحشاً وحيداً فريداً في رمسه . وأنشدوا :

أنا في القبر رهين قد تبرا الأهل مني
أسلموني بذنوبي خبت إن لم يعف عني
فأرحم اليوم مشيبي وأرحم اللهم سني
وأرحم اللهم ضعفي لا يخيب اليوم ظني

عظة للنبي صلى الله عليه وسلم

روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يعظنا أحياناً فيقول « تجهزوا لقبوركم فإن القبر ينادي كل يوم سبع مرات فيقول يا ابن آدم الضعيف أرحم نفسك في حياتك قبل أن تلقاني ، فانك إذا لقيتني وكنت عاملاً بطاعة مولاك رحمتك ورأيت مني السرور ، وإن لم ترحم نفسك لم أرحمك ، أنا بيت الدود مع الندامة الطويلة ، وأنا بيت الوحشة مع الجوع الشديد والشدة ، أنا بيت العطش مع الظلمة ، أنا بيت الضيق مع العقارب يا ابن آدم إياك أن تغرك الحياة الدنيا فان ممرك علي وأنا أول منازلك إلى الآخرة ، فان نجوت مني نجوت من كل شدة تتخوف منها ، يا ابن آدم أنا بيت الغضب لا أرحم شاب لشبابه ، ولا صغيراً لصغره ، ولا كهلاً ولا شيخاً لكبره ، ولا أرحم إلامن رحم نفسه . وأنشدوا :

عجبت لمن يتم له السرور بدار كل ما فيها غرور
وكيف يلد ساكنها بعيش ويعلم أن مسكنه القبور

يا ابن آدم لقد خلقت لامر عظيم لو كنت تعقل لظهر قنوعك ، ولبان خشوعك ، وثارت دموعك ، خوفاً من القبر ووحشته ، ومن اللحد وضغطته ، ومن هول المطلاع وروعته . فأمهد (٣) لنفسك يامسكين بينما أنت حي وبيننا يقبل منك (كل) شيء قبل طي الكتاب ، وغلق

(١) في الاصل : حيث إن لم يعفوا عني ، ولا معنى لها (٢) في الاصل : لا تجيب اللهم ظني وهو تحريف . (٣) كذا وردت في الاصل أمهد ، وصحتها مهد لنفسك : وتمهيد الأمور تسويتها واصلاحها .

الباب ، ونزول الحجاب ، والرحيل إلى التراب ، وأنشدوا :

لا تأمن وإن أمسيت في حرم إن المنايا تفاجي كل أناس
واسلك طريقك وأثبت غير منحرّف حتى تلاقي الجزا من عند رحمن
فكل خل وإن أشفقت تتركه وكل مال وإن أكرثته فإن
والخير والشر مقرونان في قرن بكل ذلك يأتيك الجديدان
ففسكروا رحمكم الله في أحبابكم وجيرانكم واصحابكم واخوانكم وآبائكم وامهاتكم
وأخوانكم والأباعد والأقارب ، وذوي المودة والاجانب . قد استوحشت من أنفسكم
لديار ، وانقطعت بينهم الآثار ، وبقوا رهنا في الاجداث (١) بالأوزار . قد هجرهم الحبيب
وسلا عنهم القريب ، قد ضيقت عليهم اللجود ، وسالت عيونهم على الحدود ، وتمزقت عنهم
الجاود ، ودبت في اجسادهم الهوام والدود ، وبقيت ارواحهم في البرزخ (٢) الى اليوم الهائل
الموعود . لم ينفعهم ما جمعوا ، ولا حصنهم ما بنوا وشيدوا ، ولا منعهم كلما صنعوا . صارت
القبور لهم قراراً وفرت الاحباب عنهم فراراً فاتنبوا يامعشر الاخوان ، واجتهدوا في طاعة
الرحمن من قبل مفارقة الاحباب والاطوان . وأنشدوا :

هي الاحداث تطرق أو تعاد وكل للمنية في مهاد
وما يبقى الحمام إذا يوافي شديد البطش جبار القياد
فكم أسرى الى ليث هصور وجبار من الاجناد عاد
فقل لآخي السلامة عش مليا فان الكون داعية الفساد
وكن في العمر لقمان بن عاد وهاك حمام لقمان بن عاد
فان المرء في أيدي المنايا أسير ماله منهن فاد

العبرة بالقبور

يا أخي اذا أردت أن تدري كيف حالك من بعدك فاخرج الى القبور وانظرها وقد عفت ،
ومثل قبرك بين القبور ثم انظر ماذا تحتاج اليه في قبرك فأكثر منه لطول مدتك فيه وهو

(١) الجذث : القبر وجمعه أجداث واجداث (٢) البرزخ : الحاجز بين الشيتين ، وهو ما بين
الدنيا والآخرة من وقت الموت الى البعث ، فمن مات فقد دخل البرزخ .

العمل الصالح ، فاما ما سوى ذلك فما لك حاجة في شيء من أمور الدنيا فإنه يصير عليك وبالاً في قبرك وحسرة ، وانظر حالك الذي انت عليه إن كان يصلح للموت والقبر قتيماً عليه ، وإن كان لا يصلح لهذين فتب الى الله تعالى منها وأرجع الى ما يصلح . وأنشدوا .

كم تناسى القبور يا مغرور حفر ما بها لعاص سرور
وتعامى عنها وأنت تراها ورحاها على الانام تدور
فاتق الله حق تقواه واحذر كل هول يخافه المقبور
ودع اللهو والبطالة واعمل للتي عاجلا اليها تصير
تلك دار البقا فكل تقى في رباها مكرم محبور
ولعاص مصر ان لم تنله رحمة الله مبعد منبور (١)

دعاء لأهل القبور

كان بعض الخائفين اذا خرج الى القبور لا ترقأ (٢) دمعته ولا يأكل ولا يشرب ثلاثة أيام ويقول . ترى يا أحبابي ما القيم في بيوت الحسرات ، آتس الله غربتكم ، ورحم الله وحشتكم وبرد الله مضاجعكم ، وهون ما قدر عليكم مولا كم انه سميع قريب نعم المولى ونعم النصير . ثم ياخذ في البكاء والنحيب . فانه الله ابكوا قبل أيام البكا ، واندبوا قبل يوم الائسى . وأنشدوا .

لاه بدنياء والايام تنعاه والقبر غايته واللحد مأواه
يلهو ولو كان يدرى ما أعدله اذا لاحزنه ما كان ألواه
أوما جنت يده لو قد تعرفه وبلاه مما جنت كفاه وبلاه

اعلموا عباد الله أن القبور على الاموات توايت مقفولة ، والاعمال في أعناقهم قلائد مجمولة وأرواحهم بالغداة والعشي الى الجنة أو النار محمولة . وأنشدوا .

يا أيها الرجل المزخرف قبره ولعله في جوفه مغلول
يا أيها الرجل المقيم بمنزل فيه الحوادث ما أقام نزول
الا يغرك ملكه ونعيمه فالملك يفني والنعيم يزول
واذا حملت الى القبور جنازة فاعلم بأنك بعدها محمول (٣)

(١) الثبور الهلاك والخسران ، والمثبور الخاسر الهالك . (٢) رقاً الدمع سكن (٣) وفي ذلك المعنى قال الشاعر : كل ابن اثني وإن طالت سلامته لا بد يوماً علي الاعناق محمول

يا اخواننا مضي الاخوان ونحن على آثارهم فاننا لله وانا اليه راجعون ، قد عيبت أبصارنا
عن حقائق الامور ، وغفلنا عن الحمام ونسينا القبور *

حكاية عن الأصمعي

يحكي عن الاصمعي رضي الله عنه انه قال : مررت بأعرابي وهو واقف على مقبرة فقلت
له يا اخا العرب ماهذا الموضع الذي انت فيه ؟ فقال :

هذي منازل أقوام عهدتهم في رغد عيش نفيس ماله خطر
صاحت بهم نائبات الدهر فانقلبوا إلى القبور فلا عين ولا أثر
عباد الله من كان مصيره إلى القبر مألوف اليه سبيل ، والقبر ينادية كل يوم يقول له لا بد
لك مني فماذا قدمت لي من عمل صالح ؟ وأنشدوا :

أجار الدهر ليس له جوار وحسن الظن بالدنيا اغترار
إذا مارمت يوما كان يوما ونقص البدر غايته السرار
ودع حرص الجبان على حياة وأجل إن عمرك مستعار
وذو الآمال منها في غمار وعند الموت ينكشف الغمار
ويرجو المرء أن يبقى سليما ويأبى الليل ذلك والنهار
وهل تخطي المنية نفس حي وهاديا رواح وابتكار

حكاية عن الحسين

قيل كان الحسين رضي الله عنه إذا رأى القبور قال : ما أحسن ظواهرها وإنما الدواهي
في بطونها . فالله الله عباد الله لا تشغلوا بالدنيا فان القبر بيت العمل ، فاعملوا ولا تغفلوا
وأنشدوا :

يامن بدنياه اشتغل وغره طول الأمل
الموت يأتي بغتة والقبر صندوق العمل

أخى ، لو رأيت الميت في قبره بعد ثلاثة أيام لاستوحشت من فقده (١) بعد طول الانس
بتأخيه ، ولو رأيت (كيف) تجول فيه الهوام ويجرى فيه الصيد وتخرقه الديدان مع تغير

(١) كذا بالأصل ولعلها تحريف عن هيأته أو ما يشبهها .

الريح وبلاء الا كفان بعد حسن الحياة وطيب الريح ونقاء الثوب . وأنشدوا :
 باتوا على قلل الاجبال (١) تحرسهم غلب الرجال فلم تنفعهم القلل
 واستنزلوا من أعالي عز معقلهم واسكنوا حفرا يابس ما سكنوا (٢)
 ناداهم صارخ من بعد مادفنوا أين الأسرة والسيجات والحلل
 أين الوجوه التي كانت محجة من دونها تضرب الاستار والكلل
 فأفصح القبر عنهم حين ساء لهم تلك الوجوه عليها الدود يقتل
 قد طال ما أكلوا دهرًا وما نعموا فأصبحوا بعد طول الاكل قد أكلوا
 فيا معشر الشباب ، تأهبوا للغدو الى التراب ، فان الشيخ يكفيه مصيبة الشيب فانه يمهدهم
 للقبور . وأنشدوا :

ما للشيوخ وللغد والى الملاهي والبكور (٣)
 وهم غدا أو قبله أو بعده حشو القبور

نداء القبور لسكانها

عباد الله ، ما من أحد لا يؤمن ولا فاجر الا وقبره يناديه بكرة وعشية إما بالبشرى والسرور
 وإما بالويل والثبور ، فمن فكرفيه وفي وحشته ، وضيقه وغمته ، كان عليه أوسع من الدنيا
 وأفرج منها ، وأبد له الله خيرا من داره وأهلا خيرا من أهله ، وجعل القبر خيرا من داره .
 فأكثرُوا ذكره في الآناء والاقوات ، وأطيعوا جبار الارضين والسموات ، عساه يجعله لكم
 روضة من رياض الجنات ، ويقىكم فيه الذل والحسرات . وأنشدوا :

قف بالمقابر واذكر إن وقفت بها لله درك ماذا تستر الحفر
 ففهم لك يا مغرور موعظة وفهم لك يا مغرور معتبر
 كانوا ملوكا توارى بهم قصورهم دهرًا فوارتهم من بعدها الحفر
 الدود يأكل أقبوا ما منعمة نعم ومن دونها اللواح والمدر
 أعن رضاه ذاك عنهم أم على سخط هيات ضلت وحات فيهم الفكر

(١) قلال الجبال أعلاها وأرفع نقطة فيها . (٢) كذا بالاصل ولعلها ما نزلوا لان الروى .

على حرف اللام لا النون .

(٣) أى ما للشيوخ واللهو يفدون اليه ويسكرون أي في البكور وهم قد أخذ الدهر من قوتهم وأفتى أعمارهم وأذهب روائهم وهم عن قليل سيكونون حشوا للقبور .

بكر بن حماد

يحكى عن بكر بن حماد رحمه الله أنه خرج يوما إلى القبور وجعل ينظر إلى امتداد القبور ويفكر في الاحباب والآخران ، والاصحاب والغيران . ثم بكى حتى طال بكأؤه وبلت دموعه لحيته ثم جعل يقول :

زنا منازل قوم لا يزورونا إنا لفي غفلة عما يقاسونا
لو ينطئون لقالوا الجد ويحكم جدوا الرحيل فقد آوي المقيمونا
الموت أحق بالدينيا وعزتها وفعلنا فعل قوم لا يموتونا
فابكوا كثيرا فقد حق البكاء لكم فالحاملون لعرش الله باكونا

فأله الله جدوا في العمل فان القبر أمامكم ، والموت يطلبكم يفرق ما جمعتم ويخرب ما قد بنيتم . يقطع الانفاس ، وينقلكم إلى ضيق اللحد والارماس ، فمن قدم إلى القبر عملا صالحا وجدته روضة من رياض الجنان ، ومن لم يكن له عملا وجدته حفرة من حفر النيران ، فاستعدوا له يومعشر الاصحاب والاخوان *

روى عن محمد بن السماك رحمه الله أنه قال : مررت بالمقابر فاذا مكتوب على قبر :

تمر أقاربى جنات قبري كأن أقاربى لم يعرفوني
وذو الميراث يقتسمون مالى وما يألون (١) إن جهنم واديونى
وقد اخذوا سهامهم وراحوا فيا لله أسرع مانسونى !

عباد الله أيقظوا من سكرتكم من دار الغرور ، وطاعة الشيطان المشبور ، واعملوا لضيق اللحد والقبور .

حكاية عن أحمد بن أبي الحواري

حكى عن أحمد بن أبي الحواري رحمه الله أنه قال : خرجت يوما للقبور فذكرت الموت في نفسى والبلاء فرأيت شابا بين القبور قد استفرغه الخوف والبكاء وهو بين القبور منصرف فقلت له من أين أقبلت أيها الفتى ، فقال : من هذا المبرز (٢) ، قلت وأى شيء قلت لهم ،

(١) آلى لإيلاء حلف والالية اليمين ، وهي هنا بمعنى قصر (٢) المبرز بوزن المذهب المتوضا أي المكان الذى يتبرزون فيه .

قال : قلت لهم متى ترحلون ؟ ، فقالوا حين تقدمون ! . ثم ولي عني وهو يبكي فتبعته فقلت له أين تريد ؟ فقال أتمس العيش ، فقلت له كيف تلمس العيش بين القبور ! ، فقال رأى شيء هو العيش عندكم ؟ قلت المال والبنون وأشباه ذلك من اللذات بالنساء والصبيان ، فولى عني وهو يقول : أفالعيش يعقب أحزاننا ، وندامة وأشجاننا . فقلت وأي شيء هو العيش عندكم ؟ قال إنما العيش عندنا هو الإقرار بتوحيد الله ، والوقوف بقناء الله ، والخضوع بين يدي الله ، والتلذذ بحلاوة مناجاة الله ، فهناك تزدحم عليك أعلام الفوائد من الله تعالى وجميل العوائد قلت له أخبرني عن الصادق لله في حبه متى يشتاق إلى لقائه ؟ قال إذا نزع الله حب الدنيا من قلبه ، وتبرم ببقائه بين خلقه . فحينئذ يشتاق إلى لقاء ربه . قال قلت له أخبرني عن غاية الزهد في الدنيا ، قال ترك الحلال حتى لا يقع في الحرام . قال قلت أخبرني عن غاية الرضا بالله تعالى قال إذا كنت راضيا بكل ما قدر الله تعالى وقضاه ، وأحكمه وأمضاه ، وأنه هو المتفضل ، على المتقين بفضله ، والخاذل لمن شاء بعدله ، قلت له أخبرني عن غاية العبادة ؟ قال تجمع الهموم فتجعلها هما واحدا حتى يستوى عندك العمران والخراب ، وتكون خائفا من الله تعالى كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك . قلت له كيف النجاة من مخالفة الناس ؟ قال إنما الناس رجالان عاقل وجاهل ، فالعاقل اشتغل بعيوب نفسه عن عيوب غيره ، وقام مجتهدا بطاعة ربه فهو لا يلتفت إليك ولا إلى غيرك ، وأما الجاهل فلا يبالي كيف ما كان عليه . فعليك بالبراري والقفار ، والاستئناس بالواحد الهار ، قلت فمن أين القوة ؟ قال تهرب إلى الله تعالى وقد فتح لك باب التوكل عليه ، وبضيعك حتى تنهم في رزقك إنه رؤف رحيم لا يسلمك . ثم تصافحنا وتفرقنا ودعنا لي فما رأيت أنور قلبا منه . ووجد على قبر مكتوب :

تناجيك أجدات وهن سكوت وسكانها تحت التراب خفوت

فيا جامع الدنيا لغير بلاغة (١) لمن تجمع الدنيا وأنت تموت

عباد الله ارحموا أنفسكم قبل نزول العذاب فإن القبر لا يرحم من ليس له عمل ، ولا يشفق على من غره طول الأمل ، ولا يحزن على من ضيع أيام المهمل . وأنشدوا :

ما حال من سكن الثرى ما حاله ؟ أمسى وقد صرمت (٢) هناك حباله

أمسى ولا روح الحياة تصيبه يوما ولا لطف الحبيب يناله

(١) المراد هنا البلغة من العيش وهو ما يتبلغ به الإنسان ولم تأت بلاغه لهذا المعنى واعلمها محرقة (٢) صرمت قطعت والصرم القطع

أضحى وقد درست محاسن وجهه وتفرقت في قبره أوصاله (١)
 واستبدلت منه المحاسن غبرة وتقسمت من بعده أوصاله (٢)
 مازالت الايام تلعب بالفتى والمال يذهب صفوه وحلاله

عيسى والمدينة الخربة

روى أن عيسى ابن مريم عليه السلام دخل مدينة خربة فدخل قصرا من قصورها فنادى
 يا خراب الآخر بين أين أشالك؟ فأجابه شيء من آخر القصر يا ابن مريم بادوا . فاجتمعت
 ولا تشرطه فان العظام قد بدت وبقيت أعمالهم في رقابهم . وأنشدوا :

قُب بالقبور (٣) وقل على ساحاتها من منكم المغموم في ظلماتها
 ومن المكرم منكم في قفرها قد ذاق برد الادن من روعاتها
 أما السكون لدى العميون فواحد لا يستبين الفضل في درجاتها (٤)
 لو جاوبوك لأخبروك بالسن تصف الحقائق بعد من حالاتها
 أما المطيع فنازل في روضة يفضى إلى ماشاء من راحتها
 والمجرم الطاغى بها متقلب في حفرة يأوى إلى حياتها
 وغفارب تسعى إليه فروحه في شدة التعذيب من لذعاتها

عباد الله مالكم لاتفيقون من غفلاتكم ، وتنتبهون من نوماتكم ، وتصيحون من سكراتكم
 وتملون من شهواتكم ، وتدعون الكثير من لذاتكم . وتذكرون هول المقابر ، والمصير إلى ضيق
 الحفائر ، فان ملك الموت لا يأتيكم الا على الذمات تكونون من طيب عيشكم ولذة دنياكم
 فبادروا قبل مبادرته بكم . وأنشدوا :

بنا الفتى في لهوه وهنائه متبخر يختال في لذاته
 قد غره الامل السكندوب فهمه في كل ما يدنيه من شهواته
 إذ جاءه ملك النفوس بسكرة تركه ملقى الجسم بين ثقافته
 فتقطعت أسبابه وتخرمت وتسكر المعروف من حالاته

(١) أوصاله عروقه (٢) أوصاله الثانية الاشياء التي وصلها مثل ما تقول : رأيت أعماله
 أى ما عمله . (٣) في الاصل القصور وهو خطأ لان المعنى يتجه إلى القبور (٤) يريد أن سكان القبور
 جميعهم يتساوون عند النظر اليهم لانهم في سكون دائم لا يدري الناظر اليهم من المنعم فيهم والمعذب
 ومن في رياض الجنان ومن في حفر النيران . ومثلهم نائم يرى حلما جميلا واخر عكسه .

لا يستجيب لمن دعاه ولا يرى شق الجيوب عليه حين وفاته

ابن عباس وابن الخطاب

ذكر في بعض الأخبار أن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما دخل على عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم قتل فقال: أبشر يا أمير المؤمنين، قال بماذا؟ قال آمنت برسول الله صلى الله عليه وسلم حين كفر به الناس، وجاهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خذله الناس، ومات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنك راض، ولم يختلف في خلافتك اثنان، وقتلت شهيدا، فقال له عمر رضي الله عنه: أعد علي ما قلت، فأعاد عليه فقال: والذي لا إله غيره لو أن لي ما طاعت عليه الشمس وغربت لافتديت به من هول المطلاع فإذا كان هذا قول عمر رضي الله عنه إمام السنة، وحبيب الأمة، وسراج أهل الجنة في الجنة، قال هذا عند الفراق والانقطاع وأشفق من هول المطلاع، فكيف بأهل اللهو واللعب، والبهتان والكذب، أمثالنا الذين قطعوا أعمارهم في الذنوب، وأفنوا أيامهم في معصية علام الغيوب، وغفلوا عن القبور، ولم يتفكروا في هول يوم النشور؟ والله أعلم وأنشدوا:

أراني كل يوم في انتقاص وبعد لا يزول وطول هجر
وأيامي تمر بغير شيء وعمر المرء في الأيام يسرى
ألاخطوا على قبري كتابا وقولوا قبر ذي ظلم وغدر
أتى الدنيا وفارقها فقيرا وكل فتى على ذا النهج يجرى
وقولوا حين أدفن أي عبد أتى مولاه في ذل وفقر
حكى عن داود الطائي رحمه الله أنه مر على امرأة تبكي على قبر وهي تقول:
عدمت الحياة ولا نلتها إذا أنت في القبر قد ألدوكا
فكيف أذوق لذيد الكرى وأنت يمينك قد وسدوكا

قال داود: فلما سمعت تذكرك في الأحباب والاختدان، والاصحاب والاختدان، لا يرى

لهم آثار، ولا على الأرض منهم ديار:

أمر على القبور وأرتقيها كأنني ليس لي فيها حبيب
وأكره أن أسألهما فاني أراها حين تسأل لا تجيب

عظة نفسية

عباد الله ما مضى من مضى إلى القبور الخالية من الأسماء الخالية لتبقوا بعدهم إلا النذر اليسير الذى بقى من أعماركم ثم تنتهبون إلى القبور ، وتخرجون من سعة القصور والدور . والحمد لله يا معشر المؤمنين وجماعة إخواني المسلمين جدوا واجتهدوا ، وبالعمل الصالح فاستعدوا ، وقدموا لأنفسكم ما تجودوه فى المقابر ، وابكوا عليها قبل حلولها فى الحفائر . وأنشدوا :

لكل أناس مقبر بفنائهم فهم فى انتقاص والقبور تزيد
وفى محشر الموتى أمام قبورهم فما منهم من للحياة يعود

وأنشدوا :

المرء رهن مصائب لا تنتهى حتى يوارى جسمه فى رمله
فمؤخر يلقي الردى فى أهله ومقدم يلقي الردى فى نفسه (١)
تذكر أيها المغرور أباك وإخوانك ، وتذكر أهلك وجيرانك ، وتذكر أحبابك وأخذائك
أين الذين كانوا لك فى الدنيا أحبابا ، وفى أيام حياتك أصحابا ؟ صحبتهم وصحبوك ، وذهبوا
عنك وتركوك ، وأوحشوا الأهل والأحباب ، وفارقوا القرابة والأصحاب ، قد ضمت
أجسادهم المقابر ، وغيّرت أبقارهم (٢) الحفائر ، وبقيت أرواحهم تنتظر يوما تبلى فيه
السرائر فمنهم من يجازى بنعيم وخلود ، ومنهم من يرد النار وبئس الورد المورود ، أين
لقمان بن عاد ، أين ثمود وشداد ، أين فرعون ذى الأوتاد ، وأين من طغى فى البلاد (٣)
وأظهر فيها الفساد ، ذهبت والله تلك الأجناد ، وصاروا إلى ظلم القبور على غير مهاد
ولا وساد . تذكر أيها الغافل أين الملوك الأكاره ، وأين الطغاة الجبابرة ، وأين الذين
جمعوا الأموال والذخائر ، وقادوا الجيوش والعساكر ، وكانت الخطباء تذكروهم على المنابر
حولتهم والله النوايب إلى الحفائر ، وبقوا مرتنين بأعمالهم فى ظلمات المقابر ، ونزلوا على
ما قدموا من ذخائر الأعمال قد قطعت الديدان أوصالهم ، وغير البلاء أحوالهم . قد سألت

(١) أي أن الذي تؤخره منيته فانه يلقي الردى فى أهله من ولد ووالد وأخ وغير ذلك
فكانه أيضا فريسة لها غير ناج من أنيابها ، والذي تقدمه يلقي الردى فى نفسه وهى أعز شيء
(٢) أبقارهم بشرتهم أى جلودهم (٣) فى القرآن الكريم (و ثمود الذين جابوا الصخر بالواد
وفرعون ذى الأوتاد الذين طغوا فى البلاد فأكثرها فيها الفساد)

العيون منهم على الخدود ، وصارت لحومهم قوتا للهورم والدود ، وقسمت من بعد دفنهم في التراب أموالهم ، ونكحت من عدوهم عيالهم وأنشدوا :

هل كان قبلك للذات مرتاحا لو شفه ذكر ذنب قد مضى ناحا
 لله عبد جنى ذنبا فأحزنه فظل حيران يذرى الدمع سفاحا
 فاسفح دموعك عن ذنب أصبت به فرب دمع جري للخير مفتاحا
 ورب عين رآها الله باكية خوف القبور ستلقى الروح والراحا
 مستعبر قلق مستيقظ فطن كأن في قلبه للنور مصباحا
 يا صاحبي دعا التسويف ويحكمها واستبدلا بفساد الدين اصلاحا
 لا تأمنن وقوع الموت إن له لأنفس من جميع الخلق محتاحا
 إن لم يبيتهم ناداهم سحرا وإن تأخر عن تكبيرهم راحا
 لا يترك الموت بيتا حشوه فرح الا أعاضهم ذلا وأتراحا
 أهل القبور أئينوا عن قبوركم هل تستطيعون لى بالرد إفصاحا
 ماذا لقيتم وماذا بعد قيل لكم لما فقدتم من الأجساد أرواحا
 يعزز على بأبدان منعمة أمسى بها الدود جوالا وسواحا
 الناس في غفلة عما يراد بهم من كان ذا بصر فالصبح قد لاحا

حكاية عن ابن السماك

حكى عن ابن السماك رحمه الله أنه حضر يوما جنازة فلما نظر إلى القبور بكى وقال لأصحابه معشر الاخوان ألا متأهب لموت يوصف له ويراه أمامه ، ألا مستعد ليوم فقره ونزوله إلى حفرة وقبره ، ألا شاب عازم قد بارز لمنيته ، ألا من ليس بغيره شباب مثله ولا شدة قوته ، إلا شيخ قد بادر لانقضاء مدته فشمر السير فيما بقى من رمقه ، ماذا ينتظر من دفن أباه ، وقبر أمه وأخاه ؟ ما فرح من القبر مأواه ، والتراب فراشه وغطاه . وأنشدوا :

ألا إنما الدنيا بلا . وفتنة وبيننا القتي فيها مهاب مسود
 إذ انقلبنا عنه وزال نعيمها فأصبح من ترب القبور يمهـد (١)

(١) أى بينما المرء يعتز بقوته ، وسؤدده يهابه الناس ، اذا به قد أصبح من ضمن التراب الذى فى قبره يمهـد أى يسوى فيه . وقد قال فى ذلك المعرى
 خفف الوطء ما أظن أديم الأ رضى الا رفات هاته الاجساد

فكأن خائفنا للموت والقبر بعده ولا تلك من غره اليوم أو غد
حكى عن بعض الصالحين رحمه الله أنه قال : دخلت على مريض وهو في شدة السكرات
فقلت له كيف تجدك ؟ فبكى ثم قال :

رحلت عن الدنيا وقامت قيامتي غداة أقل الحاملون جنازتي
وعجل أهلي حفر قبري وصيروا خروجي وتعجيلي إليه كرامتي
كأنهم لم يعرفوا قط صورتي غداة أتى يومي على وساعتي

إخواني ما هذا لمن مضى ؟ بل والله لمن مضى ولمن بقي ، لا بد من القبر ووحشته ، ومن
الموت وسكرته ، فانظروا لانفسكم مادام النظر ينفعكم ، وتفكروا في وحشة القبر مادام
التفكير يباح لكم ، من قبل وقوع السكرة ونزول الحسرة ، وحيث لا تقال العثرة . فان
الايام غرور ، وهى طريق إلى القبور . وأنشدوا :

ما للمقابر لا تجيب إذا دعاهن اللبيب
حفر يسترفقهن من الجنادل والكشيب
فيهن أطفال ووا دان وشبان وشيب
كم من حميم لم يكن نفسى بفرقة تطيب
غادرته في بعضهن مجندلا وهو الحبيب

حكاية عن بعض الصالحين

حكى أن رجلا من الصالحين رحمه الله حضر جنازة ، فلما وضعوها في قبرها وانصرف
أهلها ، وقف على قبره صديق له فناداه يا حبيب . يا فلان الصديق فلم يجبه أحده ، فأنشأ يقول :

أحبيب مالك لا تجيب مناديا أنسيت بعدى جملة الاحباب

فأجابه مجيب يسمع صوته ولا يرى شخصه وهو يقول :

قال الحبيب وكيف لي بجوابكم وأنا رهين جنادل و تراب
أكل الثراب محاسنى ونسيتمكم وحجبت عن أهلى وعن احبابى
فعليكم منى السلام تقطعت منى ومنكم عقدة الانساب

يامسكين فهذه صفتكم وصفة إخوانكم واحبابكم وجيرانكم واصحابكم فاعتبروا بهم
وعظوا انفسكم وابكوا طول حياتكم ، أيام وحشتكم ، وبعد رقدتكم ، وطول غربتكم
وانفرادكم في قبوركم ووحدتكم ، فعسى الله مولاكم أن يرحمكم فيؤنسكم فيها بأنس كرامته ،

وينورها بنور مغفرته ، ويجعلها لكم أول منزلة من منازل الجنة ، وينجيكم فيها من كل عذاب ومحنة ، إنه المنان الكريم ، المتفضل الرحيم .

موعظة ابن عباس

روى عن ابن عباس (١) رضى الله عنهما أنه قال : أرحم ما يكون المولى جل جلاله بعبده إذا دخل قبره ، وتفرق الناس وأهله ، فمن أكثر من ذكره وجدده روضة من رياض الجنة . وما من يوم إلا والارض تنادى بخمس كلمات ، يا ابن آدم تمشى على ظهري ومصيرك إلى بطني ، يا ابن آدم تضحك على ظهري وسوف تبكي في بطني ، يا ابن آدم تفرح على ظهري وسوف تحزن في بطني ، يا ابن آدم تذب على ظهري وسوف تعذب في بطني ، يا ابن آدم تأكل الحرام على ظهري وسوف يأكلك الدود في بطني ، يا ابن آدم لم من محسود في حياته يود إذا نزل في حفرته لو كان كل ما جمعه وخلفه لأعدائه وحساده . فكم من تارك لعياله ما يصلحهم لمعادهم ويكون هو في قبره أو في رمسه مشورا . وأنشدوا :

أخلق الموت جدتي ومحا حسنى البلى
صرت بين النعيم في منزل البعد والقل (٢)
وجفاني أحبتي حين غيبت في الفلا

يا أخى تفكر في تلك الا كفان . وتغير الروائع وصوله الديدان ، ونهش العقارب والحيات ، والكون تحت أطباق الثرى والظلمات . وانظروا الى أحبابكم في بسط الارماس ، كيف عدموا الاناس والحراس ، وانقطعت عنهم الحركات وسكنت منهم الانفاس وأنشدوا :

أتعنى عن الدنيا وأنت بصير وتجهل ما فيها وأنت خير
وتصبح تبنيها كأنك خالد لقد كان فيما قد بلوت نذير
متى أبصرت عيناك أمرو لم يكن يخبرنا أن البقاء يسير (٣)
فدونك فاصنع كلما أنت صانع فان بيوت المتقين قبور

(١) كان ابن عباس رضى الله عنهما حير هذه الامة وبحر غزير في العلم وقد دعا له الرسول صلى الله عليه وسلم فقال : « اللهم فقهه في الدين » فكان حلال المشكلات مفسر الآيات بليغ العبارات . (٢) القلى البغض والجفاء (٣) أى كل ما شاهدته من الامور يخبرنا ان البقاء يسير فانه لا يدوم شيء أبدا على حالة واحدة

حكاية عن الحسن البصري

يحكي عن الحسن البصري رضى الله عنه أنه نظر إلى جنازة قد وضعت في لحدها فقال :
يا لها من موعظة بليغة لو صادفت قلوبا حية ، والله لقد فضح الموت الدنيا ولم يترك فيها لذي
نسب فرحا . ثم أشار إلى امتداد القبور فبكى وقال : هؤلاء أهل محلة قد كفي من جلس اليهم
شرهم ، وإن ترحم عبد عليهم وصل اليهم ماترحم به . عباد الله اعلوا أن القبور منزلة بين
الدنيا والآخرة فاعملوا لمثل هذا اليوم فانما هم إخوانكم تقدموا وأنتم في الأثر . أيها المتخلف
من بعد أخيه انت الميت من بعده غدا والباقي بعدك هو الميت في أثرك ، الأول فالاول حتى
يتوفوا جميعا فكلنا بكم قد عمكم الموت واستويتم جميعا في سكراته ، وحلتم جميعا في القبور
الى يوم النشور . فانه الله تفكروا في طول البلاء في ظلمات بين أطباق الثرى . وأنشدوا :

أخي ما بال قلبك ليس ينقى كأنك لا تظن الموت حقا
أيأ ابن الذين فنوا وبادوا أما والله ما بادوا وتبقى
وما أحد بزادك منك أحصى وما أحد بزادك منك أشقى
وما للنفس عندك مستقر إذا ما استكملت أجلا ورزقا

تفكروا في الملوكة العتاة ، والجبابرة والطغاة ، الذين عمروا الدنيا وملكوها وأقطارها ،
وسكنوا المشيد من قصورها ، كانوا أشد منكم قوة وآثارا ، وأقوى أجساما وأطول أعمارا
خلفوا ما كسبوا للأهل والاحباب ، وعمر ديارهم من بعدهم الاصحاب ، وانصرم عنهم الليل
والنهار ، ونزلوا على ما عملوا من الاوزار ، فلو أبصرتهم بعد قليل في ظلمات القبور وقد
تقطعت منهم الجلود ، وتمزقت الحدود ، وضيق على أبدانهم اللحد ، واتخذ الخليل من
بعدهم خليلا ، وصارت أبدانهم للددومقلا . فتفكروا أخي وكن إلى التوبة مسرعا عجولا ، ولا تطلع
الشيطان إنه كان للانسان خذولا ، وكونوا أولياء الرحمن ولا تكونوا أولياء الشيطان ، فعسى
الله أن ينجيكم من عذاب النيران ، ويدخلكم برحمته الجنان . وأنشدوا :

إعمل لمثواك في الضريح واندم على فعلك القبيح
ولا تقصر وفيك روح فسوف تبقى بغير روح
واقرح (١) الحند من دموع بالجد من قلبك القريح
والتمس الصفح قبل يوم تنقل فيه الى الصفح

(١) القروح الجروح أى اجرح خديك بمجرى الدموع والصفح جنادل القبر

يا نفس إلى غسدا طريح والترب يحثي على الطريح
نوحى فلو قد حوالك قبر لم تقدرى فيه أن تنوحى
أحبابى قوموا بنا إلى الحزن والبكا ، وإلى طول الأسف والأسى ، لعل الله يرحمنا فى ظلمات
القبر وعسى ، فإن القبر ينادى فى الصباح والمساء .
قيل وقف بعض الصالحين فى المقابر وأنشأ يقول :

أغضاب أحببنا أم رقاد فالى كم يكون هذا الصدود
إن تكونوا قوما نياما فبهوا كم تناموا عنا ونحن قعود
أو تكونوا هجرتونا بذنب كان منا فانتا لا تعود

حكى عن بعضهم رضى الله عنه أنه قال : مات لى صديق فأغتممت عليه لما كان فيه من
الصلاح والخير وحسن الطريقة ، فرأيت به بعد موته فى المنام فسألته عن حاله فأنشأ يقول :

أنا لكم إخوتى نذير من هول ماضمت القبور
عاينت ما لم تعينوه وإيما يبتلى الخبير
إن الذى حل بى جليل جدا فقد أعذر النذير
فانما أنت فى غرور فلا يغرنك الغرور
فإن قدامك المنايا والقبر والبعث والنشور
إيما إلى جنة وإيما إلى جحيم لها سعير

فأله الله يامعشر الاسلام انتبهوا من ثقل هذا المنام ، فإن أمامكم وحشة القبور بعد سكرات
هول الحما ، فمن ضيع فى البطالة ، والجهالة أيامه ، وكثرت فى صحيفته أوزاره وآثامه فمقام الحسرة .
غدا فى القبر مقامه . وأنشدوا :

أبصر وتب يا رجل قد أرف التثقل
الى محل (ضيق) (١) تذهب فيه الخيل
مالك فيه مؤنس الا التقى والعمل
أى غلام قام فى محرابه يبتل
يقول فى سجدة ودمعه ينهل

(١) سقطت تلك الكلمة من الاصل وكل كلمة عليها هاتين العلامتين () فقد زدناها من
عندنا لاستقامة المعنى .

يا ظالم يا باطون يا مالك لا تعجل
اغفر ذنوبي كلها فشاءك التفضل
وتب على توبة فهي المنى والامل

نباش القبور

روى عن سعيد بن جبير (١) رضى الله عنه أنه قال : بينما نحن جلوس في مجلس ابن عباس رضى الله عنهما إذ وقف رجل بين يديه فقال : يا ابن عباس ما أذل العاصين بين يدي الله تعالى ، وما أحسن المبادرين الى طاعة الله تعالى . يا ابن عباس ما أغفل المذنبين عن قرب الجليل ، وأشد تخليط من لم يوفق بالرحيل . قال ثم خرج . فقام إلى ابن عباس بعض جلسائه فقال له : يا ابن عباس إن هذا الفتى نباش وإنما يستمر (٢) بهذه المقالة ، فإذا جن عليه الليل خرج إلى المقابر فنباش فيعري الموتى من أكفانهم . قال ابن عباس : لا أصدق مثل هذا حتى أراه بعيني وألمسه بكفى (٣) . فقال له الرجل إن شئت لأرينك ذلك . فقال قد شئت . فلما هجم الليل إذا الفتى قد أقبل وفي يده اليمنى قنديل وفي اليسرى غل حتى توسط المقابر ، ثم رمى بطرفه شاخصا وقال : سلام عليكم أهل مضائق اللحد ، ومطعم البلاء والدود ، ما أبعد سفركم ، وما أوحش طريقكم ، فليت شعري ما جالكم ارتهنتم بأعمالكم وقطعتم دون آمالكم ، بل ليت شعري أندم الحياة حل بكم ، أم فرح البشري بالقدوم على ربكم . سبقتمونا فليتم ، وأجبتهم قبلنا إذ دعيتم ، ونحن للقدوم عليكم منتظرون ، وللمنهل الذى وردتموه واردون ، فبارك الله لنا ولكم على القدوم عليه ، ورحمنا إذا صرنا إلى ما صرتم إليه . ثم نزل في قبر قد احتفره لنفسه فوضع خده على شفير اللحد وجعل ينادى ، يا ويلتى إذا دخلت في قبرى وحدى ونطقت الارض من تحتى فتقول لى لا مرحبا ولا أهلا ، ولا سعة ولا سهلا بمن كنت أمقته وهو على ظهري ، فكيف وقد صرت اليوم فى بطنى لأضيقن (عليك) أرجائى ، ولا ذيقنك مكروه بلائى . وبلى إذا خرجت من لحدي حاملا وزرى على ظهري وقد تبرأ

(١) كان من كبار التابعين قتله الحجاج لخروجه عليه وإنكاره ظلمه ولم يعيش بعده (٢) فى الأصل يشتره تحريف . (٣) من ذلك يتضح صدق فراسة ابن عباس وأنه لا يصدق أن هذا الوجه الجميل المشرق بنور الصلاح والتقوى يكون نباشا للقبور حتى يراه ويلبسه متلبسا بجريمته .

سني أبي وأمي . بل ويل من طول كذبي إذا سمعني منادي ربي أين فلان بن فلانة فأبرزت من بين جبرتي ، وقد بدت إلى الناس سريري ، وقت عريانا ذليلا ، وقاسيت كربا طويلا . ثم أساق إلى أرض القيامة للعرض ، والوقوف بين يدي جبار السموات والأرض . ويل إذا وقفت أمام ربي فقال لي عبدي استترت بمعصيتي عن المخلوقين ، وبارزني بها وأنا عليك من أكبر الشاهدين ، أفكنت عليك من أهون الناظرين إليك ؟ ثم خر مغشيا عليه فلما أفاق رفع رأسه إلى السماء فقال : يا ذخرى ويا ذخيرتي ومن هو أعلم بطويتي وسريري ، يا من عليه اعتمادى في حياتي ، ومن إليه ألجأ بعد مماتي ، لا تخذلني بعد الموت ، ولا توحشني في قبري يا سامع كل صوت ، فلما سمع ابن عباس مقالته لم يتالك أن يسمى حتي وقف على شفير القبر وجعل ينادي ، لييك لبيك حبيبي ما أنبشك للذنوب والخطايا ، هكذا تنبش الذنوب وتمزق الخطايا . ثم التفت إلى الذي سعى به وقال له : يا عبد الله هكذا فاصنع كما علمت بمثل هذا النباش ، فارشده إلى ابن عباس ، فما أحبه إليه وآثره لديه : ياليت كل النابشين مثله . وأنشأ يقول :

قف بنا بالقبور نبكي طويلا ونداوى بالدمع داء جليلا
فغسى الدمع أن يبرد منا بعض لوعاتنا ويشفى الغليلا
وننادى الأحباب كيف رجدت سكرة الموت بعدنا والمقيلا
لو أطافوا الجواب قالوا وجدنا سكرة تترك العزيز ذليلا
بدلوا بعدد بالقصور قبورا ثم بعد اللباس ردما ثقيلا

عباد الله اعملوا لظلمة القبر قبل فوات العمل ، وبادروا بالتوبة قبل انقضاء الاجل ، واشعلوا في قلوبكم نيران الخوف والوجل ، وتزودوا للقبر بينما أنتم في فسحة ومهل ، فان الموت آت ، والعمر فات ، والطريق طويل ، والزاد قليل ، وهول القبر هائل ثقیل . وأنشدوا :

تضرع (١) في دجى الليل إلى مولاك يكفينا
ولا تأمن هجوم الموت إن الموت يأتيك
كأن بالذي يهواك في القبر يدليكا

(١) في الاصل : أضرع ولا يستقيم . والضراعة الابهال إلى الله والدعاء

وقد أفردت في لحبك فردا بمساويكا
 وأسلك الذي قد كان في الدنيا يضافيكا
 فيساؤل ويا ذخرى وكل الخلق راجيكا
 ويا من ليس منا أحد يحصى أياديكا
 تجاوز عن مقال ثم حقق أمل فيكا
 يا أخى قم بين يدي مولاك إذا دخل الليل البهيم ، واسأله لعله يكفيك في قبرك العذاب
 الاليم .

حكاية عن ابن الاسود

حكى عن الحجاج بن الاسود أنه قال : رأيت في المنام كأنى دخلت في المقابر فاذا أهلها
 نيام في قبورهم وقد تشققت الارض عنهم ، فمنهم النائم على التراب ، ومنهم النائم على القباطى ،
 ومنهم النائم على السندس ، ومنهم النائم على الاستبرق ، ومنهم النائم على الحرير ، ومنهم
 النائم على الديباج ، ومنهم النائم على الياسمين والريحان ، ومنهم النائم كالمتبسم في نومه ، ومنهم
 حائل اللون ، ومنهم من قد أشرق نوره ، ومنهم من قد اشتد كربه ، ومنهم من قد اغتم في
 ضيق القبر ووحشته . فبكيت في منامى مما رأيت ثم قلت : يا رب لو شئت لسويت بينهم في
 الكرامة ! فنادانى مناد من بينهم يا حجاج هذا الذي تراه من تفاضل الاحوال إنما هى منازل
 الاعمال ، ولكل امرئ منهم ما قدم . فاستيقظت فزعا مرعوبا . وأنشدوا :

تترك إن قدرت وقم طويلا فسوف يطول نومك في التراب
 وحق ما تقول فانت عبيد تسأل ثم تطلب بالجواب
 وكفر ما عملت وكن مجدا وتب لله تسعد بالمتساب

عباد الله ليس لكم دواء من جميع امراض الشهوات الا التوبة ، والنسدم على ما سلف.
 وحسن الاوبة (١) لعل الله يغفر لكم ما عقدتم عليه من الضمائر ، وما طويتم عليه خفيات
 السرائر ، وينور لكم في ظلمات الاجداث وضيق القبور ووحشة الحفائر . وأنشدوا :

نعت نفسها الدنيا إلينا فاسمعت ونادت ألاجدوا الرحيل وودعت
 وزمت (٢) مطايانا الى برزخ البلى وسأقت بنا سوقا حثيثا فاسرعت

(١) الاوبة: الرجوع . (٢) زم البعير: خطمه ، وزم: تقدم في السير ، وزم بأنفه: تكبر ..

سلام على أهل القبور أحيى لقد بليت أجسامهم وتقطعت
فما موت الأحياء إلا ليبعثوا يقينا وتجزي كل نفس بما سعت
عباد الله ما لكم تدعون إلى الرجوع إلى الله فلا تجهيرون ، والموت والقبور فلا تذكرون ، فانا
الله وإنا إليه راجعون ، ذهب السامعون والواعظون ، وبقي الجاهلون والذافلون . فلا سامع
يعي ويسمع ، ولا واعظ يداوي وينفع . كل قد شغل بالآماني والغرور ، ونسي الرحيل إلى
القبور ، ووجد على قبر مكتوبا :

لا تثق بالحياة من بعد قبري كل حي مصيره كهيري
كنت في نعمة وفي خفض عيش فضي وانقضى كيوم قصير
ثم افردت في القبور وحيدا وجفاني الصديق فوق القبور

حديث في منكر ونكير

روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام ليلة الاسرى : « كفى بالموت طامة (١) » فقال جبريل عليه السلام : ما بعد الموت أطم منه وأعظم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وما ذاك يا جبريل ؟ » قال الملكان الأزرقان الاسودان يطآن في شعورهما ، ويخرقان الأرض بأنيابهما ، بيد كل واحد منهما عمود لو ضرب به الجبال لقلعها من أصولها ، أعينهما كالبرق الخاطف ، وأصواتهما كالرعد القاصف ، يتلى بهما كل مؤمن وكافر ، فيأتيانه في قبره فيروعانه ويقعدانه ويعرضان عليه عمله ، ويرياهن مقعده من الجنة أو النار . فقال صلى الله عليه وسلم : « أما الكافر لهما أن يروعانه ويفعلان به ذلك ، وأما المؤمن فكيف ؟ » قال جبريل عليه السلام كذلك أمر ربك يا محمد فأما الكافر فلا يجد من عذاب الله فترة من حين يدخل قبره ، وأما المؤمن فتكون له تلك الروعة كفارة لما مضى من ذنوبه في الدنيا فإذا خرج من قبره خرج مغفورا له ثم لا يدري روعة بعدها أبدا *

غرور

ذكر أن بعض الملوك بنى قصرا وشيده فأعجب بذلك وسر به ، فلما كان في بعض الليل

(١) جاء السيل فطم الركبة أي دفنها وسواها . وكل شيء أكثر حتى علا وغلب فقد طم

وسميت القيامة طامة .

سمع قائلاً يقول :

كان في هذا القصر قد باد أهله وأوحش منه أهله ومنازله
وصار مشيد القصر من بعد بهجة وملك إلى قبر عليه جناده
ولم يبق إلا ذكره وحديثه تنادي بليل معولات خلالة (١)
فخذ عدة للموت إنك ميت وإنك مسئول فما أنت قائلة ؟
فأجابه الملك وهو يقول :

أقول بأن الله حق شهادته فذلك قول ليس تخفى فضائله
فأجابه الهاتف وهو يقول :

(إذا فاستمع في) إنك ميت وقد أزعج الأمل الذي أنت نازله
فأجابه الملك وهو يقول :

متي ذاك حدثني هديت فاني سأفعل ما قد قلت وأعاجله ؟
فأجابه الهاتف وهو يقول :

تقيم ثلاثاً بعد عشرين ليلة إلى منتهى شهر وما أنت كامله
قال فلم يتم الشهر حتى مات . وقال بعض الشعراء في هذا المعنى :

تمنت نفسه قصراً مشيداً يلذ به ليعمره جديداً
فلما تم عاجله حمام فأخرجه إلى جدث فريداً
فقل لذوى الترحج في الأمانى ولا يبعثون في التقوى مزيداً
تهابوا الموت أن له مجالا فما يبقى الكبير ولا الوليدا
ويختطف الملوكة ذوى المعالي ولا يخشى الجيوش ولا الجنودا

الملك الزاهد

حكى عن عباد المهلبى أنه قال : كان رجل من ملوك البصرة ترك الدنيا وتعبث ثم بعد ذلك
مال إلى الدنيا وخرورها فبنى داراً وشيدها وأمر بفرشها فقرشت الدار ونجدت ، وأمر أن
يصنع طعام ودعا الناس إليه فجعلوا يدخلون ويأكلون ويشربون وينظرون إلى بنائه ويعجبون
منه ثم يدعون له ويتفرقون عنه ، فمكث بذلك زماناً حتى فرغ من أمر الناس ، ثم أجلس

(١) أى أن زوجاته يبكين عليه ويهزغن ، والعيول . البكاء بصوت مرتفع .

نفر من خاصة إخوانه فقال لهم . أترون سروري بداري هذه وقد حدثني نفسي أن أتخذ لكل واحد من أولادي مثل هذه فأقيموا عندي أياما استمتع بحديثكم ، فأقاموا عنده أياما يأكلون ويشربون ويلعبون ويلعبون وشاورهم كيف يريد أن يبنى ، إذا سمعوا ذات ليلة هاتفا يقول بصوت جهير :

يا أيها الرجل الناسي منيته لا تأمن فان الموت مكتوب
على الخلاق إن سروا وإن كرهوا فالموت حتم لذى الآمال منصوب
لا تبني ديارا لست ساكنها وراجع نفسك كيما يغفر الحوب (١)

قال فخرج وخرج أصحابه وراعهم ماسمعوا ، ثم قال لأصحابه : هل تجدون ما أجد ؟ قالوا وما تجد ؟ قال أجد مسككة على فؤادي وما أراها إلا علة الموت ، ثم أمر بالشراب فأهريق (٢) وأمر بالملاهي فأخرجت ثم قال : اللهم إني أشهدك وأشهد ملائكتك ومن حضر من عبادك أنني تائب إليك من جميع ذنوبي ، نادى على ما فرطت في أيام مهلي . ثم اشتد به الأمر فلم يزل يقول الموت حتى خرجت روحه ، وتفرق أحبابه عنه وأصحابه . وأنشدوا :

يا عجباً للناس لو أبصروا وحاسبوا النفس وقد فكروا
واعتبروا الدنيا إلى غيرها فانما الدنيا لهم معبر
والموعد الموت وما بعده حشر فذاك الموعد الا كبر
عجبت للانسان في فخره وهو غدا في وحشة يقبر
ما بال من أوله نطفة وجيفة آخره يفخر ؟
أصبح لا يملك تعجيل ما يرجو ولا تأخير ما يحذر
وأصبح الأمر إلى ربه في كل ما يقضى وما يقدر
لا فخر الا فخر أهل التقى غدا إذا ضمهم المحشر

موعظة للبهلول

حكى عن بعض السادات أنه قال : نظر إلى بهلول وأنا أبني دارا فقال لمن هذه الدار ؟

(١) الحوب والحاب : الاثم والذنب . (٢) أهرق وأهريق المساء والشراب صبه ، وأهريق دمه أي لم يؤخذ عنه دية ولا قودلانه أصبح معرضا للقتل أينما كان بأمر الحاكم

فقلت لرجل من كبار أهل الكوفة ، فقال أرتبه فأرتبه إياه ، فناداه يا هذا لقد تعجبت
الجناية قبل العناية ، اسمع إلى صفة دار كونها العزيز أساسها المسك وبلاطها العنبر اشتراها
عبد أزعج للرحيل كتب على نفسه كتابا وأشهد على عقد ضائره شهودا هذا ما اشترى العبد
الجاني من الرب الوافي اشترى منه هذه الدار بالخروج من ذل الطمع إلى عز الورع ،
فما أدرك المشتري من درك فيما اشتراه فعلى المولى خلاص ذلك . شهد على ذلك العقد وهو
الامن والخواطر وذلك في إدار الدنيا وإقبال الآخرة ، ولهذه الدار حدود أربع ، فالحد
الأول ينتهي إلى مبادئ الصفاء ، والحد الثاني إلى ترك أخلاق الجفا ، والحد الثالث
ينتهي إلى مدارج أهل الوفاء ، والحد الرابع ينتهي إلى السكون والتسليم والرضا في جوار من على
العرش استوى ، ولهذه الدار شارع ينتهي إلى دار الخلد والسلام وخيام قد ملئت
بالبولدان والخزام (١) ليس فيها أسقام ولا ضر ولا آلام ، ولا يذوق ساكن هذه
الاماكن سكرات الحما . يالها من دار لا ينقض نعيمها ، ولا يبعد كريمها ، دار أسست فجعل
من الدر والياقوت شرف تلك الحدود ، وجعل بلاطها من البهاء والنور ، وعلى خيامها من
جوار بهن كمل السرور ، من العين الحور ، ليس لمن سوي الدين والتقوى مهوور ، فترك
الرجل قصره وتاب إلى الله عز وجل وهام على وجهه وجعل الهلول ينادي خلفه ويقول :
يا ذا الذي طلب الجنان لنفسه لا تهربن فانه يعطيك

وأنشدوا:

طاب المقام وطاب فيه نعيمه في دار عدن والجليل يراه
فان الله يا عباد الله لا تغفروا ببناء الدور ، وتشيد القصور ، فعما قليل تخرب وتخرجون منها
إلى ضيق اللحود وظلمات القبور وأنشدوا :

سلام على أهل القبور الدوارس كأنهم لم يجلسوا في المجالس
ولم يشربوا من بارد الماء شربة ولم يأكلوا من كل رطب ويابس
فيا مشر أهل الدنيا تفقدوا أهل القبور بالدعاء الحسن وتلاوة القرآن *

حديث في هدية أهل القبور

فانه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من دخل المقابر وقرأ قل هو الله أحد

(١) الخزامى نبات طيب الريح في الصحراء . وكم كان للهلول من مواضع

عشر مرات وأهدى ثوابها للموتى ، غفر الله تعالى للموتى وأدخل في قبورهم النور والسرور ، ويكتب الله تعالى للقارىء بكل ميت مات من يوم أهبط الله آدم إلى الأرض إلى يوم القيامة عشر حسنات *

الصدقة والدعاء للميت

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أهدوا إلى موتاكم » قيل وما نهدى يا رسول الله إلى الموتى ؟ قال : « الصدقة والدعاء » وما من أهل بيت يموت منهم ميت يتصدقون عنه بعد موته إلا أهداها له جبريل عليه السلام على طبق من نور ، فيقف على شفير القبر فيقول يا صاحب القبر هدية أهداها إليك أهلك قبلها ، فتدخل عليه فيفرح بها ويستبشر ويحزن جيرانه الذين لا يهدى إليهم شيء (١) ، فالله الله لا تغفلوا عن موتاكم ولا تذروهم من الصدقة والدعاء فانكم تدخلون عليهم بذلك السرور ، ويغتبطلون بها في القبور *

رجاء الأموات للأحياء

وقد جاء في الحديث أن الموتى يرجون الأحياء من الاحباب إلى رأس أربعين سنة ، فمن أيأسهم أيأسه الله من رحمته ، ومن فرحهم أكرمه تعالى بتحيته ، وفقنا الله وإياكم للأعمال الصالحة ، وأعانتنا وإياكم على طلب الرغائب والخيرات آمين برحمته فانه مجيب الدعوات وقاضى الحاجات ، ومقيل العثرات. وصلى الله على من أخرجنا به من الظلمات إلى النور المظهر من الآفات ، المجتنب من أطيب الثمرات ، وعليه منا أطيب السلام والتحيات ، مادامت الأرض والسموات ، آمين آمين فهو مجيب الدعوات وقاضى الحاجات ، وغافر الذنوب والزلات ، آنس الله وحشتى ووحشتكم في القبور ، وآنس روعتى وروعته يوم النشور وأحلنا وإياكم برحمته دار السرور. آمين آمين *

(١) وقد حكى عن ولد كان باراً بآبيه في حياته ، فلما مات أبوه صار يتصدق على روحه كل يوم بما يستطيع من الطعام فصادفه يوم ولم يكن معه شيء يتصدق به ، فجمع قشور البطيخ وغسلها وأطعمها البهائم صدقة على روحه ، فرآه في المنام فقال له : جزاك الله خيراً من ولد بار فلقد كنت اشتى البطيخ فأكلته اليوم .

- ١٣ - ﴿ مجلس في فضل الصيام ﴾

قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) أيها الغافل عن الثواب الكثير ، والساهي عن الملك الكبير ، واللاهي عن لباس السندس والحريير ، المتقاعد عن اليوم العروس القمطرير ، النائم عما أتى به محمد البشير النذير ، الذي أنقذنا الله به من جهنم وحر السعير . يا غافل يا ساهي أتاك شهر رمضان ، المتضمن للرحمة والغفران ، وأنت مصر على الذنوب والعصيان ، مقيم على الآثام والعدوان متمادي في الجهالة والطغيان ، متكلم بالغيبة والبهتان ، متعرض لسخط الرحمن ، قد تمكن من قلبك الشيطان ، فألقى فيه الغفلة والنسيان ، فانسك نعيم الخلد والجنان ، فظلت تعمل أعمال أهل النيران فان كنت يامسكين كذلك فكيف ترجو الفوز بالرضوان ، والحاول في دار الخلد والامان ، والخالص من دار العقوبة والهووان . وأنت مطعمك حرام ، ولباسك حرام ، ولسانك لا يفتر عن قبيح الكلام وبصرك حديد إلى ما حرم من الحرام عليك ذو الجلال والاكرام ، ويدك ممدودة الى ما نهاك عنه الملك العلام ، وقدمك تسعى الى ما هو إثم وحرام ، وأنت في جميع أمورك وافعالك مخالف للقرآن والاحكام ، تارك لسنة محمد عليه الصلاة والسلام . فجسمك من الجوع متعوب من الفجر الى الغروب ، ويلحقك نصب واللغوب ، وصومك عن مولاك بالطرد محجوب وأخاف أن تكون في النار على وجهك مكبوب ، لمخالفتك لعلام الغيوب . فنخلص (١) ويحك بطنك عن أكل الربا والحرام ، واحبس لسانك عن الوقوع في جماعة الاسلام ، وغض طرفك عما هو عليك أعظم من أعظم الآثام ، وهو النظر الى ما لا يحل لك من حرم الانام ، وامثل ما أمرك به أحكم الحكم ، وقم بين يديه في الليل البهيم اذا هجع النوم ، وتضرع اليه اذا أدهم الليل بداجي الظلام . وحينئذ يصح لك القبول لشهر رمضان ، وتفوز بالنعيم الابدي في دار السلام ، وتنجو من الاهوال والعذاب الغرام فليكن - ويحك - بصرك من النظر الى المحارم معدولا ، وسممك عن سماع القبيح من القول معزولا وبطنك من أكل الحرام محمولا وقلبك بالفكرة في الحسنات (٢) والمعاد مشغولا ، وذكر مولاك وسيدك

(١) النخصة : بالفتح الجوعة وخص جوع (٢) أى دائم التفكير في تكثير الحسنات والاستعداد ليوم المعاد وهو يوم القيامة .

في لسانك مجعولا ، ومالك في طاعة العزيز الجبار مبدولا (إن السميع والبصير والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) وقد أعلمك هولاك أن الشيطان كان للانسان خذولا ، فلم خنت عهد هولاك وأمانته وكنت لنفسك ظلوما جهولا . وأنشدوا :

قل لاهل الذنوب والآثام	قابوا بالمتاب شهر الصيام
إنه في الشهور شهر جليل	واجب حقه وكيد الزمام
وأقلوا الكلام فيه نهارا	واقطعوا ليله بطول القيام
والطلبوا العفو من إله عظيم	ليس يخفى عليه فعل الآثام
كم له فيه من ازاحة ذنب	وخطايا من الذنوب عظام
كم له فيه من أياد حسان	عند عبد يراه تحت الظلام
كم له فيه من عتيق شهيد	آمن في القيام خزي المقام
إن دعاه مذلل بخضوع	وخشوع ودمعه ذو سجام
أين من يحذر العذاب ويخشى	أن يصلى الجحيم مأوى اللثام
أين من يشتهي التذاذا بحور	في جنان الخلود بين الخيام
إلتمس فيه ليلة القدر وأترك	إلتماسا لها لذيد المنام
واجتهد في عبادة الله وأسأل	فضله عند غفلة النوام
يا لها خيبة لمن خاب فيه	عن بلوغ المنا بدار السلام
يا لها حسرة لمن كان فيه	سائرا شره بثوب الظلام
يا إله الجميع أنت بحالى	عالم فاهدنى سبيل القوام
وأمتنى على اعتقاد جميل	واتباع ملّة الاسلام

فضل رمضان

فأله الله عباد الله اغتتموا شهر المتاب ، وما وعدكم فيه من جزيل الثواب ، ومن العفو عن الاوزار وعق الرقاب . وهو شهر لياليه أنور من الايام ، وأيامه مطهرة من دنس الآثام ، وصيامه أفضل الصيام ، وقيامه أجل القيام . شهر فضل الله به أمة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، شهر جعله الله مصباح العام ، وواسطة النظام ، وأشرف قواعد الاسلام ،

المشرف بنور الصلاة والصيام والقيام ، شهر أنزل الله فيه كتابه ، وفتح للتائبين فيه أبوابه ،
فلا دعاء فيه إلا مسموع ، ولا عمل إلا مرفوع ، ولا خير إلا مجموع ، ولا ضرر إلا مدفوع
شهر السيئات فيه مغفورة ، والأعمال الحسنة فيه موفورة ، والتوبة فيه مقبولة ، والرحمة من الله
ملتصمة ، والمساجد بذكر الله فيه معمورة ، وقلوب المؤمنين بالتوبة فيه مسرورة .
وأنشدوا :

أين أهل القيام لله دأبا بذلوا الجهد في رضا الجبار
أنتم الآن في ليال عظام قدرها زائد على الاقدار
فاستريدوا من العبادة فيها تأمنوا اليوم من عذاب النار
أين من يركب الذنوب اغترارا لا يخافون سطوة القهار (١)
قد أهل الهلال من رمضان شهر زلفى وتوبة وأدكار
فاذكروا الله فيه ذكرا كثيرا واستجيروه من عذاب النار
وارجموا عن ذنوبكم بمتاب صادق واقلعوا عن الاصرار
رب من كان مسرفا مستمرا في خطايا مكثر الاوزار
ثم إن الله تاب عليه فاقنضى حمله سبيل الخيار
فاعملوا أيها المسيئون وادعوا ربكم جهرة وفي الاسرار
واحذروا غفلة القنوط وداووا دامها بالرجوع للغفار
تجدوا الله في المعاد كريما ماحيا للذنوب والاصرار

إخواني هذا شهر ليس مثله في سائر الشهور ، ولا فضلت به أمة غير هذه الأمة في سائر
الدهور ، الذنب فيه مغفور ، والسعي فيه مشكور ، والمؤمن فيه محبوب (٢) والشيطان مبعد
محبور ، والوزر والاثم فيه مهجور ، وقلب المؤمن بذكر الله معمور ، وقد أناخ بفنائكم
وهو عن قليل راحل عنكم ، شاهد لكم وعليكم ، مؤذن بشقاوة أو سعادة ، أو نقصان أو زيادة

(١) ليت المؤلف رحمه الله اطلع على ما في زمننا هذا وقد صار صيام رمضان « موضحة
قديمة » فلا يصومه إلا الشيوخ والعجائز من العامة وأما شباننا وفتياتنا فانهم يأكلون ويشربون
عيانا جهارا ولا رادع من دين ولا وازع من أخلاق . وباليتم استتروا بمعصيتهم الشنيعة
(٢) المحبور هو السرور ، وحبه سره .

وهو ضعيف مسئول ، من عند رب لا يحول ولا يزول ، يخبر عن المحروم منكم والمقبول .
فإن الله أكرموا نهاره بتحقيق الصيام ، واقطعوا ليله بطول البكاء والقيام ، فلعلكم أن تفوزوا
بدار الخلد والسلام ، مع النظر الى وجه ذي الجلال والاكرام ، ومرافقة النبي عليه الصلاة
والسلام . وأنشدوا :

الاداع إلى الله المجيب	بقلب من معاصيه معيب (١)
ألا باك الايام تقضت	بلا عمل ولا قول مصيب
ألا باك على أمد بعيد	يؤديه إلى أجل قريب
فإن الموت يندبنا ويغي	نفوسا ليس تألم للذنوب
تسادي للترحل كل يوم	ولا تصغى الى الداعي القريب
كأن يقيننا بالموت شك	ونلغي الحق بالافك المريب
وشهر الصوم شاهده علينا	بأعمال القبائح والذنوب
فيارباه عفوامنك والطف	بفضلك للبحير والسكيب
وهذا الصوم لا تجعله صوما	يصيرنا الى نار اللهب
سلام الله ما هبت عليه	قبول أو شمال أو جنوب

عباد الله هذا أول الصوم قد أقبل عليكم بالمغفرة والرحمة ، فلا تصرفوه عنكم بالسخط
والنقمة . لأنه شهر عظيم ، زكى مبارك كريم ، من أطاع فيه الملك الجبار ، واتبع فيه السنة
والآثار ، غفر الله له ما قد سلف من الذنوب والاوزار ؛ وخلصه برحمته من عذاب النار ،
وأباحه بلطفه دار الرحمة والقرار ، مع مجاورة النبي محمد المختار ، صلى الله عليه وعلى آله
السادة الاخيار ، ومن عصى فيه الملك الفهار ، وخالف القرآن والآثار ، وعمل بأعمال
الفجار ، ولم يوقر شهرا عظمه الاله الستار ، غضب عليه مقدر الاقدار ، ولعننه كل شئ .
تختلج بالليل والنهار ، هكذا روى عن الصادق المصدوق محمد المختار ، قال الله الملك الجبار »

تقسيم الصوم

(يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) الصيام

(١) كذا وردت في الاصل ، ويترجح عندي أنها محرفة عن منيب أي تائب راجع ،
والانابة الرجوع .

ينقسم على أحد عشر ضرباً ، صيام الفرض (١) وصيام الظهار (٢) وصيام النفل (٣) وصيام الوطء في رمضان (٤) وصيام كفارة اليمين (٥) وصيام فدية الاذى (٦) وصيام التمتع والقران (٧) وصيام إفساد الحج (٨) وصيام كفارة قتل الصيد (٩) وصيام النوافل (١٠) وصيام النذر (١١) *

والايام المنهى عن صيامها ستة ، يوم الفطر ، ويوم الاضحية ، وثلاثة ايام بعد ايام التشريق ويوم الشك (١٢)

الصوم اللغوى

(يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام) الصوم ضربان ، صوم لغوى وصوم شرعى ، فالصوم فى اللغة هو الامساك وكل ممسك عن شئ فهو صائم . وذم اعرابى قوما فقال : يصومون عن المعروف ، ويفطرون على الفواحش . قال الله تعالى إخبارا عن مريم عليها السلام (فقولى لى نذرت للرحمن صوما) يعنى صمتا . يقال صام النهار إذا ارتفعت الشمس ويقال صامت الخيل وهو قيامها من غير علف ولا حركة . قال الشاعر :

خيل صيام وخيل غير صائمة تحت العجاج (١٣) وخيل تملك (١٤) اللجما
أي خيل تصهل وخيل لا تصهل *

صيام الجوارح

وكذلك حقيقة الصيام ترجع الى اللغة لان مامن جارحة فى بدن الانسان الا ويلزمه الصوم

(١) وهو صيام شهر رمضان (٢) الظهار هو قول الرجل لامرأته أنت على كظهر أمى
(٣) أى الانتقال من أى دين الى دين الاسلام (٤) هو كفارة عن هذه الخطيئة الشديدة
(٥) وهو ثلاثة ايام (٦) وهو خاص بالحاج إن ترك شيئا من اعمال الحج لمرض أو غيره (٧) من استمتع بجاريته أو تزوج فى الحج (٨) افساد الحج لاي سبب كان
(٩) قتل الصيد فى مكة أيام الحج (١٠) أى صوم النوافل مثل الستة أيام البيض وغيرها
(١١) من نذره لاي شئ (١٢) أى اليوم الذى يشك فيه هل هو من شعبان أم من رمضان فان لم يعتقد أنه من رمضان فانه يفطر فيه . (١٣) العجاج الغبار والدخان والمراد ميدان الحرب (١٤) تملك اللجما أى تمضعها ، والملك بالكسر هو الذى يمضغ .

في رمضان وفي غير رمضان ، فصوم اللسان ترك الكلام الا في ذكر الله تعالى ، وصوم السمع ترك الاصغاء الى الباطل والى مالا يحل سماعه ، وصيام العينين ترك النظر والغض عن محارم الله تعالى لان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من نظر الى امرأة نظرة حراما حشا الله عينيه يوم القيامة بمسامير من نار حتى يقضى الله بين الخلق ثم يؤمر به الى النار الا أن يتوب » وعلى كل نظرة لفحة من لفحات جهنم »

عقاب نظرة في الحرام

ذكر عن بعض الصالحين أنه نظر على وجهه لمعة سوداء فسئل عنها فقال : نظرت يوما الى امرأة فتابعته النظرة بأخرى ، فرأيت في المنام كأن القيامة قد قامت وقد نشر الخلائق في صعيد واحد وجيء بجهنم ونصب الصراط على منها وقال الله تعالى لي جز يا عبدي فاقترحت الصراط فخرج لسان من نار جهنم فأحرق وجهي فأثر فيه هذه اللبعة ، فقال الله تعالى يا عبدي نظرة بنظرة ولو زدت لزدناك . هذا في المنام من نظرة فكيف بمن تابع النظر ، ولم يغض البصر ؟ ! وصيام اليدين أن تقبضهما عما ليس لك بحق ولا ملك وأن لا تبسطهما الا بما هو لله عز وجل رضى . وصيام البطن أن تخمسه عن أكل الربا والحرام وعن أكل أموال اليتامى ظلما . وصيام القدمين أن لا تسعى بهما في غير طاعة الله عز وجل لانه قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من مشى في إفشاء عيب أو كشف عورة لمسلم كان أول خطوة يخطوها يضعها الله في النار ، وكشف الله عورته يوم القيامة على رؤس الاشهاد ثم يؤمر به الى النار . وصيام الفرج القعود عن الفواحش لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

عقوبة الزنا

« من زنى بامرأة يهودية أو نصرانية أو مجوسية أو مسلمة أو كآية من كانت من النساء فتح الله عليه في قبره ثلاثمائة باب من جهنم يخرج عليه منها حيات وعقارب من نار جهنم وشهب من نار فهي تحرقه وهو معذب بما يلتقي من حيات جهنم وعقاربها ويبعث يوم القيامة وهو يتأذى به الناس من ريح فرجه ثم يؤمر به الى النار وهو يؤذي أهل النار مع ما هم فيه من شدة العذاب » وقال صلى الله عليه وسلم : « من زنى بحليلة جاره المسلم لم يرح رائحة الجنة وان ريحها يوجد من مسيرة خمسمائة عام » وقال صلى الله عليه وسلم : « عفوا تعف

نساءؤكم» من فسد فسد به (١) ، وما من رجل زنى بامرأة الا سجلد بين يدي الله تعالى يوم القيامة ثمانين سوطاً من نار من بين يديه ومن خلفه ثم هو في مشيئة الله عز وجل *

آفات الزنا

وقال صلى الله عليه وسلم : « الزنا يورث صاحبه ست خصال ثلاث معجلات — يعني في الدنيا وثلاث مؤخرات — يعني في الآخرة — فأما التي في الدنيا فانها تذهب بالبهاء ، وتورث الفقر ، وتقصص العمر ، وأما التي في الآخرة فانها توجب سحق خط الله ، وسوء الحساب ، والدخول في النار . »

وقال صلى الله عليه وسلم : « مررت ليلة أسرى بي على أناس أمامهم موائد حسان وعليها لحم مشوى كأحسن ما يكون من الشواء ، وحولهم جيف أتنن ما يكون من الجيف وهم يأكلون في الجيف ويتركون الشواء ، فقلت حبيبي جبريل من هؤلاء ، قال : الزناة من أمتك يا محمد تركوا ما أحل الله لهم ، وأقبلوا على ما حرم عليهم ، فاليوم يطعمون بما يكرهون ، ويحرمون ما يشتهون » الأول انه لا أحد أغير من الله ومن غيرته حرم الفواحش وحد الحدود وكذلك من عمل عمل قوم لوط (٢) حشره الله يوم القيامة أتنن من الجيف يتأذى به أهل الجمع ، ثم يؤمر به إلى النار ، فاذا دخل النار أمر به فأدخل في تابوت من نار فيسمر عليه مسامير فوق صفائح التابوت حتى يشد في تلك المسامير ، فلو وضع ماعلى عرق من عروقه من الآلام والأوجاع على أربعمائة ألف أمة لما تواء جميعا ، وهو أشد من في النار عذابا . ومن تاب ورجع في حياته فان الله يغفر له ولا يسأله عن ذلك بعد وفاته . فهذا صيام الجوارح وهو فرض على كل مسلم أبد الدهر في رمضان وفي غيره .

فإن الله عباد الله صوموا بجوارحكم عن المنكرات ، واستعملوها في الطاعات تفوزوا بنعيم الابد في قرار الجنات ، والتمتع بالنظر إلى جبار الارض والسموات .

(١) قال الشاعر :

من يزن يزن به ولو بجداره إن كنت يا هذا لبيبا فافهم

(٢) وقد جاء في بعض الاخبار أن قوم لوط لم يكرنوا يستمتعون بالغلمان في أدبارهم كما يفعل هؤلاء الفساق بل كانوا يتخذون الغلمان مباهاة وتفاخرا فانزل الله عليهم أشد سخطه .

الصوم الشرعى

والصوم الشرعى هو الامساك عن الاكل والشرب والجماع بنية من قبل الفجر ، ويجوز صوم رمضان بنية فى أوله . فهذا حدالصيام فى اللغة والشرعية .

قال الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم) فيه أقوال كثيرة وأصحها ... ان المعنى فرض عليكم الصيام كما فرض على الامم الماضية التي سلفت من قبلكم ، قال مجاهد : هم أهل الكتاب *

روى عن سعيد بن جبير رضى الله عنه أنه قال فى قوله تعالى (كما كتب على الذين من قبلكم) أنه كان كتب عليهم إذا نام أحدهم قبل الاكل لم يطعم شيئاً الى الليلة المقبلة ؛ وحرم عليهم أن يقربوا النساء تلك الليلة ، ورخص الله تعالى فى ذلك لهذه الامة *

وقيل إشارة الله تعالى بقوله (كما كتب على الذين من قبلكم) الى الامم الخالية وهذه الآية مدح لامة محمد صلى الله عليه وسلم لان مامن أمة ولا نبى الا وقد فرض الله تعالى عليه وعلى امته صيام شهر رمضان ، فأمنت به هذه الامة وكفرت به سائر الامم . وقيل إشارة الله تعالى بهذا الى النصارى وكانوا قد فرض عليهم اذا نام أحدهم من بعد غروب الشمس حرم عليه الطعام والشراب وكان وطء النساء عليهم حرام حتى بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم رحمة لهذه الامة وفرض عليهم شهر رمضان ، فبقي الامر على تحريم الطعام والشراب بعد النوم ، وكذلك تحريم وطء النساء حتى وقع اربعون رجلاً فى الامر منهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، جامعوا نساءهم بعد النوم *

حكاية الانصارى

وجاء رجل من الانصار يكنى أبا قيس واسمه صرمة بن قيس من بنى النجار فعصى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة المغرب والعشاء ثم أتى منزله فقالت امرأته : على رسلك (١) حتى أسخن طعاماً صنعتته ، فذهبت ثم عادت اليه وقد نام من تعبته فقالت له : الخيبة الخيبة، حرم عليك والله الطعام والشراب فبات طاوياً (٢) ، وأصبح صائماً وعمل فى

(١) على رسلك بالكسر أى اتند على مهلك وهينتك . (٢) الطوى الجوع والطاوى الجائع

ارضه فاصابه من التعب ماغشى عليه فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم يهادى بين رجلين فقال له : « مالي أراك أبا قيس طليحا ؟ » والطلح هو الضعيف — وفي لغة أخرى هو التمايل — فأخبره بخبره فرق له رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دمعت عيناه ، وكانت قصة الانصارى أولا ، وكانت قصة عمرو الاربعين رجلا رضوان الله عليهم آخرا ، فانزل الله تعالى في قصة عمر وبدأ بها لان الجناح في الوطء هو اكثر منه في الاكل »

قصة عمر بن الخطاب وغيره

فأنزل الله في قصة عمر رضى الله عنه وفي الاربعين رجلا الذين وقعوا في الوطء هذه الآية (أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم) الى قوله (وابتغوا ما كتب الله لكم) وقال الله تعالى في قصة صرمة بن قيس (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم أتموا الصيام الى الليل) وهذه رحمة من الله تعالى لامة محمد صلى الله عليه وسلم . وقيل ان النصارى فرض عليهم صيام شهر رمضان في الانجيل فكانوا يصومون شهرا فرض ملك من ملوكهم فجعل عليهم إن أفاق أن يزيدوا فيه عشرة ايام ، فبرأ فزادوا فيه عشرة ايام فكانوا يصومون أربعين يوما ، فهلك ذلك الملك وجاء ملك آخر فاكل لحما فأوجع فاه فاشتكى فجعل عليه إن يرى يزيد فيه سبعة ايام فبرأ فزادوا فيه ، ثم انه هلك وجاء بعده ملك آخر فقالوا اجعلوه في حين لا حر ولا قر فحببهم الله تعالى عن فضل الشهر العظيم ، للاله الكريم الحكيم ، وجعلهم من اصحاب الجحيم ، وجعل ثوابهم لامة النبي الرؤوف الرحيم »

الاعرابي المجتهد

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه جاءه رجل من أهل نجد ثائر الرأس (١) يسمع دوى صوته ولا يفقه ما يقول ، حتى دنا فاذا هو يسأل عن الاسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خمس صلوات في اليوم والليلة » فقال هل على غير هذا ؟ فقال « لا إلا أن تطوع » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وصيام شهر رمضان » قال هل على غيره ؟ قال « لا إلا أن تطوع » وذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم الزكاة فقال له هل على غيرها قال « لا إلا أن تطوع » قال فأدبر الرجل وهو يقول والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه .

(١) ثائر الرأس أى أن شعره أشعث غير منظم

فقال النبي صلى الله عليه وسلم « أفلح إن صدق » (١)

ثواب الصيام

وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » فارغبوا رحمكم الله في هذا الثواب العظيم ، والمملك الجسمي ، وصوموا واحتسبوا ثوابه عند الرب الرحيم ، فإنه شهر أنزل فيه القرآن من عند الملك الرحمن على النبي محمد عليه الصلاة والسلام . فارغبوا في فضله ، وسارعوا إلى القيام بحقه يا أولى العقول والالباب ؛ ولا تعملوا أعمال من خالف السنة والكتاب فما تدرون أترون غيره أم لا .

فضل الصلاة على النبي

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أخبرني جبريل عليه السلام قال يا محمد من ذكرت عنده فلم يصل عليك فمات فلم يغفر الله له فدخل النار أبعد الله . فقال النبي صلى الله عليه وسلم آمين ؛ ثم قال جبريل عليه السلام من أدرك والديه أو أحدهما فلم يغفر له فدخل النار أبعد الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آمين ، ثم قال جبريل يا محمد من أدرك شهر رمضان فلم يتقبل منه فمات فلم يغفر له فيه فدخل النار فابعد الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آمين . فالله الله إياكم والموت أن يفجأكم وقد حيل بينكم وبين صيام غيره وقد فاز العاملون وخسر المبطلون .

صيام الدهر

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من صام رمضان وأتبعه بست من شوال فكأنما صام الدهر كله » . وفقنا الله وإياكم لأعمال البر برحمته . قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم) سماهم باسمه ورسمهم برسمه ، وشرفهم حين عرفهم فقال (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام) سهل عليكم بذلك موارد الخطاب . فلما أراد الله جل جلاله أن يكلفهم الصيام الشاق عليهم بدأ الله بأخض أسماء المؤمنين ، وأجل

(١) وفي رواية أخرى « أفلح الاعرابي إن صدق » والمراد بذلك والله أعلم إن صدق النية وأخلص في العمل وواظب على الفرائض بحضور قلب فقد أفلح .

صفات العارفين ، وأعلام المقام المحبين ، فقال (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام) ثم زاد بيانا فقال (أياما) ثم زاد بيانا فقال (معدودات) ثم زاد بيانا فقال (شهر) ثم بين أي شهر فقال (شهر رمضان) ثم بين ورقق ويسر فقال (كلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر) ثم بين تمامه فقال (ثم أتموا الصيام الى الليل) فكأنه سبحانه قال كتبت عليكم الصيام أياما في السنة ووعدتكم عليها المقام في الجنة ، كتبت عليكم الصيام شهرا ، ووعدتكم الثواب شهرا (١) دهر . كتب الله الصيام على عبده وكتب الرحمة على نفسه ، كتب الصيام أياما معدودات ، وكتب لكم على نفسه الحصول في الدرجات ، كتب عليكم أن تصوموا شهرا وكتب لكم بالحسنة عشرة *

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من صام رمضان في إنصات وسكون ، وكف سمعه وبصره ولسانه ويده وجوارحه عن الحرام والكذب والغيبة والأذى اقترب من الله تعالى يوم القيامة حتى تمس ركبته ركبة إبراهيم الخليل ولم يكن بينه وبين العرش إلا فرسخ أو ميل » شك عطاء بن يسار في هذا الحديث .

وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لو أذن الله عز وجل للسموات والأرض أن تتكلما لشهدتا لمن صام رمضان بالجنة » الإشارة في قوله تعالى (أياما معدودات) كأنه سبحانه يقول فريضتي عليكم معدودة ، وعطيتي لكم (غير) محدودة ، عبادتكم لي بارة ونعمتي عليكم بارة (٢) طاعتكم من الحين الى الحين ، وثوابي لكم أبد الآبدين . صيامكم لي من العام الى العام ، وإباحتي لكم من الجنة أحسن المقام . اعلوا عباد الله أن مولاكم جل جلاله حياكم بشهر الصيام ، وشرفكم بملة الاسلام ، وجعلكم من خير أمة أخرجت للناس ، بمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام . فلا تدنسوا شهركم بالافك والزور ، وأطيعوا مولاكم الكريم الغفور ، تفوزوا في الجنان بالولدان والخور *

التوبة في رمضان

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « للجنة ثمانية أبواب كلها تفتح وتغلق إلا باب التوبة فان الله تعالى قد وكل به ملائكة لا يغلقونه مادام الصائمون يهضمون *

(١) كذا في الاصل ولعل لفظة شهر الثانية زيادة . (٢) كذا وردت هذه اللفظة في

الاصل ومعناها بارة من البر والتمام

أحاديث عدة في فضل رمضان

وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « للجنة باب يقال له باب الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم ، يقال أين الصائمون ؟ فيقومون فإذا دخلوا غلق فلم يدخل منه أحد »

وروى عن أبي هريرة أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار ، وصفدت (١) الشياطين ونادى مناد يا باغي الخير هلم (٢) ، ويا باغي الشر أقصر »

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن لله ملكا رأسه تحت العرش — عرش رب العالمين — ورجلاه في تخوم الأرضين ، له جناحان أحدهما بالشرق والآخر بالمغرب أحدهما من ياقوتة حمراء ، والآخر من زبرجدة خضراء ينادى كل ليلة من شهر رمضان ، هل من تائب فيتاب عليه ، هل من مستغفر فيغفر له ، هل من طالب حاجة فيسعف بحاجته يا طالب الخير أبشر ، ويا طالب الشر أقصر وأبصر » . فأين أتم يا إخواننا من هذا النعم المقيم ، وهذا الثواب العظيم ، من عند الاله الكريم ؟ ثم اجتهدوا في هذا الشهر تسعدوا في باقى الدهر ، واجتهدوا في هذه الايام القليلة ، تفوزوا بالنعم الجزيلة ، والراحة الدائمة الطويلة . اجتهدوا في شهر رمضان تفوزوا بجنات الرضوان مع الحور الحسنان .

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أتاكم شهر رمضان شهر خير وبركة يغشاكم الله فيه بالرحمة ، ويغفر فيه الخطايا ، ويستجيب فيه الدعاء ، وينظر فيه إلى تنافسكم ، ويباهي بكم الملائكة ، فادوا فيه أنفسكم خيرا فإن الشقى كل الشقى من حرم فيه رحمة الله تعالى » . خالته الله عباد الله إياكم والحرمان ، والتماذى فى العصيان ، ولا ترضوا في أديانكم بالنقصان ، فى الشهر الفاضل شهر رمضان .

عظيم فضل رمضان

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لويعلم الناس ما لهم فى شهر رمضان لتمنوا

(١) التصفيد التقييد . ويريد قيدهم ومسجنهم (٢) هلم يارجل بمعنى تعال ويقال للواحد واجمع والمؤنث ، وفى القرآن الكريم (والقائلين لاخوانهم هلم إلينا)

ان تكون السنة كلها رمضان» فقالوا يا رسول الله حدثنا به فقال : « إن الجنة لتزين من الحول إلى الحول لدخول شهر رمضان ، فإذا كانت أول ليلة من رمضان هبت ريح من تحت العرش يقال لها المشيرة فتصفق ورق الجنان وخالق المصارح (١) فيسمع لذلك طنين (٢) لم يسمع السامعون أحسن منه ، فتزين الحور العين ثم يقفن بين شرف الجنة فينادين ، هل من خاطب لنا إلى الله فيزوجه ؟ ثم يقلن يا رضوان ماهذه الليلة ؟ فيجيبهن بالتلبية (٣) يا خيرات حسان ، هذه أول ليلة من شهر رمضان ، ففتحت أبواب الجنان للصائمين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، ويقول الله تعالى يا رضوان افتح أبواب الجنان للصائمين والقائمين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ولا تغلقها حتى ينقضى شهرهم هذا ، فإذا كان اليوم الثاني أوحى الله تعالى إلى مالك خازن النار يا مالك أغلق أبواب النيران عن الصائمين والقائمين من أمة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ولا تفتحها حتى ينقضى شهرهم هذا ، فإذا كان في اليوم الثالث أمر الله جبريل عليه السلام أن اهبط إلى الأرض فصعد مردة الشياطين وعتاة الجن وغلبهم في الاغلال ثم أقذف بهم في لجج البحار كي لا يفسدوا على أمة محمد حبيبي صيائهم ، فإذا غلقت في شهركم أبواب النيران ، وفتحت أبواب الجنان ، وصفد فيه الملعون الشيطان ، فأولى أن لا يسكنكم مولاكم دار العقوبة والهوان ، وأن يمنحكم بمنه وفضله دار الخلود والرضوان ، كما فضلنا بشهر التجاوز والغفران ، وهو الكريم المتفضل المنان *

الصيام والقرآن شفيعان

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام رب عبدك منعته الطعام والشراب والشهوات بالنهار شفعني فيه ، ويقول القرآن رب عبدك منعته النوم بالليل وتلاني وحرمت النوم من أجلى فشفعني فيه فيشفعان »
ويا أخي إذا كان شهر رمضان في القيامة شفيعا فكن لمولاك فيه عبدا سامعا مطيعا ، وليكن قلبك عن معصيته رفيعا (٤)

(١) كذا بالأصل وليس لذلك معنى ولعلها محرفة عن حلق المقارع (٢) الطنين صوت الذباب والطنست والبطلة ولعله يريد أن للاغصان وورق الشجر طنينا أى صوتاً جميلاً (٣) أى يقول لهن ليكن ومعناها أنا مقيم على طاعتك (٤) أى مترفعاً عن المعصية لارفيها ضد الغليظ

الصيام باب العبادة

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لكل شيء باب وباب العبادة الصيام » وإذا كان الصيام لعبادة الرحمن باباً فأولى أن يكون بينكم وبين النار حجاباً . أين من يدل على طريق السعادة ! عسى أصل بعد التقصان إلى الزيادة ، وألزم نفس الاجتهاد في العبادة . وأنشدوا :

أطير اليه منشور الجناح	الآخبر (٢) لمقترح النواح
سيدلى ما بقلبي من جراح	فأسأله والطفه عساه
بنور هدى كمنسلخ الصباح	ويجأو مادجا من ليل جهلى
نهانى الله من أمر المزاح	سأصرف همى بالكل عما
الى شهر العفاف مع الصلاح	إلى شهر الخشوع مع الخشوع
بدار الخلد والخور الملاح	يجازى الصائمون اذا استقاموا
وبالملك الكبير بلا براح	وبالغفران من رب عظيم
لهذا الشهر من قبل الرواح	فيا أحبانا اجتهدوا وجدوا
ويغفر زلتى قبل اقتضاحى	عسى الرحمن أن يمحو ذنوبى

فضل السحور

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « تسحروا فان الله يحب المتسحرين والملائكة تصلى على المتسحرين وتستغفر لهم »

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال . « لاتزال أمتي بخير ما عجلوا الفطر وأخروا

السحور »

ذكر في بعض الاخبار أن العبد المؤمن اذا قام في رمضان الى السحور فتوضأ وصلى ركعتين جعل الله تعالى خلفه سبع صفوف من الملائكة ، فاذا فرغ ودعا أمنوا على دعائه ، ويكتب الله تعالى له بعددهم حسنات ، ويرفع له في الجنة بعددهم درجات ، ويمحو عنه

(١) يقول هل من خبر عن مقترح النواح وهو الواعظ الذي يترك الناس متأثرين

بوعظه ليكون فان للقلب في البكاء راحة للنفس اطمئنان ، وفي الندم إنابة

بعددهم سيئات ، ثم لا يزالون يدعون ويستغفرون له الى يوم القيامة » فآله الله اغتسموا في هذا الشهر المكرم هذا الثواب المعظم ، ولا تقطعوا نهاره بالغيبة وقبح الكلام ، وتغفلوا في ليله عن طول القيام ، وتفطروا فيه على السحت والحرام . وتصوموا بخارحة واحدة وتهملوا سائر جوارحكم في المعاصي والآثام ، فاتقوا الله إن الله عزيز ذو انتقام . وأنشدوا :

أتعصى بعد شيب الرأس جهلا كما قد كنت تعصيه غلاما
أراك من التهاون لا تبالي ولا ترعي الصلاة ولا الصيام
وتفرج بالفطور ولا تبالي حالالا كان كسبك أم حراما

عباد الله اغتسموا بركة هذا الشهر العظيم ، المخصوص بالفضل والتكريم الذي بلغنا الله اليه بنى صحة من الاجسام ، وسلامة من عوارض الاسقام ، فالواجب على من عرف قدر هذه النعمة التي سوغها ، وفضل هذه الايام التي بلغها ، أن يحفظها من التخليط والالتباس ، وأن يكف أذاه عن جميع الناس ، وأن يحذر لغو الكلام ، ولا يبطل فضل الصيام عند الملك العلام .

شدة العقوبة في رمضان

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من سرق في رمضان أوزنا أو غصب أو انتك حراما أو شرب خمرا أو تعدى ظلما لم يتقبل الله منه صرفا ولا عدلا ولعنه هو وملائكته إلى مثله من الحول » . فكل من يؤذى في رمضان ويظلم على مثل ما قدم يقدم ويندم حيث لا ينفعه الندم . فكم من صائم عن الطعام مفطر بالكلام ، دائب على القيام مؤذ للانام ، فهو من لسانه وفعله موزور (١) وعلى صيامه وقيامه غير مأجور . أين من زاغ (٢) عن الهدى ، ودل على سبيل الردى ، بل أين من رأت الذنوب على قلبه ، ولم يبادر بالتوبة من ذنبه ، ولم يخف من عذاب ربه ، ويحك يا مسكين اغنم شهر رمضان المتضمن بالرحمة والغفران وانظر لنفسك يا مسكين قبل أن تصل إلى حلقك السكين ، وانتبه من نومك يا مغرور فان ربك كريم غفور . إلى أي وقت تعانق حوبتك ، ولأي يوم تؤخر توبتك ، إلى حول حائل أو إلى عام قابل ، كلا والله ما إليك الاقدار ، ولا بيدك المقدار ، لعلك إذا انتقضى عنك شهر الصوم ، لم يبق من عمرك إلا يوم (٣) يا هذا إذا أنت صمت فلتصم جوارحك كلها ، بطنك من الحرام ، ولسانك من قبح الكلام ، وبصرك ويدك وسمعك من الاجرام ، واكتساب الآثام .

(١) أي فوّه الاوزار وهي الآثام (٢) الزاغ الميل ، وزاغ البصر كل والشمس مالت

(٣) انظر رحمك الله الى رقة المؤلف في عظته وكيف يسترق الافئدة والقلوب .

كف الجوارح عن الشرور

عباد الله ينبغي لمن أصبح صائماً أن يقول للسانه إنك اليوم صائم من الكذب والتميمة، وقول الزور والباطل والغيبة، ولعينيه إنك اليوم صائم عن النظر إلى ما لا يتحل لك، وللأذنين إنك اليوم صائم عن الاستماع إلى ما يكره ربك، ولليدين إنك اليوم صائم عن البطش فيما حرم عليك من الغش في البيع والشراء والاخت والعطاء، وللطن إنك اليوم صائمة عن المطعم فانظري على ماذا تفطري وتجنبي المطعم الخبيث الذي تدعين إليه فان الله طيب ولا يقبل الا الطيب، وللقدمين إنك اليوم صائم عن السعي إلى ما يكتب عليك وزره ويبقى قبلكما تباعته وإثمه. ومن وقف لهذا وصبر عليه فقد أوفى بعهد نبيه صلى الله عليه وسلم إليه. ومخاطبة ابن آدم لجوارحه بما تقدم وصفه يجب على العبد استعماله أيام صومه وغيرها مادام حياً، هكذا كلما أصبح صباح أو أقبل مساء وفقنا الله وإياكم لاستعمال ذلك وأمثاله بتوبة صادقة مخلصه عاجلة بكرمه. فالله عباد الله امثلوا في هذا الشهر المكرم وفي غيره أوامر الله تعالى واتقوا عن نواهيه *

أصل رمضان في اللغة

قال الله تعالى: (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) فما جعله هدى فلا يكون ضلالة؛ وما جعله بياناً فلا يكون جهالة؛ وما ضعف فيه الأجر فلا تجعلوه بطالة *

شهر رمضان، قيل سمي شهر رمضان لشدة الحر فيه، وقيل أخذ من حرارة الحجارة لما يأخذ القلوب من حرارة الموعظة والفكرة والاعتبار بأمر الآخرة. قال الخليل: (١) الرمضاء الحجارة الحارة، ورمض الإنسان إذا مشى على الرمضاء، فسمى رمضان بذلك لأنه يرمض الذنوب أي يحرقها، وقيل سمي بذلك لأنه شهر يغسل الأبدان غسلاً، ويطهر القلوب تطهيراً. وهو مأخوذ من الرمض وهو مطر يأتي قبل الخريف. وقيل رمض ورفض بمعنى واحد وهو من الحروف المتعاقبة، يرفض قوماً إلى محل القرية والزلفى، ويرفض آخريين إلى

(١) هو الخليل بن أحمد الفراهيدي صاحب كتاب العين في اللغة توفي ولم يكمله وفقد الكتاب ولم يبق منه الا شذرات متفرقة في مكاتب أوربا وهو أول من وضع علم العروض

محل البعد والسخط . وقيل سمي شهراً لشهرته ، وهو شهر الايقان ، وشهر القرآن ، وشهر الاحسان ، وشهر الرضوان ، وشهر الغفران ، وشهر إغاثة اللهقان ، وشهر التوسعة على الضيقان ، وشهر تفتح فيه أبواب الجنان ، ويصفد (١) فيه كل شيطان ، وهو شهر الامان والضمان . شهر يخفف فيه عن المماوك . تزهر فيه القناديل ، وينزل فيه بالرحمة جبريل ، ويتلى فيه التنزيل ، ويسمى فيه للمسافر والعليل ، شهر رمضان للعباد مثل الحرم في أم البلاد (٢) الحرم يمنع منه الدجال اللعين ، ورمضان يصفد فيه مردة الشياطين . شهر رمضان في الدنيا ، مثل الجنان في العقي ، سدر مخضود ، وطلح منضود ، وظل ممدود ، وملكه خلود ، متصل ليس يبيد ، وفي رمضان بذل المجهود ، ورضى طلب المعبود ، وحفظ الحدود ، واطهار السكرم والجود . أقبل الصوم يا مسكين ، وكلنا مساكين ، وأنت عاكف على ما يسخط الجبار ، مصر على الآثام والاوزار ، عامل بأعمال اهل النار ، متشبه بالناسك والاخيار ، وأنت في جملة الفساق والفجار ، وقد اطلع على شرك وضميرك عالم الضمائر والاسرار . وشهر الصوم شاهد عليك ، والملائكة تلغلك والله لا ينظر اليك ، وهو جل جلاله باعراضك عن الطاعة معرض عنك غاضب عليك ، فلا تجعل أيها الصائم شهرك هذا كسائر الشهور . والله سبحانه ينظر من عبده اذا لم ير أثراً لشهر رمضان من ملكه لجوارحه ، يقول جل جلاله هذا غبدي لا يعرف لشهري هذا فضلاً ، وأنا لا أعلم الآن له عندي فضلاً *

عظة بليغة

أفُق يا ذا الغنى والمحال ، واستيقظ يا ذا السهو والاغفال ، وانتبه من السكرات الطوال . أترضى يا مسكين أن يرد صومك في وجهك من غير قبول من الله ؟ ألتستحسن أن تكون جائعاً عطشان وليس لك جاه عند الله ؟ أين النية المجردة ، أين التوبة المجددة ، أين الندامة المؤكدة ، أين الحلال من الطعام ، أين اجتناب الطعمة الحرام ، أين حجر الاوزار والآثام أين الرحمة لذوي الفقر والضعفاء والايتام ، أين الاخلاص للملك العلام ، أين التزام شريعة الاسلام ، أين الاسوة بالنبي عليه الصلاة والسلام ؟ انظر يا مسكين إذا قطعت نهارك بالعطش والجوع ، وأحييت ليلك بطول السجود والركوع ، إنك فيما تظن صائم ، وأنت في جهالتك

(١) صفده شدة ، والصفد والصفاد ما يوثق به الاسير من قيد وقيد وغل ، والاصفاد القيود

(٢) أم البلاد هي مكة ويقال أم القرى والحرم هو البناء الذي فيه الكعبة المشرفة .

جازم ، وفي صلاتك دائم ، وفي بحار سكراتك شائم . أين أنت من التواضع والخشوع ، أين أنت من الذلة لمولايك والخضوع ، أتحسب أنك عند الله من أهل الصيام والأمان الفائزين في شهر رمضان ؟ كلا والله حتى تخلص النية وتجردها ، وتطهر الطوية وتجودها ، وتجتنب الاعمال الدنية ولا ترددها ، وتكثر البكاء والحسرة ، وتسيل الدموع والعبرة ، وتازم الفكرة والعبرة ، وتسال مولايك إقالة العثرة ، فحيثما يكون صيامك لك من الذنوب شفاء ، ومن العيوب سترة . وجلبا با . أين الصائمون ، أين القائمون ، أين الطائعون ، أين العاملون ، أين السابقون ، أين الخاشعون ، أين الذاكرون ، أين القائتون ، أين الصادقون ، أين الصابرون ، أين المتصدقون ، أين الآمرون بالمعروف ، أين المنغيثون للملأوف ، أين الناهون عن المنكر ، أين المستشعرون للفكر ، أين السامعون للعبر ، بادوا والله مع الصالحين ، وانقلبوا مع المؤمنين ، ونزلوا مع النبيين ، وسكنوا مع الصديقين ، وبقينا والله مع الجاهلين ، وسكننا مع الفاسقين وتأسينا بالغافلين ، واصطلحنا على معصية رب العالمين . فصيامك يمسكين في وجهك مردود وأنت عن رشدك مغيب مفقود ، وعن صلاحك ونجاحك غير موجود ، وأنت عن باب مولايك مبعد مطرود ، وأعمالك بالفسق موصولة ، وجوارحك للخصيان مبذولة ، والفاظك في الغيبة مجعولة ، وعزيمتك للطاعة محمولة ، وعبادتك في هذا الشهر غير مقبولة ، وفرائض مولايك بالمعاصي مهمولة . وأنشدوا :

الصوم جنة أقوام من النار والصوم حصن لمن يخشى من النار
والصوم ستر لأهل الخير كلهم الخائفين من الاوزار والعار
والشهر شهر آله العرش من به (رب) (١) رحيم لثقل الوزر ستر
فصام فيه رجال يربحون به ثوابهم من عظيم الشأن غفار
فأصبحوا في جنات الخلد قد نزلوا من بين حور وأشجار وأنهار

فهنيئاً لمن أطاع الملك الرحمن ، في شهر الرحمة شهر رمضان ، لقد فاز بالخور والولدان في دار السلام والرضوان . صبروا الايام القليلة ، فأعقبهم الراحة الطويلة ، والنعمة الجزيلة كلما تعودت من الخير وما تعمل في هذا الشهر ، جوزيت الى آخر العمر ، فان الخير عادة ، والشر حاجة . أين أنت يا صائم يا قائم ، أقبل على الخير تفوز بسرور دائم . تاجر مولاي فانك

(١) لم ترد هذه اللفظة بالأصل ولا يستقيم الوزن إلا بها .

ترجع وعامله فانك تفلح ، واعتذرا ليه فانه يقبل عذرك ، واستغفره فانه يغفر ذنبك ، وارغب اليه فانه يكشف كربك ، واسأله من فضله فانه يوسع رزقك ، وتب اليه فانه يعظم حظك يا أخى هذا شهر تستر فيه القبائح والعيوب ، وتلين فيه النفوس والقلوب ، وتغفر فيه الاوزار والذنوب ، وينفس الله عن الحزين المسكروب ، يقول المولى جل جلاله للملائكته ياملائكتي انظروا الى الالسن اليابسة كيف تبتل بذكرى ، انظروا الى الاحداق (١) الصلبة كيف تدمع من خوفا ، انظروا الى الاقدام المنعمة تنصب في المحاريب ابتغاء وجهي يا أخى متى أطعمت في هذا الشهر لله رب الارض والسماوات رفعت الى الدرجات العالية في قرار الجنات ، وحصلت مع مولاك مكسيا من الحسنات عريانا من السيئات *

تقسيم الصوم والصائمين

والصوم ثلاثة ، صوم الروح وهو قصر الامل ، وصوم العقل وهو مخالفة الهوى . وصوم الجوارح وهو الامساك عن الطعام والشراب والجماع . يا أخى من صام عن الطعام والشراب فصومه عادة ، ومن صام عن الربا والحرام وأفطر على الحلال من الطعام فصومه عدة (٢) وعبادة ، ومن صام عن الذنوب والعصيان وأفطر على طاعة الرحمن فهو صائم رضى ، ومن صام عن القبائح وأفطر على التوبة لعلام الغيوب فهو صائم تقى ، ومن صام عن الغيبة والبهتان وأفطر على تلاوة القرآن فهو صائم رشيد ، ومن صام عن المنكر والاغيار وأفطر على الفكرة والاعتبار فهو صائم سعيد ، ومن صام عن الرياء والاتقاص وأفطر على التواضع والاخلاص فهو صائم سالم ، ومن صام عن خلاف النفس والهوى وأفطر على الشكر والرضا فهو صائم غانم ، ومن صام عن قبيح أفعاله وأفطر على تقصير آماله فهو صائم مشاهد ، ومن صام عن طول أماله وأفطر على تقريب أجله فهو صائم زاهد . قال الله تعالى (فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر) يا أخى هذه رحمة مولاك رضى أن ينقص من حقه لئلا ينقص من نفسك وهذه غاية اللطف من مولاك . رخص لك أن تفطر الايام الطوال بالعذر ، ورخص لك أن تفطر متتابعاً ، وتقضى إن شئت متفرقا ليسهل عليك ، وتصوم الايام القصار عوضاً عن الايام الطوال ، وهذا الرفق *

(١) حذقة العين سوادها الاعظم وجمعها حذاق . (٢) أى عدة لهم من النوائب ، وفي الحديث « الصوم جنة » . أى وقاية من الشر وغواية الشيطان .

تمثيل الشهور كاخوة يوسف

قيل الشهور الاثني عشر كمثل أولاد يعقوب عليه وعليهم السلام . وشهر رمضان بين الشهور كيوسف بين إخوته ، فكأن يوسف أحب الأولاد إلى يعقوب ، كذلك رمضان أحب الشهور إلى علام الغيوب *

نكت في ذلك

نكتة حسنة لامة محمد صلى الله عليه وسلم ، إن كان في يوسف من الحلم والعفو ما غمر (١) جفاهم حين قال (لا تثريب (٢) عليكم اليوم) فذلك شهر رمضان فيه من الرأفة والبركات والنعمة والخيرات ، والعفو من النار ، والفقران من الملك القهار ، ما يغلب جميع الشهور ، وما اكتسبنا فيه من الآثام والاوزار *

نكتة حسنة ، الإشارة فيه جاء إخوة يوسف معتمدين عليه في سد الخلل ، وإزاحة العلل بعد أن كانوا أصحاب خطايا وزلل . فأحسن لهم الانزال ، وأصلح لهم الاحوال ، وبلغهم غاية الآمال ، وأطعمهم في الجوع ، وأذن لهم في الرجوع ، وقال لفتيانہ اجعلوا بضاعتهم في رحلهم لعلهم يعرفونها ، فسد الواحد خلال أحد عشر . كذلك شهر رمضان واحد والشهور أحد عشر وفي أعمالنا خلل وأي خلل (٣) ، وتقصير وأي تقصير ، وتفريط في طاعة العلم الخبير . ونحن نرجو أن تتلافى (في) شهر رمضان ما فرطنا فيه في سائر الشهور ، ونصلح فيه فاسد الامور ، ويحتمه علينا بالفرح والسرور ، ونعتصم فيه بحبل الملك الغفور . إن شاء الله تعالى بمنه واحسانه ، وعفوه وغفرانه ، إنه سميع بصير ، وهو نعم المولى ونعم النصير *

أولاد يعقوب ورمضان

وإشارة أخرى ، كان ليعقوب أحد عشر ولدا ذكورا وبين يديه حاضرين ينظر اليهم ويراهم ويطلع على أحوالهم وما يبدو من أفعالهم ، ولم يرتد بصره بشيء من ثيابهم ، وارتد بقميص يوسف بصيرا ، وصار بصره منيرا ، وصار قويا بعد الضعف ، بصيرا بعد العمى (٤) فكذلك

(١) غمر جفاهم أي علاه والغمم الكثير . (٢) التثريب الاستقصاء في اللوم . وتشديده (٣) الخلل الفساد في الامر . (٤) يؤخذ من كلام المؤلف أن يعقوب عليه السلام كان

المذنب العاصي اذا شم روائح رمضان ، وجلس فيه مع المذكرين وقرأ القرآن ، وصحبه
بشرط الاسلام والايمان ، وترك الغيبة وقول البهتان ، يصير إن شاء الله مغفورا له بعد
ما كان عاصيا ، وقريبا بعد ما كان قاصيا ، ينظر بقلبه بعد العمى ، ويسجد بقربه بعد الشقا ،
ويقابل بالرحمة بعد السخط ، ويرزق بلا مؤونة ولا تعب ، ويوفق طول حياته ، ويرفق
بقبض روحه عند الوفاة ، وينצל بالمغفرة عند اللقاء ، ويحظى في الجنان بدرجات الالتقاء .
فإن الله اغتنموا هذه الفضيلة ، في هذه الايام القليلة ، تعقبكم النعمة الجزيلة ، والدرجة الجليلة
والراحة الطويلة إن شاء الله . هذه والله الراحة الوافرة ، والمنزلة السائرة ، والحالة الرضية ،
والجنة السرية ، والنعمة الهنية ، والعيشة الرضية ، لاتال الا بالوقار ، لهذا الشهر الذي عظمه
الجبار ، وفضل به محمد المختار ، ومن لا يوقره كان مصيره الى النار *

رمضان في القيامة

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال بمنى : « إذا كان يوم القيامة بينا أنا واقف عند
الميزان فيؤتى بشاب من أمتي والملائكة يضربونه وجها ودبرا ، فيتعلق بي ويقول يا محمد
المستغاث المستغاث بك ، فأقول يا ملائكة ربى ما ذنبه ؟ فيقولون أدرك شهر رمضان فعصى الله
فيه ولم يتب فأخذه الله فجأة ، فأقول هل قرأت القرآن ؟ فيقول تعلمته وأنسيته ، فأقول بئس
الشاب بئس الشاب أنت ، فلا هو يتركنى ولا الملائكة يتركونه ، ثم أشفع له من الله تعالى
فأقول الهى شاب من أمتى ، فيقول الله تعالى إن له خصما قويا يا أحمد ، فأقول ومن خصمه
يا رب حتى أرضيه ؟ فيقول الله تعالى خصمه شهر رمضان ، فأقول أنا برىء ممن خصمه شهر
رمضان ، ومن يشفع لمن لم يعرف حرمة رمضان ؟ فيقول الله تعالى وأنا برىء ممن أنت برىء
منه ، فينطلق به الى النار » فأن الله عباد الله لا تهونوا شهرا عظم الله حرمة وأوجب حقه
وقد فضلكم به عن سائر الايام ، وهو هدية من الله تعالى اليكم ، وكرامة تفضل بها عليكم
ليغفر لكم ذنوبكم ، ويستتر عن النار عيوبكم ، ويغشيكم منه الرحمة ، ويرفع عنكم فيه النعمة ،
ويفضلكم بجزيل النعمة ، ويشرح صدوركم بنور الحكمة *

أعمى . مع أن الانبياء عليهم السلام محال عليهم العاهات مثل العمى وغيره ، بل كان الذى أصاب
عينيه غشاء من كثرة البكاء وفيض الدموع فكانت كأنها بيضاء لاسواد فيها أو لامتلائها بالدمع

خسران العاصي في رمضان

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « سمعت جبريل يقول سمعت الله عز وجل يقول يؤتي بشاب يوم القيامة با كيا حزينا والملائكة تسوقه بمقامع من حديد من نار وهو يقول : الامان الامان الامان الف سنة ولا امان له ، ثم يساق فيوقف بين يدي الله تعالى فيأمر الله تعالى ملائكة العذاب أن تسجبه على وجهه الى النار ، قلت يا جبريل من هو ؟ قال شاب من أمتك ؟ قلت وما ذنبه ؟ قال أدرك شهر رمضان (٩) فعصى الله فيه ولم يستغفر الله ولم يتب اليه كي يغفر الله له فأخذه الله بغتة » فإله عباد الله اسمعوا بأذانكم وتدبروا بقلوبكم فاعمل الله بيلغكم مرغوبكم ، ويغفر العظيم من ذنوبكم . هذا شهر كريم وثوابه كريم والموقر له عند الله كريم ، يكرمه الله بجنات النعيم ، والمستخف بحقه عند الله لئيم ، مأواه في قرار الجحيم ، مع الشيطان الرجيم *

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يؤتي يوم القيامة بشهر رمضان والناس في الموقف فيقولون من هذا ؟ نبي أم رسول أم ملك ؟ ما رأينا مثل هذا ولا مثل جماله وحسنه ! ! فيقوم بين يدي الجبار جل جلاله فيقول : من كان له قبلي حق فليقم ، فيقولون من أنت ؟ فيقول أنا رمضان ، قال النبي صلى الله عليه وسلم فتقوم أمتي اليه وييده قضبان من نور تضيء ما بين المشرق والمغرب ، فمنهم من يعطي قضيبا يضيء له مسيرة شهر ، وآخر يضيء له مسيرة جمعة ، وآخر مسيرة يوم ، وآخر مسيرة ساعة ، وآخر موضع قدميه ، فمن شاء فليوقره ومن لا يوقره فيسام عذابا يصيبه عند الانوار من الحسرة والندامة » فيامعشر أهل رمضان وقرؤا شهرا تنعموا فيه دهرا ، ووقروا الخطر اليسير تجازوا بالملك الكبير ، ووقروا الايام القلائل تصيروا الى الكرامة والفضائل ، وقرؤا اليسير من الايام تنظرون الى وجه ذي الجلال والاكرام *

موعظة للحسن البصري

روى أن الحسن البصري مر بقوم يضحكون فوقف عليهم وقال . إن الله تعالى قد جعل

(١) ليس المراد أنه لم يدرك إلا شهرا واحدا بل المراد أنه كان يدرك شهر رمضان من كل عام وهو رشيد مكلف فيستهتر به ولا يقوم بفرائضه حق القيام فليت شبانا يفهمون ذلك .

شهر رمضان مضمارا لخلقه يستبقون فيه بطاعته ، فسبق أقوام ففازوا ، وتخلف أقوام فخابوا
 فالعجب للمضاحك اللاعب في اليوم الذي فاز فيه المسارعون ، وخاب فيه البطالون ، أما والله
 لو كشف الغطاء لاشتغل المحسن باحسانه ، والمسيء باساءته . فآله الله عباد الله اجتمعوا أن
 تكونوا من السابقين ولا تكونوا من الخائبين ، في شهر شرفه رب العالمين . فآله الله اصرفوا
 ضيفكم رمضان بالكرامة ، واحرصوا فيه على طلب طريق الاستقامة ، إلى أن يقضى بكم
 إلى دار الكرامة ، والخلد والمقامة ، وسرمد (١) العز والكرامة ، وينجيكم من هول
 يوم الطامة *

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أحب الصلاة إلى الله عز وجل صلاة داود
 عليه الصلاة والسلام ، وأحب الصيام إلى الله تعالى صيام داود عليه السلام ، كان ينام من
 الليل نصفه ، ويقوم ثلثه وينام سدسه ، وكان يصوم يوما ويفطر يوما » .

الصيام باب العبادة

روي عن كعب الاحبار رضى الله عنه أنه قال : ليس في العبادات أفضل من الصيام لانه
 باب العبادة (٢) . وقد جعل الله تبارك وتعالى هذا الشهر العظيم كفارة للذنوب العظيم وليس
 في الذنوب إلا العظيم ، لا تنسا إنما نعصى بها الرب العظيم . وقد قالوا لا تنظر إلى صغير ذنبك
 ولكن انظر من عصيت ! تاب الله علينا حتى لا نعصيه . فآله الله عباد الله غضوا أبصاركم
 في هذا الشهر العظيم وفي غيره عن النظر إلى المحظورات ، واحبسوا ألسنتكم عن أخذ أعراض
 المسلمين والمسلمات ، وأكثروا فيه من الصدقة على أهل المسكنة من ذوي الحاجات ،
 وقوموا في لياليكم فيه بكثرة الصلوات ، واسكبوا من أعينكم واكف العبرات ، وتضرعوا إلى
 الله في إقامة العثرات . عساه يبدل سيئاتكم بالحسنات .

فإن قيل ما الحكمة في فرض شهر رمضان ؟ ففيه أقوال ، أحدها أن الله تعالى أمرنا أن
 نصوم فيه ونجوع لأن الجوع ملاك السلامة في باب الأديان والابدان عند الأطباء والحكماء .
 وقيل ماملاً ابن آدم وعاء شر من بطنه ؛ والحكمة ملك لا يسكن إلا في بيت خال .

(١) السرمد الدائم (٢) ليس المراد أن العبادة لها باب وسلم وإنما يريد أن من صام يهون
 عليه باقى العبادة من صلاة وزكاة وحج لأن الصيام أشدها على النفس وأعلق بتهذيبها .

فضل الجوع

روى عن يحيى بن معاذ رضى الله عنه أنه قال : من شبع من الطعام عجز عن القيام ، ومن عجز عن القيام اقتضح بين الخدام ، وإذا امتلأت المعدة رقدت الاعضاء عن الطاعات ، وقعدت الجوارح عن العبادات . (١) وأنشدوا :

تجوع فإن الجوع يورث أهله عواقب خير عمها الدهر دائم
ولا تلك ذا بطن رغب وشهوة فتصبح في الدنيا وقلبك هائم
وروي عن ذى النون المصري رحمه الله تعالى عليه أنه قال : تجوع بالهار وقيم بالاسحار
ترعجها من الملك الجبار *

وروى عن يحيى بن معاذ رضى الله عنه أنه قال : لو كان الجوع يباع في السوق لكان المرید محقوقا إذا دخل السوق أن لا يشتري شيئا غيره ، والله تعالى قد فضلكم بدين الاسلام ، ومن عليكم بشهر الصيام ، والله أعلم . وأنشدوا :

وربك لو أبصرت يوما تتابع عزائمهم حتى لقد بلغوا الجهدا
لا بصرتهم قد حاربوا النوم وارتدوا بأردية السهاد واستعملوا السكدا
وصاموا نهارا دائما ثم أفطروا على بلغ الاقراة واستقربوا البعدا
أولئك قوم حسن الله فعلهم وأورثهم من حسن فعلهم الخلدا
قيل أمرهم المولى جل جلاله بالصيام لانه ليس على أهل النار شيء أشد من الجوع
وذلك أن الله تعالى يلقي عليهم حتى ينسوا كل العذاب من شدة الجوع . فيستطعمون مالك خازن
النار فيأتيهم بطعام الغصة كما قال الله تعالى (إن لدينا أنكالا وجحيجا وطعاما ذاغصة وعذابا
أليما) فيعبر في حلوقهم فيقولون إنا كنا نبتلع الغصص في الدنيا بالماء فيستسقون المهل (٢) .
كما قال تعالى (وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل) الآية . فأمر الله تعالى أمة محمد صلى الله عليه
وسلم بصيام هذا الشهر ليصرف عنهم ذلك الجوع ، وكذلك أمر الله تعالى بصيامه سائر الامم .

(١) لأن المعدة إذا امتلأت جذبت إليها أكبر كمية من الدم حتى يحس الانسان ببرود
أطرافه لذلك حينئذ تفتقر همته ويطلب جسمه الراحة بخلاف ما لو كان جائعا . (٢) المهل
قيل النحاس المذاب وقيل دردى الزيت وهو عكارتة وهو حار يشوى الوجوه

فأمنت به هذه الامة وكفرت به سائر الاعمى ، وهذا من لطف الله تعالى على أمة محمد صلى الله عليه وسلم . وأنشدوا :

إذا المرء لم يترك طعاما يحبه ولم يعص قلبا غاويا حيث يما
قضى وطرا منه يسيرا وأصبحت إذا ذكرت أمثاله تملأ الفها

وقيل فرض عليهم صيام شهر رمضان لان الزهد زهدان ، زهد فى الحلال وزهد فى الحرام وأشرفها الزهد فى الحلال ، فأمرهم الله تعالى بصوم هذا الشهر حتى يعطيهم ثواب زهد الحلال والحرام . وقيل أراد الله تعالى بذلك انتباه الاغنياء ليعلموا حال الفقراء فيصوموا معهم وقيل حتى يذكروا بشدة الصوم شدة القيامة لانه ليس على أهل القيامة أشد من الجوع ، ولعلموا أنه إذا كانت فى طاعة الله تعالى شدة ، فان الجوع فى النار أعظم شدة (١) . قاله الله عباد الله اجتهدوا فى حفظ هذا الشهر العظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين ، يوم يفوز فيه الصائم ، ويحشر فيه المتأنى المتهاون الظالم ، إذا عرضت عليه الاوزار والجرائم ، وانتهاك المحذورات والمحارم *

سبب فريضة الصيام

فان قيل لم فرض رمضان ثلاثين يوما ؟ فالجواب ، إنه قيل إن الوقوف على الصراط ثلاثين سنة فاذا صمت ثلاثين يوما أعانك الله فى الموقف بالعاية والسلامة والسعادة والكرامة ثلاثين سنة . قاله الله جدوا واجتهدوا فى هذا الشهر بلا إفراط ، وخذوا لأنفسكم بالاحتياط ، واحذروا من المكث الطويل على الصراط *

رمضان رسول من الله

قيل مثل هذا الشهر كمثّل رسول أرسله سلطان إلى قوم ، فان أكرموا شأنه ، وعظّموا مكانه ، وشرفوا منزلته ، وعرفوا فضيلته ، رجع الرسول إلى السلطان شاكرًا لافعالهم ، مادحا لأحوالهم ، راضيا لأعمالهم ، فيحبهم السلطان على ذلك فيحسن اليهم كل الاحسان . وإن استخفوا برعايته ، وهونوا لعنايته ، ولم ينزلوه منزلته من الاكرام ، وفعلوا به فعل اللئام (١) وجدير بمن كان طعامه الغسلين والمهل أن يجوع أشد الجوع لانه يعذب به مثل بقية أصناف العذاب لأجل أن يطلب الطعام فلا يستمرئه والشراب يسيغه والعياذ بالله .

غير رجع الرسول إلى السلطان وقد غضب عليهم من قبيح أفعالهم ، وسيء أعمالهم ، فيغضب السلطان لغضبه . كذلك يغضب الله سبحانه وتعالى على من استخف بحرمة شهر رمضان . فيأياها الانسان هذا شهر رمضان ، شهر التوبة والغفران ، وهو رسول من عند الملك الديان ، فمن أكرمه منكم حقيقة الا كرام ، وحفظ فيه لسانه من قبيح الكلام ، وبطنه من أكل الربا والحرام ، وأموال الارامل والايام ، غفر له الملك العلام ، وأدخله الجنة مع محمد عليه الصلاة والسلام .

أحاديث في فضل الصيام

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مامن مؤمن يصبح صائماً إلا فتحت له الجنة ، واستغفر له أهل السماء الدنيا حتى يتوارى بالحجاب (١) فان صلى ركعتين تطوعاً أضاءت له السموات نورا ، وإن سبج وهمل تلقاه سبعون ألف ملك يكتبون تسيحه إلى أن يتوارى بالحجاب . فالله الله عباد الله ، يا أهل الذنوب ، يا أهل المعاصي والعيوب ، يامن عصى مولاه علام الغيوب ، اعملوا في بقية شهركم ليوم وفاتكم (٢) وفقركم ، إذا وقفتم بين يدي ربكم »

روى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا دخل شهر رمضان : « إن الله فرض عليكم شهر رمضان ، وسنت لكم قيامه ، فمن صامه وأقامه إيماناً واحتساباً خرج من الذنوب كيوم ولدته أمه » وقال في حديث آخر : « ومن صامه وأقامه إيماناً واحتساباً وجبت له الجنة » فالتفتوا إليه فيما رغبكم فيه نبيكم وما عرفكم به من ثواب ربكم ورحمته عسى أن يغفر لكم ربكم ويتقبل منكم سعيكم *

روى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا دخل رمضان : « مرحباً بالمطهر » قالوا يا رسول الله وما المطهر ؟ قال : « مطهر من الذنوب والخطايا » اللهم اكتب لنا فيه براءة من النار ، وشريعة من الايمان . فالتفتوا إليه تطهروا من ذنوبكم للحلول في جوار ربكم ، واحفظوا العهود في صيام شهركم فأدوا زكاة فطركم .

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من صام رمضان ولم يؤد زكاة الفطر كان

(١) المعنى حتى يمسي عليه المساء وتغيب الشمس (٢) كذا بالاصل ولعلها يوم فافتكم

وفقركم .

صيامه معلقا بين السماء والأرض حتى يؤديها « فالله الله عباد الله اتبعوا ما أمركم به النبي الرسول ، واطيعوا ربا لا يحول ولا يزول ، ولا تغيره الايام ولا الدهور ، لا إله إلا الله هو العزيز الغفور *

١٤ - مجلس في تحريم الخمر وما جاء فيها

قال عبد الملك بن حبيب رحمه الله : ذكر الله سبحانه وتعالى الخمر في كتابه في ثلاث آيات قدمها في الاثنتين وحرّمها في الثالثة . فالاثنتان الاولتان منسوختان ، والثالثة الناسخة ، وذلك أنها كانت تشرب في أول الاسلام حتي نزل تحريمها بالمدينة وبعد الهجرة ، فالناسخة قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) فهذا تحريم ، وكذلك نهى الله في كتابه كله تحريم في كل ما نهى عنه ، كما كل ما أمر به فرض مفترض (١) ألا ترى أنه قرن تحريم الخمر بالانصاب وهي الاصنام التي كانت تعبد من دون الله ، وقد قال تعالى في آية أخرى (فاجتنبوا الرجس من الاوثان) فقد قرن في نهيه بين الخمر والاصنام التي كانت تعبد من دون الله تعالى فلما نزل تحريمها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مناد ينادي في المدينة ألا إن الله قد أنزل تحريم الخمر ، إن الله ورسوله يحرمان الخمر . فقال بعضهم - وهم يشربونها - صه صه (٢) حين سمعوا المنادى . يقولوا اسكتوا حتي تسمعوا ما يقول هذا المنادى ، فلما تبينوا منه قوله قالوا : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير . فكفوا عنها وأهرقوا ما بقي عندهم منها ، ثم ندموا على ما شربوا منها وتخوفوا أن يكون الله عز وجل قد سخط عليهم ، فانزل الله سبحانه (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعلوا الصالحات) الآية .

تحريم الخمر

اعلموا أن أول ما عاب الله تبارك وتعالى الخمر في سورة النحل في قوله سبحانه (ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا) قال الشيخ : (٣) وهذا ظاهره تعداد النعمة ، وباطنه تعيير وتقريع وتوبيخ ، يقول الله تعالى : رزقكم ثمرات النخيل

(١) أي أن كل ما نهى عنه حرّمه وكل ما فرضه حلاله (٢) صه اسم فعل أمر مبني على السكون بمعنى اسكت (٣) الشيخ يريد به عبد الملك بن حبيب وهو من أعلام الصالحين وأجلاء العاملين .

والاعناب فاتخذتم منه السكر وعدلتم عن الرزق الحسن . فالمفهوم من هذا القول أن الله تبارك اسمه عرفكم بمنه ونعمه عليكم ، ووبخكم بتغييركم لنعمه فكأنه تبارك وتعالى قال (ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا) فالمعنى تتخذون من الرزق الحسن سكرا ، وبدلتم الطيب بالخبيث وهذه غاية الكفر بنعم الله تعالى أن تستعمل في معاصي الله تعالى ، فلما نزلت هذه الآية وقد أعاب الله تعالى في الخمر ، امتنع ناس من شربها وبقي على شربها الا كثرون حتي هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة .

حمزة عم النبي والخمر

فخرج حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه وقد شرب الخمر حتى سكر منها فلقبه رجل من الانصار ويده ناضح له ، والانصارى يتمثل بييتين من شعر لكعب بن مالك في مدح قومه وذكر مفاخرهم وهما :

جمعنا مع الايواء (١) نصرا وهجرة فلم يرج (حى) مثلنا في المعاشر
فاحياؤنا من خير أحياء من مضى وامواتنا من خير أهل المقابر

فقال حمزة رضى الله عنه : أولئك المهاجرون ، فقال الانصارى : بل نحن الانصار ، فتنازعا فجرد حمزة سيفه وعدا على الانصارى فلم يمكن الانصارى أن يقوم به فانهزم وترك ناضحه فقصد حمزة إلى الناضح (٢) فضربه بالسيف فقطعه ، ومضى الانصارى مستعديا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بنجر حمزة وفعاله بالناضح ، فأعطي النبي صلى الله عليه وسلم الانصارى ناضحا

عمر بن الخطاب والخمر

فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أما ترى ما تلقى من أمر الخمر يا رسول الله ؟ إنها مذهبة للعقل متلفة للمال ، فأنزل الله تعالى بالمدينة (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير) وقرىء كثير والمعنيان متقاربان (ومنافع للناس) وعلى هذا معارضة لقائل أن يقول

(١) في الاصل الايواء وهى محرقة والايواء بمعنى أوينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولفظة حى لم ترد في الاصل فردناها ليستقيم الوزن (٢) الناضح البعير الذى يستقى عليه الماء والائى ناضحة وقد ورد أنه نحر بعيرين لعلى بن أبى طالب وهو سكران

أين المنفعة؟ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله لم يجعل شفاء أمتي فيما حرم عليها» فالجواب عن ذلك، أنهم كانوا يتبايعونها من الشام بالشمن اليسير ويبيعونها بالحجاز بالشمن الكثير، وكانت المنافع التي فيها من الأرباح. وكذلك قال الله سبحانه (قل فيهما إثم كبير) فاتتهى عن شربها قوم وبقي قوم على شربها حتى دعا محمد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري قوما فأطعمهم وسقاهم الخمر حتى سكروا فلما حضر وقت الصلاة قدموا رجلا منهم يصلي بهم

ابن أبي جمعونة والخمر

وكان أكثرهم قرأنا يقال له أبو بكر بن أبي جمعونة وكان حليف الانصار، فقراً فأتته الكتاب وقل يا أيها الكافرون فمن أجل سكره خلط فقراً قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون، وخلط أول السورة بخاتمها حتى ختم السورة على ذلك، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فشق عليه ذلك. فأنزل الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) فكانوا يشربونها بعد صلاة العشاء الآخرة ثم ينامون، ثم يقومون عند صلاة الفجر فيصحبون منها، ثم يشربونها بعد صلاة الصبح فيصحبون منها عند صلاة الظهر ثم لا يشربون بعد ذلك حتى يصلون العشاء الآخرة،

سعد بن أبي وقاص والخمر

حتى دعا سعد بن أبي وقاص الزهري رجلاً لوليمة عملها على رأس جزور فدعا أناساً من المهاجرين فأكلوا وشربوا الخمر حتى سكروا منها فاقتنخروا، فعمد رجل من الانصار إلى أحد لحى الجزور فضرب به أنف سعد فقززه (١) فجاء مستعدياً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) الآية (٢) فاختلف العلماء من أهل التفسير في موضع التحريم هل وقع في قوله تعالى (فهل أنتم منتهون) أوفي غير هذا الموضع. وقال قوم من المفسرين إن التحريم وقع في قوله تعالى (فاجتنبوه) وقال الاكثرون منهم بل وقع في قوله تعالى (فهل أنتم منتهون) واستدلوا على ذلك بقوله تعالى في سورة الفرقان في

(١) الفزز الفسخ في الثوب وتفزز الثوب تقطع (٢) الميسر القمار من أي نوع، والانصاب ما نصب فعبد من دون الله تعالى؛ والازلام هي السهام التي كان أهل الجاهلية يقتسمون بها

قوله (أتصبرون) والمعنى اصبروا ، وكذلك في الشعراء (قوم فرعون ألا يتقون) والمعنى اتقوا . وكذلك في سورة يوسف صلى الله عليه وعلى نبينا محمد وسلم قوله (تزرعون سبع سنين دأبا) والمعنى ازرعوا . وفي سورة الواقعة قوله (فاولا إن كنتم غير مدينين ترجعوها) يعنى الروح والمعنى ارجعوها ، وكذلك قوله في الخمر (فهل أنتم منتهون) والمعنى انتهوا . فقالوا عند ذلك اتهمينا اتهمينا يا رسول الله ، وهذه من الاخبار التي معناها الامر . وقال بعض أهل العلم : إن تحريم الخمر في الآية التي في الاعراف قوله تعالى (إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والاثم) والاثم هي الخمر ، قال الشاعر :

شربت الائم حتى ضل عقلي كذاك الائم يذهب بالعقول

وقال آخر :

نشرب الائم بالكؤس جهارا نترك الهتك بيننا مستعارا
والهتك الا ترنج . فهذه جل تحريم الخمر وانتقاله في موطنه ، وأما تحريمها في الانعام في قوله تعالى : (قل إنما أوحى إلى محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتاً أو دماً أو لحم خنزير) فإنه رجس (١) والدم رجس ، والميتة رجس ، والخمر رجس ، بل الخمر أكثر رجساً ، بل الميتة أحلت للمضطر ولم تحل الخمر لاحد . والخمر ما خامر العقل فغطاه وإذا غاب العقل حضر الجهل ، وإذا حضر الجهل كفر العبد ولا يبالي . وأما قول الله تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)

أحاديث في تحريم الخمر

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كل مسكر حرام » وما أسكر كثيره من جميع الاشربة فقليله حرام*

وفي حديث آخر قال صلى الله عليه وسلم : « كل شراب أسكر فهو حرام » واعلموا أن أمكن ما يكون الشيطان من العبد إذا شرب المسكر ، فإذا تمكن الشيطان من العبد أمره بالكفر وصدده عن الايمان وعن طاعة الرحمن ، وأغلق في وجهه أبواب الخير كله . وأنشدوا :

الخمر داعية إلى العصيان والخمر قائدة إلى النيران
والخمر شاربها يصد عن الهدى (٢) ويبدل الطاعات بالعصيان

(١) الرجس القدر (٢) في الاصل الهوى بالواو ولا يستقيم المعنى

والخمر شاربها حليف ضلالة ويبدل الايمان بالكفران
شرب المدامة للآله عداوة ومحبة للبارد الشيطان
فبادروا التوبة يا أهل الزنا وتقربوا للواحد الديان
وتباعدوا عن شرب مفتاح الردى ومغالق الخيرات في الايمان
فهي المحرمة التي تحريمها في محكم الآيات والقرآن (١)

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الخمر جماع الاثم » وهذا الحديث يخرج منه قول النبي صلى الله عليه وسلم « ليس بين العبد والكفر إلا ترك الصلاة » وشارب الخمر لا يقبل منه صلاة ، فإذا لم يقبل الله منه حسنة واحدة واجتمعت عليه الآثام ، فهي جامعة للآثام ، قائمة إلى الحرام ، قاطعة عن طاعة الملك العلام *

الخمر شر كله

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الخمر مفتاح كل شر وأن خطيئتها تغلو كل الخطايا كما أن شجرتها تغلو كل الشجر » (٢) فهذا قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الخمر مفتاح كل شر » وما كان مفتاحا للشر كله ، كان مغلاقا للخير كله . فإذا شربتم القنوات ، وعصيتم رب الأرضين والسموات ، وانغلقت عنكم أبواب الخيرات ، وانفتحت لكم أبواب المنكرات ، وحلت بكم عظام المصيبات ، وغضب عليكم رب الأرضين والسماوات ، عاقبكم بأشد العقوبات ، في دار المصائب والحسرات ، وحل العذاب والبليات ، وأنشدوا :

أهل الخمر من الرحمن قد بعدوا وفي العذاب على الخسران قد وردوا
بشرهم من إله العرش قد بعدوا وفي الصدور مع الشيطان قد قعدوا
دع المدامة (٣) لا تسلك طريقتها فأهلها لنعيم الرب قد جمعدوا
وقد تواعدهم رب السماء على شرب الخمر بنار جمرها يقدر
غدا ترى أهل شرب الخمر كلهم بدار ويل على النيران قد وردوا

(١) محكم الآيات والقرآن شئ واحد غير أنه أتى بها للوزن (٢) يريد بها النخلة لانه يتخذ منها خمر كانت تشربه العرب وهي أعلا شجرة في جزيرة العرب (٣) في الاصل دع الملاحة وهو تحريف ظاهر . والمدامة هي الخمر لانها ينادم عليها ولها أسماء عدة مذكورة في كتب اللغة

قول ابن عباس في السكران

روى عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : من بات سكرانا بات للشيطان عروسا ، وللعروس حبيبا ، فإذا كنت حبيب الشيطان فأنت عدو الرحمن ، وإذا كنت عدو الرحمن فأنت من أهل الهوان ، في سُموم النيران . عباد الله مولاكم قد أمركم بأمره ، ونهاكم بنهيهِ ، ومن عليكم برفقه ، ووسع عليكم من سعة رزقه . وجعلكم من خير الأئمة ، وأسبل عليكم جزيل النعم ، فلا تستعينوا بنعمه على معاصيه ، فإنه ذو انتقام وعذاب ، ورحمة وثواب ، فأطيعوا مولاكم في جميع الأمور ، ولا تهتكوا أمتاركم بشرب الخمر ، ولا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور . وأنشدوا :

يا شارب الخمر ترجو أن تنال به عفو الاله وأنت اليوم مطرود
وأنت تشرب طول الدهر (١) منهمكا وأنت عن طاعة الرحمن مفقود

شربتم الخمر ، وعصيتم الرب الغفور ، وهتكتم الستور ، وركبتم الفواحش والفجور ، وتهاوتم بصعاب الأمور ، ولم تفكروا في العرض والنشور ، والوقوف بين يدي من يعلم ما تخفي الصدور *

ثمن الخمر خسار

ذكر في بعض الأخبار ، ما من عبد أنفق درهما في الخمر إلا محق الله تبارك وتعالى من رزقه سبعين درهما ، وجعل الله كل درهم ينفقه في الخمر سائلة في عنقه من نار جهنم ، وجعله ثعبانا يأكله في قبره الى يوم القيامة ، فإذا خرج من قبره خرج معه الثعبان فلا يفارقه حتى يلقيه في نار جهنم ، وأعظم من هذا أن شارب الخمر لا يكتب له صاحب اليمين حسنة واحدة ولا ينظر الله اليه ، وإنما يكتب له صاحب الشمال ، لأن رأس العبادات هي الصلاة ولا يقبل من أحد حسنة حتى تقبل صلاته ، وصاحب الخمر لا تقبل صلاته فإذا تاب تاب الله عليه ومحبا الله من صغيفته كل ذنب عمله في حال شربه ، وكسب له بكل حسنة عملها ولم تقبل منه يثبتها الله تعالى وإذا مات من ساعته مات ولا ذنب عليه ، ويكون أفضل ممن لم يشربها في الدنيا (٢)

(١) في الاصل : وأنت تشرب دهر الله منهمكا . ولا يستقيم الوزن والمعنى (٢) لأن من تعود على شيء حتى أصبح لا يطيق الاقلاع عنه ثم تاب عنه وتركه مختارا أفضل ممن لم يعلم عنه شيئا

وأنشدوا :

لا تشرب الخمر يا مغرور إن لها وزرا عظيما لدى الرحمن في الحشر
الخمر تبعث عن حق الآله وعن شرع الرسول الذي في محكم الذكر
إن الذي قطع الأيام يشربها له عذاب شديد كاشف الستر
روي أن النبي صلى الله عليه وسلم أعار عليا بعيرين ليأتي عليهما بأذخر (١) يستعين به علي
زفاف فاطمة رضي الله عنها ، فجاز بهما على رضي الله عنه فأناخهما عند باب حمزة بن
عبدالمطلب رضي الله عنه واستأجر يهوديا ليخرج معه ، ويأتي بالأذخر وكان حمزة يشرب ،
وغنت المغنية غناء تذكر فيه أ كباد الابل ، فخرج حمزة فوجد البعيرين على بابهم فنحرهما
ودخل با كبادهما ، فجاء على رضي الله عنه فوجد البعيرين نحيرين (٢) فمضى إلى النبي صلى
الله عليه وسلم فشكا اليه ، فجاء معه صلوات الله عليه فلما رأى حمزة النبي صلى الله عليه وسلم

كيف سكر حمزة

وكان حمزة رضي الله عنه قد أخذت فيه الخمر قال : أستم عبيدي ! (٣) فتأخر رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال « لست بعبد لايك » فقال عمر رضي الله عنه : اللهم إن الخمر
مفسدة للعقل مذهبة للمال ، فأنزل اللهم لنا في الخمر بيانا ، فأنزل الله سبحانه (يسألونك عن
الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس) اثم أي في تناولها ، ومنافع للناس في ترك تناولها
فاذا تركها عبد من عباد الله غفر الله له ما قد سلف *

قراءة السكران

فقال قوم نشر بها لما فيها من المنفعة ، فحانت وقت الصلاة فقدم رجل سكران فصلى بأصحابه
فقرا يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون وختم السورة على هذا ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم فشق عليه ، فقال عمر رضي الله عنه : اللهم أنزل علينا بيانا في الخمر ، فأنزل الله تعالى
(يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) فكانوا يشربونها
في غير وقت الصلاة حتى كان من أمر سعد بن أبي وقاص ما كان مع الانصارى وقد تقدم

(١) الأذخر نبت ينبت في جزيرة العرب كان يريد جمعه للوقود في عرسه (٢) نحيرين
أي منحورين (٣) الرواية الصحيحة : عبيد أبي ، وذلك لأن أبا عبدالمطلب كان تكفل
برسول الله صلى الله عليه وسلم في صغره وضمه مع أولاده وكان عليه شفوفا جدا

ذكره فقال عمر رضى الله عنه : اللهم أنزل علينا في الخمر بيانا ، فأنزل الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان) إلى آخر الآيتين إلى قوله (فهل أنتم منتهون) فقالوا بأجمعهم : انتهينا يا رسول الله . انتهينا ، فعند ذلك بعث النبي صلى الله عليه وسلم مناديا ينادى في المدينة : ألا إن الخمر قد حرمت . قال أنس بن مالك : فسمعت النداء وأنا أسقى طلحة في رهط من الانصار الفضيخ والبسر والرطب (١) فوالله ما انتظروا حتى قالوا يا أنس أخرجها عنا فأهرقت في الحين فانتهاوا . فاذا فعل هذا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبادروا إلى التوبة وأطاعوا مولاهم ونبههم صلى الله عليه وسلم فمالكم لا تتأسوا بأفعالهم ، وتقتصدوا بأعمالهم وتقفوا آثارهم ، وتسمعون أخبارهم وتتركوا الخمر لوجه الله الكريم فعمساء يجعل الجنة مأواكم ويكرم في الآخرة مثواكم ؟ فراقبوه فإنه يراكم ويعلم سركم ونجواكم والله أعلم . وأنشدوا :

لا يشرب الخمر الا فاجر بطر (٢) قد خالف الله والقرآن والرسلا
بئس الشراب وبئس الشاربون لها لا يسلكون الى دنياهم سبيلا
هى الدليل الى دار الجحيم غدا بئس الدليل ولا يرجي لهم حولا
إلا يتوب عسى الرحمن يقبله فتب من الذنب لا تيأس وإن ثقلا

من مات يدمن الخمر

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من مات وهو يشرب الخمر لم يشربها في الآخرة » وهى والله من الذنوعم الجنة كما قال تبارك وتعالى (وأنهار من خمر لذة للشاربين) (٣) ياعدو نفسه يا مسكين حرمت نفسك اللذات ، في قرار الجنسات ، وعصيت رب الارضين والسموات ، بشربك القهوات المحرمات ، في محكم الآيات ، ولم تستع من عالم السموات والخفيات . وأنشدوا :

أكثرت الخمر من عيوبى وزاد حزني مع الكروب
جل مصابي وضاق ذرعى واسود قلبي من الذنوب
يا ليتنى تبت باجتماع لعالم الجهر والغيوب

(١) الفضيخ شراب يتخذ من البسر وحده من غير أن تسمه النار والبسر هو البلح قبل أن يصير رطباً ثم يصير تمراً (٢) البطر شديد المرح من كثرة المال أو غيره (٣) وقد تواترت الاخبار بان في الجنة نهر من خمر لذيذ الطعم والريح لا يصدع الرأس ولا يلذع اللسان ولا يؤذى المعدة

الخمر مفتاح كل شر لكل عاص لها شروب

عذاب شارب الخمر

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « بعثني الله تعالى رحمة وهدى للعالمين وأقسم ربنا بعزته وجلاله لا يشرب عبد من عبيده جرعة (١) خمر إلا سقيته مكانها من حميم جهنم معذبا أو مغفورا له ، ولا يدعها عبد من مخافتي إلا سقيته إياها من حظيرة الفردوس » فيامعشر الاسلام، أطيعوا مولاكم الملك العلام ، ولا تخالفوا القرآن والاحكام ، واقبلوا نصيحة نبيكم محمد عليه الصلاة والسلام ، يدخلكم ربكم برحمته دار السلام. وأنشدوا :

إلى الله أشكو ضيق صدرى من الضر وعظم خطايا كالجبال وكالقطار
لعل إلهى أن يجود بعفوه وينقذ عبدا عام في غمرة السكر
ظلوما غشوما لا يفارق محرما ولا يستفيق الدهر من فتنة الخمر
فيأطولى حزنى ثم ياطول حسرتى لئن لم يحمى لى عالم السر والجهر

شارب الخمر في القيامة

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « والذي بعثني بالحق إن شارب الخمر يأتي يوم القيامة فيقول الله سبحانه وتعالى للملائكة خذوه ، فيبتدرون له سبعون ألف ملك فيسحبونه على وجهه فتستقبله الملائكة معها السلاسل فيضربون وجهه فيفتح فاه فيلقي فيه طعام مثل رموس الشياطين ولا يكاد يسيغه فيخرج الدود منه فيتعلق بلسانه ثم يقع في بطنه فهي تجري فيه مثل الوحوش في البرية » أيها المصرون على الجراح (٢) والآثام ، المسرفون في شراب المسكر الحرام ، أفنيتم أعماركم في الكذب والزور ، وضيعتم أيامكم في الجهل والغرور ، وقطعتم أوقانكم في الفسق والفجور ، واستغنمتم على معصية الله بشرب الخمر ، أما علمتم أن الخمر متلفة للبال ، مذهبة للبهاء والجمال ، عاقبتها الى وبال ، ويؤول شاربها إلى شرماحل (٣) الخمر أولها لهور ومزاح ، وآخرها بكاء ونياح ، امرأة شارب الخمر في كل وقت مطلقة (٤)

(١) الجرعة الحسوة من الماء وغيره . (٢) أى تجرع الخمر وهو شرابها (٣) المآل المرجع والعاقبة (٤) لانه دائما أبدا يحلف بالطلاق لسكره فتطلق منه وقد اختلف كثير من العلماء في طلاق السكران وأغلبهم جوزه بتاتا ولا بن القيم الجوزية بحث في ذلك مفيد .

وثيابه في كل حين ممزقة . شارب الخمر خليل الشيطان ، شارب الخمر عدو الرحمن ، شارب الخمر بعيد من الايمان ، شارب الخمر قريب من الضلال والخسران ، شارب الخمر في بحار السخط عاثم ، شارب الخمر على عذاب النار حائم ، شارب الخمر مخالف للتزليل ، شارب الخمر مخالف لسنة الرسول عدو للملك الجليل ، شارب الخمر ملعون على لسان سيد المرسلين ، شارب الخمر مخالف لسنة خاتم النبيين . أما علمت يا من بعد من الاحسان ، وتقرب من الفسوق والعصيان ، وحل في سخط المهيمن الديان ، أن الخمر موقعة للعداوة والشقاق ، قاطعة للخير والارزاق ، قائدة إلى اليم العذاب يوم التلاق . أما علمت أنها تحول بين شاربها وبين الرشاد ، وتلقيه في الضلال والفساد ، وتوقع العداوة والبغضاء بين العباد ، وتقود الى العذاب الشديد يوم التناد . وأنشدوا :

الخمر ولادة للشر أجمعه ومن ولادتها العصيان والكفر
تعصى الاله اذا ما عشت تشربها وتبعد الخير والاحسان والشكر
العبد يشربها واللعن تابعه والخزي شاملة والويل والعسر

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لعن الخمر وشاربها وساقها وعاصرها ومعتصرها وبائعها ومبتاعها وحاملها والمحمولة اليه وآكل ثمنها والدال عليه » يا أخى قد لعن الله كل من نسب الى الخمر واللغة هو انا للعبد ، وإذا أبعد الله العبد من جواره أصلاه (١) عذابه وحر ناره ، فبادر يا شاربها إلى المتاب ، فان الله قد حرمها في الكتاب ، وتواعد عليها أشد النكال والعذاب . وأنشدوا :

يا من يبيت على شرب الخمر ولا يخشى الاله ولا يخشى من النار
تعصى الاله ولا تقضى فرائضه عار عليك وما فى التوب (٢) من عار
فتب من الخمر للرحمن خالقنا وكل ذنب قديم العهد أوتار (٣)

(١) أصلاه عذابه أدخله فيه وأصليته النار رميته فيها كأنك تريد إحراقه .

(٢) التوب هنا جمع توبة مثل دومة ودوم ، والتوبة الرجوع عن الذنب .

(٣) لم يظهر لى ما يريد بقوله : أوتار ، ولعله يريد أوتار أى ما عليك من حق لعباد الله

أثارتهم به فعليك أن تستسمحهم منه أو لعله يريد أوطارى فأبدل الطاء تاء .

الخمر جريمة عظيمة

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من شرب شربة من مسكر لم يقبل الله له صلاة أربعين يوما فان تاب تاب الله عليه ، والذي بعثني بالحق من شرب من الخمر ثلاث شربات لا يقبل الله تعالى صلاته مائة وعشرين يوما ، وكان حقا على الله تعالى أن يسقيه من الخبال » قال عبد الله بن عمر رضي الله عنه : هو صديد أهل النار وقيحهم . وفي بعض الاخبار لو أن قطرة من الخبال القيت من السماء السابعة لآخرقت إلى الأرض السابعة ولمات أهل السموات والأرض من النتن ، فانا لله وإنا إليه راجعون على من شرب الخمر ، وهتك الستور ، وعصى الملك الغفور ، وبذل مهجته لعذاب الويل والشبور ، وغره بالله عدوه الغرور . وأنشدوا :

تعصى الاله وتأتى الخمر تشربها وترتجى من إله العرش غفرا
وأنت تحوي فعال الخير أجمعها وقد جمعت من العصيان ألوانا
فتب ولا تتهاذى في الضلال عسى تلقى لها كثير العفو رحمانا

عباد الله أما تستحون ممن أخرجكم من بطون الاممات ، وأسبغ عليكم جزيل النعم والخيرات ، وهذا كم بفضلته الى الصوم والصلوات ، ووعد من أطاعه بالخيرات في الجنات العاليات ، وتواعد من عصاه بالخيبات وشدائد العقوبات . أما علمتم أن الخمر أم الجرائم والسيئات ، ومفتاح الكبائر والخطيات ، وباب المصائب والرزيات ؛ وهوجبة لغضب رب الارضين والسموات ، ومخرجة الديار بوقوع الشتات . فلا تدنسوا أعمالكم بشرب الخمر الحرام فانها أم الكبائر والآثام ، ومن شربها فقد خالف القرآن والاحكام ، وحل في سخط الملك العلام ؛ أما تستحى يامطرود من باب الله ، يا مخالفا لحدود الله ، يا مؤلفا لاعداء الله ، من رب من عليك بنعمة الاسلام ، وجعلك من خير أمة أخرجت للانام ، وفضلك بمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، فعصيت يامغرور مولاك ، واتبعك غيك وهواك ، ونسيت النعم التي أولاك ، ولم تشته عما عنه نهاك . أهذا جزاء من أحسن اليك ، وسترك وأنعم عليك ؟ بس ما صنعت يامن ظل في المعاصي سرا وجهرا ، يامن بدل نعمة الله كفرا ، يامن هتك بعصيانك حجبا وسترا ، يامن حرم بذنبه توفيقا ويسرا ، يامن أورثه العصيان شرا وعسرا . أما تستحى يامطرود يامن هو عن باب مولاه مردود ، يامن خالف الاحكام والحدود ، من رب أخرج

لك من العدم إلى الوجود ، غنيا حلالا أخرجك من العود ، تعصر منه خمرًا تعصى به الملك
المعبود ؟ ما أجهلك بطريق المتقين ، ما أبعدك عن سيرة خير المرسلين ، يا قليل الدين ، يا ضعيف
الايمان واليقين ، يا خليل الشيطان اللعين ، ستعلم غدا اذا وقفت بين يدي أسرع الحاسبين ،
وأمر بك إلى العذاب المهيئ ، فحينئذ تقول بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ، اللهم
تب علينا حتى لا نعصيك برحمتك يا أرحم الراحمين *

- ١٥ - مجلس في فضل يوم عاشوراء وما جاء فيه

وفي صيامه من الفضل العظيم

اعلموا عباد الله أن الله سبحانه وله الحمد والمنة قد فضل هذه الامة بفضائل خص بها أمة
محمد صلى الله عليه وسلم من سائر الامم . الحكمة في ذلك أن الله تعالى لما جعل أمة محمد أقصر
الامم أعمارا (١) جعل لهم هذه الفضائل وهذه الدرجات ، ورفع لهم بذلك الدرجات
والمنازل في الجنة وهي كالايام البيض من كل شهر وكيوم عرفة ورجب وشعبان والستة أيام
بعد الفطر ومثلها كثير . فهذه أمة قد رفق الله بها وجعل لها من اليسير كثيرا ، ووعد لها على
ذلك في الآخرة أجرا كبيرا . فيوم عاشوراء يوم تغفر فيه الذنوب والخطيات ، ويتقرب
فيه بالصدقات ، وأفعال الخيرات إلى عالم الخفيات . وصومه سنة مستحبة لما روى عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

ثواب صيامه

« من صام يوم عاشوراء أعطاه الله تعالى ثواب عشرة آلاف ملك وثواب عشرة آلاف

(١) اتفق جمهور السلف رحمهم الله على أن الامم القديمة كانت أطول منا أعمارا وأظن
ذلك أتى من قصة نوح عليه السلام إذ بلغ من العمر نيفا وتسعمائة سنة فقاموا على ذلك أن
أمته التي دعاها إلى الايمان به لا بد أن كانت تعيش مثله في العمر وعلى هذا القياس لا بد أن
تكون الامم في القرون الاولى من المعمرين لا سيما إذا أضفنا إلى نوح عليه السلام الخضر
وغيره مما شحنت به الكتب القديمة ، والحقيقة أنهم كانوا يعيشون كما يعيش ويموتون كما يموت
ويمرضون كما يمرض الا أفرادا اشتهر عنهم طول العمر ومنهم لقمان وليد .

شهداء ، وثواب كل حاج ومعتصر في ذلك العام ، وثواب تسبيح ملائكة السبع سموات ومن فيهن » ❦

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من صام يوم عاشوراء كتب الله له عبادة ستين سنة صيام أيامها ، وقيام لياليها ، وكأنما حج واعتصر سبعين مرة » . فالتة الله عباد الله تقربو إلى الله في يوم عاشوراء أيما استطعتم من نوافل الخير وسبل البر فان يوم عاشوراء يوم يوصل فيه الرحم ، ويضاعف الاجر للمؤمن السخي الكريم ، ويجزي الله جل جلاله معطى الزكاة جنات النعيم ، وينزل فيه السخط على الشقي اللثيم ، الذي يمنع الزكاة المفروضة في القرآن الحكيم . فالتة الله معشر المؤمنين ، وجماعة الموحدين ارغبوا في هذه الفضيلة الجزيلة تفوزوا بالنعمة الدائمة الطويلة ، التي ليس لها زوال ولا انقطاع ، ولا لصاحبها عنها صمد ولا امتناع (١)

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من أفطر عنده مؤمن في يوم عاشوراء فكأنما أفطر عنده جميع أمة محمد صلى الله عليه وسلم وأشبع بطونهم ، ومن مسح على رأس يتيم في يوم عاشوراء رفع الله له بكل شعرة على رأسه درجة في الجنة ، ومن كسا فيه مسكينا فكأنما كسا مساكين أمة محمد صلى الله عليه وسلم وكساه الله سبعين حلة من حلل الجنة » فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : يا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك لقد فضلنا الله عز وجل بيوم عاشوراء ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نعم يا عمر خلق الله السموات والارض في يوم عاشوراء ، وخلق الشمس والقمر في يوم عاشوراء ، والنجوم كمثلته ، وخلق العرش والكرسى في يوم عاشوراء ، وخلق القلم في يوم عاشوراء ؛ واللوح كمثلته ، وخلق جبريل في يوم عاشوراء ، وملائكته كمثلته ، وخلق آدم في يوم عاشوراء ، وحواء كمثلته ، وخلق الجنة في يوم عاشوراء ، وأسكن آدم الجنة في يوم عاشوراء ، وولد ابراهيم عليه السلام في يوم عاشوراء ونجاه الله من النار في يوم عاشوراء ؛ وهاده الله في يوم عاشوراء ، واغرق الله فرعون في يوم عاشوراء ، ورفع عيسى في يوم عاشوراء ، ورفع الله ادريس في يوم عاشوراء ، وولد عيسى ابن مريم في يوم عاشوراء ، وتاب الله على آدم في يوم عاشوراء ، وغفر ذنبه في يوم عاشوراء »

(١) العجب الآن من المسلمين مع شدة محافظتهم على الصلوات وتمسكهم بوجوبها فقليل منهم — كما أرى — الذين يؤدون الزكاة ، مع وفرة عددهم وضخامة ثروتهم وأقسام غير حانت أنى لم أرى في مصر ولا أنا كدت من غنى يخرج الزكاة كاملة فياتري هل نسخت هذه الفريضة ؟؟

يوم عاشوراء ، واستوت سفينة نوح على الجودي في يوم عاشوراء ، وأخرج يوسف من السجن في يوم عاشوراء ، وتاب الله على قوم يونس في يوم عاشوراء ، وأعطى سليمان الملك يوم عاشوراء ، ويوم القيامة يوم عاشوراء « ، ويروي أن أول مطر ينزل من السماء يوم عاشوراء * »

الغسل يوم عاشوراء

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من اغتسل يوم عاشوراء لم يمرض إلا مرض الموت ، ومن اكتحل بالأثمد (١) يوم عاشوراء لم ترمد عيناه في تلك السنة كلها ، ومن عاد مريضاً يوم عاشوراء ، فكأنما عاد جميع ولد آدم عليه السلام وعلى جميع الأنبياء الكرام ، ومن سقى مؤمناً شربة من ماء يوم عاشوراء فكأنما سقى جميع ذرية آدم وكانوا عطاشاً ، ومن صلى يوم عاشوراء أربع ركعات يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة غفر الله له خمسين عاماً ماضياً وخمسين عاماً مقبلاً ، وبني له الله ألف منبر من نور الله » عباد الله ارغبوا في فضل هذا اليوم المرغوب فعمى الله أن يغفر لكم ما أسلفتم من الأوزار والذنوب ، ويستر عليكم ما أتيتم من القبائح والعيوب * »

روى أن موسى عليه السلام قال : مكتوب في التوراة (٢) من صام يوم عاشوراء فكأنما صام الدهر كله ، ومن تصدق يوم عاشوراء فكأنما لم يترك سائلاً إلا أعطاه ، ومن كسا فيه عرياناً فكأنما كسا جميع خلق الله ، ومن مسح على رأس يتيم فكأنما مسح رؤوس اليتامى وغرس الله له بكل شعرة على رأسه سبعائة شجرة تحمل من الحلى والحلل عدد نجوم السماء ومن أرشد فيه ضالاً دفع الله عنه ظلمة القبر وملاء قلبه نوراً ، ومن كظم فيه غيظاً كتب من الراضين بقسم الله تبارك وتعالى ، ومن شهد جنازة يوم عاشوراء فله بكل شيء خالفه الله وهو خالفه درجات في الجنة ، ومن ترك فيه شهوة وأطعمها أخاه المسلم لم يقبض روحه ملك الموت حتى يطعمه من طعام الجنة ويسقيه من شرابها ، ومن اغتسل في يوم عاشوراء كان عند الله طاهراً ، ومن قرأ آية في كتاب الله في ليلة عاشوراء أوفى يومها أعطى من الثواب مثل

(١) الأثمد حجر يضرب إلى الزرقاء براق يكتحل به فيجلى البصر ويخفف الرطوبة

ويبرد الالتهابات (٢) يوافق هذا الكلام المنقول عن لسان موسى الحديث المتقدم قريباً ويكاد يكون هو بنصه !!

ما أعطي لأدريس عليه السلام ، ومن أحيا ليلة عاشوراء فكأنما عبد الله بعبادة الملائكة المقربين ، ومن بكى يوم عاشوراء أو ليلة عاشوراء أو فاضت عيناه من خشية الله تعالى كتب الله له نصيبا في عبادة الخائفين ، ومن أتى عالما في يوم عاشوراء ليسمعه أو يتعلم منه مسألة في دينه وما ينفعه لآخرته أعطى مثل ثواب المهاجرين والانصار وأوجب الله له الجنة ويكتب له المملكان الحسنات إلى يوم عاشوراء من العام الذي يأتي ، ومن صام يوم عاشوراء محتسبا عالما بفضل الله له بكل ساعة من ليله ونهاره من ذلك اليوم الذي صامه مائة ألف ملك يدعون له إلى يوم القيامة ، ومن أراد صيام يوم عاشوراء وأصبح فيه آكل وهو لا يعلم غلیمسك عن الأكل في بقيته وله فضله كاملا إن شاء الله تعالى *

النفقة على العيال

وتستحب النفقة في ليلة عاشوراء ويوم عاشوراء (١) رجاء فضل الله وطلباً لمرضاته ولوجوب البركة فيه ، فإنه روى «أن من أففق فيه درهما أخلف الله له سبعائة . وكل درهم ينفقه فيه في طاعة الله فهو عند الله تعالى أثقل من السموات والأرضين السبع» *
وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : أكثروا خير بيوتكم في ليلة عاشوراء ويومه ووسعوا فيه على أهاليكم فيما يحل ويحرم ، فمن لم يجد فليوسع خلقه — أظنه مع قرابته — وليعف عمن ظلمه .

بنو إسرائيل وعاشوراء

وكان يوم عاشوراء يصومه بنو إسرائيل ويعظمونه ، وكانت قريش تصومه في الجاهلية فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة صامه وأمر بصيامه إلى أن فرض شهر رمضان فجعل الله تعالى هذا الخير كله لأمة محمد صلى الله عليه وسلم . فيوم عاشوراء يوم يتقبل الله فيه الحسنات ، وترفع فيه الدرجات المرتفعات ، وتخلف فيه النفقات ، وتكثر فيه البركات .

(١) والمشهور لغاية الآن أن عامة المسلمين يحتفلون بليلة عاشوراء ويوسعون على عيالهم ويتهادون أطباق العاشوراء وهي حلواء من قمح وسكر وزبيب وغيره يتفننون في إتقانها . ونذكر أهل بيت لا يصنعونها ولا أعلم هل ذلك خاصا بمصر أم بغيرها من البلاد ؟؟

ويفرح فيه أهل الفاقة والحاجات (١). يوم عاشوراء يوم تظهر فيه الأعمال؛ ويوسع فيه على العيال، وتزكو فيه الأفعال والأقوال، ويرحم فيه عبده ذو الأكرام والجلال. يوم عاشوراء يوم توصل فيه الأرحام، وتبرح فيه الكرام، وتخسر فيه اللثام، لمخالفتهم القرآن والأحكام، وعصيانهم الملك العلام. يوم عاشوراء تفرح فيه الأراذل والأيام، ويرحم فيه ذو الجود والآنعام، ويغفر فيه السيئات والأجرام، ويوجب لمن أطاعه دار الخلد والسلام. قاله الله عباد الله إياكم أن يضرب الشيطان على قلوبكم والأقوال، ويصدكم عن سبيل الكريم المتعال، ويفتح في قلوبكم أبواب الفقر لتمنعوا الزكاة من أموالكم ويؤول بكم - إن أطعتموه شر ما آل، يا أخى البخيل صاحب الشيطان الذليل، يمنع الزكاة، ويقل النفقات، ويفوت نفسه جميع الخيرات. فعيشه في الدنيا عيش الفقراء وحسابه في الآخرة حساب الأغنياء فيامعشر المؤمنين كونوا كراما ولا تكونوا لثاما فان الكرام في جنة الخلد والنعيم، واللثام في عذاب الجحيم فتقربوا إلى الله في هذا اليوم بأداء الزكاة، وتطوعوا فيه بالنوافل من الصلوات. فعسى الله أن يغفر لكم ما سلفتم من الأوزار والسيئات *

صيامهم له

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الله تعالى افترض على بني إسرائيل صوم يوم في السنة وهو يوم عاشوراء العاشر من المحرم فصوموه ووسعوا فيه على عيالكم وأهلكم» فمن وسع على أهله من ماله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته فمن صام هذا اليوم كان له كفارة أربعين سنة وما من أحد أحياء ليلة عاشوراء أو أصبح صائما إلا مات ولم يذق طعم الموت، يا أخى إن العجوز لتغزل يوم عاشوراء لتبقى بركة غزلها إلى العام القابل فاعمل أنت في هذا اليوم من الطاعات لتبقي بركتها عليك ليوم القيامة، وما من عبد مؤمن أنفق في يوم عاشوراء درهما أو مثقالا إلا أخلف الله تعالى عليه في دنياه سبعين ضعفا مثل ما أنفق، وجعل نفقته زاده إلى الجنة قاله الله عباد الله اصنعوا في هذا اليوم المعروف وأعينوا الضعيف وأغشوا الملهوف، يغشكم الرب الرحيم الرؤف *

(١) ليت المؤلف رحمه الله عاش في زمننا هذا حتى يري إن كان يفرح فيه ذوو الحاجات والفاقة أم يحزنون فقد أصبح فعل الخير للشهرة والرياء لا غير وتحجرت القلوب

كل معروف صدقة

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كل معروف صدقة ، والمعروف يقى سبعين نوعا من البلاء ، ويبقى ميتة السوء » والمعروف والمنكر منصوبان للناس في المحشر يوم القيامة ، فالمعروف لازم لأهله يقودهم ويسوقهم إلى الجنة ، والمنكر لازم لأهله يقودهم ويسوقهم إلى النار . أعاذنا الله وإياكم من النار . قاله الله أحرصوا أن تكونوا من أهل الجنان ، ولا تكونوا من أهل النيران ، واجتهدوا في الخير والزيادة ولا ترضوا بالنقصان .

أهل المعروف

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله تبارك وتعالى جعل للمعروف وجوها من خلقه حب إليهم المعروف وحب إليهم فعاله ، ووجه طلاب المعروف إليهم ويسر عليهم إعطاءه ، كما يسر الغيث إلى الأرض المجدة ليحييها ويحيي أهلها ، وأن الله تبارك وتعالى جعل للمعروف أعداء من خلقه بغض إليهم المعروف وبغض إليهم فعاله ، وحظر على طلاب المعروف الطلب إليهم وحظر عليهم إعطاءه كما خطر الغيث عن الأرض المجدة ليهلكها ويهلك أهلها ، وما يخفر الله عز وجل أكثر (١) قاله الله يا أولياء الله يا أهل المعروف . فكونوا من أهل المعروف ، وأعينوا الفقير وأغثوا الملهوف ، فعسى الله أن يغيثكم يوم البعث انه رحيم رؤوف »

إخراج الزكاة

وهذا اليوم المبارك الشريف يوم عاشوراء لما جعل الله فيه من الخلف والخيرات ، واعلموا أنه لما عظم الله تعالى يوم عاشوراء وجعل فيه الخلف والخيرات استحب للمؤمنين فيه إخراج الزكاة ، وما من أحد من المؤمنين والمؤمنات لم تجب عليه زكاة ماله فأعطى في يوم عاشوراء أو تصدق من اليسير الذي معه رغبة في فضل يوم عاشوراء إلا كتب من أهل الزكاة ولم يخرج من الدنيا حتى يعطي ما لا حلالا يركى (١) حقا لقد جبل بعض الناس على المعروف وبذله سعية فيهم لا تطبعا حتى ولو ضاقت ذات يدهم عن بذل النوال ، وفيهم قال الله تعالى (والذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) ولقد أعلم أناسا جبلوا على الشر فمالهم للخير سبيل .

عليه . فإياكم بامعشر المؤمنين والمؤمنات أن يتخذ عكم الشيطان اللعين ، لأنه قد جاء في الخبر أن العبد إذا هم باخراج درهم لوجه الله تعالى فتح الشيطان في قلبه سبعين باباً من الفقر حتى يحول بينه وبين اخراجه ، فان من الله تعالى على العبد وأعانه حتى يغلب عدوه وشيطانه . كان كمن هزم عسكراً من المشركين وقتلهم . ويدل على صحة هذا القول أن علي بن أبي طالب رضى الله عنه كان إذا آن أوان الزكاة وعزم علي إخراجها لبس درعه وتقلد بسيفه وأخذ رمحاً وركب فرسه فتقول الصحابة رضى الله عنهم مالك يا أبا الحسن لبست آلة حربك ؟ فيقول أنا خارج الى محاربة الشيطان أخاف أن يمنعني إخراج الزكاة (١) فجهاد الشيطان هو الجهاد الأكبر ، والشيطان لعنه الله يريد أن يردك الى فقر نفسك ، ويصدك عما وعدك ربك جل جلاله حيث قال عز وجل (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم) والله واسع العطاء لأنه جل وتعالى لا ينقص من مملكته ما يخلف على العبد المؤمن الذي يؤدي الزكاة ويتصدق من فضل ماله . وقوله تعالى (عليم) أى عليم بما يفعله العباد من الخير والشر ، فمن أنفق من مال الله ووسع منه على عياله وعباد الله كان له الخلف من الله تعالى ، يقول المولى جل جلاله (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) فאלله الله عباد الله ثقوا بمولاكم جل جلاله في الخلف (٢) ولا تطيعوا الشيطان الذى يعدكم الفقر والتلف .

اللعنة على مانع الزكاة

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ينزل من السماء في كل يوم اثنا عشر وسبعون لعنة على مانعي الزكاة من هذه الائمة وقد ساء لهم الجليل جل جلاله كفاراً في قوله تعالى (وويل للمشركين) الذين لا يأتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون) وقد ذكر بعض

(١) والمشهور عن الامام علي رضى الله عنه أنه عاش زاهدا قنوعاً ومات فقيراً ليس عنده ما يجب عليه فيه الزكاة !؟ (٢) في الاصل . في الخلق ، وهو تحريف والمراد أن الله تعالى يخلف عليهم ما أنفقوا (٣) لان من عبد المال دون الله تعالى فقد أشرك ، ومن كذب بالخلف من الله تعالى فقد أشرك ، ومن منع الزكاة شحاً بها فقد أشرك ، ومن تحايل فيها ليخسبها فقد أشرك . قال الله تعالى (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) أي وأنتم بذلك راضين طيبة نفوسكم بالانفاق لوجه الله والبر الخلف والثواب ولو أخرج الأغنياء الزكاة لما احتاج فقير .

العلماء أن الله تعالى لما أخرج الذرية من ظهر آدم عليه الصلاة والسلام عزل منهم الاغنياء من أهل البدو والحضر وعزل أموالهم ثم قال جل جلاله هذه أموال أعطيتموها لكم وجعلتكم عليها أمنا فلا تشتغلوا بها عن أداء فرائضى وحقوقى، ثم قال عز وجل للفقراء من أهل البدو والحضر وحرر أرزاقهم على قدر آجالهم وأخرها وجعلها (وديعة) فى أموال الاغنياء وقال لهم عز وجل هذه أرزاق الفقراء من عبادى وديعة فى أموالكم إياكم أن تقتروا وتمسكوا عنهم أموالهم وأرزاقهم فيحل عليكم غضبى وسخطى فاني قد ائتمنتكم عليها *

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من يوم إلا وملكان يناديان تحت العرش المال مال الله والعباد عباد الله فان جامع الفقراء عذب الله الاغنياء . فالله الله عباد الله أوفوا لىه بالعهود ، وارغبوا فى دار النعيم والخلود ، ومجاورة الملك المعبود »

من شبع وجاع جاره

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما آمن بالله واليوم الآخر من بات شبعانا وجاره جيعانا » وقد جاء فى الحديث « إن الجار الفقير يتعلق بجاره الغنى يوم القيامة ويقول : يارب سل هذا الغنى لم منعني معروفه ؟ وسد بابى دونى ؟ » وفى حديث آخر أنه يقول « يارب سل هذا لم بات طاعما وبات إلى جنبه طاويا ؟ »

ومما يصدق هذا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأسماء بن زيد فى وصيته « يا أسماء إياك وكل كبد جائعة تخاصمك عند الله فانه يقول ما آمن بى من بات شبعانا وجاره طاويا إلى جنبه » *

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أيما رجل كان له جار مسلم بات جائعا وهو يعلم بجوعه وعنده فضل ولم يشبعه فقد برىء من ذمة الله تعالى وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم »

فيا لها من خسارة لم تندبرها بعقولنا ، فكم بين أظهرنا من مسكين وضعيف ، وزمن (١) لا يمتلكون قيمة رغيف ، فالله الله لا تغتروا بالعز والمال ، وتضيعوا الفقراء وأهل الاقلال ، فان غاية كل شىء الانقلاب والانتقال ، والنفاذ والزوال . وقد ذكر فى تفسير هذه الآية (وضربت عليهم الذلة والمسكنة) قيل يحرض العبد على جمع الحطام ، والسحت والحرام ، وكل من أدي زكاة ماله فهو كريم ، قد برىء من وعد الشيطان الرجيم ، ووثق بوعد العزيز

(١) الزمن الكسيف أو المريض مطلقا الذى أزمى عليه المرض ولم يعد له أملا فى الشفاء

الرحيم ، ونجنا من العذاب الاليم »

حديث في ذم الشح

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « انتقوا الشح فإنه أهلك من كان قبلكم ، حلمهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » . وأنشدوا :

صافي الكريم فخير من صافيته من كان ذا كرم وكان عفيفا
إن الكريم وإن تضعض حاله فالفعل منه لا يزال شريفا

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يطوف بالبيت فإذا هو برجل متعلق باستار الكعبة وهو يقول : بحرة هذا البيت إلا غفرت لي . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما ذنبك ؟ صفه لي » فقال الرجل هو أعظم من أن أصفه لك يا رسول الله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ذنبك أعظم أم الأرضون » ؟ قال بل ذنبي يا رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ذنبك أعظم أم الجبال ؟ » قال بل ذنبي يا رسول الله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ذنبك أعظم أم السموات ؟ » قال بل ذنبي يا رسول الله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ذنبك أعظم أم الله ؟ » قال بل الله أعظم وأجل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ويحك فصف لي ذنبك » قال يا رسول الله اني ذو ثروة من المال وإن السائل ليأتيني يسألني شيئا فكذا نأما يستقبلني بشعلة من نار (١) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اليك عنى لا تحرقنى ببارك ، والذي بعثنى بالهدى والكرامة لو أقمت بين الركن والمقام ، ثم صليت الف عام والالف عام ، حتى تجرى من دموعك الانهار ، وتسقى بها الاشجار ، ثم مت وأنت لثيم لأكبك الله في النار ، ويحك أما علمت أن البخل كفر والكفر في النار ، ويحك أما علمت أن الله تعالى قال (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) وأنشدوا :

إن البخل اذامامات يتبعه سوء الثناء ويحوى الوارث الابلا
يرى البخل سبيل المال واحدة إن الجواد يرى في ماله سبلا

(١) هذا والله ما نشاهده في زمننا من أغنيائنا الذين لا يبذلون شيئا من مالهم الاخشية أمير أو وزير أو حبا في شهرة كاذبة أو رياء وسمعة وليس فعل الخير للخير من طباعهم ولا يخطر على بالهم والافأين من يطعم الجائعين ويواسى المحرومين ؟ ؟

عظاته في الحض على الزكاة

فأله الله يا محشر المؤمنين كونوا من الاستحياء الصالحين ، ولا تكونوا من البخلاء الفاسقين ، قاله نبي الله صلى الله عليه وسلم (وشاركهم في الاموال والاولاد وعدمهم وما يعدمهم الشيطان إلا غرورا) فكل مال لا تؤدي زكاته فصاحبه خازن الشيطان ، وكل مال أخرجت زكاته فصاحبه عدو الشيطان ، حبيب الرحمن ، وعامل بالسنة والقرآن ، وناج من عذاب النيران ، وداخل في نعيم الجنان . فكل من مات وترك مالا قد أدى زكاته فان صاحبه لا تزال الملائكة تكتب له الحسنات إلى يوم القيامة ، وكل من مات وترك مالا لم يؤدي زكاته فلا يزال وزره يحرق عليه إلى يوم القيامة ، وان وصله موقع المال عنده من يزكاه ، وما من عبد أدى زكاة ماله بطيب من نفسه الا جعل الله ذلك المال يوم القيامة طوقا من نور الجنة يضيء لاهل الجمع من المؤمنين حتي يجوزوا الصراط ويدخل به الجنة (١) ، وما من عبد لا يؤدي زكاة ماله إلا طوقه الله يوم القيامة بطوق من نار جهنم لو أن ذلك الطوق وضع في الدنيا لا احترقت الدنيا كلها وتقطعت جبالها وجفت بحارها . فوالله لو لم يكن فيخر الكريم السخي إلا ذكر الله تعالى له في كتابه لكفى في قوله تعالى (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) فاعتنوا هذا اليوم الفاضل فهو يوم تعرف فيه الكرام ، وتفضح فيه اللئام . وهذا يوم عاشوراء يوم تواترت فيه الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يوم النفقة في الله فيه مخلوفة ، والنفقة فيه في غير الله متلوفة . فاذا كان هذا اليوم تخلف فيه النفقات ، فأولى أن تغفر فيه الخطيئات ، وتتضاعف فيه الحسنات ويتجى الله فيه المؤمنين من العذاب والعقوبات ، يوم تبدل الارض غير الارض والسموات ، وتظهر فيه السرائر والخفيات . وأنشدوا :

يا جامع المال يرجو أن يدوم له كل ما استطعت وقدم للوازن

(١) ولقد بلغني ان بعضهم يتحايل في إخراج الزكاة بأن يضع مبلغ ما عليه من زكاة في صرة ويضع الصرة داخل جوال من القمح ويعطيه لمن تجب له الزكاة ويستبرئه منها ثم يدس عليه من يشتري منه هذا القمح ويعود اليه ويرى في ذلك أنه أدى ما عليه وتلك والله حيلة لا تخيل على الله تعالى . فالمقصود هو بذل المعاونة الصادقة للمحتاجين

ولا تسكن كالذي قد قال إذ حضرت وفاته ثلث مالي للمساكين

روى أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل أي الصدقة أفضل ؟ فقال : « أن تتصدق وأنت صحيح حريص صحيح ، تأمل العيش وتحشى الفقر ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا » *

من خلف ثروة لبيت المال

ذكر أن رجلا مات بالمدينة من أهل اليمن وخلف مالا كثيرا فأخبر بخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « هل من وارث ؟ » فقالوا لا يا رسول الله ، فقال صلى الله عليه وسلم : « من لا وارث له فإله لبيت مال المسلمين » فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحضر المال ، فجئ به إلى المسجد فوضع حتى غاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجانب وغاب الناس من الجانب الآخر (١) من حلى وذهب وورق وثياب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ارفعوا المال إلى بيت مال المسلمين » فرفع كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالتفت عبد الله بن عمر رضي الله عنه في المسجد فوجد قرصة من ذهب فيها قيراط فقال : يا رسول الله هذه من ذلك المال ، فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضعها في كفه وجعل يقلبها في يده ثم قال صلى الله عليه وسلم « لو تصدق بها في حياته حين كان صحيحا شحيحا يأمل العيش ويحشى الفقر كانت أحب إليه من هذا المال كله يعطى من بعده في سبيل الله » فآله الله عباد الله اسمعوا أصواب المقال ، وبادروا إلى حسن الفعال ، ولا تغتروا بالعز والمال ، فإن المال يذهب ، والدنيا تخرب ، ونفسك تموت ، والمرد غدا إلى الحى الدائم الباقي الذي لا يموت . واعلم يا أخى أنك مرتين بالذنوب ، وأنت محاسب مطلوب ، مسئول بين يدي علام الغيوب ، فاستعد للسؤال ، وتهيأ للجدال ، في يوم تشيب فيه الرؤس ، وتضيق من فظاعة هول النفوس ، ذلك يوم هائل عبوس . يوم تضع فيه الحوامل أحمالها ، وتزلزل الأرض زلزالها ، وتخرج بأمر الله بعد ذلك أئقالها . يا مغرور يا مسكين ، ظلمت الفقراء والمساكين ، وتركت مالك للوارثين ، ولم تخف من عقوبة رب العالمين ، يوم يقتص للظالمين من الظالمين . وأنشدوا :

(١) أى أن المال ارتفع فوق أرض المسجد حتى صار حاجزا بين الرسول وبقية الناس لأنه كان صلى الله عليه وسلم جالسا في صدر المجلس ، وكانوا يجلسون بين يديه بغاية الوقار والاحترام في غير تجبر ولا استعظام ، يجلس بينهم يواسى فقيرهم ويعود مريضهم ويفقههم في الدين وكان المسجد بمثابة الديوان لهم والمجتمع العام .

يا جامع المال لا ولاده يخشى عليهم شمت حساده
ولا يبالي كيف فاد الغنى يغتر بالله وإيعاده
اسمع مقالا سوف تحظى به إن أنت لم تعمل باضداده
بنوك إن لا ذوا بمولاهم وتابعوا منهاج إرشاده
فالله يكفيهم ويحميهم والله لا خلف لميعاده
وإن يحيدوا عن سبيل الهدى وقابلوا الدين بافساده
فقد يكن مالك عوناً لهم في طاعة الله وأجناده

السائل في حلقة ابن عمار

قيل وقف رجل في حلقة منصور بن عمار في يوم عاشوراء فقال : أيها الناس رحم الله من تصدق من فضل ، وأنفق (١) من كفاف ، وآثر من فاقة . فقال لهم منصور : معشر الناس ما ترك منكم أحدا . فلم يكن أحد في المجلس إلا واساه ، قال منصور بن عمار : اللهم عجل لهم بالخلف في الدنيا والثواب الجزيل في الآخرة ، قال منصور فلقد افتقدت أهل مجلسي كلهم واحدا بعد واحد بعد ذلك بعام فما منهم إلا من قال : أخلف الله على سبعين ضعفا مما أعطيت . قال منصور فأخذتني عيناي فتمت فرأيت قائلا يقول . ابشر يا منصور قد غفر الله لجميع من كان في ذلك المجلس فاخبرهم بذلك ، وقد غفرت لك فأنت الذي دللتهم على الخير فאלله الله يا عباد الله تفضلوا على أنفسكم بأموالكم فليس أحد منكم أحق بها من نفسه *

تحذير من البخل

ذكر في بعض الأخبار أن ملكا ينادى كل يوم تحت العرش ، الويل ثم الويل لمن ترك عياله بخير ، وقدم على الله بشر . وأنشدوا .

لا تؤثر بما جمعت سواكا الموت لا تدري متى يغشاكا
إن البنين مع البنات رأيتهم يتطلعون ويشتهون فناكا

(١) في الأصل ، وأمسك ، وهو تحريف ظاهر ، والمشهور ، وواسى من كفاف . وقوله وآثر من فاقة يشير الى قوله تعالى (والذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) والكفاف غاية ما يمكن للإنسان أن يكف به عن السؤال وهو قوت يومك .

من كان يعلم أن مالك ماله بعد الممات فلا يحب بقا كما (١)
فأله الله عباد الله اجتهدوا وارغبوا في ثواب يوم فضله الرحمن ، ووعده من أدى زكاة ماله
جنة الرضوان ، وأتاب مؤدى الزكاة اخلاص الايمان ، وذهب مانع الزكاة وجعله من أهل السكفر
والخذلان ، وبين ذلك في القرآن . وأنشدوا :

يا جامع المال في الدنيا لوارثه هل أنت بالمال بعد الموت تنتفع
قدم لنفسك قبل الموت في مهل فان حظك بعد الموت ينقطع

من أقرض الله فضا عفه له

ذكر أن رجلا دخل بعض الاسواق في يوم عاشوراء فسمع سائلا يقول : (من ذا الذي
يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله أجر كريم) قال فقام اليه رجل من التجار فاعطاه عشرة
دنانير ، فلما كان العام التالي اذا بالرجل السائل قد جاء وحوله فقراء يتبعونه وهو يفرق عليهم الصدقة ؛
فقال الرجل الذي رآه حين أعطاه الرجل العشرة دنانير . يا أخى أقسمت عليك أما أنت الذى أعطاك
فلان التاجر العشرة دنانير عام اول في يوم عاشوراء ؟ قال نعم ، قال قلت الم تلك فقيرا ذلك اليوم ؟
قال بلى ! قال قلت له فما غناك ؟ قال لما علم الله صدق نيتي وأناى ما اخذت الصدقة إلا وأنا محتاج ،
وعلم الله تعالى طيب نفس المتصدق باعطائها بارك لى فى تلك العشرة الدنانير وانماها لى حتى
وجهت على اليوم عشرة دنانير زكاة في مالى (٢) قال فلما سمعت منه ذلك مضيت الى الرجل
الذى كان تصدق عليه بالعشرة دنانير فقلت صف لى قصتك في العام الماضى في يوم عاشوراء اذ جاء
الرجل الذى قال : (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله أجر كريم) ، فقال
الرجل المتصدق إنه لما قرأ هذه الآية وقع فى نفسى ان الله سبحانه سيخلف على فى الدنيا ويوفىنى
فى الآخرة الاجر الكريم فبت على هذه النية فرأيت ربي جل جلاله فى منامى وهو يقول
يا عبدى قد أنجزت الأمرين وقد أوجبت لك الجنة .

يوم عاشوراء وقتل الحسين

فالعجب كل العجب من بعض جهلة الناس الذين يذمون يوم عاشوراء ويسمونونه يوم التحس
لقتل الحسين رضى الله عنه فيه ، وهذه غاية السخافة فى الجهالة وفى معاندة الاخبار عن رسول
(١) أى اذا كبر الرجل وكان عنده مال تمنى أولاده موته ليحوزوا ميراثه ويستولون
على ماله فلذلك هم يكرهونه (٢) قال الله تعالى (إن من أموالكم وأولادكم عدوا لكم)

الله صلى الله عليه وسلم ومبالغة في الرد على صاحب الشريعة في قوله بفضائل يوم عاشوراء ، ولولا البغي والعداوة لعدوا ذلك من فضائل الحسين رضى الله عنه إذ استشهد في مثل هذا اليوم الشريف كما أن الواحد منا يموت له قريب في ليلة الجمعة أو ليلة القدر أو يستشهد يوم الجمعة أو يوم عرفة فيكون من فضائله ، أو يعد من مناقبه فكذا الحسين . هذا ورسول الله صلى الله عليه وسلم أخبره جبريل عليه السلام بمقتله »

الحسين وجده

قالت أم سلمة رضى الله عنها (١) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الحسين في منزلي إذ دخلت عليهما فظالعتهما من الباب فإذا الحسين على صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم يلعب وفي بادر رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعة من طين ودموعه تجري على خديه ، فلما خرج الحسين دخلت اليه وقلت له : بأبي أنت وأمي يا رسول الله اطلعت عليك وفي يدك طينة والصبي على صدرك وأنت تبكي ؟ فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم إني لما فرحت به وهو على صدري يلعب إذ أتاني جبريل عليه السلام وناولني (الطينة) التي يقتل عليها الحسين ، فلذلك بكيت * »

رؤيا ابن عباس لمقتل الحسين

وقيل رأى ابن عباس رضى الله عنه في منامه يوم قتل الحسين ، رسل الله صلى الله عليه وسلم ويده قارورة وهو يلتقط شيئا من الأرض قال فقلت له ما هذا يا رسول الله ، قال قتل ولدى الحسين ولم أزل منذ ذلك اليوم ألتقط دمه من الأرض وأجمعه في القارورة وأرفعه الى الله تعالى . فكان كما رأى رضى الله عنه (٢) وقيل لما خرج الحسين الى العراق خوفاً أهله وجزعوا فلما رأى جزعهم أنشأ يقول .

سأمضى فإني الموت عار على الفتى إذا مانوى حقاً وحارب مجرماً
وواسى الرجال الصالحين بنفسه وخالف مشبورا ووافق مسلماً

(١) هي زوج النبي صلى الله عليه وسلم (٢) أى أنه قتل في اليوم الذي رآه فيه ، وقد روي أن ابن عباس رضى الله عنه نهاه عن الخروج من المدينة وحذره كثيراً فلم يقبل

وجاهد في الرحمن حق جهاده كفى بك ذلاً أن تعيش فتغمرما (١)

فلما قدم الكوفة استقبله الفرزدق فقال له الحسين : ما وراءك يا أبا فراس ؟ قال أصدقك أم لا ؟ قال الصدق أريد ، قال أما القلوب فمعك ، وأما السيوف فمع بني أمية عليك . قال له الحسين . ما أراك إلا صدقت إن الناس عبيد المال ، فالدين نفق على ألسنتهم يحوطونه ماردت به معائشهم ، فاذا تحولوا للابتلاء قل الديانون . ثم التفت إلى أصحابه وقال . على الخير سقطننا آيات ظهرت لمقتل الحسين

وقال الحسن : لم نر هذه الحجرة في السماء إلا حين قتل الحسين . ووجد على حائط.

قسطنطين (٢) أترجو أمة قتلت حسيناً شفاعته جده يوم الحساب * ويقال ناحت الجن على قتل الحسين سبعة أيام حتى سمعت من تحت السبع أرضين ، وأبكت الملائكة أجمعين *

حكاية غريبة

وقال الحذاء بن رباح القاضي : رأيت رجلاً مكفوفاً قد شهد قتل الحسين وكان الناس يأتونه ويسألونه عن ذهاب بصره ؟ قال فكان يقول . شهدت قتل الحسين ولكني لم أضرب بسيف ولم أرم بسهم ، فلما قتل الحسين رجعت إلى المنزل وصليت العشاء الأخيرة ونمت ، فأتاني آت في منامي فقال لي أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت مالي وله ؟ فأخذني وجذبني جذبة شديدة وانطلق بي إليه ، فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً في المحراب مغتماً حاسراً عن ذراعيه أخذاً بخده وبين يديه نطع (٣) وملك قائم بين يديه ، وبين يدي الملك سيف من نار وكان لي تسعة من الأصحاب فقتل أصحابي التسعة كلما ضرب الملك أحداً انتهت نفسه نارا ، فكلما قام الملك صاروا أحياء فقتلهم مرة بعد أخرى حتى قتلهم سبع مرات ، فدنوت من النبي صلى الله عليه وسلم وحبوت إليه فقلت السلام عليك يا رسول الله ، والله ما ضربت بسيف ولا طعنت برمح ولا رميت بسهم ، فقال لي صدقت ولكن كثرت السواد ، أدن مني فدنوت منه فاذا طشت مملوء دماً من دماء الحسين ، فكحلني من ذلك الدم فانتبهت أعشى لا أبصر شيئاً

(١) كذا في الأصل ، ولعلها محرفة عن ، تعيش فتغمرما . أي أنك تعيش إلى أن تبلغ الهرم فحينئذ تكون مذلولاً لضعف صحتك ونقصان قوتك وعدم لذتك باطايب الطعام والشراب وغيره (٢) وفي رواية ، على حائط كنيسة بالشام (٣) النطع جلد عليه رماد كثير يقتل فوقه المذنبون ومن وجب عليه القتل وكان من آلة الأعدام في قصور الملوك والامراء

حكاية عن قتل الحسين

وقال الفضل بن الزبير : كنت قاعدا عند السدى فجاءه رجل فجلس اليه فاذا منه ريح قطران ، فقال له السدى : أتبيع قطراناً ؟ فقال لا . قال له ماهذه الرائحة ؟ قال شهدت عسكر عمر ابن سعد (١) فكنت أبيع منهم الاوتاد الحديد ، فلما قتل الحسين يوم عاشوراء بت في العسكر فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم والحسين وعلى معهم وهو يسقى الماء من قتل من اصحاب الحسين ، فاستقيته فأبى أن يسقيني ، قال فقال لى : ألسنت من أعان علينا ؟ فقلت بل كنت أبيعهم أوتاد الحديد ، قال فقال لعلى اسقه قطراناً ، قال فناولنى قدحا فشربت منه فكنت ثلاثة أيام أبول القطران ، ثم ذهب ذلك عني وبقيت هذه الرائحة على . قال فقال له السدى : كل خبز البر وكل من كل الثبات واشرب من ماء الفرات فما أراك تعان الجنة ولا محمد أبدا (٢) » *

من استخف بالحسين

حكى أن رجلا من شهد قتل الحسين يوم عاشوراء قال — وعلى وجهه الاستخفاف — : ما أكره ما يكذب أهل العراق ويقولون : إنه لم يشهد قتل الحسين أحد الا أصيب ببلاء ، وإنى حضرت يوم قتله ولم يصبني بلاء ولا شيء ، قال وكان ضيفا عند قوم فقام ليصلح السراج فتعلقت به شرارة من المصباح فاشتعل نارا ومات على المكان *

برسليمان بن عبد الملك للحسين

وحكى عن الحسن البصرى انه قال : رأى سليمان بن عبد الملك في النوم أنه يبصره ويلاطفه ، فسأل الحسن عن ذلك فقال لعلى فعلت الى أهل بيته معروفا ؟ قال نعم ؟ إنى وجدت رأس الحسين في خزانة يزيد بن معاوية فكسوته خمسا من الديباج وصليت عليه في جماعة من أصحابى وقبرته . فقال الحسن : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رضى عنك بسبب ذلك ، فاحسن الى الحسن البصرى وأمر له بالجوائز . فعليكم بحفظ مقام الاشراف ولو كانوا في غاية الاسراف

(١) هو القائد الذى وجهه يزيد بن معاوية لقتال الحسين رضى الله عنه (٢) أخذ ذلك السدى من ظاهر رواية الرجل وأول القطران بانه يشربه في النار لانه من شرابها غير أن رحمة الله تعم الخاطئين ولعله لم يكن له يد في هذا القتال ولم يرضه وعلى كل حال فحسابهم على الله

في قتل الحسين

ورأيت في كتاب التعازي والعزاء من وضع أبي محمد عبد الله بن محمد البللوري أن الحسين رضوان الله عليه استسقى ماء حين قتل فمنع منه وقتل وهو عطشان ، وأتى الله حتى سقاه من شراب الجنة ، وذبح ذبحاً وسيت حرمة وحملاً مكشفات الرأس على الأكف بغير وطء حتى دخل دمشق ورأس الحسين بينهن علي رمح ، إذا بكى إحداهن عند رؤيته ضربها حرسى بسوطه ، ووقف أهل الذمة لمن في سوق دمشق يصفقون في وجوههن حتى وقفن بباب يزيد ، فأمر برأس الحسين فنصب على الباب وجميع حرمة حوله ووكل به الحرس وقال : إذا بكى منهن باكية فالطموها . فظلل رأس الحسين بينهن مصلوب تسع ساعات من النهار وإن أم كلثوم رفعت رأسها فرأت رأس الحسين فبكى وقالت يا جدها - تريد رسول الله صلى الله عليه وسلم - هذا رأس حبيبي الحسين مصلوب وبكى ، فرفع يده بعض الحرس وطمها لطمه حصر وجهها ، وشلت يده مكانه وفي هذا يقول الأزدي :

لقد ضل قوم أصبحوا في تلدد	سباياهم في الحرب آل محمد
كما ضل شعي الناكبين بعجلهم	فأعقبهم لعنا بدين اليهود
وموسى وعيسى بشرا بمحمد	عليه سلام الله من متعجب
أيا أمة الاسلام يأمه الذي	هدى الله منا بالنبي كل مهتد
وثوب لآبناء النبي فلو ترى	بنو اللعن إذ غنوا لهم بالتهدد (١)
بسوق دمشق يصفقون وجوههم	فداء لها نفس وما ملك يدي
فما جرى دمعي يا حبيبي بناضب	ولا زندي ودي للحسين بمصلد

عمرو بن الليث

وقيل إن عمرو بن الليث عرض عليه جنوده يوماً فرأى كثرة عسكره وكان يحمل بين

(١) يريد بيني اللعن اليهود لأنهم كانوا ذميين وليس لهم أن يتدخلوا في ذلك ويصفقوا في وجوه الأسرى لأن من شروط الذم أن لا يتدخل في سياسة أهل البلد كما هو جار الآن في جميع ممالك الأرض إذ أن النزيل فيهم الذي ليس من أهل البلد لا يجوز له أن ينصر حزبا على آخرو الظاهر أن الخليفة على شدة جبروته لم يجد غيرهم لذلك الأمر الشنيع الفظيع .

يديه اثنا عشر الف عمود من ذهب ، تحت كل عمود قائد من حشمه تحت يده الف فارس فلما رأى ذلك اغرورقت عيناه بالبكاء وقال في نفسه : باليتى وقت قتل الحسين بن علي مع هؤلاء فكنت أفديه بنفسى ومالى وحشمى ، فرأى بعض الصالحين في منامه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له قل لعمر بن الليث : اطلعنا على ما خطر بقلبك وقبلنا منك ، وأعطاك الله تعالى على نيتك وقولك الثواب الجزيل . فجاءه فأخبره فبكى بكاء شديدا ❦

من فضائل عاشوراء

ومن فضائل يوم عاشوراء ما ذكره وهب بن منبه ، قال وهب بن منبه : أنزل الله سبحانه وتعالى خاتم سليمان عليه الصلاة والسلام في يوم عاشوراء ، وذلك أن الله تعالى أسكن آدم الجنة وختمه بخاتم العز وقال يا آدم هذا خاتم عهدى فاذا نسيت عهدى يا آدم أخلعه منك ثم ألبسه من أنبيائي من لا ينسى عهدى وأورثه خلافتك ، ففزع آدم وقال ياربى من هذا الذى تورثه خلافتى ؟ قال الله تعالى ولدك سليمان ، أسلمه من الكبر واجعله مثالا للردة من ولدك الذين يفسدون في اطراف الارض ويسمون أنفسهم ملوكا في أكنافها . فأخذ آدم عليه السلام فتختم به فكان يضيء لنوره أشجار الجنة ، وتضحك حور الجنان ، وتميل الخزنة لرؤيته عجا منه ومن حسنه وجماله فسبحان من أكرمه واصطفاه صلى الله عليه وسلم حتى عصى ربه ونسى عهده طار الخاتم من أصبعه طيرا نازعا مذعورا حتى استجار بركن من أركان العرش وأنطق الله الخاتم فقال : الهى وسيدى هذا آدم قد رفضني وأنت قد طهرتني به وجعلتني لاهل الطهارة ، فقال الله جل جلاله استقر فلك الامان ، وسنجعلك لمن نسله من الكبر ونعزده بك على أن لا يملكك احد بعده ابدا ، فلما اصطفى الله سبحانه سليمان عليه السلام بالخلافة والولاية واحب أن يرى عبادته قدرته جعل عن سليمان عليه الصلاة والسلام في ذلك الخاتم وانزله الله سبحانه اليه يوم عاشوراء صبيحة يوم الجمعة ، وسليمان قائم في محرابه وخلفه اثني عشر سبطا في كل سبط اثني عشر الفا من العلماء والحكام والقضاة من أهل التوراة والزبور ودراسة الكتب إلا أصحاب البرانيس والعكا كيز فقد أظلمهم الطير من فوقهم (١) فبينما سليمان

(١) لقد تواترت الاخبار عن ملك سليمان وما أعطاه الله من بسطة في الدنيا وقوة في الحكم حتى علمه الله منطلق الوحش والطير وسخر له الجن والمردة يأتمرون بأمره ويطيعون حكمه ويشيدون له العظيم من المباني وهو مع ذلك متواضع لله زاهد في الدنيا لم يشبع قط من أطايبها

عليه السلام في قراءة الزبور إذ ناداه جبريل عليه السلام *

خاتم سليمان

وقال له السلام عليك يا سليمان هذه هدية الله اليك ، خذ هذا الخاتم فتختم به ، فسجد سليمان لله رب العالمين شكرا وسجد من خافه من أول النهار الى آخره تعظيما لله عز وجل وتحميدا له حتى إذا رفع رأسه صعد كرسيه واستقبل الناس بوجهه ورفع اليهم الخاتم فلمح في يده كالبرق الخاطف فقال لهم : هذا خاتم جمع الله لي فيه سلطاني وعزتي وفضلتي به على العالمين ، وهو خاتم الطاعة لا يمسه إلا عزيز تقى نقى قالوا له : قد أديننا لك طاعتنا وأنت العزيز التقى النقى الأمين ، وكان على ترييع الخاتم مكتوب على الجانب الاول : انا الله لم ازل وعلى الثاني : انا الله الحى القيوم ، وعلى الثالث : انا الله العزيز لا عزيز غيرى وعزيز من البسنة إياه ، وعلى الرابع آية الكرسي ، يحيط به لا إله إلا الله محمد رسول الله خاتم الانبياء . فهذه صفة خاتم سليمان عليه السلام (١) *

كيف نجا الاسير

وحكى أن أسيرا كان بأيدي الكفار وكانوا يعذبونه ، فلما كان في يوم عاشوراء قال اللهم بحرمة هذا اليوم عليك الا ما فرجت عني ، قال فلفظ الله به وعطف عليه قلوب الكفار حتى خلصوه وافرجوا عنه ، وقيل خرج أسير في يوم عاشوراء من بلد الكفار فطلبوه ، فلما رأى الفرسان خلفه وأيقن أنه مأخوذ مدرك رفع رأسه إلى السماء وقال : إلهي وسيدي ومولاي بحرمة هذا اليوم أسالك أن تنجيني وتحفظني منهم ، فأعنى الله أبصارهم عنه فنجوا ، وصام ذلك اليوم فلم يجد شيئا يفطر عليه عند الليل فنام واطعم وسقى في النوم لفضل يوم عاشوراء . فعاش بعد ذلك عشرين سنة لم يكن له حاجة إلى الطعام والشراب . وهذا رحمكم الله من فضل يوم عاشوراء فاعرفوا حقه وارغبوا في فضله ، لأحرمنا الله فضله وغفر لنا فيه ما سلفنا من الاوزار والذنوب ، وستر علينا ما اتينا من القبائح والعيوب .

(١) ولقد أولع المتأخرون به وصوروه بجميع الاشكال وضرب به المثل في جمال الفم

دعوات صالحة

اللهم (١) كما ثبت على آدم في يوم عاشوراء فتب علينا ، وكما نجيت عيسى من الاعداء ، فنجنا ، وكما رفعت إدريس مكاناً علياً فارفعنا ، وكما لعنت فيه إبليس فأعدنا من سخطك ، وجنبنا معاصيك برحمتك يا أرحم الراحمين *

اللهم ارزقنا الشهادة والسعادة كما فعلت بهابيل (٢) واجعلنا يا رب من أحبائك كما فعلت بالخليل *

اللهم برد علينا نار الآخرة كما بردت النار على خليلك إبراهيم ، وأهلك أعداءنا كما أهلكك أعداء موسى في اليم *

اللهم نجنا من طوفان الشهوات والهوى ، وأنزل علينا السكينة والوقار في دار الدنيا *

اللهم اكشف عنا الضر والبلوى ورد علينا أبصار القلوب بعد التحير والعمى (٣)

اللهم وإذا أخرجتنا من سجن الدنيا فأكرمنا بملك البقاء ورد علينا ما فات منا من طيبات التقى *

اللهم اغفر لنا ما تقدم من ذنوبنا وما تأخر وما أعلنا وما أسررنا وما أنت أعلم به منا برحمتك يا أرحم الراحمين *

اللهم يا عماد من لا عماد له ويا ذخرك من لا ذخرك له ويا حرز من لا حرز له ويا ناصر من لا ناصر له يا مؤيد قلوب العارفين ويا مستراح مذاهب المتوكلين ويا شاهد مجالس الخائفين ويا مقيل عثرة العاثرين ويا أرحم الراحمين أجب دعاءنا ولا تحرمنا خير ما عندك بشر ما عندنا اللهم اجعلنا ممن شملته رحمتك وناله عفوك وعد على ما تعلم من ذنوبنا برحمتك وعلى ما سلف من تقصيرنا عن طاعتك ما وعدتنا من الاحسان من نفسك يا ذا الجلال والاكرام *

(١) بعد أن أتى المؤلف رحمه الله ببيان الفضائل والثواب التي ليوم عاشوراء سرد أدعية

صالحة يجب على كل إنسان أن يحفظها ويدعو الله بها في الشدة والرخاء والصحة والمرض

لأنها خلاصة الدعوات . (٢) هابيل أحد ولد آدم وقد قتله أخوه قابيل حسداً وبغياً منه إذ

تقبل الله قربانه ولم يتقبل من أخيه وهو أول قتيل على الأرض وقصته مذكورة في القرآن

الكريم (٣) يشير الى قصة يعقوب عليه السلام يكن أعمى حاشا لمقام النبوة الجليل .

اللهم يا سيدنا كرمت أفعالك بتأفصيناك ووجدناك كريماً فدعوناك واقيناك رحيماً فأسألك
اللهم فكما مننت علينا بالستر والعافية في حال الذنب والمعصية لا تحرمانا المغفرة والرحمة
في حال التضرع والاستكانة سيدنا ومولانا ارحم في هذه الدنيا غربتنا وارحم عند الموت
صرعنا وآنس في اللحد وحشتنا ، وارحم بين يديك ذل موقفنا ، واغفر لنا ما خفي على
الناس من أعمالنا *

اللهم أنظر إلينا نظرة الرضا وأعنا من نظرة الحزى والعلل *
اللهم لا تجعلنا ممن صرفت عنه وجهك ، ومحوت عنه عفوك ، وأغلقت عنه باب التوبة ،
وقطعت من يديه أسباب العصمة ، وطبعت على قلبه وأعميته لذنبه ، ووكلته الى نفسه ، إنك
على كل شيء قدير *

اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار *
اللهم ياربنا وسيدنا ومولانا لا تكلنا الى أنفسنا طرفة عين واحفظنا واحفظ علينا ما رزقنا
وبارك لنا فيما أعطيتنا ولا تجعل لاحد من خلقك علينا سلطانا ولا سيلا يا أرحم الراحمين *
اللهم يسرنا لليسرى وجنبنا للعسرى *

اللهم إنا نسألك من فضلك وعطاياك رزقا طيبا مباركا فيه *
اللهم اهدنا للهدى وقنا بالتقوى واغفر لنا مغفرة وافية في الدنيا والآخرة *
اللهم لا تدع لنا في مقامنا هذا ذنبا إلا غفرته ، ولا دينا إلا قضيته ، ولاهما إلا فرجته ،
ولا مريضا إلا شفيته ، ولا غائبا إلا أدبته ، ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة مما يصلحنا
ويرضيك إلا قضيتها *

اللهم أدر دين المدينين ، وفرج عن المهمومين والمكروبين ، واكتب سلامة المسافرين
في البر والبحر أجمعين ، وجاز اللهم خير المحسنين *

اللهم إن نواصينا بيدك وقلوبنا في قبضتك تعلم منقلبنا ومثوانا وسرنا ونجوانا اليك مردنا
ومصيرنا أنت فوق العباد بعزتك ؛ أنت الخالق ونحن المخلوقون ، وأنت المالك ونحن المملوكون
أنت الرب ونحن العبيد ، أنت الغنى ونحن الفقراء أسمع دعاءنا ولا تقطع منا في كل ما سألناك
ورغبنا اليك رجاءنا فان ذلك عليك يسير ، وأنت نعم المولى ونعم النصير ، ولا حول ولا
قوة إلا بالله العلي العظيم ، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد
خاتم النبيين وعلى آله وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين وهو حسبنا ونعم الوكيل وما

توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب (١) ٥

١٦- ﴿ مجلس فى قوله تعالى الله نور السموات والارض ﴾

قلب المؤمن

مثل ضربه الله المولى البصير السميع ، لقلب العبد المؤمن المطيع ، وما أودعه من الايمان ، والمعرفة فى القرآن ، من نور الملك الرحمن . فقال خالق الطول والعرض ، الذى عبد بالنوافل والفرض (الله نور السموات والارض) أى بنوره جل جلاله يهتدى من فى السموات والارض . ثم قال تبارك وتعالى (مثل نوره) يعنى النور الذى جعل فى قلب المؤمن ، وهذا قول جمهور المفسرين (كمشكاة) يعنى قلب المؤمن ، والمشكاة هى الكوة غير نافذة ، وذلك أن الكوة إن كانت غير نافذة وكان فيها قنديل الزجاج ولا يقال للزجاجة قنديل حتى يكون فيها مصباح وهو السراج ، فاذا كان المصباح فى زجاجة صافية فى كوة غير نافذة انضم النور واجتمع ولم يحدله منفذاً فتكون الكوة أكثر نورا مما لو كانت نافذة ، وهذه مبالغة من الله فى وصف قلب المؤمن ثم إن الله تعالى خلق الخلق ضرباً مختلفاً فاذا كانت أنوار المعرفة والايمان فى قلب العبد استدل ونظر بنور الله تعالى وأخذته الفكرة فى خلق السموات والارض وفى عظمة الله تبارك وتعالى ، فاذا كان العبد كذلك تمكن من قلبه الخوف فعند ذلك يتبع القرآن والاحكام ، ويتجنب الفواحش والآثام ، من كثرة النور الذى جعله فى قلبه الملك العلام . فهذا الصنف الذى أثنى عليه الله فى كتابه العزيز . فقال الله تعالى (إن فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار آيات لاولى الالباب) (٢) ثم نعمتهم المولى

(١) أكثر المؤلف رحمه الله فى ختام هذا المجلس من الدعوات على غير عادته فى بقية المجالس ، ويظهر أنه كان يريد أن يجعل هذا المجلس خاتمة الكتاب ثم بدله فأضاف اليه مجلسين فى فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (٢) خص الله سبحانه بالخطاب أولى الالباب أى العقول لان مقام التفكير فى خلق السموات والارض وفى اختلاف الليل والنهار وما يترتب على ذلك من صيف وشتاء وحر وقر ومد وجزر آيات باهرة وشواهد ظاهرة على وحدانيته تعالى وقدرته يدر كها ذوى العقول الراجحة المفكرة ، والبصائر النيرة الطاهرة .

بالتذكير والتفكير فقال تعالى (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض) الى قوله (عذاب النار) فلما جعل الله تبارك وتعالى نور الايمان في قلوبهم أيقنوا أن الله عز وجل خلق السموات والارض والليل والنهار والشمس والقمر علموا بنور الهدى أنما خلق الله ذلك ليطاع ولا يعصى ، وعلموا أن الجنة جزاء لمن أطاعه والنار جزاء لمن عصاه . فاستعملوا قلوبهم بالفكرة ، وجالت أبصارهم في مصنوعات الله بالعبارة فلا يقدر واحد منهم أن يباشر شيئا من المنكرات ، ولا يضع شيئا من الطاعات *

النور هو الهدى

قال بعض اهل العلم : أراد الله تبارك وتعالى بهذا النور الهدى ، وليس المراد به نور شعاع ولا ضياء لان الله تبارك وتعالى لا يوصف بلون من الالوان ، ولا يشبه بملك ولا انسان ، ليس كمثل شئ وهو السميع البصير (١) وقال بعض العلماء : هذا مثل ضربه الله تبارك وتعالى في وصف نور محمد صلى الله عليه وسلم الذي هدى به المؤمنين ، واستنقذهم به من موارد الهالكين ، لان الله تعالى رحمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم العباد ، وأنقذهم به من جهنم وبئس المهاد . وأوجب لهم الاقتداء بنور الجنة ، وأعظم عليهم به المنة . ثم قال تعالى (فيها مصباح) يعني سراجا ، (المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية) الآية . فشبّه الله تعالى القنديل في شدة بياضه وتلاؤه بكوكب دري ، يوقد ذلك المصباح بزيت من شجرة لاشرقية ولا غربية ، أي لا بارز للشمس كل النهار فتحرقها الشمس بحرها ، ولا غربية أي ولا مستترة بالظل فيؤذيها الظل ببرده كل النهار ، ولكنها شرقية غربية تصيبها الشمس بعض النهار ، وإذا كانت الشجرة كذلك فهو أنضر لها وأجود لحملها وأنور لزيتها . ثم قال تعالى (يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار) أي ولو لم يسرج به من شدة صفائه . ثم الكلام ، ثم ابتداء تعالى فقال (نور على نور) يعني نور المصباح على نور الزجاجة

(١) ضرب الله سبحانه وتعالى لنوره وهم لم يروه ولم يشاهدوه بنور المصباح الذي يرويه تحت أعينهم وإن كان البون شاسع بين نور الله تعالى ونور المصباح إلا أن القرآن الكريم كان يضرب لهم الامثال بما يعرفونه أو يتخيلونه ، كما قال تعالى (طلعتها كأنه رءوس الشياطين) والعرب لم تر رءوس الشياطين إلا أنهم لما كانوا يتخيلون رءوس الشياطين كبيرة فظيعة وإن لم يروها فنسبها بها . وكقوله تعالى (مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء) .

وصفاء الزيت . وهذا مثل ضربه الملك الجبار ، لقلوب المؤمنين الابرار ، قال سبحانه وتعالى (أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه) فتور الهدى اذا دخل القلب انفسح وانشرح وزالت عنه الاسباب المانعة عنه الضلالة والمعصية فعند ذلك ذكر الجوارح بالاعمال الموجبة لدار القرار ، والمنجية من سخط الملك الجبار ، ومدار ذلك كله على القلب والقلب هو سلطان البدن فاذا صلح صلح جميع الجسد ، واذا فسد فسد جميع الجسد ، وصلاحه انما هو بنور الايمان ، وينظر الملك الرحمن ، وفساده انما هو بظلمة العصيان ، ووسواس العدو الشيطان ولذلك ورد الخبر عن سيد البشر « إن في ابن آدم لمضغة اذا صلحت صلح الجسد واذا فسدت فسد سائر الجسد الا وهى القلب » *

شجرة الزيتون

وقال الله تعالى (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) وقال عز وجل (وأنزلنا اليكم نورا مبينا) وقال سبحانه (ولكن جعلنا نورا نهدى به من نشاء من عبادنا) وقوله تعالى (زيتونة لا شرقية ولا غربية) (١) لا شرقية تطلع عليها الشمس كل النهار فتحرقها ، ولا غربية يصيبها الظل كل النهار فيظلها ، وهى افضل ما يكون من الشجر . وهذا مثل ضربه الله تعالى فى وصف نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، والنور الذى أنزل عليه هو القرآن . فالله تعالى قد وصف الشجرة بأنه سبحانه وتعالى حفظها من الشمس والظل فكذلك حفظ لنا القرآن فلم يقع فيه تحريف ولا بهتان ، ولا زيادة ولا نقصان ، ولو جعل الله حفظه إلينا وقع فيه التحريف والتبديل كما وقع فى الكتب المتقدمة قال الله تعالى (بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء) ثم أخبرنا عنهم عز وجل أنهم حرفوا وبدلوا فقال تعالى (يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به) وقال سبحانه (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله) فأخبرنا الملك الرحمن فى محكم القرآن ، أنهم أوقعوا فى كتبهم الزيادة والنقصان ، والتحريف والبهتان . وخبرنا مولانا عن القرآن أنه الحافظ له بقوله (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) وما حفظ الملك الديان فلا يقع فيه زيادة ولا نقصان ولا تحريف ولا بهتان . فكتابنا قد حفظه الملك الجليل ، فسلم من التحريف والتبديل ، وكذلك

(١) وخص الزيتون بالذكر وإن كان كثير من الشجر له زيت لأن زيتا أصفى وأضوأ ما بكم ن ، لأنها شجرة مباركة يؤكل ثمرها ويستخرج منه الزيت ويصلح عجمها طعاما للحيوانات .

حفظ نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم وعصمه وهداه فقال تعالى في عصمته لنبيه وحبيبه وصفيه (والله يعصمك من الناس) وقال تبارك وتعالى في هدايته لنبيه (ويهديك صراطا مستقيما) فأخبرنا مولانا العزيز الحكيم عن محمد النبي الرؤوف الرحيم أنه قد هداه إلى الصراط المستقيم ، وأعادته من الشيطان الرجيم ، وحفظه الملك الرحمن من الشرك والكفران ، والعوج والبهتان ، فقال له الديان في محكم القرآن (قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم ديننا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين) فهداه الله تبارك وتعالى إلى الحق المعلوم وعلمه ما لم يكن يعلم من دقائق العلوم ؛ فأدى رسالة ربه غير مقصر ولا مذموم ، ولا مفرط ولا ملوم ، فأخبرنا الحى القيوم ، عن النبي الصادق المرحوم ، أنه قد بلغ كتاب ربه المعلوم ، وقال له (فتول عنهم وما أنت بملموم) وقد أخبرنا الملك الجبار أنه أمر نبيه المختار بتبليغ الرسالة ليستنقذ المؤمنين من النار فقال تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) فأمره تعالى بالتبليغ وأخبر عنه أنه قد بلغ . وما حفظه الملك القهار لقلوب المؤمنين الأبرار ، فقوله تعالى (إن عبادى ليس لك عليهم سلطان) فصار المؤمن في عصمة الله تبارك وتعالى وحفظه ، لما دخل نور الهدى في قلبه . فهذا مثل ضربه الله العزيز الحكيم ، المنان المتفضل الكريم ، لنبيه الصادق الأمين ، ولكسابه النور المبين . ثم قال تعالى (ويضرب الأمثال للناس والله بكل شئ عليم) فهو تعالى عالم بما كان وما يكون وما لم يكن ولا يكون ، أن لو كان كيف كان يكون . ثم إن الله تبارك وتعالى أثني على المؤمنين المحافظين على أداء الصلوات الذاكرين لله في المساجد في جميع الآناء (١) والاوقات ، الخائفين من عقوبة رب الارضين والسموات ، فقال رب الارباب وسيد السادات في محكم الكتاب (بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها) الآية . أى يذكر فيها جميع ما أنزل المولى من أسمائه الحسنی وصفاته العلى ، لا يذكر فيها زور ولا بهتان ، ولا غيبة ولا عصيان ، ولا نيممة على اللسان ، وإنما جعلها الله تعالى للسنة والقرآن ، وعبادة الملك الديان ، لا يذكر فيها لغو ولا تأثيم ، لأنها إنما جعلت لأداء فرض العزيز الحكيم .

المساجد لذكر الله

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا سمعتم الاصوات قد علت

في المساجد في غير ذكر الله فلا تجالسوهم فليس لله فيهم حاجة»

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا علت الاصوات في المساجد في ذكر الدنيا تنقف عليهم الملائكة فيقولون لهم اسكتوا يا أولياء الله ، اسكتوا يا أعداء الله ، اسكتوا عليكم لعنة الله » وقوله (ويذكر فيها اسمه) يذكر فيها جميع ما أنزل العليم الخبير في كتابه المبين ، وجميع ما أمر به الصادق البشير النذير . قال الله مولانا الذي بيده ضلالتنا وهدانا (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وقد نهانا محمد صلى الله عليه وسلم عن فضول الكلام في كل مكان . فإذا كان فضول الكلام وبالا على العباد في غير المساجد ، فأولى أن يتحفظ العبد عن الكلام في غير ذكر الله في المساجد .

كلمة السوء

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن العبد ليتكلم بالكلمة فينزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب (١) » فهذا ثناء من أسرع الخاسرين على عمار المساجد المؤمنين . وقد أثنى عليهم الملك الرحمن في محكم القرآن ، حيث أوجب لهم الايمان (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله) وجاء في الخبر عن سيد البشر صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا كان يوم القيامة يقول الجبار تبارك وتعالى أين جيرانى ؟ فتقول الملائكة مولانا ومن ينبغي أن يكون جارك ؟ فيقول الله تبارك وتعالى يا ملائكتى أين عمار المساجد في الدنيا . » وأنشد يحيى بن معاذ بعرفات :

إليك جئنا وأنت جئت بنا وليس شيء سواك يغنيا

فناك رحب وأنت ذو كرم تدعو الى بابك المساكينا

قال الله تعالى : (يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار) يريد أن القلوب يوم القيامة تعرف أمره يقينا فتقلب ، وما كانت عليه من الكفر والشك في الحساب ، والبعث والثواب والعقاب ، والنعم والعذاب ، فتزرى الابصار يومئذ ما كان عنها مغطى بقوله تعالى (لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) وقيل تتقلب

(١) ومثل ذلك من يتباهي مع اخوانه بذكر المعاصي والفسوق وإظهار ما ستره الله عليه ونهش أعراض المسلمين ومن يكذب ليضحك منه الناس كأن يذكر عن فلان وفلان مالا حقيقة له إلا أنه يتضحك على ذكرهم ويخلق من نفسه بطلا في الشهور وإتيان المنكر .

الابصار من السكحوثة إلى الزرقة ، ومن البصر إلى العمى ، ومن يياض الوجه إلى السواد ، والقلوب تتقلب من الشك إلى اليقين ، ومن الأمن إلى الخوف ، ثم لم يوقفوا بالبعث حتى عاينوه ، ولم يصدقوا بالعذاب حتى شاهدوه . ثم ضرب الله تبارك وتعالى مثلاً للكافرين فقال تعالى . (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظالمون ماء) يراه من البعد (حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً) كذلك الكافر بحسب ما قدم من عمله في الدنيا ينفعه بل وجده بلاً وحسرة عليه لان الله تبارك وتعالى محقه وأبطله بالنفاق والكفر ، لانه عمل لم يعمل له لوجه الله تبارك وتعالى ، ولا ينفع من الاعمال كلها إلا ما كان لوجه الله خالصاً ، والكافر والمنافق لم يرد بعمله وجه الله تعالى فنعوذ بالله من النفاق والكفر بعد الايمان ، ومن زوال النعمة بعد الاحسان ، ومن القطيعة والحرمان ، ومن ترك الزيادة ولزوم النقصان ، ومن ترك العزواتباع الهوان ، وترك المولى الكريم وصحبة الشيطان .

ثم وصف الجبار جل جلاله وتقدست أسماؤه الرجال الذين يسبحون له بالمساجد فقال تبارك وتعالى: (يسبح له فيها) يعنى المساجد (بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) فسبحان من لو سجدنا له على جمر الغضا وحرارة الرمضاء (١) ما بلغنا جزءاً واحداً من فناء الاعداد من حق الملك الجواد الذي أنعم علينا بنعمة الاسلام ، وفضلنا بمحمد عليه الصلاة والسلام ، خير نبي وأكرم إمام ، شاهداً علينا في جميع الاحكام ، وجعل هذه الامة شهداء يوم القيامة على الناس يوم تشقق فيه السماء بالغمام . فمن كانت هذه النعمة من بعض نعمه عليهم كيف تلهيهم تجارة أو بيع عن ذكر الله ؟ ! وتجارتهم مع الله رابحة ، ومحاسنهم لذوى الالباب لائحة . ثناؤهم عطر الانام ، فهم بين الناس كالأعلام ، بهم يستمطرون الغيث إذا حجب ، وفي جملتهم يحشر السعيد والنجيب ، ومن فاخرهم يحب ، ومن حار بهم نكب ، ومن أقلع اليهم بغير ريح عطب ، بدعائهم يستمطر الغمام ، فهو دواء الآلام وشفاء الاسقام وبهم يستنقذ المغلوب ، وبهم يفرج الله عن المكروب ، كروهم كشف العمى عن القلوب ، وبهم تغفر الخطايا والذنوب ، من اقتدى بهم تجنب الآثام والذنوب ، وأقاع عن القبائح والعيوب وبلغ من رحمة مولاه المنى والمرغوب ، وبهم يتوصل إلى غاية المحبوب . وأنشدوا :

وربك لو أبصرت يوماً تابعت عزائمهم حتى لقد بلغوا الجهدا

(١) الرمض وقع الشمس على الرمل وغيره والارض رمضاء اشتد حرها ورمضت قدده احترقت من شدة الحروم منه رمضان لانه كان يحى في شدة القيظ .

لأبصرت قوما جانبوا النوم وارتدوا بأردية التسهاد (١) واستقربوا البعدا
وصاموا نهارا دائما ثم أفطروا على بلغ الاقوات واستعملوا السكدا
أولئك قوم حسن الله فعلهم وأورثهم من حسن فعلهم الخلا

رجال جالت قلوبهم في الملسكوت ، رجال تفكروا في العظمة والجبروت ، رجال استقاموا
على عبادة الحى الذى لا يموت ، رجال خطرت على قلوبهم الاشجان ، وأتعبوا النفوس
والإبدان ، وتسربلوا الخوف والاحزان ، وأقبلوا على مولا لهم كورود الظمان . شربوا بكأس
الزلال مع اليمين ، وتأسوا بسيد المرسلين ، وعملوا أعمال الصالحين ، واتعبوا سيرة المؤمنين
واستقاموا على طريق الهدى والدين . رجال شربوا بكأس الوداد والرحب ، فكشف لهم
حجب الغيب ، وغفر لهم ما عملوا من ذنب ، فاشعلوا في قلوبهم نيران خوف الملك الرب .
رجال أفلحتهم خوف الوعيد ، وأنحل أجسامهم التفكير الشديد ، رجال تجنبوا الفواحش والآثام
ولذئذ الشراب والطعام ، رجال ليلهم قيام ، ونهارهم صيام ، يطلبون رضا ذي الجلال
والاكرام . وأنشدوا :

سقوا كأس المحبة فاطمأنت قلوبهم وهيجهما اليقين
إلى ملك تحن إليه شوقا وليس لها إلى أحد حنين
يميل بهم هبوب القرب ميلا كما مالت مع الريح الغصون

رجال كحلوا أعينهم بالسهر ، وغضوها عما لا يحل من النظر ، وشغلوا خواطرهم
بالفكر ، وأشغلوا قلوبهم بالعبر ، رجال أزعجوا أنفسهم عن الاوطان ، ولزموا مساجد
الملك الرحمن ، وجالت قلوبهم في علوم القرآن ، وما واعدتهم وتواعدهم به الماجد الديان .
وأنشدوا :

اختصم الطرف (٢) مع فؤادى فى وصارا إلى عناد
فقال طرفى أنا ابتليت بطول ليلى وبالسهاد
وقال قلبى أنا المقلا بالكرب الصعبة الشداد
فقال جسمى : قتلتانى أنا الذى ذبت فى الجهاد

(١) التسهاد السهاد وهو عدم النوم (٢) الطرف النظر أى تخاصمت عيني مع فؤادى

الزهاد

رجال قد نخلت منهم الابدان ، وتغيرت منهم المحاسن والالوان ، وخوف العذاب والنيران وشوقا إلى نعيم الجنان . رجال صحبوا القرآن بحسن العمل ، ولم يغتروا بطول الامل ، وانصبوا لأعينهم تقريب الاجل ، وسمت همهم إلى الرفيع من المحل ، واشتاقت نفوسهم إلى الملك الاعلى الاجل ، فلو رأيتهم لرايت قوما يشلون كتاب الله بشفاه ذابلة ، ودموع وابلة ، وزفرات قاتلة ، وأجسام ناحلة ، وعقول زائلة ، وخواطر في عظمتة جل جلاله جائلة . وأنشدوا :

يراعون نجم الليل لا يرقدونه بآدمان نيات التعبد والصبر
تداعت هموم القلب في القلب وحشة فصاح بهم أنس الجليل إلى الذكر
رجال عليهم رحمة الله أنزلت فظلوا سكونا في الكهوف وفي القفر
فأجسادهم في الارض هونا مقيمة وأرواحهم تسرى إلى معدن الفخر

الخائفين

رجال حال الخوف بينهم وبين نعيم المتنعمين ، وبين غاية آمال الراغبين ، فاضت دموعهم من خوف وعيده ، وشابت لمهمهم من تحذيره وتشديده . فأتعبوا الابدان بالاجتهاد ، وخوفوا أنفسهم هول المعاد ، وركبوا طريق أهل السداد ، وأشفقوا من عقوبة رب جواد . وأنشدوا :

لله قوم شروا لله أنفسهم فأتعبوها بزجر الله أزمانا
أما النهار فقد وافوا صيامهم وفي الظلام تراهم في رهبانا
أبدانهم أتعبت في الله أنفسهم وأنفس أتعبت في الله أبدانا
ذابت لحومهم خوف العذاب غدا وقطعوا الليل تسبيحا وقرآنا

رجال إذا نظروا اعتبروا ، وإذا سكتوا تفكروا ، وإذا ابتلوا استرجعوا ، وإذا جهل عليهم حلموا ، وإذا علوا تواضعوا ، وإذا عملوا رفقوا ، وإذا سئلوا بذلوا عونا للوارد ، وتفضيلا للقاصد ، حلفاء صدق ، وكهوف ودق (١) قد عملوا بالسنة والكتاب ، ونطقوا بالحكمة

(١) الودق المطر ، يريد أنهم يحفظون المعروف لطالبه كما تحفظ الكهوف ماء المطر فيسكون للورد موردا سائغا زلالا . ولا يعرف مقدار ذلك إلا من جاب القفار وعرف ما للباء من قيمة تضارع ذوب اللجين ولولا نهر النيل في مصر لكانت من الصحاري .

والصواب ، وحاسبوا أنفسهم قبل يوم الحساب ، وخافوا من عقوبة رب الارباب . رجال
ازموا البكاء والعويل ، ورضوا من الدنيا بالقليل ، فأزعموا إلى الآخرة التحويل ، ورغبوا
في ثواب الملك الجليل ، وحنوا إلى النعيم الدائم الجزيل ، وتمسكوا بالسنة والتزيل ، ومنعوا أنفسهم
التسويق والتعليل ، وأشفقوا من هول اليوم العبوس الثقيل ، الهائل المنظر الطويل . وأنشدوا :

لله قوم لدار الخلد أخلصهم وخصهم بحزبيل الملك مولانا
فأو تراهم غدا في دار ملكهم قد تو جوا من حلى الكون تيهجنا
وقد دعاهم إلى الفردوس سيدهم إلى الزيارة والتسليم ركبنا
على نجائب دركى تطير بهم والخيل من جوهر والسرجه مرجانا
حتى إذا جاوزوا دار السلام وقد أبدى لهم وجهه الرحمن سبحانه
خروا سجودا فناداهم بعزته إني رضيت بكم قريبا وجيرانا
إني خلقت لكم دار النعيم فلا ترون يؤسا ولا تخشون أحزانا
هذا النعيم الذى لا ينقضى أبدا ولا تغيره الا زمان ألوانا
وهو الجزاء لكم مني على عمل أخلصتموه وكنتم في إخوانا

رجال ركبوا فلك السلامة ، وجروا بريح الاستقامة ، فقطعوا بحار العطب والندامة ،

ونجوا من الالهوال يوم القيامة ، فحفظوا في دار المقامة ، وأرسوا في سرمد الكرامة * .

خيار الامة

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : «خيار أمتي المملأ الأعلى في الدرجات العلى» .

قوم ضحكوا جهرا من سعة رحمة الله ، وبكوا سرا من خوف عذاب الله . هم بالغداة والعشي
في بيوت الطيبة يدعون بالسنتهم رغبا ورهبا ، ويسألونه بأيديهم خفضا ورفعاً ، ويشتاقون
إليه بقلوبهم غدوا وعشيا . مؤتمهم على الناس قليلة ، وعلى أنفسهم ثقيلة ، يدبون على الارض
حفاة أقدامهم ديب النمل بغير مرجح ، ولا ميل ولا ترج . يمشون بالسكينة والوقار ، ويتقربون
بالوسيلة إلى الملك الجبار . يلبسون الخلقان ويعبدون الرحمن ، ويتلون القرآن ، ويشفقون
من عذاب النيران ، ويخافون يوما يكثر فيه الويل والاحزان ، قد تجنبوا كل ريبة وبهتان ،

(١) كذا بالاصل والخيل ولعلها محرفة عن الحبل إذ أنه يصف النوق وما عليها وهي

ركائب أهل الجنة ومطاياهم كما سبق بيانه وقد مر كثيرا أن النوق هي الركائب .

ولم يأمّنوا مكر الملك الديان ، رجال تعوقوا ريب المنون ، وجزعوا من السابقة في الغيب
المسكنون ، فحال بينهم وبين ما يشتهون ، ينتظرون الخاتمة كيف تكون ، أولئك أولياء الله
الصالحون (أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون) رجال المساجد وأوامهم ، والله
جل جلاله معبودهم ومولاهم ، تركوا المعاصي خوفاً من الحساب والسؤال ، وبادروا إلى الطاعة
وحسن الأعمال ، وتنزهوا عن الغي واللاهو والمحال ، وحادوا عن طريق كل مطرود بطلال ،
وأشفقوا من عقوبة ذي المجد والجلال ، وعملوا ليوم لا يبع فيه ولا خلال . وأنشدوا :

لله قوم أخلصوا في حبه اختصهم ورضى بهم خداما
قوم إذا هجم الظلام عليهم قاموا فكانوا سجيّدا وقياما
يتلذذون بذكره في ليالهم ونهارهم لا يفترّون صياما
نخص البطون من الحرام أعنة لا يعرفون سوى الحلال طعاما
فسيفر حوز بورده حوض محمد وسيسكنون من الجنان خياما

رجال تحولوا عن الدنيا تحويلا ، وبدلوها تبديلا ، ولم يشترّوا بعهد الله ثمننا قليلا ،
وعلموا أن وراءهم يوما عبوسا هائلا ثقيلا ، وأن أمامهم من الموت خطبا جليلا ، وبدأت
عيونهم وقلوبهم بكاء ونوحا وعويلا ، حين سمعوا مولاهم يقول (كان وعده مفعولا) رجال
قطعوا الأيام والليالي بالتفكير ، وخافوا من هول يوم عبوس قمطير ، وجالت قلوبهم خوف
العلي الكبير ، فعما قليل ينجون من الفزع الهائل الخطير ، ويحاورون السيد النذير البشير ، في
جنة ليس فيها شمس ولا زهري ، رجال اطمانت قلوبهم بذكر الرحمن ، ولزموا الطاعة
وتجنبوا العصيان ، وحفظوا أنفسهم من العيب والبهتان ، واتبعوا السنة وأحكام القرآن ، ولم
يقبلوا من خدع العدو الشيطان ، وطلبوا الزيادة ولم يرضوا بالنقصان ، فأثابهم الجبار بجنة
الرضوان ، ومتعهم بالخور الغنيجات الحسان ، كأنهن الياقوت والمرجان ، فأخبرنا الجليل
جل جلاله في محكم القرآن ، عما أتاها به من الجود والامتنان ، فقال تعالى (هل جزاء الإحسان
إلا الإحسان) ؟ (١) فالاحسان من العبد في الدنيا قول لا إله إلا الله ، والاحسان من الله في
الآخرة الجنة . فمن أحسن الرضا عن الله جل ثناؤه جازاه الله بالرضا عنه فقابل الرضا بالرضا
وهذا غاية الجزاء ، ونهاية العطاء (٢)

(١) وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وليتسابق المتسابقون ، فإن الله تعالى وعدهم النعيم
الدائم والعز المقيم فترى به لا يام معدودات فانيات . (٢) لأن من وطن نفسه على الرضاء

صفة المؤمنين

روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لطائفة من المؤمنين : « ما أنتم ؟ » قالوا : نحن المؤمنون ، فقال « ما علامة إيمانكم ؟ » قالوا نصبر عند البلاء ، ونشكر عند الرجاء ، ونرضى بمواقع القضاء . فقال « مؤمنون ورب الكعبة » وقيل أحسن الأشياء أن يكون العبد رقيقا على باطنه وظاهره لأن الله تعالى رقيب عليه وهو قوله تعالى (أفئن هو قائم على كل نفس بما كسبت) فتكون أنت أيها العبد تراقبه في سرائرك وعلا نيتك ، وظاهرك وباطنك ، وحركاتك وسكناتك ، وتعلم أنه رقيب عليك ، وتستحي ممن هو معك ولا تستحي ممن هو أقرب إليك من جبل الوريد . وقيل : المحمود من الدنيا المساجد والمحاريب ، وذلك أن شركاك فيها الملائكة والسيون والصديقون وحسن أولئك رفيقا . والمذموم من الدنيا البطن والفرج والكنيف والمزابل وشركاؤنا فيها اليهود والنصارى والمجوس والمشركون والزنادقة وغيرهم . فيدعوك الرب جل جلاله وهو قوله تعالى (والله يدعو إلى دار السلام) الآية . وتأنى أنت عليه فيقول الله سبحانه يا عبدي لا تنذب في الدنيا ، وأفة منه لعبده ، فيقول العبد : لا بد لي من الذنوب ، فيقول الرب جل جلاله عبدي فتب إلى أقبلك على ما كان منك ، فيقول العبد لا أفعل لأنني مبتلى بالاهل والبطن والفرج ، فيقول الرب جل جلاله عبدي فكن مكانك حتي أوتيك فيقول العبد ربني أي شيء تؤتين ؟ فيقول الله عز وجل الجوع والفقر والعري والمرض ، فيقول العبد لا حاجة لي في هذا . ثم يدعو ويتضرع ويصرخ إذا نزل به ذلك . قال فتقول الملائكة عند ذلك يا رب أما تستجيب لعبدك هذا أما ترحمه ؟ فيقول الله عز وجل سوف يحمدني عبدي إذا أدخلته الجنة . قال فإذا قبض روح العبد على ذلك أدخله الجنة . فيقول العبد (الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن) الآية . فيقول الرب جل جلاله الآن يحمدني عبدي وكان في دار الدنيا يلومني ، ويشكو إلى نظري اليه وكان أصلح له مما كان يريد لنفسه . فالآن قد أبحت له الجنة وأدنيته مني ووصلته جنتي فادن مني يا عبدي بلا نهاية وعلى المزيد بمشاهدتي له والنظر إلى وجهي * لا أحرمن الله النظر إلى وجهه الكريم ، وأدخلنا برحمته جنات النعيم »

بالمقادير خيرها وشرها وأيقن أن ما هو كائن سيكون نظرا إلى الدنيا بعين صافية ونفس راضية فكانت كما نظرها . ومن ابتأس بها وعارض القدر المحتوم عاش حزينا

١٧- ﴿بحاس في قوله تعالى﴾

(إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا

صلوا عليه وسلموا تسليما)

اعلموا عباد الله وأحباب الله رحمكم الله أن الله تبارك وتعالى لطف بعباده المؤمنين وأمرهم بالصلاة على سيد المرسلين (١) ، ليستنقذهم بها من العذاب الدائم المهيمن ، فصلى عليه ربنا ومولانا تشريفا وتكريما ، وصلت عليه ملائكته تفضيلا وتعظيما ، وأمر عباده أن يصلوا عليه ليبسح لهم من الجنة مقاما كريما ، فقال من لم يزل سميعا عليما عليا عظيما (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) فاجتهدوا بنا يا معاشر الاسلام في الصلاة والسلام على محمد خير الانام فعسى ، أن يشفعه فينا يوم تشقق السماء بالغمام * ذكر في بعض الاخبار أن مامن ملك ولا نبي ولا ولي ولا صفى ولا صديق ولا شهيد ولا تقي ولا سعيد إلا وهو يقول يوم القيامة : بحرمة محمد أن تنجيني من عذابك ، وما من عبد صلى على النبي محمد صلى الله عليه وسلم وسأل الله مولاه حاجة له فيها رضى الله عنه إلا قضى الله تعالى حاجته ، وصرف عنه عند صلاته على محمد صلى الله عليه وسلم سبعين نوعا من البلاء في دينه وفي ماله وفي أهله . ورفع له سبعين درجة في الجنة . اللهم صل على النبي محمد المختار ، وسيد الانبياء والابرار ، وزين المرسلين الاخيار ، وأكرم من أظلم عليه الليل وأشرق النهار ، أبي القاسم الأبواب المختار . وأنشدوا :

صلى الاله وكل عبد صالح والطيبون على السراج الواضح
المصطفى خير الانام محمد الطاهر العلم الضياء اللامع
زين الانام المرتضى علم الهدى الصادق البر الوفي الناصح
صلى عليه الله ما هبت صبا وتجاوبت ورق الحمام النائح

(١) لا يمكن لقائل أن يحصر فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد وردت صحاح الاحاديث والايخبار بذلك كما ستري وان كان كثير من الناس غفل عنها بعد أن أمر الله تعالى بها وأعلمنا أنه وملائكته يصلون عليه وإن كانت صلاته تعالى بغير هذا المعنى .

وذكر في بعض الأخبار أن سامن بقعة يكثُر فيها الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم إلا
تصير روضة من رياض الجنة ، وحصنا وحجابا بين المصلين وبين حجاب النار . فاجتهدوا في
الصلاة على محمد يامعشر المؤمنين والمؤمنات ، وتحصنوا بها من العذاب الشديد »

الصلاة على النبي وشفاعته

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أكثرُوا من الصلاة على فاني أشفع لكم
على قدر ذلك » . وأنشدوا :

صلى الاله على قدر الحبيب ومن وسط المدينة يعلو فوقه النور
رفعت قریش (هنالك) نعش سيدها فثم ثكل التقى والبر مقبور
وثم خير عباد الله كلهم وثم أكرم خلق الله محبور (١)
عباد الله تحصنوا من العذاب والويل ، باكثر الصلاة على نبينا محمد في النهار والليل »
ذكر في بعض الأخبار أن على ساق العرش مكتوبا من اشتاق إلي رحمتي رحمتي ، ومن
سألني أعطيت ، ومن لم يسألني لم أنسه ، ومن تقرب الي بقدر محمد صلى الله عليه وسلم غفرت
ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر . فإله الله يا أمة محمد ويا أحباب محمد من أصابته نائبة أو وقع
في شدة فليتضرع إلى مولاه ويسأله بقدر محمد وبحرمة محمد صلى الله عليه وسلم فإن قدره عند
الله عظيم . فأكثرُوا عباد الله الكريم ، يامعشر من آمن بالله العظيم ، الصلاة على محمد الكريم
والنبي السيد الرؤوف الرحيم ، ينتجكم الله بها من العذاب الأليم ، ويدخلكم جنات الخلد
والنعيم ، إنه هو الحكيم العليم *

الصلاة عليه في يوم الجمعة

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من صلى على في يوم الجمعة مائة مرة غفر الله
له خطيئة ثمانين سنة » (٢) . فإله الله يامعشر المؤمنين والمؤمنات ، أكثرُوا من الصلاة على
حبيبكم محمد في جميع الأيام والاقوات ، والأحايين والساعات ، عسى الله أن يخلصكم من

(١) المحبور المسرور (٢) ورد كثير من الأحاديث الصحيحة رواها البخاري ومسلم
وغيرهما من أصحاب الكتب الستة في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنها من
مكفرات الذنوب المجربة ومن أراد زيادة الايضاح فعليه بكتب الصلوات .

الأهوال والآفات ، والعذاب والعقوبات ، ويدخلكم الجنات العاليات ، يوم تبدل الأرض
والسموات . وأنشدوا :

صلوا على المصطفى زلفى (١) تقربكم إن الصلاة عليه خير ما اكتسبا
أعلا الأنام على في جلالته وأشرف الخلق منسوباً إذا انتسبا
وأسرع الناس يوم العرض مغفرة إذا العقاب بدا للخلق وانتسبا
حكى عن الشبلي رحمه الله تعالى أنه قال : مات رجل من جيرانى فرأيتُه في المنام فسألته
عن حاله ؟ فقال : يا شبلي مرت بي أهوال عظام ، وذلك أنه لما سئلت تلجج لسانى عند السؤال
فلما جاءنى المملكان وأراد أحدهما أن يبادرنى بالعذاب ، إذا أنا بشخص جميل ما رأيت أجمل
منه وجهاً فحال بيني وبينهما ، فقلت له من أنت ؟ - من بعد ما لقننى حجتى - فقال : أنا ملك
خلقني الله من ثواب الصلاة على محمد ، وأنت كنت تكثر الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم
لأخلصنك باذن الله من جميع الأحزان ، ومن عذاب النيران ، ولا أبارحك حتى أدخلك الجنة
برحمة الله . فالله الله عباد الله لا تمأوا من الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم زين العباد ،
الذى خلصنا به من حر جهنم وبئس المهاد . وأنشدوا :

من كان يكثر بالصلاة مؤملاً فضل النبي
أعطاه رب محمد عوناً من اللطف الخفى

أوحى الله تبارك وتعالى الى موسى صلى الله عليه وسلم ، يا موسى إن أردت أن أكون اليك
أقرب من لسانك الى كلامك ، ومن نور بصرك الى عينك ومن سمعك الى أذنك ، فاكثر من
الصلاة على حبيبى محمد صلى الله عليه وسلم . وأنشدوا :

صلى الآله على النبي محمد خير الأنام وجاءه التنزيل
وبفضله نعلق الكتاب وبينت بصفاته التوراة والانجيل
ذاك النبي الهاشمى المصطفى قد جاءه الترفيع (٢) والتفضيل
أسرى به المولى الى أفق السما فوق البراق وعنده جبريل

(١) زلفى القربة والمنزلة ومنه قوله تعالى (وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا
زلفى) (٢) يريد بالترفيع الرفعة ولا يقال ترفيعاً وإنما رفعه فارتفع رفعة

عجيبة

روى عن محمد بن النعمان رضى الله عنه أنه قال : كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجاءه فتى من الانصار في حاجة فوسع له رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين أبي بكر الصديق رضى الله عنه ، وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا بكر لعنك يشق عليك أن أجلس هذا الفتى بيني وبينك ؟ » فقال أبو بكر رضى الله عنه . أى والله يا رسول الله إنه ليشق على أن يكون بيني وبينك أحد *

فضل المصلي وأبو بكر

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . « يا أبا بكر إن هذا الفتى يصلي على صلاة ، ما يصليها على أحد من أمتي » فقال أبو بكر رضى الله عنه : كيف يقول يا رسول الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يقول اللهم صل على محمد عدد من صلى عليه ، وصل على محمد عدد من لم يصلي عليه ، وصل على محمد كما أمرت بالصلاة عليه ، وصل على محمد كما تحب أن يصلي عليه ، وصل على محمد كما ينبغي أن يصلي عليه » واعلم يا أخى علماً يقينا لا شك فيه أنه ليس أحد أحظي عند نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولا عند ربنا سبحانه بعد النبيين من أبي بكر الصديق رضى الله عنه ثم عمر بعده كذلك ثم عثمان ، ثم على رضى الله عنهم أجمعين ، وصلوات الله ورحمته عليهم وعلى العشرة وجميع الصحابة ، لكن خص النبي صلى الله عليه وسلم الفتى باقاعاده بينه وبين أبي بكر لما ألهمه الله من تلك الصلاة فأكرمه النبي كذلك صلوات الله وسلامه عليه ما نحن مشتاق إليه *

حكاية الشافعي عن مؤمنى الجن

فما يقوى ما ذكرناه من فضل الاركان الأربعة رضوان الله عليهم أجمعين ، ماروي عن محمد بن إدريس (١) قال : رأيت بمكة أسقفاً (٢) وهو يطوف بالكعبة ، فقلت له ما الذى

(١) هو الامام محمد بن إدريس الشافعي رضى الله عنه صاحب المذهب (٢) الاسقف رتبة من رتب الكنيسة وفي الأصل السقف بفتحين طول فى انحناء ، والاسقف يتخاشع فى سيره . فسمى أسقفاً وهو رئيس على جملة قسس والبطريرك رئيس الطائفة الاكبر

رغب بك عن دين آبائك ؟ فقال . تبدلت خيرا منه ، فقلت كيف ذلك ؟ قال ركبت البحر فلما توسطنا انكسر بنا المركب ، فعلوت لوحا فلم تزل الأمواج تدفعني حتى رمتني في جزيرة من جزائر البحر فيها أشجار كثيرة ولها ثمر أحلا من الشهد ، وألين من الزبد ، وفيها نهر جار عذب فحمدت الله علي ذلك وقلت آكل من هذا الثمر وأشرب من هذا النهر حتى يأتيني الله بالفرج ، فلما ذهب النهار خفت على نفسي من الدواب فعلوت شجرة من تلك الاشجار فنمت على غصن منها ، فلما كان في جوف الليل فاذا بدابة على وجه الماء تسبح الله وتقول لا إله إلا الله العزيز الجبار ، محمد رسول الله النبي المختار ، أبو بكر الصديق صاحبه في الغار ، عمر القاروق مفتاح الأمصار ، عثمان القتيل في الدار ، علي سيف الله على الكفار ، فعلى مبغضيتهم لعنة الجبار ، ومأواهم جهنم وبئس القرار . فلم تزل تكرر هذه الكلمات حتى (اذا) طلع الفجر ، قالت لا إله إلا الله الصادق الوعد والوعيد ، محمد الهادي الرشيد ، أبو بكر الصديق الموفق السديد ، عمر بن الخطاب سور من حديد ، عثمان القتيل الشهيد ، علي ذوالبأس الشديد ، فعلى مبغضيتهم لعنة الرب المجيد . فلما وصلت البر فاذا رأسها رأس نعامة ووجهها وجه إنسان وقوائمها قوائم بعير وذنبها ذنب سمكة ، فخشيت على نفسي الهلكة فهربت بنفسى أمامها فوقفت فقالت : ما دينك ؟ قلت النصرانية ، فقالت ويلك ارجع الى الخيفية فقد حلت بفناء قوم من مؤمنى الجن لا ينجو منهم إلا من كان مسلما ، قلت وكيف الاسلام ؟ قالت تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، فقلت فقالت أتم سلامك بالترحم على أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله عليهم أجمعين . قلت ومن أنا كم بذلك ؟ فقالت قومنا حضروا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعوه يقول « اذا كان يوم القيامة تأتي الجنة فتنادى بلسان طلق يا إلهي قد وعدت أن تشد أركانى ، فيقول الجليل جل جلاله قد شدت أركانك بأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، وزينتك بالحسن والحسين ، ثم قالت الدابة : المقام تريد أم الرجوع الى أهلك ؟ قلت لها الرجوع ، فقالت اصبر حتى تبتاز مركب ، وإذا مركب تجرى فأشرت اليهم فدفعوا الى زورقا ، فلما علوت معهم فاذا فى المركب اثني عشر رجلا كلهم نصارى ، فأخبرتهم خبرى فأسلموا عن آخرهم .

فأله الله عباد الله اشكروا الله على نعمة الاسلام ، وعلى هدايتكم لسنة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، ومحبتكم لأصحابه البررة الكرام ، فقد فضلكم على جميع الانام ، قال الله ذو الجلال والاكرام ، والطول والانعام (إن الدين عند الله الاسلام) ونرجع الى ما كنا فيه من الصلاة على خير الانام ، محمد رسول الملك العلام . وأنشدوا :

لهجت بذكرك مهجتي ولساني وحللت من قلبي بكل مكان
 فأنا بذكرك في البرية كلها علم وحبك آخذ بعناني
 سلطان حبك في الهوى عين الهوى وبه تعزز في الهوى سلطاني
 أنت النبي الهاشمي محمد صلى الاله عليك في القرآن
 أنت الحبيب لاهل دينك كلهم يوم المعاد وموقف الخسران
 أنت الشفييع لمن عصى رب العلا أنت الدليل لجنة الرضوان
 فلاذ كر نك ما بقيت معمرا حتى المات ولا يمل لساني
 فصلاة ربي ماجد ومهيمن تنرى عليك تعاقب الملوان (١)

أوتاد المجالس

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن للمجالس أوتادا جلساؤهم الملائكة إذا جلسوا لذكر الله حفت بهم الملائكة من لدن أقدامهم الى عنان السماء بأيديهم قراطيس الفضة وأقلام الذهب يكتبون الصلاة على النبي ، صلى الله عليه وسلم يقولون أكثر وأرحمهم الله ، فإذا استفتحوا في الذكر فتحت لهم أبواب الجنة ، واستجيب لهم الدعاء ، وتطلع عليهم الحور العين ، وأقبل الله تعالى عليهم بوجهه الكريم ، مالم يخوضوا في حديث غيره ويتفرقوا » وأنشدوا

إذا طيب الناس المجالس بينهم مداما وريحانا فذكرك طيبنا
 ولو كانت الدنيا نصيبا لاهلها فحبك من كل الاماني نصيبنا
 وإن كان حب الخلق بعضا لبعضهم فأنت من الخلق الجميع حبيبنا
 إخواننا طوبى لمن رزق لسانا رطبا بذكر الله والصلاة على محمد رسول الله ، طوبى لمن رزقه مولانا لسانا مشغولا بذكر الاله الكريم . وبالصلاة على الريف الرحيم *

صيغة الصلاة

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لرجل من أصحابه : « ما قلت البارحة من قول الخير ؟ » قال الرجل : يا رسول الله صلى الله عليك ، قلت اللهم صل على محمد وعلى آل محمد

(١) الملوان الليل والنهار الواحد ملا مقصور وهما أيضا الجديدان

حتى لا يبقى من الصلوات شيء ، وبارك على محمد وعلى آل محمد حتى لا يبقى من البركات شيء .
وارحم محمد وآل محمد حتى لا يبقى من الرحمات شيء . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم .
« لذلك رأيت البارحة الملائكة يحفون بأزقة المدينة فأكثروا من الصلاة على سيد الانبياء ،
وأفضل الاحياء وأكرم الاصفياء ، وأجل من ولدت النساء ، صلى الله عليه صلاة دائمة بلا
انقضاء في الليل إذا يغشى ، وفي النهار إذا تجلى ، وفي الآخرة والاولى . وأنشدوا :

صلى الآله على خير الأنام ومن نرجو النجاة به في موضع العطب
فهو الشفيع لمن يرجو شفاعته عند الحساب وعند الله والكرب
روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن أولى الناس بي أكثرهم على
صلاة » فأكثروا من الصلاة عليه يامعشر الاسلام ، وتحصنوا بها من العذاب الغرام (١)
واطلبوا بها رضا الملك العلام ، وأنشدوا :

يا خير مولود تعاظم فخره وأني بأشرف ملة وكتاب
صلى الآله عليك ياخير الورى ما انهل في الآفاق قطر سحاب
يا خير مبعوث الي خير أمة وأكرم من يدعو لسبل صواب

ثلاثة تحت ظل العرش

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ثلاثة يوم القيامة تحت عرش الله يوم
لا ظل إلا ظله » قيل من هم يا رسول الله ؟ قال « من فرج عن مكروب أمي ، ومن أحيا ستي
ومن أكثر الصلاة على » فاجتهدوا رحمكم الله في التفريج لهموم المكروبين ، وفي إحياء سنة
خاتم النبيين ، وفي الصلاة على سيد المرسلين وأكرم الخلق على رب العالمين . وأنشدوا :

صلوا على خير الأنام كرامة وجلالة يامعشر الاسلام
فهو النبي المصطفى علم الهدى وأدل من يدعو لسبل قوام
نطق الكتاب بفضله وجلاله وبفضله تنجو من الاسقام
صلوا على خير البرية كلها ملاح بدرت تحت جنح ظلام
فهو السبيل لدار كل كرامة وهو الدليل لجنة وسلام
وهو الشفيع لمن يدين بدينه ومن يلوذ بملة الاسلام

(١) الغرام الشر والعذاب الدائم ، وقوله تعالى (إن عذابها كان غراما) أى هلاكها ولزما

للصلاة راحة طيبة

روي عن بعض الصحابة رضى الله عنهم أجمعين أنهم قالوا : ما من مجلس يصلي فيه على النبي صلى الله عليه وسلم الا نمت له راحة طيبة حتى تبلغ عنان السماء فتقول الملائكة هذه راحة مجلس صلى فيه على النبي محمد صلى الله عليه وسلم *

اللهم صل عليه كما تحب أن يصلي عليه . صلى الله عليه وسلم وأنشدوا :

تتعطر الانفاس ما ذكرت اخباره في المجلس العطر
سبحان باريه وخالقه نورا تصور أجمل الصور
المسك منحدر ببردة والوجه منه طلعة القمر
يا صادقاً فيما يخبرنا بشهادة الاسماع والنظر
سبحان من أنشاك من بشر يا سيدا للخلق والبشر
القول تتبعه شواهد والخير مقرون مع الخبر
أنت النبي بلا مدافعة والمصطفى من خيرة البدر (١)

الامام الشافعي

روى عن أبي جعفر الطحاوي أنه قال : قال عبد الله بن عبد الحكم رأيت الشافعي رضى الله عنه في المنام فقلت له ما فعل الله بك ؟ فقال : رحمى وغفر لى وزفقت الى الجنة كما تزف العروس الى زوجها ، فقلت له ما الذى بلغك هذه المنزلة ؟ قال لى بما فى آخر كتاب الرسالة من الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم ؛ فقلت له وكيف ذلك ؟ فقال لى ، وصلى الله على سيدنا محمد ما ذكره اذا كرون ، وغفل عن ذكره الغافلون . قال فلما أصبحت طلبت كتاب الرسالة فوجدت الامر كما ذكر . وأنشدوا :

صلوا على خير الانام ومن به تنجو العباد بموقف الاهوال
إن الصلاة على النبي حبيبنا من أفضل الافعال والاعمال
فهو النبي المصطفى علم الهدى الطيب الاقوال والافعال
معشر المسلمين تمحصنوا من عذاب النار ، وخففوا عن ظهوركم ثقل الاوزار ، بكثرة الصلاة على النبي المختار *

(١) كذا بالاصل ، . يريد من خيرة البدور فجمعها هذا الجمع على غير قياس للروى

أبخل الناس

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «حسب المؤمن من البخل إذا ذكرت عنده فلم يصل على » أعوذ بالله من اللئيم البخيل . الذي يبخل بالصلاة على رسول الملك الجليل ، الذي خصه الله بالكرامة والتفضيل ، واثمنه على الإيضاح عن بيان التأويل في جميع التنزيل . وأنشدوا :

صلوا على القدر المنير إذا بدا في موكب من حسنه وجماله
لم يخلق الرحمن خلقا مثله في فضله وبهائه وكاله
ختم النبوة طيبه فختامه مسك تكون من نسيم جلاله
صلوا على العلم الذي من أمه (٢) نال المنا وجري السرور بباله
صلوا على بدر التمام محبة وكرامة وجلالة لجلاله
إن الصلاة على النبي سلامة وتفضل وتوسل بجماله
وتودد وتحنن وتشوق وتوسل وتقرب لنواله

عباد الله صلوا على رسول الله صلوا على سيدنا وحبينا محبة وكرامة ، فهو الشفيع لنا

يوم القيامة ❦

أنجاكم أكثركم صلاة

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «أنجاكم يوم القيامة من أهوالها ومن مواطنها أكثركم على صلاة » عباد الله الملك الديان ، يا أهل الاسلام والايمان ، صلوا بنا على سيدنا محمد رسول الملك الرحمن ، لعله يخلصنا من عذاب النيران . وأنشدوا :

صلوا على ماجد جلت مآثره وأكثر الخلق إفضالا وإحسانا
أتى العباد وقد ضلت مسالكهم فأوضح الحق تبياناً وبرهاناً
وبين الدين بالتذكير مجتهدا وأظهر الشرع أحكاماً وقرآناً
وأنقذ الخلق من نار السموم لظي وأورد الناس جنات ورضواناً

(١) أمه قصده بفتح الهمزة وتشديد الميم المفتوحة .

لا تبغ طيبا إذا ما كنت ذا كره ولا ترد بعده روحا وريحانا
فيه الجنان وفيه الحسن مجتمع والنبل والظرف أشكالا وألوانا
فالحمد لله إذ كنا له تبعنا لقد تفضل بالخيرات مولانا

ثمرة الصلاة

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من صلى على صلاة تعظيما لحقى خاتى الله تعالى من ذلك القول ملصكا جناحه بالمشرق والآخر بالمغرب ورجلاه مغروزان في الارض السابعة السفلى وعنقه ماوى تحت العرش يقول الله تعالى له صل على عبدى كما صلى على نبي محمد فهو يصلى عليه إلى يوم القيامة » أحببى تحضنوا من أليم العذاب ، وارغبوا في هزيل الثواب ، بالصلاة على النبي الصادق الاواب (١)

اعلموا عباد الله أن الله تبارك وتعالى لما اتخذ محمدا صلى الله عليه وسلم حبيبا أقسم بحياته فقال تعالى (لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون) (٢) فهذه غاية المحبة . ولما أحب الله تعالى أن يصلى العباد على محمد النبي الحبيب بدأ بالصلاة عليه الملك القريب ، ثم ثني بملائكته البعيد منهم والقريب ، ثم عرف عباده المؤمنين أنه يصلى على محمد هو وملائكته ، ثم أمر بالصلاة عليه أهل الايمان ، لينجيهم بها من عذاب النيران ، فقال الملك الرحمن ، فى محكم القرآن (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) فكانه قال جل وتعالى عبدى قد أعلمتك أنى أصلى على محمد حبيبي وملائكتى تصلى عليه ، فمن أكثر الصلاة على محمد الحبيب ، جعلت له من الجنة أوفر نصيب ، وكان رفيقا وجارا لابی القاسم الحبيب . وأنشدوا :

صلى الاله بعظمه وجلاله ثم الملائكة الكرام على النبي
فهو الحبيب ربنا رب العلا وهو الدليل لجنه لا تختبئ (٣)

الملائكة تستغفر للمصلى

ذكر فى بعض الاخبار أن العبد المؤمن أو الامة المؤمنة إذا ابتدأ بالصلاة على محمد صلى

(١) الاواب التائب والابوة الرجوع (٢) يعمهون يتحيرون والعمه التحير والتردد

(٣) كذا جاء بالاصل ، ولعله يريد أن يقول لا يخبوا نورها أى لا ينطفئ .

الله عليه وسلم فتحت له أبواب السموات السبع والسرادات حتى العرش ، فلا يبقى ملك في السموات إلا صلى على محمد صلى الله عليه وسلم ، ويستغفرون لذلك العبد أو الأمة مادام العبد أو الأمة يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم . وأنشدوا :

صلوا بنا يا معشر الاسلام على النبي الواضح الاحكام
نطق الكتاب بفضله وجلاله وبفضله تنجوا من الاجرام

مقام الشبلى

حكى عن بعضهم أنه قال : كنت عند أبي بكر بن مجاهد جالسا إذ أقبل الشبلى (١) فقام أبو بكر إليه فعانقه وقبل بين عينيه ، فقلت ياسيدي تفعل هذا بالشبلى وأهل بغداد يقولون عنه إنه مجنون ؟ ! فقال قد فعلت به كما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل به ، وذلك أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وقد أقبل الشبلى فقام النبي صلى الله عليه وسلم فعانقه وقبل بين عينيه ، فقلت له يا رسول الله تفعل هذا بالشبلى ؟ ! فقال صلى الله عليه وسلم نعم لأنه يقرأ في آخر كل صلاة (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) الآية . ثم يتبعها بالصلاة على . وأنشدوا :

صلاة رب كريم ماجد صمد على النبي الذي قد نال تفضيلا
صلى عليه إله العرش خالقنا جاء الكتاب بهذا وحيا وتنزيلا
فهو الدليل لأهل الخير كلهم لمن أراد (إلى) الفردوس تحويلا
ومن أراد فرارا عن تمرده ومن أراد (له) الرحمن توصيلا
هذا بيان لأهل الفضل كلهم يعجلون لدار الخلد تعجيلا

عباد الله ارجبوا في هذا الملك الجليل ، والنعيم الدائم الطويل ، باكثار الصلاة على محمد الأصيل ، النبي السيد النبيل ، الذي جاء بالوحى والتنزيل ، وأوضح بيان التأويل ، وجاءه الأمين جبريل ، بالترسيم والتفضيل ، وأسرى به الجليل ، في الليل البهيم الطويل . كشف له عن أعلا الملكوت ، وأراه أسنى الجبروت ، ونظر إلى قدرة الحى الذي لا يموت . فلقد رأي في ليلة الاسراء من آيات ربه الكبرى ، وانتهى إلى سدره المنتهى (٢) . وأنشدوا :

- (١) كان الشبلى رحمه الله من أعلام الرجال وكبار الزهاد وشيوخ الصوفية الأجناد .
(٢) السدر شجر النبق وسدره المنتهى شجرة عظيمة تحت العرش مذكورة في القرآن .

صاوا على خير الأنام محمد فهو الدليل إلى السبيل المرشد
صلى عليه الرب ما دام الدجى ومضى النهار وفي الظلام الأسود

إبلاغ الصلاة إلى الله

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله تبارك وتعالى أعطى ملكا من الملائكة أسماء الخلائق فهو قائم على قبري إلى يوم القيامة ، فليس أحد من أمتي يصلي على إلا قال ذلك الملك : يا محمد فلان بن فلان يصلي عليك صلى الله عليك ، وضمن لي الرب عز وجل أن من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرا ، وإن زاد زاده الله » فأين أنت يا من أراد النجاة من يوم الحليم ، والفوز والخلد في جنات النعيم ، فأكثرُوا من الصلاة على النبي الكريم ، والرسول الرؤوف الرحيم *

صلاة الملائكة

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من صلى على صلت عليه الملائكة ، ومن صلت عليه الملائكة صلى عليه ربه ؛ فليقل العبد أو ليكثر » واعلموا أن الفاجر الشقي الذي يسمع هذه الفضائل على الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وقد حبس لسانه عنها فيجب أن يتعوذ بالله منه . نعوذ بالله من لسان جامد ، عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم رسول الملك الماجد ، العزيز الفرد الصمد الواحد . وأنشدوا :

صاوا على النور البهي محمد إن الصلاة عليه تنجي من لظى

فهو الدليل إذا امتديت بنوره وهو الرسول فذاك مصباح الهدى

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله تعالى رغب بكم عند الاستغفار (١) فمن استغفر الله تعالى بنية صادقة غفر له ، ومن قال لا إله إلا الله رجع ميزانه ، ومن صلى على كنت شفيعه يوم القيامة » عباد الله ارغبوا في الشفاعة ، وتمسكوا بالصلاة على شفيع المذنبين يوم قيام الساعة ، وارغبوا إلى مولاكم أن يوفقنا إلى أعمال أهل السنة والجماعة (٢) وأنشدوا :

(١) أي أن الله تعالى يغفر ذنبكم ويهبها لكم رحمة منه تعالى قال عز وجل (والمستغفرون الاسحار) لأن وقت السحر تتخلى النفس فيه عن شواغلها وتتفرغ لمناجاة ربها (٢) يرى من

من كان يعلم أن الله خالقه . ومحمدا قد جاء بالقرآن
فليكثر التسليم بعد صلاته . للطيب المبعوث بالتيبان
الهاشمي الابطاحي محمد خير الانام وزين كل مكان

من كتب الصلاة في كتاب

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من صلى على في كتاب لم تزل الملائكة
تصلي عليه مادام اسمى في ذلك الكتاب » فيامعشر المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات
أطيعوا رب الارضين والسموات ، بالصلاة على سيد السادات . وأنشدوا :
جد بالصلاة على خير الوري كرما ذاك النبي الذي قد جاء بالنور
فهو الامام لاهل الحق كلمهم وهو الدليل على الولدان والخور

الصلاة تبلغه عن العباد

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « تباهاوا بالصلاة على فانها تبلغني » فبلغوا
صلاتكم على سيدكم ونيكم وصفيكم ، وارغبوا إلى مولاكم أن يتوفاكم على سنته ، وأن يجعلكم
من أمته ، وأن يجعله شفيعكم من النار ، وقائدكم إلى دار الراحة والقرار ، إلى جنات عدن
تجري من تحتها الانهار .

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله تعالى وكل بي ملائكة فلا أذكر
عند عبد مسلم فيصلي على إلا قال الملكان مجيبين آمين ، فيقول الله تعالى جوابا للملكين آمين ،
ولا أذكر عند أحد فلا يصلي على إلا قال الملكان لا غفر الله لك ، فيقول الله تعالى وملائكته
جوابا لقول الملكين آمين » فما خلق الله تعالى أعجز ولا أذل ولا أبخل ممن يسمع ذكر محمد
النبي الفاضل الزكي ولا يصلي عليه ، صلى الله عليه وسلم وملائكته وبلغ سلامنا إليه . وأنشدوا :

تتبع الفرق الاسلامية منذ العصر الاول إلى الآن أن كلا منها يدعى أنه هو وحده المتمسك
بالسنة وأن عليه انعقاد الجماعة ومن يخالفه مخالف للجماعة . وتلك والله دعوى أضلت كثيرا
من الناس ونص الحديث الشريف (ما أنا عليه وأصحابي) وقيل إن الامة لا تجتمع على
ضلالة ، ولكن من نعمة الله على الامة الاسلامية أنها تتفق جميعها في الاصول وتختلف في
بعض الفروع وليس بين الطوائف والنحل الاسلامية مثل ما في المذاهب المسيحية .

صلوا بنا في الليل والنهار على النبي الصادق المختار
أسرى به الرحمن في جنح الدجى قد جاء في القرآن والآثار
الهاشمي المصطفى خير الورى الطائع الاواب للجباب
صلوا على المبعوث يا أهل النهى من جاء بالتنزيل والاخبار

حسنات الحرم

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من صلى على من أمتى كتبت له عشر حسنات من حسنات الحرم » قيل يا رسول الله وما حسنات الحرم ؟ قال : « الحسنة بسبعائة حسنة » يا أخى هذا والله قول يسير وثواب كثير *

الصلاة صلة تعارف

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ليردن على أقوام يوم القيامة عند حوضي ما أعرفهم إلا بكثرة الصلاة على » عباد الله أنتم ترون نبيكم وحببيكم وصفيكم ، فأكثرُوا من الصلاة عليه فعسى يعرفكم بكثرة الصلاة عليه لان الصلاة عليه نور لصاحبه يوم القيامة ، فعلى قدر الصلاة على الهاشمي القرشي التهامي الامي الابطحي يكون النور المضيء الذي يعرف به المؤمن التقى ، ومن لا يكثُر الصلاة على هذا النبي فهو مبعدة طرود شقى . يا إخواني في الله صلوا على شجرة غرسها الملك الجليل ، وجعل أصلها الخليل ، وجعل خلاها التفضيل وزينها بالتنزيل ، وجعل رفيقها جبريل ، وخضع لها كل كبير وكل عزيز وذليل . أصولها عربية ، وأغصانها مضرية ، وأوراقها قرشية ، وثمرتها تهامية ، غرسها الملك الديان ، وأخضع لها جميع الانس والجان ، فصلوا عليه يامعشر الاخوان وأنشدوا :

الله فضل خير الخلق بالكرم وأفضل الناس من عرب ومن عجم (١)
هو النبي الذي فاقت فضائله وخصه الله بالتنزيل والحكم

(١) قال صلى الله عليه وسلم « أنا سيد ولد آدم ولا فخر » يريد عليه الصلاة والسلام أنه لا يفخر بذلك فخر الجاهلية الاولى ولكنه يقرر حقيقة يجب نشرها ، وقد قال سيدنا يوسف عليه السلام (اجعلنى على خزان الارض إني قوى أمين) ولم يكن فى ذلك مباهاة وتزكية لنفسه بل تقرير حقيقة ، وأمثال ذلك كثير فى القرآن ، فليس تقرير الحقائق مكروها .

اختصه بكتاب بين علم هدي العباد به من غمة الظلم
 الله فضله الله أكرمه الله أرسله من جملة الامم
 صلوا (عليه) عباد الله كماكموا إن الصلاة له تنجي من النقم
 عباد الله طيبوا بنا مجالسنا بالصلاة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم *

طيب مجلس صلى فيه عليه

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما جلس قوم مجلسا فتفرقوا عن غير صلاة
 على إلا تفرقوا عن أثنين من جيفة حمار » فإذا كان المجلس الذي لا يصلى فيه علي النبي صلى
 الله عليه وسلم تفرق أهله عن أثنين من جيفة حمار ، فلا غرو أن يتفرق المصلون عليه من
 مجلسهم عن أطيب من خزانة العطار . وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أطيب الطيبين
 وأطهر الطاهرين ، وكان إذا تكلم امتلاء المجلس بريح المسك ، فكذلك مجلس يذكر فيه
 النبي صلى الله عليه وسلم تمت فيه رائحة تخترق السموات السبع حتى تنتهي إلى العرش ويجد
 كل من خلق الله ريحها في الأرض غير الانس والجن فانهم لو وجدوا تلك الرائحة اشتغل
 كل منهم بلذته عن معيشته ، ولا يجد تلك الرائحة ملك أو خلق من خلق الله تعالى إلا
 استغفر لاهل المجلس ويكتب لهم بعدد هذا الخلق كلهم حسنات ، ويرفع لهم درجات ،
 سواء كان في المجلس واحد أو مائة أو ألف كل واحد يأخذ من الاجر مثل هذا العدد ، وما
 عند الله تعالى أكثر . فيا أحباب رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوا على حبيب غذي بماء الوصال
 وكسى ثوب الجمال والكمال ، وزين بكتاب الكريم المتعال *

حكاية نساخ أكثر من الصلاة

ذكر عن بعض الصالحين أنه قال : كان لي جار نساخ فمات فرأيت في المنام في حالة حسنة فقلت له
 ما فعل الله بك؟ فقال : غفر لي على ما كان مني ، فقلت له بم كان ذلك ؟ فقال كنت إذا كتبت اسم النبي
 صلى الله عليه وسلم صليت عليه صلى الله عليه وسلم فغفر لي بذلك وأعطاني ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ،
 ولا خطر على قلب بشر (١) فأكثرنا من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا. وأنشدوا:

(١) وكذلك يعترض لمن ينسخ السكتب أن يسكتب اسمه الشريف ويقرنه بالصلاة
 والسلام عليه ، وهو وإن لم يقصد الصلاة عليه بذلك فله الثواب على كتابة صيغة الصلاة

نور النبي عملا على الانوار فهو الدليل لسبيل دار قرار
 صاوا عليه لعلمكم تنجوا به يوم الحساب وكشفة الاسرار
 صاوا على القمر المنيّر اذا بدا فهو الحبيب لرّبنا الجبار
 صاوا على نور تكرون بالهدى فهو الشفيّع لصاحب الاوزار

عباد الله ارفعوا فيما رغبكم فيه الملك القهار ، من فضل الصلاة على نبيه محمد المختار ، ولا
 تغفلوا عن الصلاة عليه بالليل والنهار ، فان الله ينجيكم بها من عذاب النار ، ويدخلكم جنات
 تجري من تحتها الانهار . الصلاة على النبي فضيلة جزيلة ، والصلاة على أصحابه سنة وفضيلة
 والصلاة على الملائكة قربة ووسيلة ، صاوا رحمكم الله على النبي الرفيع ، والنور البديع ،
 والحبيب الشفيّع . أكرم من ولد ، وأعز من فقد . وأنشدوا :

صلاة رب ماجد وهاب على النبي الصادق الاواب
 صاوا على المختار أنوار الهدى صاوا عليه معشر الاحباب
 صاوا على النور البهي محمد صاوا عليه جماعة الاصحاب

عدد الصلاة عليه

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من صلى على مرة صلى الله عليه بها عشرا ،
 ومن صلى على عشرة صلى الله عليه مائة مرة ، ومن صلى على مائة صلى الله عليه بها الفا ،
 ومن صلى على الفا ، حرمه الله على النار وأدخله الجنة وثبته بالقول الثابت في القبر عند
 المسألة ، وجاءت صلاته على نورا يضيء له الصراط مسيرة خمسمائة عام ، وبني الله له بكل
 صلاة صلاها على قصر في الجنة قل ذلك أو أكثر » وأنشدوا :

صاوا على المختار من آل هاشم وخير نبي خصه بالمكارم
 ومن بين الرحمن في الذكر فضله (١) وأوضح نور العدل بعد التظالم

كالامام والمؤذن الذي يأخذ الاجر على ذلك فهما وإن كانا يقومان بوظيفتهما في الصلاة إلا أنهما
 لهما الثواب والاجر على ذلك . (١) قال تعالى (وإنك لعلى خلق عظيم) فالخلق الذي يستعظمه
 الله تعالى ويثني عليه لا بد أن يكون بلغ من الفضل منتهاه ، وقال تعالى (محمد رسول الله
 والذين معه) الآية وغيرها في القرآن كثير فمن أنكر بعد ذلك فضله صلى الله عليه وسلم
 على جميع الخلق فقد أنكر القرآن والسنة الصحيحة .

وأرسله الجبار للناس كافة مبين محض الحل بعد المحارم
فذلك لدين الله حصن وملجأ وذلك على الأعداء ليث بصارم
عباد الله خففوا عن ظهوركم الذنوب الثقالة ، وفكوا رقابكم من السلاسل والأغلال
وارغبوا في نعيم دار الخلد والجلال ، بصلاتكم على محمد رسول الكبير المتعال *
روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من صلى على الف مرة لم يخرج من الدنيا
حتى يبشر بالجنة » فارغبوا عباد الله أن تكونوا من أهل الجنان ، بادمان الصلاة على محمد
رسول الملك الرحمن ، فعسى الله أن يكفر عنكم ما سلف من الذنوب والعصيان . نعوذ بالله
من لسان يابس من الصلاة على محمد ، وإذا أراد الله بعبد خيراً بل لسانه بنه كره ، وبالصلاة
على محمد حبيبه ونبيه ووليه وصفيه صلى الله عليه . صلواتنا على محمد المبعوث من تهامة ،
الأمر بالمعروف والاستقامة ، الشفيع لأهل الذنوب في عرصات القيامة . اللهم صل على محمد
الزاهد ، رسول الملك الصمد الواحد صلى الله عليه صلاة دائمة منتهى الآباد ، طيبة باقية بلا
انقطاع ولا نفاد ، صلاة تنجينها من جهنم وبئس المهاد . وأنشدوا :

صلوا على هذا النبي الأوضح الهاشمي الأبطحي الأفضح

إن الصلاة على الشفيع محمد تبدى الفلاح مع النجاح الانجح

فتكثروا من ذكره أهل النهى لا تبتغوا بدلا بذكر الأرجح

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من عسرت عليه حاجة من أمر دينه
أو دنياه فليكثر من الصلاة على فان الله يستجى أن يرد عبده في حاجة إذا كان دعاءه بين
صلاتين على ، صلاة قبل السؤال وصلاة بعد السؤال » وهذا والله غاية الجاه والحب لدينا
محمد صلى الله عليه وسلم *

اللهم صل على محمد صلاة تزلف بها مشواه ، وتشرف بها عقباه ، وتبلغه بها يوم القيامة
من الشفاعة رضاه ومناه *

صفة الرسول والثناء عليه

قال بعض السادة في قوله تعالى : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) (١) كأنه يقول من خيركم

(١) وقد قرأ جماعة (من أنفسكم) بفتح الفاء أي من أكرمكم وأفضلكم ، ومن تتبع
سلسلة آياته الكرام وأمهاته الطاهرات وقومته وقبيلته ، وقرابته وعشيرته علم أنه صلى الله عليه وسلم

نفساء، وأظهركم قلوبا ، وأصدقكم قولا وأزكا كم فعلا ، وأثبتكم أصلا، وأوفاكم عهدا ، وأمكنكم مجدا . من أكرمكم طبعاً ، وأحسنكم صنعا ، وأطيبكم فرعا ، وأكثركم طاعة وسمعا . من أعلاكم مقاماً، وأحلاكم كلاماً ، وأوفاكم زمناً ، وأزكاكم سلاماً . من أجلكم قدروا ، وأعظمكم فخراً ، وأكثركم شكراً، وأرفعكم ذكراً ، وأعلاكم أمراً، وأجملكم صبراً، وأحسنكم خيراً، وأقربكم بشراً، من أبعدهم مكاناً، وأعظمكم شأناً، وأرجحكم ميزاناً، وأولكم إيماناً، وأوضحكم بياناً، وأفضلكم لساناً، وأظهركم سلطاناً ، وأبينكم برهاناً . من أرسخكم قدماً ، وأبينكم علماً وأوصلكم رحماً ، وأبركم قسماً ، وأبعدكم كرماً، وأرعاكم ذمماً . من أسطعكم نوراً، وأنوركم سروراً وأجملكم حبوراً وأفضلكم حياً ومقبوراً *

صيغة للصلاة

اللهم صل على من انتخبته من أشرف قبيلة ، (١) وجعلته اليك أكبر وسيلة ، وجعلت الصلاة عليه أكرم فضيلة ، وأعليته الى المرتبة الجليلة ، وجعلته بينك وبين عبادك وسيلة . اللهم صل عليه صلاة تجعلها بيننا وبين عذابك حجاباً ، وتجعلها لنا الى كرامتك مثاباً ، وتفتح لنا بها الى الجنة العالية باباً . اللهم صل على محمد عدد قطر الامطار ، وعدد رمال الاودية والقفار ، وعدد ورق الأشجار ، وعدد زبد البحار ، وعدد مياه الانهار ، وعدد مثاقيل الجبال والاحجار ، وعدد أهل الجنة وأهل النار ، وعدد الابرار والفجار ، وعدد ما يختلج في الليل والنهار ، واجعل اللهم صلاتنا عليه حجاباً من عذاب دار البوار ، وسبباً لباحة دار القرار . اللهم صل على محمد النبي المختار ، وسيد الابرار، وزين المرسلين الاخيار . وأكرم من أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار ، أبي القاسم النبي الصادق المختار . اللهم صل عليه عدد من صلى عليه وعدد من لم يصل عليه كما أمرت بالصلاة عليه ، وصل عليه كما تحب أن يصل عليه ، وصل عليه كما ينبغي أن يصل عليه . اللهم صل على النبي الصادق الاواب ، وعلى ذريته وعلى جميع القرابة والاصحاب ، وتوفنا اللهم على سنته ، واجعلنا من أهل ولايته ، وانفعنا بهدايته وعنايته، وأدخلنا الجنة مع صحابته الابرار الطيبين الاخيار ، آمين آمين يا أرحم الراحمين .

أفضل الخلق جميعاً . وزبدة الشرف ولبابه (١) فقد كانت قریش أشرف العرب قاطبة في الجاهلية والاسلام لما يريد الله تعالى في أن يبعث منهم وفيهم هذا النبي العظيم والرسول الكريم ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ولدت من نكاح لامن سفاح من لدن آدم .

مجلس ثاني في قوله تعالى (إن الله وملائكته يصلون على النبي

يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما)

إن الله تبارك وتعالى اتخذ إبراهيم خليلا ، وموسى كليما ، ومحمدا صلى الله عليه وسلم وليا وحبيبا ونبيا وصفييا ، وذلك أن الله تعالى بدأ بالصلاة عليه وهو الملك العلام ، وصلت ملائكته عليه وهم الاصفياء الكرام ، فصلوا بنا معشر الانام ، على محمد عليه السلام ، رسول ذي الجلال والاكرام ، ينجيكم الله من العذاب الدائم الغرام . واعلموا أنه ما من عبده مسلم أكثر الصلاة على محمد عليه الصلاة والسلام الا نور الله قلبه ، وغفر ذنبه ، وشرح صدره ، ويسر أمره ، فأكثروا من الصلاة عليه لعل الله يجعلكم من أهل ملته ، ويستعملكم بسنته ، ويجعله رفيقنا جميعا في جنته ، فهو المتفضل علينا برحمته *

في الصلاة عشر كرامات

واعلموا رحمكم الله أن في الصلاة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عشر كرامات : إحداهن صلاة الملك الجبار ، والثانية شفاعة النبي المختار ، والثالثة الاقتداء بالملائكة الابرار ، والرابعة مخالفة المنافقين والكفار ، والخامسة محو الخطايا والاوزار ، والسادسة قضاء الحوائج والاطوار ، والسابعة تنوير الظواهر والاسرار ، والثامنة النجاة من عذاب دارالبوار ، والتاسعة دخول دار الراحة والقرار ، والعاشرة سلام الملك الغفار *
أما ولم يقسم الله بحياة أحد الا بحياة محمد صلى الله عليه وسلم ، وقوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) تقدير الآية ؟ أنتم خير أمة أخرجت للناس *

احاديث في فضل الصلاة

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وافئتم سبعين أمة أنتم أكرمها وأفضلها عند الله » فأخبر الله تعالى أنه قال (وقولوا للناس حسنا) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ، فمن صلى على محمد فقد خالف المنافقين والكفار ، ووافق أمر الجبار ، وأما محو الخطايا والاوزار ؟ فما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من صلى على في يوم جمعة مائة مرة

غفرت له ذنوب ثمانين سنة » (١)

وقال صلى الله عليه وسلم : « من صلى على مرة واحدة أمر الله حافظه أن لا يكتب عليه ذنبا ثلاثة أيام » . وأما قضاء الحوائج والأوطار ؟

فما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « الدعاء بين الصلاتين لا يرد » وروى أن رجلا قال : يا رسول الله أي الدعاء أفضل ؟ قال : « الصلاة علي » قال : أجعل ثلث عبادتي الصلاة عليك ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « إذا هديت » قال : أجعل ثلثي عبادتي الصلاة عليك ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « إذا كفيت » قال : أجعل جميع عبادتي الصلاة عليك ؟ قال « من جعل جميع عبادته الصلاة على نبي الله له جميع حوائج الدنيا والآخرة » وهذا كله مع أداء الفرائض . وأما تنوير الظواهر والأسرار ؟

الصلاة تنور القلب

فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من أكثر الصلاة على نور الله قلبه » وذلك أن الذنوب تسود القلوب لأن العبد إذا عمل ذنبا صار نكسة سوداء في قلبه ، فإذا تزايد على الذنوب نمت تلك النكسة حتى يسود بها القلب كله ، وإذا رطب الله لسان العبد بالصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم غفر الله له ذنوبه ولو كانت مثل وزن الجبال ، فإذا غفرت ذنوبه زال السواد عن قلبه وبد فيه النور ، لأن الاسلام لا يتم إلا بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك أنه لو قال عبد : لا أرى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم واجبة لكان كافرا ورادا على الله ، وخرج عن دين الاسلام وزال نور الهدى عن قلبه (٢) قال الله تعالى (أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه) فهذا بيان واضح من الله . وأنشدوا :

- (١) حديث صحيح متفق عليه ، ولما كان متوسط العمر ثمانين سنة أو هذا أقصاه عمر التكليف فقد نهى صلى الله عليه وسلم أن من صلى عليه مائة مرة أى بشروطها ونيتها وإخلاصها بعد أداء الفرائض كاملة والتمسك بالحلال في المطعم والمشرب والكسب والتجرد عن ظلم العباد ؟ فقد غفر الله له ذنوبه ما لم يشرك أو يقتل أو يأتى الكبائر أو يعق والديه *
- (٢) لأن الله تعالى أمر بالصلاة عليه في القرآن الكريم وجعلها فرضا علينا كما أكد علينا أن نسلم تسليمنا وأخبرنا تعالى أنه وملائكته يصلون عليه ، فمن أنكر الصلاة بعد ذلك فقد أنكر القرآن الكريم ومن أنكره فقد رد على الله وهذا الكفر الصراح نعوذ بالله .

نور القلوب يزيد عند صلاتنا للهاشمي فنوره لا ينجلي
فضيائنا من ضوء نور محمد صلوا على ذاك النبي الافضل

حكاية في كثرة الصلاة على النبي

روى عن عبد الواحد بن زيد أنه قال : خرجت حاجا إلى بيت الله الحرام فصعقني رجل في الطريق كان لا يقوم ولا يقعد ولا يجي ولا يذهب ، ولا يأكل ولا يشرب ، ولا يتكلم ولا ينام ، ولا يتصرف في شيء إلا أكثر من الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم ، فسألته عن ذلك فقال : أحدثك بعجب عجيب ، خرجت مرة إلى مكة ومعى والدى فنزلنا منزلا في موضع من منازل الطريق فسمت فإذا أنا بهاتف يهتف بي وهو يقول : يا فلان قم فقد أمات الله والدك وقد سود وجهه ، فانتبهت فزعا مرعوبا مما سمعت فإذا هو رافد قد غطي وجهه ، فكشفت الثوب عن وجهه فإذا هو ميت ووجهه أسود ، فاشتد حزني لذلك وتخيرت في أمره فغلب على النوم فإذا أنا بأربعة سودان عند رأسه ، وأربعة عند رجله بأيديهم أعمدة من حديد من نار وهم يريدون عذابه ، فبينما أنا أنظر فيما يكون من أمر والدى مع السودان إذا برجل قد جاء فأشرق من نور وجهه الموضع كله الذي كنا فيه ، وأقبل على السودان فانتهرهم وقال : تنحوا عنه ، فتنحى السودان عنه من ساعتهم وغابوا عني فلم أرهم ، ثم أقبل على والدى فمسح بيده على وجهه فإذا هو أشد بياضا من الثلج ، والنور قد علا وجهه ، ثم أقبل علي فقال لي : يبض الله وجه أهلك وزال عنه السواد ، فقلت له من أنت فجزاك الله عنه خيرا ؟ قال : أنا محمد رسول الله ، فقلت له يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان السبب في مجيئك اليه ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : أما والدك فكان مسرفا على نفسه غير أنه كان يكثر من الصلاة على ، فلما نزل به منازل استغاث بي وأنا غياث لمن أكثر الصلاة على ، فقمت من نومي فكشفت الثوب عن وجهه فإذا هو قد ابيض فأخذت في أمره وشرعت في دفنه فما تركت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك . فإذا كانت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم تورث تنوير الوجه بعد المات ، فأولى أن تورث تنوير القلوب في الحياة !! وذلك أن الله تعالى جعل شخصه صلى الله عليه وسلم نورا ، وقد سماه في كتابه سراجا منيرا ، ووصف من اتبع أمره وسنته وأحبه بنور القلب ، قال الله تعالى (أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه) ووصف من خالف دينه ومن لم يؤمن به بظلمة القلب قال تعالى (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) فالكم عباد الله

غافلون عن هذه الفضيلة ، والنعمة الدائمة الجزيلة ؟ وأنشدوا :

صَلُّوا عَلَى نَوْرِ تَزَايِدُ فَخْرَهُ يَعْلُو عَلَى الْأَنْوَارِ وَالْأَلْبَابِ
مُحَمَّدَ زَيْنَ الْخَلْقِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا وَخَيْرَ شَفِيعٍ نَاطِقٍ بِصَوَابِ
وَخَيْرَ حَبِيبٍ لِلَّاهِ نَبِينَا وَخَيْرَ رَسُولٍ عَامِلٍ بِكِتَابِ
أَتَى الْخَلْقَ وَالْأَصْنَامَ تَعْبُدُ جَهْرَةً وَبِوَأْهُمْ إِبْلِيسَ شَرَّ مَا بَ
فَأَنْقَذَ بِالنُّورِ الْبَهِي عِبَادَهُ وَبِوَأْهُمْ بِالْدِينِ حَسَنَ مَا بَ (١)
فَصَلُّوا عَلَى خَيْرِ الْخَلَائِقِ كُلِّهِمْ لَتَسْتَوْجِبُوا يَا قَوْمُ خَيْرَ ثَوَابِ

عباد الله تعاهدوا الصلاة على حبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم لان الله تعالى إذا أراد بعبيده خيرا يسر لسانه للصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم ، وإذا أراد بعبيده شرا حبس لسانه عن الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم فيكون ذلك سبباً لسواد وجهه ، كما أن الصلاة لتنوير القلب . وأما قضاء الخوائج والأوطار *

الصلاة تحل العقد

فما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من عسرت عليه حاجة فليكثر من الصلاة على فانها تحل العقد ، وتكشف الهم والحزن ، وتكثر الارزاق » . وأنشدوا :
كَمْ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ فَازَ مِنْ رَجُلٍ وَكَمْ رَأَيْتُ بِهَا فِي الشَّدَةِ الْفَرْجَا
وَأَمَّا النِّجَاجَةُ مِنْ عَذَابِ دَارِ الْبَوَارِ (٢)

الصراط والصلاة

فما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الصلاة على نور على الصراط »

(١) لان الله تعالى قال (إن الدين عند الله الاسلام) فبهدايته صلى الله عليه وسلم لهم الى ذلك الدين الحق أنقذهم من الهلاك ، وبوأهم خير ما تبأى أنزلهم خير منزل (٣) أى دار الهلاك والخسران ، لانه ليس فى جهنم ربح ولا نعيم بل هى دار عذاب وانتقام وليس من الخلق إلا من يردها قال تعالى (وإن منكم إلا واردةها) الآية . فمن الناس من يردها كالبرق ومنهم من يردها حبوا ومنهم من يتردى فيها وكل وعمله الصالح فى الدنيا . وما قدر الله له .

ومن كان على الصراط من أهل نور الايمان ، وكثرة الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول الملك الرحمن ، فلا يكون من أهل الهوان في سموم النيران ، بل يكون من أهل الامان في نعيم الجنان ، وأما دخول دار الراحة والقرار *

فما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من ترك الصلاة على فقد أخطأ طريق الجنة » قاله الله عباد الله يا إخواني تثبتوا واجتهدوا في الصلاة علي خير العباد ، وفخر البلاد وزين الحشر والمعاد ، فعسى الله أن يجيرنا من العذاب الذي ليس له انقطاع ولا يرجى له نفاذ . ولا تغفلوا عن الثواب الجزيل ، والملك الدائم الجليل ، بالصلاة علي النبي الاصيل ، الذي نعتة في التوراة والانجيل ، واحمدوا الله الذي فضلكم بالنبي الرؤوف الرحيم ، الذي جاء بالقرآن الواضح الحكيم ، المهيمن القديم ، من عند الملك العزيز الكريم ، فلعل مولانا أن يتفضل علينا بجنات النعيم ، وينجيننا من العذاب الاليم ، في سواء الجحيم ، مأوى كل كفار أثيم ومنزل كل شيطان رجيم ، وعدو فاسق فاجر لئيم *

جهنم والصلاة على النبي

ذكر في بعض الاخبار أنه إذا كان في يوم القيامة أمر الجبار جل جلاله أن يؤتى بجهنم ، فإذا جيء بها وكانت من الموقف مسيرة خمسمائة عام ونظرت الى أهل المعاصي اشتد غضبها وتقلب بعضها على بعض ، وغلا بعضها على بعض ، وأخني بعضها على بعض ، زفرت زفرة فلا يبقى غل ولا قيد ولا سلسلة ولا سربال ولا حية ولا عقرب إلا ألقت الكل ، على ظهرها ، وأكبت (١) الزبانية على وجوههم ، وانهمز مالك عليه السلام من بين يديها ، فعند ذلك لا يبقى ملك مقرب ، ولا نبي مرسل ؛ ولا ولي ولا صفى إلا جثا على ركبتيه ، وفر الناس كلهم هاربين ، ونبيينا صلى الله عليه وسلم قائم عليه حلة خلقها الله تعالى من قبل أن يخلق الخلق بمائة ألف عام ، وهو صلى الله عليه وسلم يلوح اليها بكفه ويقول : كفى عن أمتي كفى عن أمتي ، فعند ذلك يتعلق العبد المذنب به صلى الله عليه وسلم وهو يقول : يا نبي الله أقتدني من عذاب الله ، فيقول له صلى الله عليه وسلم . ألم أبلغك رسالة ربي فلم عصيت ؟

(١) في الاصل ، وأقبلت الزبانية وهو تحريف ظاهر يؤيده انهزام مالك وهو خازنها الاعظم وذلك كله كناية عن شدتها يوم القيامة وقد سبق في مجلس آخر وصف جهنم بالتفصيل الوافي فليراجع هناك وكل ماجاء في وصف الجنة والنار هو حق بلا مرا .

فيقول يا رسول الله غلبت علي شقوتي ، فيقول صلى الله عليه وسلم لا شقوة على أحد من أكثر الصلاة على فيشفع له عند الله تعالى ، فاذا رأيت جهنم نور وجه المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم خمدت وكفت . فاذا كانت جهنم أنعمها الجبار ، من نور وجه النبي المختار ، فكيف لا تغلفي الصلاة عليه عن صاحبها جميع الخطايا والاوزار ؟ وإذا كان نور المصطفى أنعم عظيم النيران ، فكيف لا توجب الصلاة عليه اصحابها جزيل الغفران ؟ وإذا كان نور وجه محمد النبي صلى الله عليه وسلم أنعم سموم الجحيم ، فكيف لا تورد الصلاة عليه المقام الكريم والنظر الى وجه الحكيم العليم ؟ وأنشدوا :

يا من تمرد في الايام منهمكا صلوا على المصطفى يا أكرم الامم
صلوا عليه لعل الله يرحمكم يوم الحساب ويوم الكرب والرحم (١)
إن الصلاة على المختار قارئة لقلب صاحبها جزءا من الحكم
فهو الشهيد لاهل الجمع كلهم وهو الدليل إلى الفردوس والنعم

الصلاة بشارة بالجنة

روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من صلى على الف مرة لم يمت حتى يبشر بالجنة » وأبخل الناس رجل ذكر عنده محمد صلى الله عليه وسلم أو سمع بذكره فلا يصلي عليه . وأكسل الناس من سمع المؤذن فلم يقل مثل ما يقول ، وأعجز الناس من لم يدع لنفسه دبر كل صلاة . فاذا كان العبد عاجزا لنفسه فهو لغيره أعجز . وأما سلام الرحيم القهار ، فهو إن كل من كان مصليا على النبي صلى الله عليه وسلم فهو من أهل الجنة . سلم عليه ربنا ومولانا وهو قوله تعالى (سلام قولا من رب رحيم) وقوله تعالى (وتحيتهم فيها سلام) وقوله (ويلقون فيها تحية وسلاما) و (تحيتهم يوم يلقونه سلام) *

ما للمصلي عند الله

وروي عن عبد الرحمن بن عوف أنه قال : قال الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم من صلى عليك صليت عليه ، ومن سلم عليك سلمت عليه ، قال فيسجد لله شكرا . فالعبد يجزي بالسلام على النبي المختار ، سلام الملك الجبار . وأنشدوا :

(١) الزحم الزحام .

يارا كبا نحو المدينة قاصدا باغ صلاتي للنبي محمد
ورقل السلام عليك يا علم الهدي فهو الدليل إلى الشفيع الاجود
إن الذي ورث النبوة والهدى فهو الدليل لكل عبد مرشد
صلى عليه الله ما هبت صبا وترنمت ورقا بصوت تغرد

نكت في فوائد الصلاة عليه

واعلموا رحمكم الله أن في الصلاة على نبي الهدي محمد صلى الله عليه وسلم إشارات جميلة ونسكتا كثيرة ، وذلك أن الله تعالى أجرى الصلاة على النبي الرشيد ، السيد السديد ، مجرى شهادة التوحيد ، قال تعالى (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة) . وهكذا قال رب القريب والبعيد ، في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم الصادق الرشيد (إن الله وملائكته يصلون على النبي) إشارة حسنة ونسكتة مليحة *

قال الله تعالى: (فاذكروني أذكركم) ولم يقل أذكركم عشر مرات ، وقال تعالى وجل وعلا . (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وقد قال صلى الله عليه وسلم : « من صلى على مرة صلى الله عليه عشرا » فكأن الله سبحانه وتعالى يقول : عبيدي إذا أثنت على مرة أثنت عليك مرة ، وإذا أثنت على حبيبي مرة أثنت عليك عشرا لأنه أكرم الخلق على وأجلهم عندي . (١) *

ثانية : قال الله تبارك وتعالى (إن الله وملائكته يصلون على النبي) وقال في المؤمنين (هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور) بصلاتكم على النبي المحبوب . وأنشدوا :

فاكثروا التسليم بعد صلاتكم للسيد المختار ذاك الامجد
ومن يك ذا بخل شديد بذكره فذاك عن الحق المنير مبعد

(١) والذي يظهر لي من كلام المؤلف رحمه الله أنه يريد أن يقول أن الله تعالى غني بعظمته عن ثناء العبيد ، قال (إن الله غني عن العالمين) وأن مقام الربوبية غني عن ثناء أي مخلوق وأن ثناءهم لا يزيد في عظمته شيئا ولكن مقام النبوة يحتاج إلى الثناء والتأييد لأن النبي بشر مثلهم فالثناء عليه تأييد لرسالته وقوة لنبوته فلذلك أكثر الثواب عليه والحث على كثرتة .

كاشفة الكرب

روى عن النبي صلى الله وسلم أنه قال : « من عسر عليه شيء فليكثر من الصلاة على فانها تحل العقد ، وتكشف الكرب » في دار الامتحان ، فأولى أن تنجى في الآخرة من النيران في الدار الباقية »

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من صلى على مائة مرة تزحزحت النار عنه مسيرة خمسمائة عام » فاكثروا من الصلاة عليه يا أهل ملته . صلى الله عليه وسلم صلاة مقرونة بالكمال والحسن والجمال ، والخير والافضل »

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أكثركم على صلاة أكثركم أزواجا في الجنة » قاله الله يا معشر المؤمنين أكثروا من الصلاة على سيد المرسلين . وخاتم النبيين ، وارعوا في المقام الامين ، والتمتع بالحرور العين ، والنظر إلى وجه مولانا رب العالمين »

من أكثر الصلاة عليه

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أكثركم على صلاة أقربكم مني مجلسا » وفي هذا الحديث إشارة حسنة ، وهي أن من قرب في الآخرة من النبي نظر إلى وجه العزيز الجبار ومن نظر إلى وجه العزيز الجبار ، وقرب من النبي المختار ، زحزح جسمه عن النار ، وأسكن دار الراحة والقرار ، في جنات عدن تجري من تحتها الانهار ، لا يذوقون فيها طعم الحما ، ولا يجذون ضر الاسقام ، ولا تليحهم قنور الآلام . قد أمنوا من الزوال والانتقال ورضى عنهم الكبير المتعال ، سبحانه وتعالى جل ذلك الجلال . وأنشدوا :

صلى الاله ومن يحف بعرشه والطيبون على المبارك أحمد
فما حملت من ناقة فوق رحلها أبر وأوق ذمة من محمد
ولا طلعت شمس النهار (١) على امرئ نقي نقى كالنبي محمد
ولا لاحت الجوزاء شرقا ومغربا بأطيب من طيب النبي محمد

(١) الجأه الوزن أن يقول شمس النهار ولا تكون الشمس الا للنهار فالنهار هنا حشو زائد وهو كما نهننا مرارا ينظم هذه الاشعار تحلية لمجالسه وإن كان باعه قصير في الشعر رحمه الله

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أكثرُوا من الصلاة على فانها تطفيء غضب الجبار » فأولى أن تطفيء عن المصلي عليه صلى الله عليه وسلم في الدنيا كيد الشيطان الفرار . عباد الله الزموا هذه الفضائل ، وارغبوا في هذه المنازل ، وتقربوا إلى الله بهذه الوسائل ، بالصلاة على النبي المختار من أشرف القبائل ، الذي أوضح الله به الدلائل ، وجعله إليه أكبر الوسائل ، وأنشدوا :

حب النبي على الانام فريضة لا تنس ذكر الهاشمي الاكرم
إن الصلاة على النبي وسيلة فيها النجاة لكل عبد مسلم
صلوا على القمر المنير فانه نور تبتدى في الغمام المظلم
رحم العباد به عزيز قادر فالشكر لله العلي المنعم

الصلاة والدعاء

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن العبد يسأل الحاجة فلا يصلى على عقيب سؤاله ، فترجم الحاجة علي سبحانه ، فاذا صلى على قضيت حاجته ، واستجبت دعوته ، وتفتحت له أبواب السماء » فاذا كانت الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم تقضى في الدنيا الحاجات ، فالأولى أن تنجى صاحبها في الآخرة من العذاب والعقوبات ، وتدخله الجنات العاليات .
روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كل دعاء معجوب دون السماء ، فاذا جاءت الصلاة على صعد الدعاء » يا أحبائي والله إذا صعد الدعاء ، ارتفع البلاء ، ورضى الله الأرض والسماء .

كيف تدعو الله

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تجعلوني كقدح الراكب ، فإن الراكب إذا أراد أن ينطلق علق معاليقه ، وملاً قدحاً ، فإن كانت له حاجة في أن يتوضأ أو يشرب شرب والا أهراقه ، فاجعلوني في وسط الدعاء وفي أوله وفي آخره » وإنما معنى الحديث أن يكون الإنسان أبداً لا يفتر عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، فاذا أصابته شدة وصلى على محمد عرف صوته ودعائه ، فاستجيب له وكشف عنه الهم والكرب . فيجب على من هو من أهل ملة محمد صلى الله عليه وسلم أن لا يغفل عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أكثرُوا من الصلاة على فانها تن (١)

(١) في الاصل : تهين كيد الشيطان وصحتها تن من وهن يهن أى أضعف كيده .

كيد الشيطان » فأولى أن تدفع عن المصلى عليه آفات الزمان ، وتحول بينه وبين عذاب النيران ، وتوجب له دار الخلد والامان ، وجنة النعيم والرضوان ، وأنشدوا :

إمدح نبى الهدى يا أيها الرجل واذكر فضائله والدمع منهمل
وصل دهرنا على المختار مجتهدا تحت الظلام وداجى الليل منسبل
عساك تحظى بدار لا نفاذ لها نعيمها دائم والظل والأكل

فائدة الصلاة على النبي

توسلوا بالصلاة على النبي الرفيع ، والحبيب الشفيق ، يغفر لكم مولاكم ما علمتم من الآثام ، ويدخلكم برحمته دار الخلد والسلام . توسلوا بالصلاة على النبي المختار ، يكن شفيعكم من عذاب دار البوار ، وينجيكم مولاكم من سموم النار ، ويدخلكم برحمته (جنات) تجرى من تحتها الأنهار . توسلوا بالصلاة على النبي الصادق الآواب ، ينجيكم مولاكم من أليم العذاب ويدخلكم الجنة وحسن المآب . توسلوا بالصلاة على النبي الرشيد ؛ ينجيكم مولاكم من العذاب الشديد ، ويدخلكم برحمته النعيم الذى لا يبيد . توسلوا بالصلاة على النبي البر الرءوف الرحيم يدخلكم مولاكم جنات النعيم ، وينجيكم برحمته من سموم الجحيم *

روى عن أبي بكر الصديق رضى الله عنه أنه قال : الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، أحق للذنوب من الماء البارد للنار . والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أفضل من عتق الرقاب ، فاسموا وعوا يا أولى العقول والآباب . وأنشدوا :

تواترت الخيرات (١) شرقا وغربا بذكر رسول الله فى السر والجهر

فذكرك للمختار فخر ورفعة وذكرك للمختار من أفضل الذكر

ذكر فى بعض الاخبار أنه إذا كان يوم القيامة وضعت حسنات بعض المؤمنين وسيئاتهم فى الميزان ، فترجح سيئاتهم على حسناتهم ، فيشفق المؤمنون لذلك ، فتنزل صحائف بيض من عند الله تبارك وتعالى على حسناتهم ، فترجح حسناتهم على سيئاتهم ، فيقول الرب جل جلاله هذه صلاتكم على النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - ثقلت بها موازينكم ، وجعلتها لكم ذخيرة وقربة . فهذا يا إخوانى فضل الله العظيم ، بالصلاة على الرسول الرءوف الرحيم *

(١) كذا بالأصل ، ولعلم المحرفة عن الاخبار لان سياق العبارة يقتضى ذلك

ثبوت الشفاعة

ومن رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بأئمة ما روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان في بعض الأيام جالسا فقرأ هذه الآية (إن تعذبهم فانهم عبادك وإن تغفر لهم فأنك أنت العزيز الحكيم) فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال له يا محمد مم بكاؤك ؟ فقال صلى الله عليه وسلم « ففكرت في أمتي » فقال جبريل : يا محمد الله يقرئك السلام ويقول لك أنا أسترضيك في أمتك . يا أحبابي نبيكم عند مولاكم مكيين ، ومولاكم ذو القوة المتين ، وإنك يا أخى عبد مهين ، فهل رأيتم مهينا يعذب بين مكيين ومتين ؟ مولاكم عظيم ونبيكم كريم ، فهل يضيع من يخاف العذاب الآليم بين عظيم وكريم ؟ فصلوا عليه كما أمركم مولاكم في القرآن الحكيم . يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم مولاكم لطيف ، ونبيكم سيد شريف ، وأنت يا مؤمن عبد ضعيف ، فهل رأيتم ضعيفا يضيع بين لطيف وشريف ؟ وأنشدوا :

يا الهى عسى تكون مجرى بصاقي على البشير النذير
إننى خائف كئيب حزين أن أصلى بحر نار السعير
أيها الناس بادروا ثم جدوا بصلاة على السراج المنير
ذاك خير الانام جار بصدق وكتاب من السميع البصير
فيه أمر وفيه نهى وفيه ما يؤدى إلى النعيم الكبير (١)
لاتملوا من الصلاة عليه سوف تنجوا من حر نار الزفير
ثم تحظوا بها بدار نعيم ليس تبلى من عند رب قدير

المدامنة على الصلاة عليه

واعلموا عباد الله أن الواجب على كل مسلم ومسلمة أن لا يدع الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم حينئذ ولا وقتا ، ولا يذكرها في الشدائد ويدعها في الرخاء ، فيكون كمن يعمل للدنيا دون الآخرة ، إنما يجب عليك أن تصلى عليه في صلاتك وعند قيامك وقعودك ولباسك

(١) في الاصل هذا البيت والذي بعده مكتوب سردا لاشعرا ونصه هناك : فيه أمر

وفيه ٣ وفيه قول بديع ليودى الى النعيم الكبير . وأصلحته ليستقيم مع بقية الايات .

وأكلك وشربك وسائر تصرفاتك ، فتعود عليك بركتها ، وتقبل عليك خيراتها ، وتقضى بذلك حق نفسك وحق نبيك محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا تقدر أن تبلغ حق نبيك أبداً ولو كان لك ألف لسان ، تصلى بها كلها (١) عليه لأن الله تبارك وتعالى جعله سبباً لخلاصك من النار ، ولعرفتكم بمولايك العزيز الجبار *

مهر حواء أم البشر

ذكر في بعض الأخبار أن آدم عليه الصلاة والسلام رفع رأسه فنظر على ساق العرش لإله إلا الله محمد رسول الله ، فقال آدم يارب من هذا الذي كتبت اسمه مع اسمك ؟ فقال الله تعالى يا آدم هو نبي وصفي وهو حبيبي ، ولولاه ما خلقتك ولا خلقت جنة ولا ناراً. فلما خلق الله سبحانه حواء نظر آدم إليها فقال يارب زوجني منها ، فقال الله تعالى وما مهرها يا آدم ؟ فقال يارب ما أعلم ، قال الله تبارك وتعالى يا آدم صل على محمد عشر مرات ، فصلى آدم عليه كما أمره الجبار جل جلاله ، فوجهه الله سبحانه منها وكان صداقها الصلاة على محمد المختار مهراً لأمة الملك الجبار ، فكيف لا تكون صلاتنا عليه مهراً للحوار العين في دار القرار ، ومن دخل دار القرار نجا من عذاب النار ، لأنه قال صلى الله عليه وسلم : « أكثركم على صلاة أكثركم أزواجاً في الجنة » *

اشارات وبشارات

إشارة حسنة ؟ وذلك أن الصلاة من الملك الجبار رحمة ونجاة من عذاب النار ، لأن الله تعالى إذا صلى على المؤمنين فقد رحمهم *

أخرى ؟ قال الله تعالى : (إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض) إلى قوله (كأن لم تغن بالأمس) فإذا جاءت الساعة بعداها وأهوالها ذهب نبات الأرض وتلاشى في جنب العذاب حتي تبقى الأرض كأن لم يكن فيها نبات قط ، وإذا كان هذا فعل العذاب فرحة الله أولى وأكثر إذا جاءت تلاشت ذنوب المؤمنين في جنبها كأن لم تكن قط . هذا في رحمة الله الكريم مرة واحدة فكيف في عشر مرات ؟ لأن النبي صلى الله عليه وسلم

(١) لأنه صلى الله عليه وسلم تحمل في هدايتنا غاية العناء والأذى من قومه باليد واللسان .

ولم يرد بذلك نفعا شخصيا له . قال تعالى (قل لأسألكم عليه من أجر المودة في القربى) *

قال : « من صلى علي مرة واحدة صلى الله بها عليه عشر مرات » فهذه بشارة حسنة للمؤمنين والمؤمنات ، بكثرة صلاتهم علي سيد السادات ، وخير البريات *
 روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : ما جلس قوم مجلسا يذكرون الله تعالى ولم يذكروا النبي صلى الله عليه وسلم الا كان ذلك المجلس عليهم وبالا وحسرة يوم القيامة (١).
 فتزينوا بأئمتهم وزينوا مجالسكم بالصلاة على نبيكم صلى الله عليه وسلم *

مكفرات الذنوب

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه صعد ذات يوم المنبر فوضع قدميه في مرقة من المنبر فقال آمين ، وقال آمين في الدرج الثاني ، وقال آمين في الدرج الثالث ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : « جاءني جبريل عليه السلام فقال يا محمد من أدرك أحدا والديه أو كلاهما ومات ولم يغفر له فدخل النار فأبعده الله فقلت آمين ، ثم قال يا محمد من أدرك شهر رمضان فمات فلم يغفر له فدخل النار فأبعده الله قلت آمين ، ثم قال يا محمد من ذكرت عنده فلم يصل عليك فمات فلم يغفر له فدخل النار فأبعده الله فقلت آمين » *

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم المختار « من صلى على لم يلج النار » *
 اللهم صلى على محمد ما اتصلت عين بنظر ، وتزخرفت أرض بمطر ، وحجج نحاج واعتبر ، ولي ونحر ، وحلق وقصر ، وطاف بالبيت وقبل الحجر *
 اللهم صل عليه وعلى آله صلاة لا تنفاد لها ولا انقطاع ، صلى الله عليه عدد من يصلي عليه وعدد من لم يصل عليه إلى يوم القيامة ، وصلى عليه عدد الذاكرين ، وغنلة الغافلين ، وحشرنا وجميع المسلمين ، في زمرة يوم الدين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

في آخر الاصل الذي نقلنا عنه ما يأتي :

تم الكتاب المسمى ببستان الواعظين ورياض السامعين
 على يد كاتبه الفقير الحقير كثير الذنب والتقصير الراجي رحمة ربه القدير الفقير حسام بن علي بن علي بن حسام الدين الكبير غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين آمين

(١) لأنهم أثموا بعدم ذكره - عليه الصلاة والسلام - والصلاة عليه لأنها فريضة ولأن الله تعالى قرن اسمه باسمه وشرفه وفضله وأوجب على جميع الخلق الاعتراف بفضله والصلاة والسلام عليه ، الثناء الواجب لقدره وأخبرنا أنه تعالى وملائكته يصلون عليه ويسلمون تسليما

وكان الفراغ من هذه النسخة المباركة في ختام شهر ذي القعدة الحرام من شهر سنة ١٠٢٥ هـ
تختتم بخير آمين

أما الله كاتبه محباً لأصحاب النبي مع النبي
وأسكنه بذلك دار عدن جوار الله ذي العرش العلى

وأكمل نسخته منها الفقير اليه تعالى عثمان خليل في يوم الثلاثاء الموافق ٢٧ جمادى الآخرة
سنة ١٣٥٢ الموافق ١٧ أكتوبر ١٩٣٣ وتم طبعه في يوم الاثنين المبارك التاسع من شهر محرم الحرام
سنة ١٣٥٣ هجرية الموافقة سنة ١٩٣٤ ميلادية والحمد لله أولاً وآخراً وصلى الله على سيدنا محمد
وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

— خاتمة الكتاب —

يقول مصححه الفقير اليه تعالى عثمان خليل

تم بعملة الله تعالى طبع كتاب (بستان الواعظين ورياض السامعين) للإمام الحافظ الواعظ
المحدث الخطيب المؤرخ أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي رحمه الله تعالى وهو من غرر مؤلفاته
ونفائس مكنوناته وفرائد درره وقيمة عقده . ومن عرف قدر مؤلفه العظيم في الاسلام
وطول بابه في الوعظ والارشاد وأنه ما ألف في موضوع إلا وفاه حقه من البحث والتعليق
أدرك أن هذا الكتاب الذي تقدمه اليوم سيملاً فراغاً كبيراً في تهذيب الاخلاق والرجوع
إلى الله والتمسك بمحاسن الشريعة الغراء . ولقد طبع لابن الجوزي ما ينيف عن الثلاثين كتاباً
فنفقت كلها وأعيد طبع بعضها مراراً ، ولقد ساهمت في تصحيح كتابه القيم مناقب الامام احمد بن
حنبل وصيد الخاطر وصححت كتابه الفسكاوى اللطيف (نواذر واخبار الحمقى والمغفلين)
وشرحت ألفاظه وعلقت عليه وقت بطبعه أخيراً مع العناية بالطبع وجودة الورق . وسأتهز
الفرص المناسبة إن شاء الله تعالى لنشر بقيه مؤلفاته الثمينة التي لم يقصد بها غير وجه الله تعالى
ونفع المسلمين لذلك باركها الله ونفع بها في حياة وبعد مماته

وكان تمام طبعه بهذا الشكل الباهر والمنظر الزاهر بالمطبعة المحمودية التجارية على نفقة
صاحبها محمود افندي على صبيح صاحب المكتبة المحمودية بميدان الازهر الشريف تقبل الله
قربانه وجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم آمين .

- تطلب هذه المطبوعات وغيرها من المكتبة المحمودية التجارية بميدان الجامع الازهر الشريف: صندوق بوسنة رقم (٥٠٥) مصر والمكتبة ترسلها لجميع الجهات لمن يرسل الثمن مقدماً
- ١- كتاب المدهش: للواعظ أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي في علوم القرآن ، والتفسير والحديث ، واللغة وعيون التاريخ، والوعظ. الخ مجلد عال طبع بغداد * ثمنه ٣٠ قرش
- ٢- روض القلوب المستطاب: تصوف وهو واعظ ، وحكم لحسن رضوان * ثمنه ٢٥ قرش
- ٣- استنحالة المعية بالذات: بيان مذهب السلف والخلف في التشابه والصفات للحدث محمد الخضر الشنقيطي * ثمنها ١٢ قرش ورق ابيض عال و ١٠ ورق اصفر
- ٤- مبارك الازهار: شرح لكتاب مشارق الانوار المحتوى على ٦٢٤ حديثاً من البخاري ومسلم لعبد اللطيف بن ملك جزآن * ثمنه ٣٥ قرش طبع اسلامبول
- ٥- المجازات النبوية: يشتمل على المجازات والاثار . والاحاديث الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - طبع بغداد ورق جيد للشریف الرضى * ثمنها ١٥ قرش
- ٦- مختصر شعب الايمان: للامام البيهقي مشكول الحديث تأليف أبي جعفر القزويني بشرح مطول للشيخ حافظ احمد * ثمنه ٦ قروش
- ٧- سر الروح: والبحث بالآيات والاحاديث في حقيقتها ومعرفة النفس وهل هي محدثة أو قديمة .. الخ للحافظ أبي بكر البقاعي * ثمنه ٥ قروش
- ٨- تحفة الاكياس في حسن الظن بالناس: آيات ، وأحاديث نبوية ، وآثار الاولياء والعلماء والصالحين ونصائح دينية للولي على بن محمد المصري * ثمنها ٥ قروش
- ٩- تنوير الخلال في رؤية النبي والملك: وشرحه للجميع للامام السيوطي * ثمنه ٤ قروش
- ١٠- الاسراء والمرآج: الطبعة الثانية للامام ابن عباس مشكولة ومشروحة * ثمنها قرشان
- ١١- ثلاثة رسائل: سلفية للامام الحافظ ابن رجب الحنبلي تصوف وهو واعظ ومعرفة أهل السلف واتباع آثارهم الصالحة * ثمنه ٤ قروش
- ١٢- طبقات الاولياء: والصالحين والعلماء في بلاد السودان للفتية محمد ضيف الله * ثمنه ٢٠ قرش
- ١٣- الرسائل السلفية في إحياء سنة خير البرية: الامام الحافظ المجتهد شيخ الاسلام محمد بن علي الشوكاني * ثمنه ١٠ قروش

اطلبوا فهرس (قائمة) الكتب العمومية فيها أسماء المؤلفين وأثمان الكتب ترسل للجميع مجاناً

تأسست سنة ١٣٢٦ هـ ١٩٠٩ ميلادية

المكتبة المحمودية التجارية

لصاحبها محمود علي صبيح بيدان الجامع الأزهر الشريف بمصر
صندوق بوسسته رقم ٥٠٥ مصر

هي أشهر مكتبة عربية بمصر امتازت بما تحتوي عليه من نفائس
المؤلفات القديمة والحديثة وحسن المعاملة مع القناعة في الربح
الصفقتان اللتان عرفت بهما وناهيك بما يطبع دائماً من مطبوعات
السلف الصالح والمطبوعات العصرية التي تجدها فيها وهي مستعدة
لتصدير كل ما يطلب منها إلى داخل القطر وخارجه بالجمل
والقطاعي بغاية السرعة والأمانة مع ملاحظة حسن الورق
ونظافة الطبع مع التجميع التام والتجربة اصدق برهان
وترسل فهرست (قائمة) المكتبة التي تطبع سنوياً باثمانها

لكل طالب مجانياً تسهيلاً للتجار وأصحاب المسكاتب
والقراء ان يرسلوا كشف بالكتب اللازمة لهم مصحوباً بنصف
القيمة مقدماً والباقي يحول ويدفع عند تسليم البضاعة
وتجربة واحدة تكفي لصدق قولنا وحسن معاملتنا
والله يوفقنا جميعاً لخدمة العلم والأدب والسلام

صاحب ودير المكتبة ✽ محمود علي صبيح ✽

المكتبة تأسست على تقوى من الله في الصدق والأمانة

الفهرست (القائمة) فيها كل الشروط التي اضطلعت عليها مع علمها

من أن المكتبة بجهة بيانية لها في كل سنة فهرست